BEERO@LIILAS.COM

أثر على الرمال

بيرو

عبير محمد قائد

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

العمل الارتقاء والتحدي

بكل صوره هو كل ماتحلم به ساشا منذ نعومة اظفارها

ساشا التي شهدت بعينين ملؤهما براءة الطفولة كيف تمزق الحب الذي جمع والديها مرة

ورأت تحطم امها وزواجها بأول رجل طرق بابها

كل ذلك جعل الحب بالنسبة لها معادلة غير مفهومة قررت الإبتعاد عنها بكل هدوء

ولكن أنت تشاء وانا أشاء والله يفعل مايشاء

فثيوس لم يكن من الرجال الذين تراهم مرة لتدير ظهرك له في المرة التالية

كان رجل لم ترى مثله

كرهته واحتقرت نظرته للمرأة

وقاتلت كل المشاعر التي تتسلل اليها عنه

ولكن لكل جواد كبوة

ومنذ البداية أعلن هو أنها فرس لم ير مثلها قط من قبل وصمم على ترويضها مهما كان

الحب والكراهية

جمعت بينهما

ولم تكن إلا الخيـــانة هي من فرق بينهما

فمالذي يجلو غيوم الألم بعد الفراق

عبير

17/9/2010

أثــر علـى الـرمــال

الفصل الاول

رحلة غير اعتيادية

بدت لندن في ذلك الصباح كئيبة وقد انتشر الضباب في كل انحاء المدينة وخفت حركة السير بشكل ملحوظ وقد بدا الأمر غريبا مع بداية الصيف فاختفت الشمس وهبت نسمات خفيفة من أن الى آخر .. زفرت ساشا جامسون بضيق وهي تراقب الشوارع المظلمة شبه الخالية من المارة من نافذة المكتب الصغير لصحيفة ((أراء وأنباء)) الذي تعمل فيه مذ كانت طالبة في الجامعة كمتدربة , الصحيفة اسبوعية وهي متواضعة بالنسبة لصحف لندن العريقة ولكنها صحيفة محترمة وتشكل بداية جيدة لساشا الفتاة الطموح.

جلست ساشا على مقعدها بهدوء وقالت ساهمة:

-أظن ان الشمس ساطعة الأن في قبرص.

نظر اليها أحد زملائها وقال ساخراً:

-أظن أن الشمس تسطع كل الوقت في قبرص.

فيما قالت زميلتها الأخرى وهي تحارب ألة القهوة:

- لم تسألين عن قبرص الأن يا ساشا؟

لم تجب بل شردت بعيدا وقلمها يعبث بورقة على الطاولة أمامها.

ساشا فتاة في ال24 من عمرها معتدلة القامة نحيلة بعض الشيء بيضاء بشعر ناعم غزير بلون الثلج تعقصه دوماً خلف رأسها ولولا وعدها لأمها لكانت قصته قصيراً منذ زمن وجهها بشكل القلب لها أنف دقيق وعينان بلون السماء الزجاجي.

وبالعودة لموضوع قبرص كان والدها يعيش وزوجته الجديدة في أحدى القرى القريبة من نيقوسيا العاصمة والدها الطبيب آثر الإبتعاد عن أجواء لندن الباردة بعد اصابته بداء المفاصل وارتحل نحو موطن الشمس الأبدية وحيث أنه قضى بعض الوقت في قبرص من قبل مع منظمة الصحة فقد عاد اليها الأن.

والدة ساشا بعد الطلاق المرير من والدها تزوجت بأمريكي ثري وانتقلت للعيش معه في فلوريدا منذ عشرين عاماً ولفترة ماقبل الجامعة كانت ساشا تقيم معهما ولكنها أرادت الانتقال الى انجلترا لاستكمال تعليمها .كان زواج والديها كارثياً حيث انتهى الحب والغرام العاصف بين الطبيب المغمور والشابة الثرية بطلاق مرير بعد سنة أو أقل من الزواج حيث أثمر عن ساشا الصغيرة التي منذ صغرها أبعدت الحب والمشاعر الرقيقة من قلبها الى الأبد وارتحلت ابنة الأربع سنوات مع امها وزوجها الجديد الى امريكا حيث عاشت معهما حتى بلغت الثامنة عشر من عمرها حينها عادت للعيش مع والدها في انجلترا رغم معارضة امها الشديدة وهناك ارتادت الجامعة وبقيت تقضي اجازتها الصيفية كل عام في فلوريدا ومنذ ثلاث سنوات تزوج والدها بامرأة انجليزية طيبة القلب وهنا سافر والدها الى قبرص

وبقيت هي في لندن وغادرت منزل والدها القديم الى شقة صغيرة تتقاسمها مع فتاة التقتها في الجامعة وتصادقتا منذ ذلك الحين.

قبل ايام قليلة وصلتها رسالة من والدها يبلغها فيها بأن زوجته أنجبت له طفلاً ودعاها لقضاء عطلة للتعرف الى الصغير. كانت هذه هي المرة الاولى التي تتلقى فيها مثل هذه الدعوة.

و بعد أن أنهت اعداد تقريرها الأسبوعي عن فعاليات الصيف تقدمت نحو غرفة رئيسها وحالما سمح لها بالدخول اندفعت الى الداخل بسرعة كعادتها وواجهت روني داريل ذو الوجه الصارم والعينين الحانيتين وقد كان صديقا لوالدها منذ زمن ولهذا ابتسم لها حالما رآها وقال:

- هل قررت أخيراً؟

- وكيف أستطيع مقاومة الضغوط منك ومن والدي. (قالتها متذمرة(

فضحك ونهض نحوها وقال مداعباً:

- لا أعرف كيف تعتبرين هذه ضغوط, ستذهبين في رحلة مجانية لبلد لا مثيل في جماله لقضاء أجازة ممتعة , لم لاتقبلين الأمر دون تذمر؟؟

تنهدت واعترفت:

- لا أستطيع الكذب أنا حقا أشعر بالإثارة لذهابي الى هناك.. ولكن..

- ولكن ماذا؟ (قاطعها بحيرة(

- لقد بدأت العمل منذ فترة ليست بالطويلة وانا أود لو أستمر فيها لبعض الوقت قبل أخذ اجازة .. فهذه الأجازة مبكرة ألا تظن؟

أحاط كتفيها بذراعة وقال متنهدا بملل:

- مطلقا أنت تعملين دون أجازات منذ سنة ونصف انت تحتاجين لبعض الوقت في الراحة.

)وأضاف مداعباً) ثم من يدري قد تعودين لنا بسبق صحافي يرفع اسمك عالياً.

ضحكت بجفاء وعلقت:

- لا أظن على الأرجح سأمضي وقتي بالتمشي على الشاطئ وأغير حفاظات الطفل.

- هذا تغيير لطيف.

قالها ضاحكا وهو يرافقها الى الباب وأضاف:

- والان عودي لمنزلك واتصلي لتبلغي والدك الأخبار الجيدة وبلغيه تحياتي.

* * *

وصلت ساشا الى شقتها القريبة من الصحيفة بسرعة استحمت وغيرت ثيابها ثم حضرت العشاء لها ولزميلتها في السكن ثم أخذت الهاتف لتتصل بوالدها وبعد رنين طويل سمعت صوت زوجة أبيها ليزا فبادرتها قائلة:

- كيف حالك ليزا؟

- بخير ياعزيزتي كيف حالك أنت؟

- أنا حسنة للغاية... هل أنتما مستعدان لاستقبال ضيف ؟

قالتها مترددة فبرغم ان ليزا قد رحبت بها مرة الا انها لاتزال غير واثقة من ردة فعلها الأن . غير أن السعادة التي اجتاحت صوتها وهي ترد عليها جعلتها تستريح وليزا تهتف:

- ياإلهي بالطبع أنت مرحب بك في أي وقت ساشا والدك ذهب لعيادة مريض ولكنه سيعود قريباً وسيفرح بهذا الخبر.

ابتسمت ساشا واسترسلت معها في حديث عن أحوالهما وعن الطفل الصغير واستغرق الحديث عدة دقائق قبل أن تغلق الخط وقد وعدتها ان يتصل بها والدها حالما يصل. حالما أغلقت الخط حتى وصلها صوت صديقتها ماري الى الشقة والتي هتفت حال وصولها:

- أشم رائحة طيبة؟

- الغداء جاهز غيري ثيابك وسأعد المائدة.

وعلى طاولة المطبخ الصغيرة احذت ماري تقص لساشا عن أحداث يومها المزدحم كالعادة بالمشاكل وكيف أن صاحب المعرض رفض ثلث لوحاتها وغيرها وكانت ساشا تستمع اليها كالعادة بطيب خاطر ولكن هذا اليوم بالكاد تركتها لتكمل حديثها واسرعت تقاطعها:

- سأسافر الى قبرص في نهاية الأسبوع.

وكادت ساشا تغص بطعامها وهي ترى التعبير الذي ارتسم على وجه ماري وهي تجاهد لاستيعاب الخبر ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت:

-لابد أنك تمزحين ؟

هزت ساشا رأسها وهي تقول ضاحكة:

-كلا لامجال للمزاح هنا.

- يالهي ساشا أخيراً ستأخذين عطلة لا أصدق!!!

-أنا نفسي لا أصدق اتصلت بوالدي وسيعاود الاتصال حتى ننتهي من التفاصيل.

-كم تنوين البقاء؟(واضافت بقلق) انت لاتنوين البقاء هناك لفترة طويلة... إياك أن تفوتي معرضي مع بداية الشهر القادم.

-ارجوك.. ان استطعت الصمود لاسبوع واحد فهذا كافٍ, انا ذاهبة لأرى والدي والطفل وليس للسياحة ولن يستغرق ذلك وقتاً.

هتفت ماري باستنكار:

-ولكن هذا لايصح! عليك بالبقاء لمدة أطول والتجول في البلد يافتاة استمتعي بالشمس وبالرجال السمر الوسيمين هناك(أضافت بخبث(

ابتسمت ساشا وقالت:

-انا لست ذاهبةللبحث عن الرجال ثم هل نسيت بول؟؟

قلبت صديقتها شفتيها بامتعاض وعلقت:

-حتى لو حاولت فهو لا يعطينا الفرصة لذلك.

-لا تقولي هذا فهو لطيف.

-بالتأكيد هو لطيف.(قالتها بسخرية(

فقالت ساشا بضيق:

-على الأقل هو لا يطالبني بأكثر مما أعطيه.

-تعنين بأنه لا يستطيع مطالبتك.

-ياإلهي ماري لن نعود لمثل هذا الحديث من جديد.

زفرت ماري وأغمضت عينيها وهي تقول متأسفة:

-لا يجدر بي التدخل في شؤونك ساشا أنا أسفة.

ربتت ساشا على يدها قائلة بخفوت:

-لا بأس لقد انجرفنا معاً. والان ماذا تريدين ان احضر لك من قبرص؟؟(أضافت بمرح(

تصنعت ماري التفكير للحظة ثم قالت ضاحكة بخبث:

- قبرصي وسيم.

وغرقتا بالضحك.

* * *

تأملت ساشا بقلق عقارب الساعة التي قاربت الثامنة والربع مساءاً وزفرت بضيق وهي تداعب خصلات شعرها الأشقر المتجمعة فوق رأسها في تسريحة كلاسيكية ثم تأملت نفسها في المرآة, كانت تقف بطولها البالغ خمس وستون سم لم يضف لها الحذاء الخالي من الكعب أي منها بتلك البدلة الحريرية بلون العنب البري التي تكونت من تنورة تلامس أسفل ركبتيها وجاكيت قصير تحته قميص حريري أسود اللون أبرز بشكل كبير بشرتها ناصعة البياض, وتجاهلت كل نصائح ماري بعمل قليل من مساحيق التجميل واكتفت بطبقة شفافة من البودرة واحمرشفاه بلون شفتيها وتحلت بقلادة ذهبية ورثتها عن جدتها روسية الأصل.

كانت الليلة مدعوة الى العشاء لمناسبة خاصة فهذه الليلة هي الأخيرة لها في لندن قبل سفرها غداً الى قبرص, حيث دعاها بول للعشاء.

بول هو الصديق الوحيد –غير ماري- الذي لاتزال ترتبط معه بعلاقة منذ وقت طويل وقد التقت به منذ ثلاث سنوات وقد كانت تعمل على تغطية قضية نصب بنكي كبرى للصحيفة وهو كان المحامي المكلف بالعلاقات العامة, كانت تعرف أنه مغرم بها منذ التقيا بول بقامته التي تقاربها طولاً وجسده الممتلئ من غير سمنة وشعره الكستنائي الخفيف وعيناه الخضراوان وملامحه الوسيمة وتحفظه البالغ الذي أعجبها به منذ البداية.

بول كان طموحاً ولكن طيبته وسذاجته كانتا سبباً رئسيأًفي عدم ارتقاءه سلم الترقيات في الشركة التي يعمل بها رغم ذكائه , ورغم كل هذا فقد كانت ساشا متمسكة به فهو الوحيد الذي لن يطالبها بأكثر مما تستطيع تقديمه ولن يستطيع فرض رأيه عليها بأي حال من الأحوال .

بالتأكيد كان بول سيتقدم لطلب يدها بالزواج وكانت تعلم انه قد يتقدم الليلة وسوف توافق على طلبه ولكن ليس اليوم وبعد ان توافق سوف تؤجل الزواج عام او اثنين حتى تستطيع ان تثبت أقدامها في عالم الصحافة .

قاطع سيل أفكارها رنين جرس الباب فزفرت بارتياح وتوجهت اليه مسرعة, ووراءه رأت بول واقفا وهو يضم كفيه باعتذار صادق وهو يقول:

-أسف اعتذر وبكل حرارة ياعزيزتي لقد فرغ البنزين وليس من السهل تعبئة الخزان في هذا الوقت من المساء ان الشوارع مزدحمة.

فرحت ساشا لمجيئه سالماً وقالت وهي تأخذ معطفها الخفيف وحقيبة يدها:

-لوكنت تأخرت دقيقة أخرى بعد لكنت ذهبت للسهر وحدي.

رافقته الى حيث اوقف سيارته القديمة امام البناية وهو يشكو زحمة الطرقات وقال مداعباً:

-اراهن ان قبرص ليست مزدحمة هكذا.

-سأحاول التمتع بكل لحظة خالية من الازدحام .. صدقني.

وصلا الى مطعم ريفي لطالما سهرا فيه ورغماً عنها شعرت بالخيبة لأنه لم يأخذها الى مطعم راقٍ للسهرة الاخيرة لها قبل السفر ولكنها ابتلعت خيبتها ورسمت على شفتيها الابتسامة الدبلوماسية ذاتها وهي ترافقه الى الداخل.

كانت الوجبة مملة هذا ما صارحت به ساشا نفسها وهي تتأمل رواد المطعم من السن المتوسطة وقد تحلقوا حول الطاولات المنخفضة , وتأملت رفيقها وهو يختم وجبته بالحلوى والتي برغم كونها لذيذة الا ان ساشا لم تمسها..

-ساشا!

قطع بول أفكارها فرفعت نظرها اليه ورأت في عينيه مشاعر دافئة وأكمل:

-لن تعرفي قط كم سأفتقدك.

اعطته ابتسامة صغيرة وقالت:

-وانا أيضاً سأفتقدك .

رأته حينها يدس يده في جيبه ويخرج منها علبة مخملية حمراء صغيرة اتسعت لمرآها عينيها , ثم وضعها أمامها على الطاولة وقال بتوسل:

-هلّا فكرت بالأمر أثناء سفرك؟

تسمرت عيناها على العلبة الموضوعة أمامها وهي تعلم تماماً ما تحويه وأدركت أنه يكاد يسقط مغشياً عليه من فرط الارتباك وقد تعرقت كفاه وتلألأت قطرات العرق على جبينه, أسرعت ساشا بأخذ العلبة وفتحتها ليطالعها خاتم ألماسي ضخم وفكرت (يا إلهي انه يعرض عليها الزواج بأسوا طريقة ممكنة(

-ساشا ..أرجوك لا تغضبي أنا أسألك ان تفكري بالأمر فقط.

نظرت اليه وقالت متلعثمة:

-ولكن ألا يفترض بك الاحتفاظ بالخاتم حتى اوافق؟

-كلا اتركيه معك وحين عودتك سأنظر في يدك فإن كنت ترتدينه فهذا يعني موافقتك.. ألن توافقي؟؟ أضافها متردداً

ابتسمت له وقالت ضاحكة:

-سأفكر بالأمر أعدك بذلك.

مرت السهرة بعد ذلك وقد تناسيا موضوع الخاتم تماما وبعد حين في غرفتها وحيدة وقد جافاها النوم أخرجت الخاتم من علبته ومضت تنظر اليه ورغماً عنها تسلل إليها شعور قوي بخيبة الأمل حرمها لذة النوم.

* * *

-اياك أن تقطعي الرسائل والاتصال اياك أن تنسي ذلك.

قالتها ماري وهي تعانق ساشا بقوة في المطار فضحكت الأخيرة وهتفت:

-اذا لم تتركيني الأن فلن ألحق بالطائرة قط.

تركتها على مضض فالتفتت ساشا لبول الواقف قرب ماري وقالت له:

-الى اللقاء يابول

-ضمها اليه قائلا بحزن:

-لا تتأخري بالعودة.

-بل تأخري واستمتعي.

قالتها ماري باصرار فابتسمت لهما وأسرعت الى بوابة المغادرة تحمل حقيبة كبيرة وأخرى صغيرة تعلقها على كتفها كان والدها قد أخبرها أن هناك من سيكون بانتظارها في مطار نيقوسيا ليأخذها الى منزله. وتذكرت ضاحكة المكالمة اللتي أجرتها مع امها هذا الصباح وكيف نصحتها بعدم الذهاب , لقد كانت العلاقة بين امها وأبيها دائماً متوترة ولكن امها العاطفية لم ولن تسامح أباها أبدا.

وحالما أصبحت الطائرة على علوٍ شاهق وبسبب ليلة من الأرق أسندت رأسها الى الوراء وغرقت في سبات عميق.

الفصل الثاني

تحت يده زمردة

بدأت الطائرة رحلة الهبوط ورغماً عنها كان التوتر يسيطر على عقلها وألاف الافكار تراودها .. ماذا سيحدث إن لم تجد من ينتظرها؟ ماذا سيحدث ان أضاعت الطريق؟؟

-ياإلهي..(فكرت وهي تأخذ نفساً عميقاً) يكفي هذا.

آخذة طريقها وسط الجموع بعد انتهاء معاملاتها الرسمية تأملت الوجوه المختلفة بين شاحبة لسواح من بلاد اوروبية وسكان محليين داكني البشرة توجهت حينها الى ساحة الانتظار تراقب الكل من حولها بحثت بعينيها عن من ينتظرها وسرعان ما تسائلت.. من ترى سينتظرها؟؟ والدها قال بأنه صديق أهو انكليزي؟ ام قبرصي؟ أدارت عينيها بحثاً مجدداً ولكن غير النظرات الفضولية لم تجد شيئاً فحملت حقائبها وجلست تراقب الكل بحثاً عمن يبحث عنها.

كانت بدلتها سماوية اللون قد تجعدت أثناء السفر وندمت لأنها لم تستمع لماري وترتدي الجينز, كان الوقت يمر والجو الحار الخانق يتلف أعصابها كانت تتصبب عرقاً حين سمعت من ينادي اسمها عبر مكبرات الصوت, أصغت مجددا كان الصوت يطلب منها التوجه لمكتب مدير الاستقبال أسرعت بحمل حقيبة يدها الصغيرة وأخذت تجر

الأخرى ورائها بصعوبة وقد بلغ التعب منها مبلغه , كان التعب قد أنهكها حين وصلت الى المكتب المطلوب بعد أن أضاعت طريقها ثلاث مرات , كانت تلهث وقد بلل العرق قميصها الحريري والتصق بظهرها من فرط الرطوبة المرتفعة وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تطرق الباب الذي أشار عليه أحد امن المطار.

سمعت صوتاً من الداخل ولكنها لم تفهم شيئاً بسبب اللغة إلا أنها فطنت أنه يدعوها للدخول فدفعت الباب وانسلت الى الداخل . كانت تدفع بحقيبتها أمامها وقد تهدلت خصلات شعرها الأشقر الكثيف أمام عينيها تحجب عنها الرؤية , كانت الغرفة مكيفة الهواء وتعبق برائحة القهوة القوية والتبغ فسرعان ماشعرت بالدنيا تدوربها فأفلتت الحقيبة وأسندت ظهرها للباب وشعرت بالأرض تدنو منها الا أنها سرعان ما شعرت بذراعين بصلابة الحجر تسندانها وتقودانها الى أريكة خشبية قاسية فتأوهت وأغلقت عينيها حتى تستعيد رباط جأشها وسرعان ما كان هناك كأساً يدفع الى فمها بقوة فأبعدت رأسها ممانعة إلا أن صوتاً عميقاً بارد يقول لها بلا أنفعال تقريباً:

-اشربي سيساعدك انه مجرد ماء.

كان يتحدث بانجليزية ثقيلة وان كانت خالية من العيوب وشعرت برجفة لم تعهدها تجتاحها لم تعرف سببها وهي ترشف من الماء البارد ثم أبعدت الكأس بسرعة وهي تجاهد لفتح عينيها لتقابلها عينين بلون الفحم , ثم عادت لتغلق عينيها لتستعيد تمالكها لنفسها.

كانت الأصوات حولها خافتة وكأنهما لا يريدان ازعاجها والحديث يدور بلغة لم تفهم منها حرفاً ورغماً عنها ساقتها افكارها لعينين سوداوين بلون الفحم واسعتين كانتا ببرودة الثلج ورغم الجليد الذي يقطر منهما إلا أنها استطاعت رؤية ذلك اللهب المخفي في أعماقهما كجمرتي نار تحت الرماد .

مضت بضع لحظات استجمعت خلالها شجاعتها وعادت لتفتح عينيها وجالت ببصرها في أنحاء الغرفة الواسعة الأنيقة ورأت أمامها رجل قصير القامة ممتلئ الجسم بشارب ضخم ينظر إليها باهتمام وحلما فتحت عينيها انهمر عليها بالأسئلة ... لم تفهم ولا كلمة وهتفت بارتباك:

-لا افهم ؟!!

سمعت مجددا ذلك الصوت العميق يتحدث للرجل القصير فأدارت بصرها نحوه , كان هناك يجلس في الطرف الأخر من الحجرة التي أصبحت الأن صغيرة للغاية . توقف الرجل القصير الذي عرفت فيه رئيس الأمن بزيه المميز عن الكلام في حين قال لها الرجل الأخر بانجليزيته الثقيلة وهو ينهض من مكانه متقدماً نحوها بهدوء:

-أعتذر عن التأخير كان يجب أن أكون هنا حال وصولك .. هل أنت بخير؟؟

تأملته للحظة برهبة لم تستطع تفسيرها .. كان هذا إذن مرافقها .. لم تتصور قط أن يكون هكذا كان ينظر اليها بغرابة ولم تفهم نظراته

وان فسرتها بأنها استهزاء لم يعجبها ولمعان عينيه يؤكد سخريته منها . (ياإلهي ماذا دهاني) فكرت بضيق ثم أخذت نفساً عميقاً وارتشفت بعض الماء الذي كان أمامها على الطاولة ثم عاودت النظر اليه هذا الرجل الغريب بقوة عجيبة متمالكة نفسها قائلة:

-لاداعي للإعتذار أيها السيد فلابد أنك قد تكلفت عناء المجيء لاستقبالي ولا يجب أن أكون ناكرة الجميل.

رأت عيناه تطرفان لوهلة ثم اعتدل في وقفته قائلاً:

-اذا كنت تشعرين بتحسن فمن الأفضل أن ننطلق الأن.

عدلت من سترتها وأرجعت خصلات شعرها الثلجية الى الوراء ونهضت بحرص .. شعرت بسرور أن الدوار زايلها فرفعت اليه عينان واثقتين ونظرت اليه قائلة:

-أنا بخير وجاهزة تماماً.

رأت عيناه مسمرتان عليها للحظة ثم تكلم بصوت غشته خشونة:

-هل زال الدوار؟

-نعم لقد اختل توازني بسبب تعرضي للهواء المكيف بعد تلك الرطوبة الخانقة في الخارج.

مط شفتيه وقال مشيراً لها لتتقدمه:

-مسرور لشعورك بالتحسن.

بعد لحظات كانا في سيارة أمريكية حديثة دهشت ساشا لروعتها ومضت السيارة تنهب الارض نهباً ونظرت ساشا لرفيق رحلتها بطرف خفي تتأمله..

حين وقف سابقاً أمامها أدركت كم هو طويل فقد فاقها طولا ورغماً عنها رفعت رأسها لتنظر إليه وتناسق طوله مع كتفيه العريضتين وكانت بشرته اللتي لوحتها الشمس تحكي الكثير عن مغامراته في العراء شعره أسود فاحم كلون عينيه التصق بجمجمته قصيرا بالكاد لامس منابت عنقه, ملامح وجهه كانت صارمة وتقاطيع وجنتيه العاليتين مع فكه المربع وفمه العريض كانت منحوتة كالصخر . أشاحت ببصرها عنه وهي تؤنب نفسها لاسترسالها في التفكير به.

كان الطريق المظلم يمتد أمامه وكأنه بلا نهاية والأنوار القوية التي تصدرها سيارته الفخمة بالكاد أنارت مسافة قصيرة أمامه فكر ثيوس بتلك الأفكار القلقة وهو يبعد عقله مرغماً عن التفكير بتلك المرأة القابعة الى جواره, حين أخبره صديقه الطبيب جامسون أن ابنته الصغيرة قادمة لزيارته من انجلترا لم يفكر أبداً ... زفر بضيق وهو يتذكر ذلك الذهول الذي اعتراه وهي تدخل الى مكتب الاستقبال في المطار وقد تهدلت خصلات شعرها الشقراء أمام عينيها ثم تكاد ننهاوى أمام عينيه بذلك الضعف لم يشعر الا بنفسه واقفاً أمامها يتلقفها بين ذراعيه قبل ان تهوي الى الارض.

ابتلع ريقه وهو يفكر بمقدار القلق الذي اعتراه وهو يعترف مرغماً أن كونها ابنة لصديقه لا يبرر تلك المشاعر التي اجتاحته حين رؤيتها.

كانت فتنتها طاغية رغم الثياب البشعة التي ارتدتها بتلك البشرة الماسية والخصلات الذهبية التي لم يرى مثلها قبلاً تنهد وهو يؤنب نفسه بشدة لانغماسه في تلك الأفكار وسرق نظرة اليها خلسة كانت تجلس الى جواره قلقة كقطة متمردة تسعى فقط للخربشة, ابتسم رغماً عنه وشعر أن الأيام القادمة ستكون مسلية.

تنحنحت ساشا متسائلة بعد حين:

-متى نصل الى القرية.

رأته يجفل وكأنها انتزعته من وسط أفكار عميقة ونظر اليها لوهلة وكأنه يراها للمرة الأولى قبل أن يعاود نظره للطريق ويقول مستغرباً:

-أي قرية؟؟

-التي يعيش فيها والدي!

-والدك يعيش في جزيرة وليس قرية.

نظرت اليه بدهشة وتسائلت:

-ولكنه كان يعيش في قرية تدعى روكا كما أذكر؟؟

-رواكا.(صحح لها ثم أضاف) اتقل والدك الى جزيرة سوفيـرا منذ أقل من عامين تقريباً ... ألم يخبرك بهذا من قبل؟؟

-كـلا.

قالتها قاطعة الحديث باقتضاب ثم التزمت الصمت الذي قطعه هو هذه المرة:

-لم لم تسأليني عن اسمي أو عن صفتي , قد أكون قاطع طريق أو ما شابه ؟

ابتسمت بوجوم قائلة:

-حتى لو عرفت اسمك فلن يغير هذا شيء فأبي لم يخبرني عن هوية مرافقي كل الذي قاله عنك أنك صديق.

-ثيوس أرجامينوس.

رمقته صامتة ثم قالت:

-ساشا جامسون.

رآن عليهما الصمت مجددا قبل ان تسأل:

-الى أين نذهب؟

-الى المرفأ, علينا التوجه الى الجزيرة سنصل الى هناك مع الفجر.

أخذت ساشا نفساً عميقاً وفكرت (رحلة أخرى... ياإلهي) كانت تكتشف شيئاً جديداً عن نفسها .. انها تكره التنقلات الكثيرة.

* * *

استيقظت ساشا فجأة وظلت ممدة على السرير وهي تشعر بالضياع قليلاً ولوهلة تلفتت حولها في المكان الغريب حيث استيقظت ولكنها سرعان مانفضت عنها حيرتها وهي تتذكر أين هي وماذا تفعل , تذكرت الرحلة الى قبرص ثم اليخت الفخم والذي فاق توقعاتها ثم تذكرت مرافقها السيد أرجامينوس. تخللت شعرها بأصابعها بتوتر بعد نوم مضطرب ونهضت بتثاقل كانت الأنوار بالخارج لا تزال معتمة وهذا يعني أن الفجر لم ينبلج بعد.. فكرت بالعودة للنوم ولكن النصف ساعة التي تفصلهم عن الجزيرة كما قال ثيوس لن تكون كافية. غيرت ملابسها الى جينز خفيف وقميص قطني بلون الشمس وعقصت شعرها ليتدلى خلف رأسها ثم رتبت الكبينة التي شغلتها واخذت حقيبتها الصغيرة وصعدت الى السطح واجهتها للوهلة الأولى الأنوار الزاهية التي توذن بانبلاج الفجر كان المنظر بديعاً وتمنت لو أنها أخرجت آلة التصوير من حقيبتها باكراً, سمعت صوت خطوات تتقدم نحوها ووقف صاحبها الى جوارها يراقب انبلاج الفجر الجديد ورغم كونها لم تلتفت ناحيته إلا أنها عرفت أنه لم يكن سوى ثيوس. رآن على الإثنين صمت كامل وهما يشهدان معاً لحظة من أروع مايكون ثم وبعد لحظة قال لها بصوت خافت وكأنه يخشى افساد المنظر:

-سنصل بعد ربع ساعة ربما تودين بعض الطعام.

ذكر الطعام ذكرها أن تعبها تغلب عليها أمس ورفضت عرضه بتناول العشاء وفضلت النوم مباشرة ومع ذلك لم تستسغ فكرة الطعام وأخذت نفساً عميقاً امتزج برائحة البحر قبل أن تقول:

-سأنزل على الفور.

مضت بعض لحظات قبل أن تسمع صوت خطواته المبتعدة لم تعرف لماذا ظلت مديرة ظهرها له هكذا دون أن تواجهه وبعد أن استقرت أنفاسها من روعة المشهد كما بررت قررت أن تتبعه.

في المطبخ الأنيق وجدته واقفاً يشرب شراباً ساخناً من مج كبير تأملت وقفته المتعجرفة وشعرت بالامتعاض من القوة والغرور الذكوري الصرف الذي لا تطيقه, تقدم منها مناولاً إياها مجاً مثل الذي يحمله وقال مشيراً الى كومة من الشطائر على الطاولة:

-تفضلي, أتودين سكر أو حليب؟

-أتوجد كريمة؟

نظر اليها رافعاً حاجبه وقال بنفاذ صبر:

-سأتذكر في المرة القادمة.

-المعذرة الحليب يكفي.

قالتها بحرج فرغم كرمه معها كانت متذمرة. شرعت بتناول الشطائر التي فتحت شهيتها بقوة وشربت قهوتها القوية وهي تتأمله سراً كان قد نزع ملابسه الفاخرة ليبقى بسروال قطني كاكي اللون وقميص أسود التصق بصدره وكتفيه.. كانت ملامحه بالضوء الطبيعي تبدو أكثر خشونة وقد نمت ذقنه واحمرت عيناه وأدركت انه لم ينم منذ البارحة. كان يتفرس في جريدة بيده وقد تجاهلها تماماً أكملت قهوتها وقد غادرتها شهيتها ونهضت لتنظف الكوب في الحوض فهب واقفاً وهو يقول:

-لاداعي لذلك.

-لا بأس سأنظفه.

-لدينا عمال لذلك.

نظرت اليه بدهشة مستنكرة ثم قالت ساخرة:

-لاداعي لإيقاظ الخدم لأجل كوب واحد.

ثم وضعت الكوب النظيف على الرف وواجهت نظراته السافرة بأخرة باردة وهي تسأله بجرأة:

-من تكون بالضبط؟

زوى بين حاجبيه وردد اسمه عليها فقالت غاضبة:

-أعرف اسمك أسألك عمن تكون وما علاقتك بأبي؟؟

نظر اليها لوهلة ثم قال:

- والدك يعمل لدي.

- أتملك مستشفى في تلك الجزيرة؟! أأنت طبيب كذلك؟

- كـلا ... و كـلا.

وأضاف بعد أن رأى التعجب في عينيها:

- والدك يعمل في العيادة التي تخدم أبناء الجزيرة والجزر الصغيرة حولها.

- لم تقول إذن أنه يعمل لديك؟

نظر إليها صامتاً ثم قال:

-لأن الجزيرة ملكي يا أنسة.

رمقته بدهشة لم يبدو ممن يملكون الجزر .. ربما البارحة بتلك الملابس الحريرية أما بهذه فيبدو أقرب لعامل منه من ذوي الأملاك , رأته يتقدم نحوها وهو يقول:

-لقد وصلنا هيا بنا.

حينها أدركت توقف صوت المحرك والأصوات الصاخبة التي تصاعدت من الخارج فرافقته وهي تتسائل لم لم يخبرها والدها عنه اذا كان هو مالك الجزيرة.

على سطح اليخت كان العمال ينزلون حقيبتها الى زورق بخاري صغير وسمعت ثيوس يقول:

-سيوصلك الزورق للمرفأ حيث تنتظرك سيارة لإيصالك الى منزل الطبيب.

تأملته قليلاً ثم سألت:

-ماذا عنك؟

فلت منها السؤال دون ارادة واعتراها الارتباك الا أن ثيوس قال ببساطة:

-هناك مرفأ آخ بانتظاري.

مدت له يدها تسلم عليه وهي تقول:

-شكراً لإيصالي وتكبدك عناء المشقة.

هز رأسه صامتاً وضغط بيده على كفها بقوة فأسرعت بسحب يدها عنه وهي تندفع الى الزورق الصغير.

راقبت ابتعاد اليخت بسرعة في حين يشق الزورق طريقه نحو جزيرة سوفيرا في الجهة المعاكسة وهي تتسائل عن المرفأ الأخر الذي بانتظاره ثم استدارت تواجه الجزيرة حيث ستقضي أجازتها ولكنها تسمرت بذهول.. كانت تظن انها جزيرة عادية مثلها كغيرها من الجزر زلكن هذه ...

كانت تبدو كحبة زمرد ضخمة وسط قالب من ذهب كثافة الأشجار محاطة بشاطئ رملي أصفر بكر سحرها كلياً , كانت تفكر بكل الوقت الذي ستمضيه متمرغة بهذه الجنة وكان الزورق يخفف من سرعته متوجهاً نحو المرفأ الذي كان عبارة عن جسر خشبي صغير مثبت الى الماء بأعمدة خشبية وعرفت من الصخور الضخمة التي تحيطه أنه من المستحيل لليخت الضخم الدخول الى هنا.

ساعدها العمال على الصعود الى الجسر عبر سلالم خشبية متينة وعلى البر بعد الطريق المرصوف بالحصى رأت السيارة المكشوفة ومرافقها صغير السن , أعطته ابتسامة فرد لها بواحدة وهو ينقل حقائبها ويساعدها على ولوج السيارة.

أيقنت أنه يعرف عن الانجليزية قدر ماتعرف هي عن القبرصية فلاذت بالصمت ومضت تراقب المناظر اللتي تتابع أمامها.

كانت الطريق قصيرة حتى لاحت لها البلدة القديمة ببيوتها المبنية من الحجارة المطلية بالجص الأبيض وقد زينتها نباتات العنب المتسلقة بلون أخضر رائع كان الأطفال يحيون السيارة حال مرورها وقد تعرفوا على سائقها ومرت السيارة الى جوار مقهى شرقي قديم انتشر فيه كبار السن يلعبون الورق والداما ويدخنون النارجيلة التركية.. سحرها ذلك الامتزاج بين الشرق والغرب في قبرص وصممت على التعرف على تاريخ الجزيرة فيما بعد وبدأت السيارة تغادر البلدة القديمة الى منطقة أكثر حداثة الشوارع فيها أكثر وسعاً والمنازل

المتناثرة اتخذت الطابع الاوروبي بعضها محاطة بحدائق غناء وأعجبتها البساطة رغم الروعة في البناء والتصميم, وسرعان ماتوقفت السيارة أمام أحد المنازل محاط بحديقة فاتنة ومكون من طابق واحد وسقف من القرميد الأحمر بشكل مثلث والفتى يقول بارتباك:

-دكتور!!

وأدركت أن هذا هو منزل والدها فترجلت وهي تلقي نظرة عامة على المكان واحساس غريب يغلفها.

* * *

الفصــل الثالث

العــائــلــة

تأملت ساشا أخاها الصغير الراقد بعمق فوق مهد خشبي وشعرت بالغرابة الشديدة كان هناك شعور غامر بالحنان نحو هذا المخلوق الصغير الذي يختلف عنها تماما فبشرته الزهرية اللتي ناقضت سواد شعره الفاحم الذي ورثه عن والديه تختلف عن بشرتها الثلجية وشعرها الأشقر اللتان ورثتهما عن جدتها لأمها الروسية الأصل. رفعت بصرها لتنظر لزوجة أبيها الشابة والتي ازدادت جمالاً حيث كستها سمرة جذابة وأصبحت أكثر امتلاءاً وتبدو صحتها ممتازة حيث جلست على كرسي قريب تراقب ولدها الاول ثم سألتها:

-متى يعود واالدي؟

-قريباً (بدا أنها ستسكت إلا أنها أضافت مبتسمة) انه يعود السيدة الكبيرة كل يومين وذلك لتدهور صحتها.

-السيدة الكبيرة!! (تسائلت ساشا مستغربة)

-نعم السيدة أرجامينيس.

-أهي والدة ثيوس أرجامينوس؟؟

-بل هي جدته.. والدة ثيوس امرأة رائعة وسيدة مهيبة وهي بكامل صحتها.

عاودت ساشا النظر الى أخيها , كانت قد استقبلت بحفاوة من قبل ليزا والخادمة التي تعنى بشؤن المنزل ثم أخذتها الى غرفتها المطلة على الحديقة الخلفية المزدانة بالورود والأزهار البديعة غرفتها أنيقة رغم بساطة فرشها فاستحمت وغيرت ثيابها ثم تناولت بعض الحلوى التي أعدتها ليزا بنفسها وهاهما الأن عند الطفل.

-أيذهب لعيادتها هكذا باكراً كل يوم؟

-كلا ولكنهم اتصلوا به اليوم فهي متوعكة بعض الشيء, لمَ لا نترك أخاك لبعض الوقت واريك الحديقة بالتفصيل .

وافقت ساشا وانطلقتا معاً نحو الحديقة الجميلة بعشبها المجزوز حديثاً وأزهارها المنمقة بعناية وتأملت كراسي الخيزران الأربعة وقد أحاطت طاولة خشبية منخفضة عليها شغل ابرة وساشا تسأل:

-هل تعنين بها وحدك؟

-كنت(أجابتها ليزا ضاحكة) ولكن في الفترة الأخيرة من الحمل وحتى الأن هناك صبي من القرية يهتم بها بعد انتهاء المدرسة.

لامست ساشا اللباس الصفي المصمم للصغير والملقى على الطاولة وهي تقول:

-من علمك القيام بهذا؟

-أنزي.

-ومن تكون ؟

-انها مدبرة منزل آل أرجامينيس , لقد اعتنوا بي جيداً حال وصولنا الى هنا إنهم غاية في الذوق وأهدونا المهد الخشبي حتى أنهم أقامو لي حفلة كبيرة حال خروجي من المشفى.

تأملتها ساشا ثم سألتها بفضول:

-لمَ انتقلتم الى هنا؟

سرحت ليزا متذكرة وهي تقول:

-لقد جئنا الى هنا للمرة الاولى في زيارة لمارك نيكس .. انه يعمل في المشروع الهندسي في طرف الجزيرة وقد تعرف اليه والدك قبلاً في نيقوسيا ثم التقينا ثيوس واعجب به والدك على الفور وبقيا على اتصال وبعد مدة اتصل به يخبره أن طبيب الجزيرة قد توفي وعائلته تصر على الرجوع الى العاصمة وعرض عليه العمل مكانه فوافق على الفور.

تسائلت ساشا:

-هل حقاً يمتلك ذلك الرجل الجزيرة؟؟

-نعم انه يمتلك معظم الجزيرة وتقريباً كل المرافق فيها ماعدا قطعة أرض صغيرة تملكها عائلة سوس في الطرف الشرقي من الجزيرة.

أرادت ساشا التعليق إلا أن ضجة في الخارج أوقفتها فالتفتت الى باب المنزل لترى والدها واقفاً هناك.

راقبت الرجل داكن الشعر الذي يتقدم نحوها وتأملت طول قامته المميز ــلطالما تمنت طوله هذاـ كان الشيب قد بدا يغزو سالفيه ولكن شعره الأسود بقي كما هو في معظمه وبشرته التي اكتست بلون ذهبي رائع حتى جسده أصبح أكثر قوة وهو يتقدم نحوها ليمسكها من كتفيها ويقول بحرارة:

-ياالهي لقد كبرت يا فتاة واصبحت أكثر جمالاً (ثم ضمها اليه بقوة أثارت دهشتها فهي قط لم تعتد اظهار مشاعرها بهذه الطريقة وكأنما شعر والدها بنفورها فقد أبعدها بخيبة أمل وهو ينظر لعينيها الجليديتين وقال:(

-أأنت بخير؟؟

ردت بهدوء:

-بالطبع كيف حالك انت ياوالدي؟

-أنا بخير .

نظرت اليه لوهلة ورأت طيف ألم يمر على عينيه قبل أن يبتسم لها بحنو ويقول:

-هل تمتعت بالرحلة؟

-نعم رغم طولها(قالتها متهكمة(

-التقيت ثيوس وقال أنك كنت متعبة.

حدجته بنظرة متوترة لم تعرف سببها ثم تمالكت نفسها قائلة:

-بعض الشيئ.

-أرجو أن تأخذي قسطاً كبيراً من الراحة بعد الغذاء لأننا مدعوون للعشاء في جولدير.

عقدت ساشا حاجبيها في حين هتفت ليزا بفرح:

-أحب الذهاب الى هناك.

-أين يكون هذا؟!! (تسائلت ساشا) فأجابتها ليزا:

-منزل عائلة أرجامينيس انه رائع مثل القصور.

امتلأ قلب ساشا بالضيق وقالت:

-وهل علينا تلبية الدعوة؟

تبادل والدها وليزا نظرات حيرى والأول يقول:

-بالتأكيد .. العائلة تقيم حفل العشاء ترحيباً بك وعلى شرفك فأقل ماتفعلينه هو الحضور وتلبية الدعوة .. ألا تعتقدين ذلك؟

كان صوت والدها ونبرته قد بدأت تصبح اكثر خشونة فعلمت انها بالغت في ردة فعلها فحاولت اصلاح الأمر قائلة:

-أعلم ياأبي ولكني فقط أردت أن اعتاد على الأمور هنا قبل أن أبدأ بتلبية الدعوات.

-لا بأس سيكون هناك متسع من الوقت لذلك.. والأن أخبريني كل شيء عن لندن هذه الأيام وكلميني عن روني ألا يزال مشاغباً؟

شرعت تتحدث الى والدها عن كل مايريد معرفته وعن كل الاخداث التي فاتته واستغرقهما الحديث حتى موعد الغداء وبعده خلدت ساشا لغرفتها ورغم التوتر الذي يعصف بها الا أنها غرقت في نوم طويل.

* * *

حين استيقظت كان الظلام مسيطراً في الخارج وسمعت ما أيقظها .. طرقات منتظمة على الباب نهضت متثاقلة وفتحته وطالعتها ليزا قائلة:

- آسفة لإيقاظك ولكننا إن لم نتحرك بعد قليل فسنتأخر.
- سأتحضر على الفور.

بعد حمام منعش عادت الى غرفتها لتخرج البدلة العنابية التي سترتديها وبدأت ترتدي ثيابها ثم رفعت شعرها الطويل فوق رأسها وتركت بعض خصلاته تتساقط الى جانب وجهها , كان النوم العميق مفيداً فقد اختفت الهالات السود تحت عينيها وبدت بشرتها مشرقة وضعت بعض البودرة عليها وأحمر شفاه بلون الزهر.

غادرت غرفتها لتلتحق بأبيها وزوجته نظرت اليهما معاً كان يبدوان غاية في الروعة والدها ارتدى بدلة رسمية للعشاء بلون أزرق داكن وربطة عنق مناسبة في حين ارتدت ليزا ثوباً أصفر زاهٍ زادها اشراقاً.. وشعرها ينسدل على كتفيها العاريتين بنعومة ابتسمت ليزا لرؤيتها ثم بان القلق في عينيها وهي تقول:

-ساشا هل لي بكلمة معك حبيبتي؟.

شعرت ساشا بالحيرة ولكنها رافقتها الى غرفتها وحين واجهتها قالت:

-ألا تعتقدين أن ملابسك لا تناسب هذا المساء.

لوهلة شعرت ساشا بالصدمة فهي لم تتوقع منها هذا الا أنها قالت:

-ولمَ لا؟

بالرغم عنها كان صوتها مخنوقاً الاأن ليزا قالت:

-ان الجزيرة حارة ومشبعة بالرطوبة ... وقبل انتهاء الأمسية ستجدين نفسك مرغمة على نزع السترة وفتح أزرار القميص. (ثم سألتها بفضول) ألا يوجد لديك فستان مريح لترتديه؟

تملك ساشا الغضب للحظة فلطالما حاول الجميع تغيير عاداتها في الثياب حتى امها وتملكها العند للحظة فقالت:

- كــلا ليزا.. أنا لاأحبذ الفساتين المريحة وهكذا سأذهب وإلا فأني باقية هنا.

قلبت ليزا شفتيها وقالت:

-كما تشائين.

قاد والدها السيارة عبر طريق متعرج مرصوف بالحجارة نحو منطقة أكثر ارتفاعاً واستغرقتهم الرحلة ما يقارب العشر دقائق قبل ان تعبر السيارة بوابة حديدية ضخمة ثم تصعد مجدداً في طريق تحفه الأشجار من الجانبين ثم توقفت أخيراً أمام منزل العائلة.

ترجلت من السيارة وهي تدير وجهها في عراقة وقدم المنزل الرائع كانت هندسته راقية وعلى الطراز اليوناني بأعمدته الضخمة وقناطره المنتشرة حول المنزل كاملاً كان الظلام المخيم يحول بينها وبين استكشاف المزيد. على الباب الضخم كان يقف في استقبالهم ثيوس ارجامينيس وامرأة متوسطة العمر قدرت ساشا أنها والدته تأملتها ساشا كانت معتدلة القامة نحيلتها شعرها بني كثيف كساه الشيب . حال وصولهم كان ثيوس يشير اليها معرفاً بنبرة رسمية:

-أنسة جامسون هذه والدتي صوفيا أرجامينيس .. أمي هذه ابنة الطبيب دايف الأنسة ساشا.

صافحتها ساشا ولدهشتها وجدت السيدة ترمقها بنظرات فضولية تحولت لنظرات مستهزئة سرعان ماأخفتها وهي ترحب بها قائلة:

-مرحباً بك أتمنى أن تكون اقامتك بيننا حسنة.

تمتمت ساشا بتحية جافة وراقبت كيف اندفعت السيدة لتحية ليزا بحرارة تدل على معرفة وثيقة ثم انتفضت بذعر حين شعرت بقبضة قوية تمسكها من مرفقها وصوت ثيوس من فوقها يقول ببرود:

-من هنا.

تمالكت نفسها سرعة وخلصت نفسها من قبضته بسرعة وأشاحت ببصرها عن ابتسامته الساخرة وهي تتبعه الى الداخل وتأملت البهو الواسع المضاء بالعديد من الثريات المعلقة في السقف العالي كانت هناك العديد من الأبواب الموصدة وسلم رخامي يتصدر البهو وقادها ثيوس نحو أحد الأبواب الموصدة وفتحه وهو يشير لها بالدخول يتبعها الأخرون.

توقفت كل الأصوات التي كانت بالداخل حال وصولها وتسمرت كل العيون عليها وللمرة الأولى تصاب ساشا بمثل هذا الإحراج حتى أن وجنتيها تضرجتا بالون الأحمر وهي تواجه كل تلك العيون . وبدأت مرحلة التعارف حين تقدم ثيوس الى جوارها وقال بصوت قوي:

-اقدم لكم جميعاً ساشا جامسون.

تعالت الأصوات المرحبة في حين أخذ ثيوس على عاتقه تعريفها بالجميع واحداً واحداً, كان هناك شقيقه جوليان وزوجته روين وشقيقه فرانكو وخطيبته ليليان وعمته ساره وأخيراً مارك نيكس.

وبعد انتهاء التعارف جاءها ثيوس بشراب مثلج قبلته شاكرة وقادها الى صوفا شرقية لتجلس عليها قبل أن يستأذنها للذهاب وراقبته يتوجه الى أقصى الغرفة لينضم الى والدها وشقيقه جوليان , وحالما أصبحت وحدها حتى بدأت تقيم الجميع ..

جوليان كان يشبه شقيقه الى حد بعيد الا أن جسمه أكثر ضخامة ويبدو كمصارع أكثر منه محام كما قال, شعره أكثر طولاً وله لحية خفيفة وشارب ضخم.

روين زوجته كانت غاية في الجمال قصيرة القامة ذات شعر أحمر ناعم لا تصدق أنها قبرصية.

فرانكو كان النقيض من أخويه كان اخر العنقود كما يبدو وهو فتى طائش كما قدرت نحيل طويل وشعره داكن بعينين خضراوين وكان يتأملها بوقاحة منذ أن جلست , في حين كانت خطيبته صغيرة السن منطوية على نفسها يونانية بشعرها الأسود الطويل وبشرتها السمراء.

وكان هناك مارك نيكس طويل القامة أشقر الشعر ببشرة برونزية عريض المنكبين عيناه زرقاوان ذو شخصية محببة سرعان ما تقدم منها ليجلس الى جوارها قائلاً بمرح:

-كيف هي أحوال لندن؟

-هل غبت عنها لفترة طويلة؟

-بم يكفي لاشتاق اليها.

ابتسمت بهدوء ثم شرعت تحاكيه عن لندن .. كانت منسجمة معه تماماً حين شعرت بقشعريرة باردة تنصب على عنقها فرفعت عينيها لتقابلها عينان سوداوان حادتان تنظران اليها بسخرية لم تفهمها .. أشاحت بوجهها بعيداً عنه وهي تخفي ضيقها بصعوبة وعادت لتركز في كلام مارك إلا أن عقلها كان لايزال سارحاً بمنظر ثيوس واقفاً متكئاً على رف المدفأة الحجرية الضخمة كان يرتدي قميصاً بلون الكريم وسروال أسود وسترة كتانية سوداء بلا ربطة عنق .. أخذت نفساً عميقلً وهي تهز رأسها نافضة عنها الصورة التي حفرت في رأسها رغماً عنها وتشاغلت بالضحك لمزحة ألقاها مارك رغم أنها حتى لم تسمعها.

على مائدة العشاء ترأس ثيوس الطاولة في حين جلست هي أقصى اليمين يجاورها كل من مارك وفرانكو اللذان لم يتوقفا للحظة عن الثرثرة وغمرها بالأسئلة .. إلا أن ردودها المقتضبة وبرودها المتعمد أصابهما بالضجر فانطلقا يشاركان بالحديث العام دون أن يزعجاها, كادت ابتسامة الراحة ان تفضحها فبالرغم من كونها متحدثة لبقة وممتعة بعض الأحيان إلا أن مارك اعزب وانجليزي وإن هي شجعته قد يظن أن هناك امكانية لهما معاً وفرانكو... حسناً مايريده منها كان

واضحاً منذ رآها ولا تحتاج لتحذير لتفهم أي الرجال هو فقد كانت الفكرة التي تدور في رأسه واضحة للغاية في عينيه.

بعد أن انتهى الجميع من شرب القهوة التركية عادوا الى الصالون الشرقي حيث كانت الأرائك مغطاة بالوسائد الحريرية ذات الألوان الفاقعة وانشرت الطنافس على الأرض المغطاة بالسجاد العجمي والإضاءة الخفيفة تضفي سحراً لايقاوم.

جلست ساشا الى جوار روين زوجة جوناثان التي كانت تحدثها بلباقة وادركت ساشا أن روين نصف قبرصية فوالدتها فرنسية الأصل ولديها طفلتين تقضيان الأجازة في باريس مع جداهما .. روين كانت لطيفة وممتعة للغاية..

-روين ... جوليان يريدك.

التفتتا معاً حيث وقف ثيوس بيده كأسي شراب , فنهضت روين واعتذرت من ساشا برقة وذهبت حيث يقف زوجها في حين جلس ثيوس مكانها وأعطى كأس الشراب المثلج لساشا وقال وهو يحتسي كأسه:

-كيف وجدت الجزيرة؟

-هادئة .. لم أتجول فيها بعد.

رمقها بنظرة طويلة قبل أن يقول:

-أفضل وسيلة للتجول هي الخيل أتجيدين الركوب؟؟

-قليلاً

عقد حاجبيه ثم قال بتوتر:

-أنت لاتحبين الثرثرة ..أليس كذلك؟

-أحياناً لا استطيع السكوت .(قالتها بتحدي وهي تبادله النظر(

رفع حاجبيه لوهلة قبل أن يقول:

-غداً اسافر الى نيقوسيا لعدة أيام ... لك كل الحرية في المجيء الى الإسطبل وأخذ أي حصان يعجبك .. سأدع فرانكو يهتم بالأمر بنفسه.

قالت ساشا وقد أربكها كرمه الزائد:

-ولكني لست جيدة جداً في الركوب؟

-لا مشكلة خذي فرساً تدعى نايتي ستكون كالدمية بين يديك.

ثم استقام واقفا حياها وانصرف , وبعد حين وهي وحيدة في غرفتها بعد أرق مخيف هاجمها اعترفت أن مايؤرقها هو شيء واحد فقط لا غير هل سيذهب ثيوس الى نيقوسيا وحده أم ترافقه احداهن.

* * *

الصباح التالي كان مشرقاً والحياة بدأت تدب في الجزيرة الصامتة طيلة الليل وبعد استشارة والدها عن مكان الاسطبلات غادرت ساشا

مبكرة نحو أراضي الخيول, في طريقها كانت تقابل الكثير من المزارعين المتوجهين الى الحقول ومن الهضاب المرتفعة استطاعت رؤية قسماً كبيراً من البساط الأخضر الذي يبدو وكأنه يمتد الى مالا نهاية كانت قد أحضرت الكاميرا الخاصة بها فالتقطت بعض الصور ثم تابعت طريقها الى الاسطبلات.

فرانكو كان يقف هناك بانتظارها وسرعان ما حيّاها وقال:

- أخبرني ثيوس أنك جديدة على الركوب .. ستأخذين نايتي أليس كذلك؟

- نعم لقد نصحني بها شقيقك.

أخذها فرانكو الى الاسطبل ومنه الى مربط فرس غاية في الجمال حمراء اللون زفرت بدلال ومرغت خطمها الصغير في عنق ساشا فضحكت الأخيرة وقالت:

-انها مدللة للغاية.

-بالتأكيد ..

ساعدها فرانكو على امتطاء الفرس القوية وامتطى حصانه المرقط وتوجها معاً نحو أرض المزارع , كان فرانكو دليلاً ممتازاً ورفيقاً ممتعاً ارتدى بدلة ركوب بنية في حين ارتدت ساشا الجينز وقميص قطني قديم وقبعة صبيانية أخذتها من أحد أخويها من امها.

توجها الى مزرعة الحمضيات حيث الثمار لاتزال على الشجر وتسائلت ساشا:

-أهي ناضجة؟

-ليس بعد يلزمها اسبوع ربما أقل.(ثم أضاف متسائلاً) ستكونين هنا وقت الحصاد أليس كذلك؟!

-ومتى يكون؟

-كما قلت بعد اسبوع أوربما عشرة أيام.

ابتسمت باثارة قائلة:

-سأكون هنا بإذن الله.

تابعا الجولة في انحاء المزرعة وساشا تسأل:

-ماذا تفعل أنت بحياتك يا فرانكو؟

-أنا مهندس زراعي.

حقاً ؟.. هل كان هذا دائماً طموحك؟

-بشكل أو بآخر.. أنا أحب المزرعة كثيراً وكنت متفوقاً في الدراسة وبعد مناقشة العائلة قررت التخصص لأساعد في العمل.

-ماذا عن شقيقيك؟؟

-جوليان محام وثيوس لم يكمل دراسته الجامعية قط.

شعرت سلشل بالدهشة .. لم تفكر قط أن ثيوس لم يكمل تعليمه العالي كان يبدو مثقفاً وواثقاً من نفسه . لم تكن لتتفاجأ لوكان حاصلاً على شهادة عليا..

ابتلعت دهشتها وعادت تسأل:

-هل لدى جوليان مكتب في الجزيرة؟

-كلا مكتبه في نيقوسيا جزء من شركة كبرى .. ولكنه المسؤل عن أعمال العائلة كلها ولهذا فهو يقضي معظم وقته هنا.

ثم أضاف:

-وماذا عنك؟

-أنا صحفية..

نظر اليها فرانكو بسخرية وعلّق:

-انت فعلاً لا تحبين الثرثرة.

رمقته ببرود وأشاحتت ببصرها عنه فابتسم وقال يحاول اصلاح الأمور:

-أنت تركبين الخيل بصورة أفضل مما توقعت .. بعد كل تحذيرات ثيوس ظننت أنني سأصطحب طفلة في الخامسة في أول ركوب لها.

قالت باسمة:

-كنت أمتطي الخيل من آن لآخر في الريف.

ثم سألت متلهفة:

-هل حقاً طلب منك الإعتناء بي؟!

-بالطبع أنت ضيفة لدينا ومن واجبنا كلنا الإعتناء بك.

مطت شفتيها باستياء لم تعرف سببه وتابعت طريقها.

* * *

الفصل الرابع

الجواد الجامح

مضى على وجود ساشا في جزيرة سوفيرا حوالي الأسبوع تنقلت فيها في ارجاء الجزيرة الساحرة بحيث أصبحت قادرة على المشي فيها بعد غروب الشمس دون خوف, علاقتها بآل ارجامينيس توطدت بالذات مع روين زوجة جوليان حيث سفر الأخير مع ثيوس جعلهما تتقاربان فتكررت الزيارات بينهما حتى أنهما ذهبا الى الشاطئ عدة مرات معاً حتى السيدة صوفيا بدأت تتفتح في معاملتها معها قليلاً.

في هذا الصباح نهضت ساشا مبكرة وارتدت بدلة الركوب الكريمية الجديدة التي اشترتها من البلدة حتى لا يهتري جينزها المفضل بسبب الركوب وتأملت نفسها في المرآة حيث أختفى الشحوب من وجهها وبانت السمرة الذهبية بفضل حمامات الشمس اليومية وحتى شعرها الشاحب اكتسى خطوطاً نحاسية بفعل الشمس, كان مرحها اليوم غريباً وهي تنفي في أعماقها عن ان خبر عودة الأخوين أرجامينس اليوم أي علاقة بها وغادرت المنزل بعد أن سلمت لوالدها رسالتين طويلتين لماري وبول, وتوجهت الى الأسطبلات بحماسة قوية.

حين وصلت الى الاسطبلات لاحظت الحركة غير الإعتيادية للعمال في وقت اعتاد المكان أن يكون فيه هادئاً.. كان المكان كخلية نحل وأمام الاسطبل وقفت عربة ضخمة مخصصة لنقل الخيول تقدمت ساشا نحو السائس الذي اعتاد ان يسرج لها نايتي وتسائلت باستغراب:

--ماذا يحدث؟

نظر لها الشاب وأمطرها بسيل من الجمل القبرصية وحالما انتهى قالت باسمة:

-شكراً..

وتركته ساخطة عدم فهمها لكلمة واحدة وهزت رأسها مستغربة ثرثرته وتقدمت نحو مربط نايتي إلا ان صوتاً عميقاً ساخراً أوقفها في مكانها:

-أرى أن أحدهم تأقلم بسرعة..

التفتت الى مصدر الصوت بسرعة وأخذت نفساً عميقاً وهي ترى ثيوس ممتطياً صهوة جواد أسود مرقط وقد أرخى قبعته تقيه وهج الشمس ورأت الحصان الفخور يتقدم نحوها بعجرفة وعنفوان فارسه والأخير يقول:

-أحضري فرسك.

وجدت نفسها تومئ بسعادة وتسرع لتلبية امره وتقدمت بنايتي الى جوار الحصان العربي القوي ورأت ثيوس تحدث الى أحد العمال وهو يتأملها بتركيز ومإن أصبحت أمامه حتى قال:

-تبدين أفضل مما توقعت.

هزت كتفيها وقالت:

-متى عدت؟

-عند الفجر ..

أدارت ساشا رأسها وتسائلت مشيرة للزحام حولها:

-ماذا يحدث؟

-لقد أحضرت جواد عربي .. سيضيف الكثير لمجموعتي.

قالت باثارة:

-أيمكنني رؤيته؟

ابتسم وهويتقدم بجواده وقال:

-رافقيني.

تبعته بفرحة طفولية لم تعرف سببها وهي تشد لجام نايتي الخنوع للحاق بالجواد المتعجرف.

تقدمها في ممر طويل متعرج محفوف بالأشجار ورأته يخفف من سرعة جواده ليتسنى لها اللحاق به ومإن جاورته حتى سألت:

-أين تأخذني؟

نظر اليها مطولاً قبل أن يسألها بابتسامة عريضة:

-خـــائـــفة؟!!

عقدت حاجبيها وقد عاودتها نزعتها العصبية واستقامت في جلستها على الفرس وهي ترد ببرود:

-منـــك؟

رفع حاجبيه السوداوين وقال بمكر:

-ربمـــا...

رمقته بطرف عينها ثم قالت مثبتة عيناها على الطريق رافعة رأسها بتوتر جاهدت لإخفاءه:

-لايوجد سبب للخوف منك,, ثم أنني أستطيع الدفاع عن نفسي جيداً.

أطلق ضحكة صاخبة جعلتها تنظر اليه بدهشة وما إن توقف حتى قال باسماً:

-أنا واثق من هذا..

لم تعرف لمَ ولكنها عرفت أنه يعني العكس لقد عنى العكس تماماً .. تميزت غيظاً وكرهت نفسها حيث يثير هذا الرجل أعصابها بهذه السهولة... في البداية عاملها بسخرية وجفاء وكأنها قادمة لتسرق ... والأن هذا حتى انها لاتعرف كيف تسميه...

وصلا لفرجة واسعة بين الأشجار حيث ارتفعت تلة صغيرة تطل على مساحة شاسعة ولكنها مليئة بالصخور..

التفت اليها ثيوس وقال:

-يجب أن تأتي معي.

قالت بحيرة:

-ولكنني معك.

نظر لها بتمعن ثم قال:

-اعني على جوادي.. انت جديدة على الركوب والطريق وعرة وأخشى ان تقعي.

رفعت ساشا حاجبيها ثم قالت ضاغطة على حروف كلماتها:

-سأصعد مع نايتي ..أنا استطيع السيطرة عليها تماماً وهي قوية ولن توقعني .. فقط دلني على الطريق.

راقبها قليلاً فبادلتها النظرات المتحدية بشجاعة لمحت رداً لها بريق اعجاب صغير يتألق في عينيه أربكها قبل أن يقول مشيراً لها أن تتقدمه:

- من بعدك أنستي.

كان الصعود عبر التلة صعباً وتألقت حبات العرق على جبينها وهي تتشبث بلجام نايتي ولكن الأسوأ كان هبوط المنحدر وقد كاد عقلها يتوقف وزفرت بارتياح حال انبساط الأرض تحت الفرس الرائعة وابتسمت لها ساشا وهي تداعب لها خطمها وتدس فيه سكراً مكافأة لها , شعرت بوقوف جواد ثيوس الى جوارها فلم تلتفت له فما زال

صدرها يخفق بعنف جراء هذه المغامرة. ادارت بصرها في الحظيرة الضخمة أمامها والمساحات الشاسعة المخصصة لتربية الخيول ورأت الاسطبلات التي كانت قيد الانشاء وسمعت ثيوس يقول:

-ستنتهي الأعمال بعد أسابيع قليلة حينها أستطيع نقل الخيول كلها الى هنا.

-أتنوي تربية الخيول ؟؟

تسائلت ساشا بفضول, فأجابها:

-كان حلمي منذ كنت صغيراً والأن أنا بصدد تحقيقه.

رأته ساشا يدير رأسه في الممتلكات بفخر وابتسمت ثم سألته:

-وهل جلبت معك جواداً؟

-القيصر... لقد رأيته منذ كان مهراً ولكن طبيعته البرية ألزمتني ألا احضره هنا الا بعد اكتمال الحظائر على الأقل حتى تعوضه المساحة الشاسعة عن البرية قدر الامكان ... سيصلون بعد قليل.

رآن عليهما الصمت وبعد قليل سمعا صوت شاحنة تتوقف أسفل التلة.. ومن مكانها رأت ألسائس يسحب جواداً لم ترى قط بمثل جماله .. جسد أسود ممشوق عنق طويل رأس مرفوعة بخيلاء وكبر .. أنفاس ثائرة وحوافر جامحة.

رأت كيف استلم ثيوس اللجام وقاد الجواد الى الحظيرة الشاسعة .. ركض الجواد بقوة وحاول رفس السياج مرتين ولكن السياج القوي ثبت مكانه وتوقف الحصان مراقباً الحشد الواقف امامه وعينيه اللوزيتان تلمعان ببريق يخطف الأنفاس فشعرت ساشا بالأسى عليه فهو بالرغم من كل شيئ محبوس خلف سياج ضخم وقوي لن يغادره في القريب العاجل..

قال ثيوس كاسراً الصمت بينهما:

-سنتركه الليلة ليعتاد على المكان .. وسنبدأ ترويضه غداً أترغبين بالمجيء؟

شعرت بعصبية لم تعرف سببها:

-ومن الذي سيروضه ..أنت ؟

اتكئ على السياج غارقاً في تأمل الحصان الثائر وقال:

-ألديك مانع ؟

-أليس الأمر خطيراً ويتطلب محترفاً؟

-بالتأكيد.

نظرت اليه غاضبة ثم قالت:

-من الذي لا يثرثر الأن.

ثم استدارت على عقبيها مغادرة المكان بسرعة إلا أنها سرعان ما توقفت حين أمسكها ثيوس من ذراعها حتى اصبحت بمواجهته وقال:

-ماذا الأن ؟لمَ أنت غاضبة؟؟

سؤاله صفعها بقوة لمَ هي غاضبة ؟.. لم تفكر قط عن أسباب غضبها ارتبكت ولم تعرف ماذا تقول إلا أنها وكعادتها ألقت ارتباكها وراء ظهرها ورسمت البرود في عينيها وهي تقول بصوت خافت:

-أنا لست غاضبة .. أنا فقط لا احب أن تنجز الأمور بدون محترفين ..... فهذا يجعلها أكثر.. فوضوية.

رأته ينظر لها باستنكار قبل أن يقول:

-ماذا تعرفين عني لتقرري أني لست سوى فوضوي؟

رأت توتره واستشعرت غضبه الوشيك إلا أنها استمرت بعناد:

-أعرف أنك لست مروض خيول والنتيجة التي أراها أمامي هي سقوطك من على الحصان المجنون وكسرك لعنقك.

رأت الغضب في عينيه يخف حتى اختفى تماماً وحل محله الخبث والمكر وهو يقول:

- هل تقلقين عليّ الأن؟؟

تسمرت مكانها وخرج صوتها آلياً دون أن تسيطر عليه:

-آخر ما أفكر فيه هو القلق عليك ... كل مافي الأمر أنني لاأود لزيارتي أن تنتهي بكارثة..

ثم أضافت وهي ترى ابتسامته تتسع:

-رغم أني سأحب رؤية عنقك ملتوياً.

استدارت عنه غاضبة كالعاصفة وهي تتجاهل ضحكته الصاخبة التي رافقتها وامتطت فرسها بعصبية وغادرت المكان بحذر.

* * *

في اليوم التالي كانت ساشا على موعد مع روين للذهاب للتسوق في جزيرة سياحية مجاورة , نهضت من نومها متأخرة وقد ظلت طيلة الليل مستلقية تفكر بكلامها مع ثيوس,

التقت بروين على المرفأ وذهبتا بالزورق المطاطي كانت تتأمل روين وملامحها الفاتنة وشعرها الأحمر يتطاير حول وجهها وقد ارتدت بنطلوناً عنابي اللون وقميص حريري بلون فاتح أما ساشا فاختارت الجينز وقميص حمراء قطنية. الجزيرة اللتي ستتسوقان فيها تدعى براكلي وهي ملك لعائلة أمريكية ثرية صديقة لعائلة أرجامينيس منذ مدة طويلة . حين وطأت قدماها مرفأ الجزيرة شعرت بالذهول كانت الجزيرة ضخمة وانتشرت فيها المنازل الفاخرة والشاليهات الجميلة على طول الساحل وعلى بعد انتصبت منارة تاريخية قديمة وحينها قالت روين:

-سنذهب للمركز التجاري بالتاكسي.

رأت ساشا عبر التاكسي الشوارع الواسعة تحفها النخيل من الجانبين ومبان عصرية كمدينة صغيرة واستغربت ساشا كيف يملك شخص واحد كل هذا؟

المركز التجاري كان عبارة عن مبنى أرضي واسع انتشرت فيه محال تجارية راقية ذوات ماركات عالمية شهيرة جنباً الى جنب مع المحال التي اختصت بالمنتوجات المحلية.

وتأملت ساشا الواجهات الزجاجية الضخمة ومعارضها الفاخرة وقالت لروين:

-أنا حقاً متفاجأة وجود كل هذه المحال الفاخرة في جزيرة صغيرة كهذه.

-هذه الجزيرة مرتع لأثرياء العالم ولهذا فالمحال ضرورية للغاية.

جذبتها نحو أحدى الواجهات وقالت مشيرة لثوب معين:

-أظن هذا سيبدو رائعاً عليك.

نظرت ساشا الى الثوب وقالت ساخرة:

-مستحيل انه لايناسبني قط.

ورغماً عنها تأملت الفستان بافتتان كان بلون الذهب تنورته المتفتحة كزهرة نرجسية قصيرة تصل الى الركبة في حين صديريته مغلقة

حتى الرقبة عاري الكتفين كان القماش الحريري ناعماً وغاية في الرقة وثبت على الخصر بحزام ذهبي لمّاع رفيع , كانت روين تهتف باستنكار:

-كفى هراءاً يبدو انه صنع خصيصاً لأجلك.. تعالي (وجذبتها نحو المحل بسرعة متجاهلة اعتراضاتها(

-انت مجنونة..

قالتها ساشا وقد وجدت نفسها في حجرة الملابس ترتدي الثوب الذي ناسبها بشكل كبير وبدا حقاً وكأنه صنع لأجلها واحتدمت الخفقات في صدرها وهي تنزعه بعصبية ثم تقول لروين:

-سأموت قبل أن أظهر هكذا.

رأت عينا روين تتسع من الدهشة قبل ان تقول بضيق:

-انت مجنونة ياساشا كنت تبدين رائعة بالثوب.

كانتا تتسكعان قرب المحلات وساشا تتذكر كيف التف الثوب حولها وأظهر اللون الأسمر الفتان لذراعيها وساقيها الملوحتين بالشمس وعكس لونه الذهبي اللون النحاسي في شعرها ولكنها سرعان مانفضت رأسها لتقول لروين:

-لمَ لا نذهب للبحث عن الحذاء اللذي تريدينه.

انزعجت روين ولكنها لم تتفوه بكلمة اخرى وفتحت موضوعاً آخر قائلة:

-أخبريني عن أصدقائك في لندن .. هل من شاب مميز(أضافت مبتسمة(

نظرت لها ساشا بدهشة وقالت:

-رويـــن هذا تطفل.

-كلا ليس كذلك ... والأن تكلمي.

-ابتسمت ساشا رغماً عنها ثم قالت وهي تفكر ببول:

-هناك واحد.

رأت الترقب في عيني روين الخضراوين فضحكت وأكملت:

-انه صديقي منذ فترة وقد تطورت الأمور بيننا..

-كيف!!

-طلبني للزواج قبل مجيئي الهنا.

-تستغلين الرحلة للتفكير؟

-لا داعي للتفكير لقد اتخذت قراري بالزواج به.(قالتها بتوتر لم تفهم معناه(

ورأت الفرح في عيني روين وهي تقول:

-أتحبينه؟؟

تصلبت ساشا وحدقت بروين للحظة وارتبكت عيناها ورأت روين تعقد حاجبيها وهي تقول:

-لا يستحق الأمر كل هذ التفكير يا ساشا تحبينه أولا.

قالت ساشا ببرود:

-لا أعرف مادخل الحب بالزواج الناجح.. لا علاقة للحب فهو يعقد الأمور ليس إلا.

اتسعت عينا روين بذهول وصرخت:

-كيف تقولين هذا ..اذا لم يكن للحب علاقة بالزواج فمالذي له علاقة ؟؟

قالت ساشا وهي متشاغلة بالنظر للحقائب أمامها:

-ان بول شخص لطيف وهو ناجح في عمله ومعتمد للغاية سيكون زوجاً متفهماً ولن يقف أمام تحقيقي لأهدافي.

-ما هذا الهراء الذي تقولينه يا ساشا .. اذا لم يكن الحب هدفك من الزواج فهذا الزواج فاشل.

قالت ساشا ببرود تخفي خلفه اضطرابها:

-أنت تتحدثين مثل ماري تماماً.

-تبدو لي فتاة عاقلة أتمنى أن أقابلها.

ضحكت ساشا وعلقت:

-ستتفقان معاً للغاية.

نظرت اليها روين منزعجة وقالت:

-لا تغيري الموضوع يا ساشا..

تنهدت ساشا وقالت بنفاذ صبر:

-اسمعي يا روين أنا لم أخلق للحب .. أنا لاأتحمل الكلام المنمق أو المشاعر المتدفقة ... انا لا أطيق كلام الحب والعشق .. منذ صغري وأنا أعرف تماماً ماأريد الصحافة وبعد أن اصبح شهيرة بما يكفي سأفتتح صحيفتي الخاصة واذا حدث وتزوجت فسيكون هذا للمظهر الاجتماعي فقط وسيكون رجلا لطيفاً ناجحاً لن يقف أمام طموحي ولن يجعلني عبدة تحت قدميه استجدي الحب منه.

تسمرت روين مكانها تنظر لساشا بذهول وقد لمع الإصرار في العينين الزرقاوين وظهرت أعصابها الثائرة واضحة وهي تضيف:

-هل فهمت الأن.

-نعم فهمت ولكنني لم أفهم كيف تصدقين كل هذا الهراء.

)أآآه) زمجرت ساشا واندفعت خارجة من المحل بغضب ولم تنتبه للسيدة التي كانت تسير في طريقها فاصطدمت بها وتسببت باسقاط

حاجياتها على الأرض فتمتمت باعتذار صادق وهي ترفع لها أشياءها قبل أن يوقفها صوت روين القائل:

-سالي يالها من مفاجأة..

تابعت ساشا اللقاء وقد اندفعت المدعوة سالي بالحديث مع روين بحماس بالقبرصية واستغلت ساشا الوقت لتتأملها , كانت طويلة القامة بشعر أسود قاتم وعينان سوداوان رائعتين كانت الفتاة غاية الجمال بثوب طويل من الحرير الهندي وبعد السلام مع روين التفتتا اليها وروين تقول بالإنجليزية:

-ساشا هذه سالي سوس .. سالي هذه ساشا جامسون .

سلمت عليها ساشا وهي تستشعر عداء غريب نحوها وروين تضيف:

-سالي جارتنا في سوفيرا منزلهم عند طرف الجزيرة وهي صديقة قديمة للعائلة.

ثم اقترحت الذهاب للمقهى إلا ان سالي اعتذرت بلباقة وبصوت ناعم به بحة خفيفة:

-كم كنت أود ذلك ولكن لدي الكثير لأقوم به .. علي الإسراع قبل موعد الغذاء ثيوس مدعو عندنا اليوم(قالت جملتها الأخيرة بصوت متحمس لاهف واسرعت بالمغادرة(

تابعتها ساشا بعينيها وهي تبتعد وفكرت بما قالته عن ثيوس بضيق ثم أنصتت لروين التي كانت تقول:

-ياللمسكينة سالي .. دائماً تفقد صوابها حين يتعلق الأمر بثيوس ويفقد الكل أهميتهم أمامه.

شعرت ساشا بالاضطراب وتسائلت:

-ولمَ؟؟

-لانها عاشقة, ظننت هذا واضحاً يا فتاة ماذا دهاكِ؟.. سالي وثيوس انها قصة قديمة كلنا بانتظار نهايتها.

أرادت ساشا ابعاد الموضوع كلياً عن ثيوس و دميته الفاتنة تلك فسألت روين:

-وماذا عنك وجوليان هل كنتما دائماً معاً؟؟

ضحكت روين وقالت دون أن تنتبه لارتياح ساشا لتغيير الموضوع:

-كـــلا في الحقيقة أنا لم أكن أعرف عن جوليان أي شيئ قبل زواجنا بعدة شهور كنت مغرمة حتى الجنون بطبيب يعمل الى جوارنا .. وكان يكبرني بسنوات عديدة .. ولكنني كنت أرى فيه ماأريد.

عقدت ساشا حاجبيها وسألت:

-مالذي حدث إذن؟

انفجرت روين بالضحك هذه المرة وقالت وهي تهز كتفيها:

-دخل جوليان في الصورة... وصدقيني (وأردفت وهي تقلب عينيها بحنان) حين يتدخل أحد أولاد أرجامينيس فإنهم يقلبون كل الطاولات

وتصبح كل الأوراق لصالحهم.. يالهي ... لقد أحببته منذ اللقاء الأول وجعلني ادرك أن كل مشاعري نحو الطبيب كانت لعب أطفال.

وأضافت حالمة:

-كل يوم كان يمضي كنت أراه وأشتاق اليه أكثر وأكثر ولسماع صوته ولمسة يده.. لقد أصبح حلم حياتي وحين قال أنه يحبني وسيتزوجني.. وافقت كنعجة طيعة.

ابتسمت لها ساشا وسألتها:

-وماذا عن الطبيب؟

-لم أعد أتذكر حتى وجهه (اضافت بحب) هكذا الحب ينسيك نفسك ..أحببت جوليان بقوة لدرجة أنني حتى الأن أشعر وكأن جزء مني مفقود حين يسافر .. هذا مايفعله بك آل أرجامينيس انظري مافعله بي جوليان وهو الرزين الهادئ وانظري ما يفعله فرانكو بليليان المسكينة انها تتعذب ..(وأضافت بأسى) اشفق على التي ستقع لأجل ثيوس..

نظرت إليها ساشا وسألتها بقلب خافق:

-ولمَ؟؟؟

-لأنه سيسرق روحها وكل ماأتمناه أن يبادلها مشاعرها.. لأنه سيعطيها روحه بالمقابل.

واضافت بحنان:

-ثيوس عاشق بالفطرة كما يعشق الأرض التي يعيش عليها فعندما يجد المرأة التي سيغرم بها سيجعلها أسعد امرأة في العالم كله.

تحاشت ساشا النظر اليها وقالت وهي تتشاغل بالنظر الى واجهة احدى المحلات:

-أليست سالي سوس تلك المرأة؟

-آه .. انها تحاول ولكن أظن ان ثيوس يبحث عن شيء مختلف ..

ثم نظرت في ساعتها وصرخت:

-ياالهي انظري الى الساعة لقد تأخرنا كثيراً.

اسرعتا بالمغادرة إلا أن ساشا اوقفت روين فجأة فسألتها بحيرة:

-ماذا هناك ؟ هل نسينا شيئاً؟

كانتا تقفان أمام المحل الذي يعرض ذلك الثوب الذهبي وقالت لروين:

-سأتوقف هنا لبعض الوقت..

رأت روين الثوب وابتسمت تقول بجذل:

-آه .. اذاً لنتأخر بعض الوقت .. ماذا يهم.

وأسرعتا بالداخل.

* * *

كان النهار قد انتصف وقد أنهى ثيوس جولته حول المزارع يطمئن على سير الأمور قبل بدء الحصاد بعد بضعة أيام حين وجد نفسه متوجهاً نحو منزل الطبيب..

كان يقول في نفسه ان ذاك الطفل الرائع هو السبب فهو لم يره منذ مدة .. إلا أن ذلك الخفقان الشديد الذي جعل التقاطه لأنفاسه صعباً أنبأه أن الأمر يتعدى الصغير بمراحل .. مراحل –اعترف بداخله- لها شعر بلون شروق الشمس فوق جبال تيرانس البعيدة..

دفع الباب الموارب ودخل بخفة متوجهاً نحو الحديقة الخلفية كان يعلم أن هذا وقت اطعام الصغير وأن ليزا تحب اطعامه في الحديقة بجوار أحواض الأزهار المتفتحة, وما إن دلف الحديقة حتى تسمرت قدماه كان واقفاً أمام مشهد خطف أنفاسه من روعته..

كانت ساشا شبه مستلقية على الأرض العشبية الندية وقد ارتدت شورتاً وقميصاً قطني مقلم وشعرها الأشقر يتدلى الى جانب وجهها بظفيرة طويلة ولكن الأمر الذي سمره لم يكن هذا بل كان تواجدها مع الطفل.

كان الطفل مستلقياً الى جوارها فوق مهد صغير وكانت تدلي فوقه لعبة بلا ستيكية في حين ارتفعت يده الصغيرة تداعب وجنتيها القريبتين منه وبين الحين والأخر تجذبان خصلات شعرها المتناثرة بغير انتظام وتقابله هي بابتسامة خلبت لب ثيوس وهو يتأملها .. ابتسامة عريضة صافية وفاتنة للغاية . كان باستطاعته الوقوف

ومراقبتهما لوقت طويل ولكنها تنبهت له ولم يعرف كيف؟ لأنه لم يصدر أي صوت. التفتت نحوه بسرعة وتسمرت عيناها عليه بذهول.

كانت ساشا تلاعب الطفل حين شعرت بمن يراقبها قشعريرة غريبة أصابتها لتمتد من أسفل عنقها الى عمودها الفقري كاملاً فاتفتت نحوه بسرعة والتقت عيناها بعينيه.

كانت تفكر به لتوها وملاعبتها للطفل تخفي شرودها بكل ما تفوهت به روين عنه وعن تلك الفاتنة سالي, وتذكرت رغماً عنها ما كانت روين تقوله عن أنه سيسرق روح من تقع في حبه حين اتفتت لتراه أمامها.

كان واقفاً هناك بلباس العمل وقد أمسك قبعته بيده وكان يقف متفرساً فيها وكأنه يريد حفر ملامحها في رأسه للأبد.

بعد فترة من الزمن انتبهت ساشا لرقودها أرضاً بتلك الطريقة فانتفضت واقفة بذعر لم تعرف سببه ولم تعرف لم لكن لسانها انعقد فجأة وسألها هو بخفوت:

-مرحباً.

ابتلعت ريقها قبل أن تقول متلعثمة:

-سأنادي ليزا لإطعام الطفل.

-ولم لا تطعميه أنت؟؟

قالها بسرعة فنظرت اليه ولم تجبه فسألها:

-أتسمحين لي بالجلوس؟

نفضت عنها دهشتها وتذكرت أصول الضيافة وهي تهتف:

-بالتأكيد تفضل.

جذب كرسياً وجلس الى جوار المهد الصغير ورأت عيناه تمتلآن بالضحك وهو ينظر الى الطفل المكتنز وخدوده المتوردة وعيناه الصافيتان ثم قال لساشا:

-أليس طفلاً وسيماً.

هزت رأسها بارتباك فنظر اليها مبتسماً وقال مشيراً الى كراسي الخيزران حوله:

-اجلسي.

شعرت بالتمرد ينتفض بداخلها وهي تكره نبرته الأمرة فقالت ببرود:

-افضل الوقوف.

رأت القسوة تلمع في عينيه ورغماً عنها شعرت بقلبها ينتفض بقوة إلا أنه قال بصوت عادي:

-كما تشآئين.

وبدأ يلاعب الطفل الذي استجاب له بعفوية وتصاعدت ضحكاته بينما حمله ثيوس ووضعه على ركبتيه وكان الصغير يداعب أزرار قميصه حينما شعرت ساشا بالابتسامة تداعب شفتيها وهي تنظر اليهما معاً .. كان رائعاً مع الطفل وفكرت سيكون أباً رائعاً .. وتسائلت لمَ لم يتزوج حتى الأن؟ لابد انه في الثانية أو الثالثة والثلاثين من عمره وهو ثري وسيم وذو شخصية جذابة.. لمَ لم يتزوج؟؟

قطع عليها دخول ليزا تحمل صينية طعام الطفل قطع عليها أفكارها وهي تقول:

-سيعتاد عليك ياثيوس ويتشبث بك ولن يدعك تذهب.

رفع ثيوس الطفل عالياً وقال:

-أتمنى هذا..

-لمَ لاتدعني آخذه لأطعمه.

نظر ثيوس الى ساشا وقال مجدداً بنبرة سمعتها ساشا وتجاهلتها:

-لمَ لا تطعمه ساشا؟

ضحكت ليزا بينما قالت ساشا بجفاف:

-سيعني هذا أن يظل جائعاً الى المساء.

-ألا تجيدين اطعام الأطفال؟!!(تسائل بحنق(

قالت ببرود:

-كـــــلا.

-ومتى تنوين التعلم؟

هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت:

-ليس الأمر ضمن أولوياتي في الوقت الحالي

أعطى ثيوس الطفل لأمه ونهض محدقاً بها وتسائل باستنكار:

-ماذا يعني هذا بحق الله؟

-ما يعنيه أنني لاأتخذ اطعام الأطفال أولوية لي الأن.

-ألا تنوين الزواج والانجاب؟

نظرت اليه بتوتر وقد احمر وجهها بغيظ وقالت:

-ليس هذا من ضمن المخطط.. ليس الأن.

رات حاجباه ينعقدان ثم قال لها بخفوت يخفي بركاناً من الغضب:

-أي نوع من النساء أنت!!!

و أضاف باشمئزاز لم يحاول اخفاءه:

-أنت أشد جموحاً من القيصر .. اشفق على الرجل الذي سيروضك يوماً.

اتسعت عيناها بدهشة مُلئت بغضب بالكاد سيطرت عليه وتمالكت نفسها بصعوبة وفكرت... اهدئي .. اهدئي.. انه ضيف في منزلك كما

أنك ضيفة على جزيرته لهذا أخذت نفساً عميقاً وبعد ان استعادت بعضاً من رباط جأشها قالت له ببرود شديد:

-لمَ لا تجلس وتتناول بعض الكعك الذي صنعته ليزا..

رأت فمه يتحول الى خيط رفيع وقبضتيه تتكوران الى جانبيه من الغضب ورأت انفاسه تتسارع وهو يقول:

-أنت ..أنت لست جواداً جامح أنت مجرد قالب ثلج ..

ثم التفت لليزا الذاهلة وسطهما وقال:

-الى اللقاء بلغي تحياتي للطبيب.

وعاود الالتفات الساشا وقال ساخراً وهو يلاحظ وقفتها المتسمرة:

-لا تقفي تحت الشمس طويلاً... لا نريد أن تذوبي أليس كذلك!!

أغمضت ساشا عينيها بغضب وهي تسمعه يغادر كالعاصفة وهو يصفق الأبواب خلفه بعنف وما إن هدأ المنزل حتى فتحت عينيها لتلتقيا عينا ليزا الذاهلتين وهي تقول بجنون:

-من يظن نفسه؟؟

وغادرت بعنف.

* * *

الفصــل الخــامـس

نظرات مأسورة

تخطت ساشا البوابة الخشبية التي تقود للشاطئ المخصص للسباحة ومشت اليه ببطئ .. كان الحصاد قد ابتدأمنذ بضعة أيام ومنذ ذاك الوقت ومعظم الطرقات المؤدية الى الشاطئ والقرية وحتى الشاطئ نفسه تبدو مهجورة تماماً حيث أن معظم السكان يشتغلون في المزارع..

ولهذا فإن الشاطئ في هذا الوقت من الصباح كان الأنسب للسباحة كانت قد أمضت كل يوم من الأيام السابقة في السباحة صباحاً والإعتناء بالطفل مساءاً حيث تذهب ليزا لمساعدة زوجها في العيادة ومن ليزا عرفت ان كل العمال في المزرعة من ضمنهم حتى فرانكو وثيوس يعملون من بزوغ الفجر حتى غروب الشمس.

تأملت ساشا الشاطئ برماله الذهبية والصخور الملساء المتناثرة على بعد منها وتلك الأمواج الصغيرة التي اندفعت بخفر مدلل تداعب الرمل الأصفر لتتخلل ذراته وتقتم لونه البراق وتعاود انحسارها عنه بضحكة عابثة عائدة الى أحضان بحر غامق الزرقة احتواها مدافعاً بحنان أبوي غريب عنه والرمل الأصفر برغي وزبد من حنقٍ أثارته فيه لعوب صغيرة غير مبالية...

افترشت ساشا الرمل الذهبي فوق منشفة كبيرة ووضعت فوقها سلة الطعام وترمس العصير الذي أعدته لها ليزا من الفاكهة اللذيذة ثم

اتجهت الى العريشة الصغيرة المجاورة ونزعت ثيابها لتبقى بثوب البحر ذو القطعة الواحدة بلونٍ أخضر مزرق .. كان اللون الأسمر قد انتشر على بشرتها وأكسبها لمعان برونزي غاية في الروعة, نزعت عنها صندالها الخفيف وجلست هائمة تحدق في الأفق كانت الأفكار اللتي تراودها هي نفسها منذ عدة أيام ..كانت تفكر بكل تلك المشادات بينها وبين ثيوس كان ذهنها اللذي اعتاد حساب كل شيئ في اضطراب لم تعرف له مثيل منذ التقت به كانت تجلس بالساعات تفكر وتحلل ولم تجد له أي تفسير أو أنها تفسره ولكنها تدفع بالتفسير المنطقي الوحيد بعيداً في أعماق عقلها الباطن ولا تعود تلتفت اليه قط.

تنهدت بعمق وهي تجبر عقلها الثائر على رمي كل ما سمعته عنه ورأته بأم عينها وراء ظهرها ونهضت بسرعة راكضة وألقت بنفسها في غمرات الماء الدافئ وهي تأخذ نفساً عميقاً وتكتمه لتغوص في أعماق البحر الرائق.

سبحت لبعض الوقت وهي تفكر بالمياه الدافئة واختلافها الشديد عن مياه شواطئ لندن الباردة وفكرت ضاحكة أن ماري ستعشق السباحة هنا .. اتخذت بعد ذلك طريقها نحو الشاطئ وهناك نفضت عن شعرها قطرات الماء وجففت جسدها بالمنشفة ثم استلقت على بطنها وهي تخرج كتاباً أحضرته معها وشرعت بالقرائة تاركة النسمات الدافئة تتلاعب بشعرها ورغماً عنها تراقصت أمامها الكلمات وبدأ تأثير

البحر المسكر يتلاعب بها ولهذا استسلمت ببطئ وأسندت رأسها على الكتاب وأسبلت عينيها لتنعم بقليل من النوم.

***

كلنت الحرارة لاتطاق والشمس تلقي بأشعتها فوق الرؤس.. الرطوبة خانقة بشكل لا يصدق , زفر ثيوس بضيق وهو يمسح العرق المتصبب فوق عينيه .. والتعب والجوع يكادان يلتهمانه كان قد قضى الليلة كلها في المزرعة مع بقية العمال يساعدون في تخزين كل المحصول الذي قد تم جمعه ذلك النهار وعند الصباح رحل المناوبون ليجيء جامعوا المحصول وظل مشرفاً يساعد في حل أي أزمة طارئة بانتظار فرانكو الذي لم يظهر بعد.. كان يتوعده في سره بغيظ وهو يفكر بذلك الفتى الغر اللعوب الذي لابد قضى ليلته في أحد المراقص في براكلي..

وصرخ غاضباً عليه حال وصوله قائلاً:

-أين كنت يا أحمق؟

قال فرانكو خجلاً وبأسف:

-لقد غرقت في النوم ..أنا آسف حقاً اذهب الأن سأتولى الأمور.

امتطى ثيوس جواده وألقى له بعض التعليمات ثم قال:

-سأعود بعد الغذاء.

واتخذ طريقه بسرعة نحو المنزل كان يتوق لحمام بارد يزيل عنه أثر الارهاق والعمل المضني كان كل جسده متشنج وقد عصف الألم برأسه وهو يسرع بالجواد الأصيل نحو هدفه قبل أن يستوقفه هدير أمواج الشاطئ وهي ترتطم بالصخوروانتابه الشوق ليرمي بكل تعب الليل في مياه البحر لهذا اتخذ طريقه نحو الشاطئ.

ربط جواده الى العريشة الصغيرة ثم تقدم نحو مياه البحر وهو يرمي حذائه بعيداً واتبعه بقميصه وما إن هم بنزع سرواله حتى رآها.

كانت مستلقية هناك على بعد منه مستلقية على ظهرها وشعرها الأشقر متناثر حولها وقد همد جسدها عن الحركة وشعر بقلبه يثب بين ضلوعه وعيناه تتسعان بذعر مما قد يكون حصل لها فاندفع نحوها بسرعه وجثم امامها محنياً رأسه لها , ثم زفر بارتياح وهو يشاهد تنفسها المنتظم والابتسامة الخفيفة المرسومة على شفتيها والكتاب المرتاح على صدرها..

جلس الى جوارها على الرمل وهو يتأمل ملامح وجهها عن قرب للمرة الأولى.. تأمل كيف التقت رموشها الكثيفة بوجنتيها الصقيلتين وابتسم وهو يرى كيف تحيطها البراءة بهالة غريبة وهي نائمة وقارنها بذلك الشرر الذي ينبثق من عينيها حين كانت تجادله أو ذلك الجليد المنصهر حين يغلب عليها الكبرياء..

نهض من أمامها وابتعد وهو يفرك عينيه بقوة ثم رفع ساقي سرواله واندفع ملقياً نفسه في عمق البحر.

كان الماء الرائق قد بدا يهدر والموج يرغي ويزبد وثيوس يسبح بكل قوته من طرف الشاطئ الى الأخر ولم يتوقف حتى شعر بذلك الخدر المؤلم يجتاح ذراعيه وساقيه فتوقف عن السباحة وأخذ نفساً عميقا ثم نظر الى الشاطئ حيث كانت مستلقية وبدأ يسبح تجاهها.

ألقى بنفسه على الرمل الدافئ متهالكاً وأنفاسه تسبقه في ماراثون .. بقي كذلك لعدة لحظات حتى استقرت انفاسه ثم التفت اليها.. كان وجهه قريباً من وجهها حتى ان انفاسها كانت تلامس وجنتيه.. نظر اليها بعمق تأمل الشعر الأشقر وشعر بخبطة قوية في صدره وجف حلقه وهو يتمتم(ماذا فعلت بي) لم يسبق لامرأة أن أثرت به كما تفعل هي .. حين رآها للمرة الأولى كان الأمر وكأنه تلقى طعنة في أحشاءه وغشاوة غطت عينيه وتناسى نفوره من ملابسها التي لاتلائم صيف قبرص وترجم تلك المشاعر التي اجتاحته بالكراهية وكان جافاً معها وبعد ذلك اصبح شعوره مغايراً وقد ذهب لمنزلها خصيصاً لرؤيتها مهما أنكر ذلك ومهما كان الأمر غير مفهوم حتى بالنسبة له .

تنهد وأشاح بوجهه عنها وأغمض عينيه اتقاء أشعة الشمس الحارقة وشعر بالسعادة لتواجده قربها وهي تنام ناعسة كطفل صغير ولكن خشيته عليها من أشعة الشمس جعلته يعتدل في رقدته ويمد يده ببطئ ليمرر ابهامه على طول ذراعها .. تململت ساشا في رقدتها ولكنها لم تصحو بل دمدمت بدلال وهي تبتسم..

ابتسامتها أنارت وجهها كله وبعثت فيه مشاعر عديدة تجاهلها بصعوبة وهو يهزها من كتفها برقة منادياً:

-ساشا.. ساشا استيقظي.

فتحت ساشا عينيها ببطئ وكسل ولوهلة لم تستطع التفكير او التعرف على الرجل المشرف عليها وفكرت.. لا زلت أحلم.. كان حلمها عن رجل أسمر طويل قلب كل عالمها رأساً على عقب وسرق روحها.. وهاهي الأن وكأنها تراه .. ابتسمت له من تحت عينيها الناعستين ولكن صوته الخشن أعادها للواقع بقسوة وفتحت عينيها بقوة وهي تنتفض من رقدتها .. وقفت أمامه وقد تدثرت بمنشفتها وهي تهتف:

-ماذا تفعل هنا؟؟!!

راقبها ثيوس للحظات وقد تخللت أشعة الشمس خصلات الذهب المتناثرة فلمعت بقوة أعمت عيناه فأبقاهما شبه مغمضتين وقد ألجمه ذلك الجمال المتفجر أمامه الى حد كبير.. في حين وقفت ساشا تنظر اليه مسمرة وقد استلقى امامها بجسده الطويل على الرمال حيث تناقض لونه الأسمر القاتم مع لونها الذهبي والتصق شعره الأسود القصير المبتل برأسه كالقبعة .. كان بدون قميص وقطرات الماء تتلألأ على صدره الرحب والتصق قماش سرواله بساقيه.

نفضت رأسها بقوة عن صورته التي انطبعت في ذاكرتها للأبد وهي تصيح:

-منذ متى وانت هنا؟؟

ابتسم لعصبيتها وقال:

-منذ فترة .. اسف ان أيقظتك ولكنني ظننت أن الشمس قد تكون قاسية على بشرتك ان بقيت هنا لفترة طويلة.

كان صدرها يعلو ويهبط بسرعة كبيرة وانفاسها تتلاحق وكأنها كانت تعدو لمسافة طويلة وثارت أعصابها لرؤيته ممداً باسترخاء وكأن الشاطئ ملكه الخاص دون أي حياء..كان حلقها جافاً للغاية ولم تستطع التفوه بكلمة , استند هو على مرفقه ويقول بعبث:

-كان يجب أن أتركك نائمة فحينها كنت تبدين أقل خطورة بكثير.

عقدت حاجبيها وقالت غاضبه:

-انت وقح.

مدت يدها والتقطت ثيابها المكومة الى جوارها واندفعت الى العريشة متجاهلة قهقهته الخبيثة , وهناك ابعدت عنها المنشفة وهي تجز على أسنانها بغيظ وفكرة انه راقبها وهي نائمة ألهبت وجنتيها وجعلت الدم يغلي في عروقها .. كادت تصرخ غاضبة حين اكتشفت انها أحضرت قميصها فقط إلا أنها أخذت نفساً عميقاً وقالت:

-لابأس ان القميص طويل وواسع بما يكفي .

ارتدته بعصبية وأغلقت أزراره بأصابع ترتجف ثم اتجهت نحو أشياءها المتكومة الى جواره وهي عازمة على الرحيل في الحال.

رأته يعبث بسلتها وحالما رآها ابعد يده والذنب في عينيه اللتي ظهر الإنهاك فيهما واضحاً وبدا غضبها يزول وهي ترى الإرهاق يحفر ملامحه حفراً وهو يقول بخفوت:

-هل تدعينني للغداء؟

نظرت اليه بذهول فأضاف متمسكناً:

-ألن تشفقي على رجل جائع؟

بالتأكيد ستشفق عليه وتسائلت وهي تجلس الى جواره متجاهلة البريق الذي يشع من عينيه:

-تبدو مرهقاً.

تأملها للحظة وهي تخرج كومة الشطائر وكوب العصير من السلة وراقب صراعها مع شعرها الذي تطاير حولها ودون انذار مد يده ليقبض على خصلات منه وهي تنظر اليه ذاهلة قبل ان يقول وهو يثبته خلف اذنها:

-انا مرهق حتى العظم.

والتقط الشطائر وشرع بالتهامها بسرعة كبيرة ورغماً عنها تأملته وشعرت بالسعادة حين لم يتكلم وفمه مليء بالطعام ومإن ابتلعه حتى قال:

-اسف..

اتسعت ابتسامتها لتتحول لضحكة صغيرة وهي تراه يأكل كصبي صغير وقد تلطخ فمه ببقايا الطعام فأشارت اليه وقالت:

-لديك... بقايا.

مسح فمه بسرعة وضحك قائلاً:

-اسف مجدداً.

-ألم تتناول الفطور اليوم.

قال هازئاً:

-أنا لم أتناول شيئاً منذ العشاء.

-ولماذا؟؟

-كان موعد مناوبتي للإشراف على التخزين في المستودعات.

قالها بلا مبالاة فسألت:

-اتعني أنك لم تنم حتى الأن؟

هز رأسه ايجاباً وأضاف:

-كنت عائداً الى المنزل حين رغبت بالسباحة ووجدتك هنا.

تسائلت وهي تصب له العصير:

-لمَ عليك السهر ومتابعة العمل بنفسك أليس لديك عمال يساعدونك ويقومون بمثل هذه الأعمال؟

قال مبتسماً وهو يمعن النظر فيها:

-انا أحد العمال هنا ياساشا صحيح ان عائلتي تملك المزرعة ولكنني بدأت العمل واحداً منهم وكما كان والدي يسهر عليها الأن انه دوري في السهر.

أخفت وجهها في كوب العصير وهي تتمتم:

-يبدو انك تحتاج للنوم.

-ويبدو انني اطرد من هنا .

-اه انا لا أطردك انا لم أقصد هذا..

ثم أضافت تهرب من الموضوع:

ما أخبار القيصر؟؟

-يسرني تذكرك لأمره .. ظننتك ستأتين أو حتى تسألي عليه؟

كانت بالفعل تنوي ذلك لكن المشاجرة بينهما في ذلك اليوم منعتها فعادت تقول:

-كيف هو؟

-بخير بدأت بترويضه لكنني لم أحسبه سيأخذ مني كل هذا الوقت .. والأن انا مشغول سأعود اليه بعد انتهاء الحصاد..

ونظر اليها ثم قال بارتباك:

-بشأن ذلك اليوم.. انا أعتذر..

تأملته بذهول (يعتذر !! ثيوس ارجامينيس يعتذر!!) الا انه لم يترك لها مجالاً وهو يقول:

-لقد تصرفت وقلت اشياء لا أعنيها..

ابتلعت ريقها وقالت متلعثمة:

-الحال ذاته معي..

نظر اليها من تحت عينيه ثم اشاح بوجهه وقد انهى التهام الشطائر وشرب كوباً كبيراً من العصير ثم استلقى على ظهره متأملاً اياها بعمق .. كانت جالسة امامه وقد ارتدت ذلك القميص الرجالي الطويل وللحظة شعر بالضيق من فكرة ارتداءها قميص رجل ما وازداد ضيقه وهو يفكر بصاحب القميص ووجد نفسه يسألها بجفاء:

-يبدو واسعاً عليك؟

نظرت ساشا للقميص بسرعة وقالت:

-اااه.. انه ليس لي.

-أستطيع رؤية ذلك.

قالها بهزء ثم أضاف بقسوة:

-تبدو علاقتكما متينة حتى ترتدي قميصه.!!

نظرت اليه بدهشة ثم كساها البرود وقد قررت لعب لعبته وقالت:

-جداً .. لقد انفطر قلبه حين تركته.

سألها بسخرية:

-يبدو أنك معتادة على ذلك.. أخبريني منذ متى تعرفينه؟

-منذ أن كان في الحفاظ.

تجاهلت حاجبيه المرفوعين واضافت:

-هذا القميص هو لداني شقيقي من أمي .. انه يعيش في فلوريدا وقد قبل مؤخراً في الجامعة.

ثم اقتربت منه لتهتف:

-أتود رقم هاتفه لتتأكد!!.

اشاح ثيوس بوجهه عنها وقد خجل من حماقته في حين نهضت ساشا قائلة بضيق:

-سوف أعود الى المنزل.. لقد تأخرت بما يكفي.

-سأرافقك.

-طريقنا ليس واحد!!

نظرا لبعضهما ثم قال ثيوس باصرار:

-سأرافقك على أي حال.

هربت من الاصرار القوي في عينيه وعادت الى العريشة بعد أن أخذت بقية ملابسها , في حين ارتدى هو قميصه وحذائه كيفما اتفق وحين عادت اليه كان قد وضب الأغراض في السلة فتمتمت شاكرة ومضوا في طريقهما ..

سألها ليبدد جو الصمت اللذي لفهما:

-ألديك أخوة آخرون..

-نعم, هناك ريك وباتريشيا غير داني بالطبع وهما توأم والأن ستيف الصغير ابن ليزا.

-عائلة كبيرة!!

ابتسمت قائلة:

-التوأم غاية في الازعاج .. انهما الآن في الرابعة عشر وتقضي امي معظم الوقت تشكو من مصائبهما.

كانا يتحدثان كصديقان قديمان وهما يقتربان أكثر من منزلها وشعرت ساشا بالتوتر بينهما يذوب وهو يسألها ضاحكاً:

-ماذا عن داني؟

اندفعت تحكي عنه:

-داني هو الوحيد الذي يشبهني من بين فرقة المجانين هذه فهو هادئ ومنضبط ولكن فيه عيب خطير فهو يغار بجنون .(وضحكت قائلة:(

-حين كنت أعود الى المنزل مع أحد أصدقائي كان يقف بيننا كحارس أمين.

-هو يعجبني منذ الأن.

التفتت اليه بتوتر ورأت الأنفاس المضطربة التي تغادر شفتيه فبلعت ريقها بصعوبة وتجنبت التحديق في عينيه الجريئتين فقال بخفوت:

-لا شك انه يحبك كثيراً!

شعت عيناها بالحب وقالت:

-وأنا احبه كثيراً فهو كأخ لايقدر بثمن.

تأمل الفرحة الشديدة في عينيها وهي تتكلم عن أخيها وشعر للحظة بطعنة من غيرة تتسلل الى قلبه وهو يحسد الفتى الشاب الذي استطاع أن يمحو من عينيها البرودة القاسية حين تتكلم عنه وقال بحدة من دون تحفظ:

-ياله من محظوظ.

سمعت ساشا الحدة في صوته والنظرة الغريبة التي اعتلت عينيه وهي تتكلم عن داني بكل الحب الذي تكنه له وابتلعت دهشتها وهو

يأخذ نفساً عميقاً ويواصل المشي صامتاً وحالما وصلا أمام منزل والدها حتى توقفت تقول باضطراب:

-شكراً لإيصالي لابد أنك متعب للغاية.

-هذا صحيح.. (ثم أضاف:(

-غداً نقيم حفلة في جولدير .. تعالي.

-مالمناسبة؟ تسائلت بفضول فـأجاب:

-لا مناسبة معينة نستضيف بعض الأصدقاء لنرفه عن أنفسنا عناء العمل الشاق .

تذكرت سالي سوس رغماً عنها وتسائلت:

-ماذا عن الجيران؟

عقد حاجبيه وقال:

-أتعنين عائلة سوس؟

كتفت ذراعيها وقالت ببرود:

-وهل لديكم غيرهم؟

ازدادت الحيرة في عينيه وهو يجيب:

-سالي ستكون هناك لا أعرف عن والديها.

امتازت غيظاً وهي تسمع كيف ينطق اسمها بكل سهولة ولم تعرف سبب غيظها ما زاد غيظها أكثر فقالت:

-سأرى مايمكنني فعله .

ثم استدارت على عقبيها بسرعة متجاهلة وقوفه فاستدار نحوها وقبض على ذراعها جاذباً اياها نحوه وهو يقول بعصبية:

-ماذا دهاكِ؟

شهقت بقوة رداً على عنفه وازدادت حدة تنفسها وهي تجذب ذراعها من قبضته بسرعة:

-ماذا .. ماذا تفعل ؟

رفع ثيوس كفيه عنها وهو يمط شفتيه بقوة وهي تقول بانفعال:

-الى اللقاء ثيوس.

واندفعت نحو باب المنزل.. راقبها لوهلة ومإن انصفق الباب خلفها حتى اندفع بتهور راكباً جواده وانطلق به بسرعة غير مولِ.

***

كان الطفل قد غفا لتوه بعد ان تناول طعامه الذي أعدته ليزا قبل مغادرتها وقد أطعمته الخادمة الصغيرة وساشا تراقبهما بشغف . لم يكن الوقت متأخراً وكانت ساشا عادةً ماتمضي هذه الأمسيات تقرأ في كتاب جديد أحضرته معها ..

كانت تجلس على كرسي في الشرفة الأمامية حين رأت روين تتقدم عبر باب الحديقة وهي تلوح لها فابتسمت وصاحت:

-تعالي الى هنا.

تقدمت روين وسلمت عليها معانقة وهي تقول:

-لقد كنت اتسوق في البلدة وقررت المرور لزيارتك , كيف حالك لم أرك منذ كنا في براكلي.

اشارت لها ساشا بالجلوس وهي تهتف:

-انا بخير اقضي صباحي بالتسكع ومسائي مع ستيف ثم الكتاب.

-تقضين أجازتك بأسوأ طريقة ممكنة(قالتها مجعدة أنفها بنفور) يجب عليك الاستمتاع يافتاة..

-وماذا تقترحين أن أفعل؟؟

-اتركي نفسك لي.. وسنبدأ غداً.

تسائلت ساشا تدعي الغباء:

-وماذا في الغد؟

-نقيم حفل عشاء سندعوا عائلة براكلي .. ان كاثرين امرأة رائعة وستسرين بالتعرف اليها..

كانت ساشا تتحرق لتسألها عن سالي الا انها أضافت:

-وسالي ستكون هناك أيضاً سنمرح كثيراً (ثم أضافت بخبث) مارك سيكون هناك أيضاً.

اتسعت عينا ساشا وقالت:

-وما شأني بمارك؟

-اه لقد رأيت كيف ينظر اليك .. كما انكما منسجما..

اندفعت ساشا تقاطعها بضحكة رنانة جعلت روين تسكت وهي تنظراليها والأولى تغمغم بعد عاصفة الضحك:

-ياالهي روين انت لا تصدقين .. كان مجرد حديث عابر.. لاأصدق.

زفرت روين وقالت:

-آملت أن تغيري رأيك بالعلاقات الانسانية قليلاً آآه يبدو ألّا فائدة ترجى من ذلك.

ثم أضافت بمرح:

-لا يهم هناك العديد من الأشياء المفرحة لتفعليها على الجزيرة وحالما ينتهي الحصاد سينتشر الجنون وتعم الأفراح في كل أرجاء سوفيرا.

-أخبريني هل سيكون هناك العديد من الناس في العشاء؟

-قلت لك عائلة براكلي كاثرين وزوجها ستيفان ثم هناك سالي ومارك وانت وبالتأكيد والدك وزوجته أيضاً مدعوان.

نهضت ساشا من مقعدها واتكئت على السياج الخشبي للشرفة وتذكرت ماحدث بينها وبين ثيوس والاضطراب يزرع مايشاء في أعماقها وتسائلت بخوف عن هية هذا الشعور وهذه اللهفة التي لاتستطيع انكارها للتعرف اليه أكثر أو الذهاب لرؤيته مجدداً رغم وجود الفاتنة سالي, لماذا ستذهب ان كانت مشاعرها لا تتعدى كونها نفوراً منه ..

أغمضت عينيها وهي تعلق على نفسها بسخرية.. نفور لا شيى يعبر عن عكس ماتشعر به تجاهه غير النفور..

كيف تذهب وتواجهه بعد ما حدث ترى هل سيعاملها كضيفة أم يطردها أمام الكل كما تستحق. تنهدت بغضب من نفسها الضعيفة وثارت تلك الكرامة الجليدية في عروقها وهي تقول لنفسها الخائنة من منا كان المخطئ بالتأكيد هو آثار قبضته على ذراعها تحكي فصول قسوته وجبروت الرجل الذي تكرهه .. كانت ساشا في عالمها الخاص حين شعرت بيد توضع على ذراعها فانتفضت بذعر لترى وجه روين المندهش والأخيرة تقول:

-لقد كنت محقة فأنا أكلم نفسي منذ مدة هنا..

ضحكت لها ساشا بجفاء رغماً عنها وهي تقول:

-اسفة شردت قليلاً.

تنهدت روين وسألتها:

-اذاً ستأتين غداً؟

هزت رأسها مترددة:

-لاأعرف.. انا لا أعرف عائلة براكلي ولاحتى تلك المدعوة سالي وأخشى أن أكون دخيلة عليكم.

-هذا هراء .. انا أدعوكي لتتعرفي عليهم وليس لتقولي أنك لا تعرفينهم.. هيا ستكون ليلة مميزة. (وأضافت بحماس) ارتدي الثوب الجديد ستكونين رائعة.

عقدت ساشا حاجبيها وفكرت (الثوب الجديد الذي لاتعرف حتى لم اشترته لقد أخفته في قاع الخزانة حتى لا يراه أحد وانتهت الى انها اشترته بدافع نزوة حمقاء لن تتكرر ولولا المبلغ الضخم الذي دفعته لكان مصيره الرمي بعيداً)

تابعت روين بحماس اكبر:

-لنذهب ونلقي نظرة.

قالت ساشا بتوتر:

-انا لن أرتدي ذلك الثوب.

-بلى بالتأكيد سترتدينه انه مناسب للغاية.

وجدت ساشا نفسها رغماً عنها تسحب الى غرفتها وكل اعتراضاتها تذهب الى ادراج الرياح وهناك أصرت روين قائلة:

-أخرجي الثوب.

زفرت ساشا بضيق وأخرجت الثوب الذي تجعد قماشه الرقيق وتلقت لذلك نظرة معاتبة من روين وهي تقول:

-بعد ان يكوى سيكون رائعاً.. ألا يوجد لديك حلية ملائمة؟

جلست ساشا على طرف السرير وقالت لها بعد أن يأست:

-اعتبري نفسك في بيتك وابحثي كما تشائين.

ضحكت روين وانقضت على حقيبة صغيرة موضوعة في الرف العلوي للخزانة وبعد فتحها أخرجت علبة الخاتم المخملية وتسائلت بدهشة:

-ماهذا؟

تسمرت ساشا وشعرت بالذنب يغسلها ويلتصق بكل جزء من جسدها وهي تنظر الى العلبة التي احتوت خاتم بول وتصورته في لندن قابعاً وراء كومة من الملفات الضخمة ليس لديه الوقت حتى للتفكير بها وهي هنا .. ماذا تفعل تتزين وتغير من ملابسها من أجل ..

-انه خاتم بول..

قالتها قاتلة الفكرة الرهيبة التي اجتاحتها وتنهدت وهي تأخذ العلبة من روين وتعيدها تحت أكوام الملابس وروين تتسائل:

-أأنتما مخطوبان؟

-ليس رسمياً.. ليس بعد.

قالتها بتوتر وهي تعبث بأزرار بلوزتها وروين تتسائل بفضول:

-أتحبينه؟

-قلت لك قبلاً.. ليس الحب طريق الزواج وليس الغاية منه ايضاً.

قالتها بجفاء وتجاهلت نظرات روين الساخرة وهي تقول:

-لقد قررت الزواج منه وهذا نهائي.. والآن هل وجدت ماتبحثين عنه؟

تأملت روين الفتاة الواقفة أمامها وهي تجزم بداخلها أنها مجنونة ولكنها مجنونة ستذهب الى دعوة العشاء بكامل زينتها ..

وبدأت تساعدها لاختيار حلية مناسبة ووقع اختيارها على حلقين ذهبيين مطعمين بحبات من الزفير ناسبتا الثوب تماماً وانعكس لون الزفير الأزرق على عينيها فقالت روين:

-ستبدين فاتنة..

خفق قلب ساشا رغماً عنها خوفاً من شيئ لم تعرف معناه أعطاها القوة والجرأة لتفعل مالم تفعله قط من قبل وحارت في تسميته بل خافت من ذلك. غادرتها روين بعد ذلك بعد أن أخذت منها عهداً بالحضور توجهت ساشا الى الحديقة وراقبت سماء ازدانت بألوان بنفسجية وزرقاء حابسة للأنفاس فأغلقت عينيها وهي تدعوا أن تمر ليلة الغد بسلام وقلبها المرتجف ينبئها بالعكس.

***

حان الوقت ... كانت ساشا ترتجف طيلة الوقت اللتي استغرقته السيارة للوصول الى جولدير وفكرة الرجوع الى المنزل تراودها دون رحمة كيف لها أن تواجه الجميع هكذا .. لقد فعلت ماقالته لها روين وارتدت الثوب وسرحت شعرها الطويل حتى انها وضعت بعض المساحيق طبعاً بمساعدة ليزا التي لم تترك لها مجالاً للاعتراض على شيئ.

كانت تكفيها نظرة الذهول التي اجتاحت والدها حال رؤيتها والتي جعلت معنوياتها تهبط للحضيض وهي متأكدة انها تبدو كالمهرج ولم يفق من ذهوله الا بلكزة قوية من ليزا الى خاصرته جعلته يصرخ من الألم وليزا تعلن ان الوقت للذهاب قد حان..

الأن وهي واقفة امام المنزل المهيب الذي تلألأت فيه انوار المساء تسربت كل الشجاعة الزائفة من ساقيها ومضتا بالارتجاف وهي تواجه اصعب موقف في حياتها كما وصفته... ماذا ان سخروا منها؟

ماذا ستفعل لورآها ثيوس وضحك منها ..

اتسعت عيناها بذعر وهي تكتشف انها ما ارتدت هذا الثوب الا ... من اجله!! وكادت ان تستدير مولية لولا أن أحاط والدها بذراعها وهو يقل هامساً:

-تبدين في قمة الروعة يا صغيرتي.

نظرت اليه والخوف يشق عينيها الا أن النظرة الحنون التي كانت تشع من عينيه جعلتها تهدأ والقلق يخف من عاتقها فأخذت نفساً عميقاً وتجاسرت على القاء مشاعرها المضطربة وراء ظهرها وتقدمت الى مدخل القصر بخطوات شبه واثقة.

قابلهم الخادم الأنيق حيث أخذ منهم معاطفهم الى غرفة اخرى وهو يشير لخادمة صغيرة السن بمرافقتهم الى الصالون الشرقي الا ان صفيرا طويلاً استوقفهم ..التفت الجميع وزفرت ساشا بضيق وهي تراقب مارك نيكس يقترب منهم وعيناه لاتفارقان ساشا والاعجاب يطل منهما وهو يهتف:

-ساشا ماهذا الجمال؟

-احذر يافتى قد اغار منك الان..

قالها والدها ضاحكاً وهو يراقب احمرار خدي ساشا بشدة وشاركته ليزا ضحكه وهي تقول لساشا:

-ألم أقل لك انك ستديرين عقله.

زفرت ساشا بحنق وهي تتسائل لم يظن الجميع ان هناك شيء بينها وبين مارك عقدت حاجبيها بدهشة مستنكرة حين تآبط ذراعها من دون انذار وهو يقول:

-لم لا ندخل.

تاقت ساشا لابعاده عنها الا ان والدها اشار لها بالتوجه معه بسرعة فاسرعت رغماً عنها تلاحق خطواته السريعةوحالما فتح الباب ورأت ما رأته حتى تمنت لو تنشق الأرض لتبتلعها دون ان تراه.

***

كان ثيوس واقفاً متكئاً على رف المدفأة الحجرية يتطلع الى النار التي استعرت بداخلها كما بداخله كان يفكر بها.. ماذا ان لم تأتي لقد قالت روين أنها دعتها وليس هذا فقط بل قالت لهم جميعاً على الغذاء أن ينتظروا مفاجأة ماذا تقصد بالضبط؟.. تنهد وهو يعيد التفكير.. هو لم يتوقف عنه منذ استيقظ صباحاً وقد أرقه ليلاً..

لماذا هذا التفكير المطول بها لماذا؟ هذه المخلوقة الغريبة والتي ظهرت فتنتها له جلية صباح امس على الشاطئ تلك الابتسامة الخلابة التي انارت وجهها وهي تتكلم عن أخيها كل هذا الحب الذي شع من وجهها ..(اااه) تنهد مجددا وهو يزيح عينيه عن اللهب المضطرم ويمنى ان يزيح ذلك اللهب عن وجدانه .. كان لايزال شارداً بأفكره حين شعر بتلك الكف الصغيرة تندس تحت ذراعه..... التفت بسرعة نحو صاحبتها لتطالعه العينين السوداوين بكل فتنتهما وسالي تهمس بغنج:

-اين سرحت كنت ابحث عنك منذ مدة؟

تأمل ثيوس كيف التفت سالي بذلك الثوب الأسود الباهر والذي يحمل بين طياته توقيع اشهر المصممين وتأمل كيف أظهر مفاتنها واضحة

وتملكه الضيق فالدم القبرصي الممزوج بالدم التركي الذي يجري في عروقه يجعله لايقبل ان يراها هكذا ولكنها سالي المدلله التي لن تكون هي ان لم تظهر مفاتنها كلها للجميع .. قال لها بضيق:

-انا لم اتحرك من مكاني منذ بداية السهرة.

-انا وكاثرينا كنا نبحث عنك تركتها لترتاح وجئت اليك.

قال ثيوس وهو ينظر الى حيث جلست صديقته الأمريكية في طرف الغرفة ولوح لها بكفه وهو يبتسم قائلاً لسالي:

-سأذهب لاجالسها قليلاً.

-ثيوس..

اعترضت سالي بحنق وهي تجذبه من ذراعه اليها واقتربت منه اكثر حتى التصق وجهها بعنقه وهي تقول:

-لنذهب الى الشرفة لدي ما أقوله لك.

زفر ثيوس بضيق وقبض على كتفيها العاريتن وهم بإبعادها عنه حين فتح الباب....

غصت ساشا وأحست بالدم الحار يغادر عروقها لينصب بارداً كالثلج من جديدفيها وهي تحدق بثيوس أمامها يقف معانقاً سالي وقد امسكها من كتفيها ضاغطاً عليها وهي تلقي بثقل جسدها عليه الهذه الدرجة علاقتهما متينة ليعانقها هكذا أمام الجميع وتمنت لو أنها

تستدير مغادرة المكان بأسرع ما يمكن وهي ترى كيف ينظر اليها ثيوس بغرابة لم تفهمها .. كانت المساحيق الخفيفة التي تضعها لاتكاد تخفي امتقاع وجهها وذلك السواد الذي انتشر في قلبها .. ورغماً عنها تجاهلت ذراع مارك التي اشتدت على خاصرتها والتفتت بكل قوتها نحو روين التي تقدمت منهما باسمة وهي تقول:

-مرحباً بك لقد تأخرت وظننت أنك لن تأتي..انك تبدين رائعة يا ساشا لقد ناسبك الثوب تماماً (وأضافت بخبث وهي تقول لمارك) لابد أنك السبب بالتأخر يامارك.. هل جئتما معاً(تسائلت بفضول(

-نعم..

-كلا..

التفتت ساشا نحو مارك بغضب فأضاف وهو يشعر بالاضطراب من نظراتها الغاضبة:

-التقينا عند المدخل.

حينها تنبهت ساشا لذراعه حولها فخلصت نفسها بسرعة والتفتت لروين متجاهلة اعتراضه وقالت:

-ألا تنوين تقديم مشروب لي!!

-آآه بالطبع تفضلي .. قالتها بحيرة وهي تلحظ نفور ساشا من مارك واصطحبتها الى طرف بعيد..

أبعد ثيوس سالي عنه بطول ذراعيه وهو يخشى ان تفسر جنون ضربات قلبه المسموعة بشيئ أخر وقدم لها عذراً لم يستسغه هو بنفسه ليندفع كالصاروخ خارجاً من الصالون الأنيق نحو احدى الشرفات الخارجية وابتعد اقصى ما يستطيع حتى أصبحت الأصوات المنبعثة بعيدة وغير مسموعة كان واقفاً تحت قنطرة من الرخام تسلقت عليها النباتات والأزهار

كان ثيوس يدور تحت القنطرة كالليث الحبيس وقد شعر بأن صوابه قد فارقه للأبد حين نظر اليها..

بقي يدور في حلقات دون أن يجلس كان يعرف ان الجلوس لن يفيده قط ذلك الغليان الذي يشعره لن يهدأ قط ماذا دهاه مالذي أطار صوابه .. رؤيتها هي .. أم رؤيتها ملتصقة بنيكس .. أأه صرخ بغيظ وركل أحد المقاعد امامه وهو يلهث من الغضب ويمرر يده على رأسه ويفكر بذعر...

انه يغار عليها..

حين رآها مع مارك ..حين تكلمت عن شقيقها ..كل ذلك الوقت كان يغار!!

تهالكت به ساقاه ليجلس على حاجز القنطرة الرخامي وأغمض عينيه وهو يتذكر كل المشاعر التي اجتاحته منذ دخولها الى حياته وسقوطه كصبي غرير في حبها ..

فتح عينيه بدهشة لسهولة اعترافه انه يحبها..

أحب تلك الفتاة.. هو ثيوس وقع في حب كيس الثلج ذاك .. كيف ومتى ؟ منذ ان رأها في المطار!! أم منذ ان رآها على الشاطئ !! كيف لا يعرف متى أحبها؟؟ كيف لايدرك ذلك الحب إلا الان.. كيف؟؟ كل مشاعر الغيرة التي كانت تؤرقه كلها دليل حبه لها..

اسند رأسه على العمود الرخامي وأغلق عينيه وهو يعود بذاكرته الى منظرها حين دخلت الى الصالون الليلة وهو يزيح منظر مارك من رأسه بصعوبة تذكر كل التفاصيل الصغيرة رغم نظرته القصيرة لها وتناسى غليان قلبه وهو يلاحظ ذلك الثوب الذي انساب عليها بنعومة ولونه الذهبي يبرز لونها الأسمر الذهبي وشعرها الذي أسدلته الى جانب وجهها .. كانت تبدو جميلة للغاية أراد الاقتراب منها والنظر في عنيها الزرقاوين ليملي عينيه منهما.. وتنهد يائساً وهو يفكر (ساشا لماذا انت ؟؟.(

***

تلفتت ساشا حولها وهي تهرب من نظرات مارك المحدقة بها وعينا فرانكو المعجبتين.. كانت تجلس الى جوار روين التي قالت حينها مشيرة الى امراءة طويلة القامة اقتربت لتنضم اليهما:

-كاثرين اجلسي

تأملت ساشا المرأة الأمريكية الثرية والتي تملك عائلتها جزيرة براكلي وانتابتها الدهشة للبساطة التي تبدو عليها .. كاثرين براكللي امرأة في أواخر العشرينات تألقت بشعرها الكستنائي القصير وعينيها اللوزيتين بلون الخشب وبشرتها السمراء وأكثر ما أظهر تألقها وسعادتها كان بطنها المنتفخ الذي يشير لحمل شارف على الانتهاء .. قالت لها:

-لابد أنك ساشا ابنة الطبيب جيمس.. مرحباً بك.

شعرت ساشا بالارتياح فوراً لهذه المرأة وابتسمت لها:

-سعدت بلقائك.

-اين ستيفان؟

تسائلت روين فأجابت كاثرين:

-يبحث عن ثيوس المختيئ لم أره الا مرة واحدة منذ وصلت ممن يهرب ذلك العنيد.

اصاب ذكر ثيوس ساشا بقلق وضيق لم تفهم سببه وهي تتذكر وقفته الحميمة مع سالي وهي ايضاً مختفية ربما كانا معاً فهما كما يبدو لا يطيقان البعد عن بعضهما..شعرت بالألم يغزوها لتلك الفكرة وانتزعتها من عقله وهي تعود لتستمع لكاثرين اللتي كانت تقول:

-يريد ان يتفق معه على خطة اللعب.

وغرقت بالضحك مع روين فتسائلت ساشا:

-أي لعب؟؟

تمالكت كاثرين نفسها وقالت:

لقد اتفق الإثنين على تكوين فريق كرة قدم كل واحد يساهم بالنصف..

-كرة قدم !! من أين..

قاطعتها كاثرين ضاحكة وهي تقول:

-اتفقا معاً على ان ينجب كل منهما ستة أولاد ليساهما بالنصف في لاعبي الفريق..

امتقع وجه ساشا وهتفت ذاهلة:

مااااذا!!

انفجرت كاثرين وروين بالضحك والأخيرة تقول:

-حمداً لله لقد انجبت طفلتين وما ان علما انهما بنتين حتى طرد جوليان من الاتفاق..

-بقي الأمل بثيوس واستبفان..

-ستة .. انهما مجنونان(قالتها باستنكار)

-لا أظن سالي ستوافق .. يكفيها واحد او اثنين .. فقط

امتقع وجه ساشا ورددت:

-سالي!!!

-نعم .. هي وثيوس لن يتفقا على الأولاد قط..

قالته كاثرين دون أن تدرك ان قلب ساشا كاد ان يتوقف ورغماً عنها نهضت متثاقلة وقالت:

-اعذراني سأخرج لأتنشق بعض الهواء..

تجاهلت نظراتهن الفضولية وهي تشق طريقها نحو الشرفة الى الحديق السابحة تحت سيل من الأنوار الناعمة المنتشرة هنا وهناك وسارت بدون هدى بخطوات سريعة متجاهلة تلك القشعريرة التي انتابتها من جراء النسمات الباردة التي داعبت ذراعيها العاريتين كانت تريد فقط الابتعاد عن ذكر ثيوس وعن كل أثر له كل شيئ يذكرها به حتى وهو بعيد عنها..

ارادت دقائق من السكون وصلت لطرف قصي لا ينيره الا ضوء القمر الشحيح وتأملت القنطرة الرخامية التي انعكس عليها ضوءه الناعم وتصاعدت انفاسها رغماً عنها وكاد رأسها ينفجر من الألم وهي تطيل التفكير تحاول اخراج صورته من رأسها وحديثهم عنه وسالي يمزقها ولا تعرف السبب أوأنها تعرف..

كان الرخام بارداً والنسمات أشد برودة فشدت ذراعيها اليها بقوة ولم تشعر بتلك الدمعة الغادرة التي تسللت من عينيها الى وجنتها ببطئ فنفضتها عنها بهزة من رأسها وهي تسعى لنفض مشاعرها عنها

ايضاً دون جدوى وسمعت ذلك الصوت الذي جعلها تنتفض وهي تلتفت الى مصدره .. صوت خافت أشبه بتنهيدة صغيرة..

التفتت لتجده هناك خلف أحد الأعمدة واقفاً في الظلام كشبح متشح بالسواد ولكنها عرفته عرفت من ذلك النمر الأسود الذي يقف أمامها بكل جبروته مستعد للإنقضاض على فريسة لاحول لها ولاقوة ... رأته يقترب منها ببطىء وعيناه السوداوان تأسران عينيها بنظرة طويلة متحكمة غير رحيمة ابداً.. امتزجت فيها مشاعر عديدة لم تفهمها واقترب أكثر وحالما وقف أمامها كانت تحبس انفاسها بترقب وهو يقول بصوت خشن:

-يجب أن نتكلم.

****

الفصل السادس

عبـــق بحـــر

كانت الأمسية حالمة الحديقة الغارقة بضوء القمر الفضي تسبح في تموجات من السحر العابق بين أوراق الشجر التي تبللت بندى المساء الخفيف وتناثرت نسائمه تعبث بتلك وتداعب الأخرى ... وعلت سيمفونية المساء من حشرات الليل التي اتخذت لها الطبيعة الصامتة ستراً واختبئت تبحث عن شريك ينسج معها نشيداً لا يفهمه الا هما .. ووسط كل ذلك الصخب الساكن اتخذ ثيوس من حجر قرميدي صغير مجلسه مسنداً ظهره لعمود رخامي تحت القنطرة الموغلة في القدم وهو يسترجع مشهد دخول ساشا الى الصالون برأسه مراراً وتكراراً .. تأوه بأسى وهو يتذكر جمالها الخلاب وهي تتآبط ذراع مارك وكادت الذكرى تطيح بصوابه والغيرة تنفذ من قلبه مع كل قطرة دم وتثير فيه كل هذا الألم .. وكره نفسه وتمتم بغيظ :

-أيها الأحمق .. كيف لك أن تقع من أجل امراءة مثلها .. امرأة لا مثيل لبرودتها وجفاءها.

هز رأسه منكراً ماقالته شفتاه وهو يتذكر كم الألق في عينيها وهي تتحدث عن أخيها وذلك الحب الذي ارتسم على وجهها وهي تلاعب الصغير .. وأيقن في داخله ان البرود الذي تتلفح به ليس إلا رداء تحمي به نفسها من شيء لا يعرفه .. تنهد بتعب وهو يتمتم:

-ماهذه الدوامة التي ألقيت بنفسك فيها ثيوس ؟ لقد حفرت لنفسك حفرة أعمق من أن تستطيع تسلقها لوحدك.

كانت المشاعر تتحكم فيه بكل قوة وتؤثر بكل مافي داخله من منطق ورجاحة عقل الثورة داخله منعته من التفكير السليم كان مشوشاً وقد ألجمت الأحاسيس الخائنة تفكيره فكان كمن يسبح في دوامة يدور ويدور بدوائر مغلقة لا ينفك يعود لذات النقطة من جديد ... انه يحبها .. كيف ومتى .. لا يهم!! الشيئ المهم الأن هو.. ماذا يفعل بهذا الحب.. أيكذب على نفسه ويتجاهل المشاعر الصاخبة التي تؤثر فيه كلما رآها .. أم يجهز عدته لمحاربة الجميع من أجل ذلك الحب ..

وأول من سيقف بوجهه هي ساشا نفسها ! شعر بذلك يقيناً.

أغمض عينيه وهو يحاول حزم أمره .. حين سمع تلك الخطوات الرقيقة على الأرض الحجرية للقنطرة.. وانتفض وهو يتأملها واقفة وكأنها انبثقت من داخل أفكاره لتقف أمامه معذبة كل عصب في جسده نافضة كل شريان فيه رافعة ضربات قلبه الى حدود لم يصلها من قبل حتى أصابته بالألم .. ابتلع ريقه بصعوبة وهو يراها تشد ذراعيها حولها بقوة وكأنها تستمد منهما الشجاعة .. كان يقف خلف أحد الأعمدة فصعب عليها ان تراه في حين وقف هو متأملاً اياها مطولاً .. كانت تدور حول نفسها وكانها تفكر في شيئ شق عليها فهمه أو تفسيره..

كانت الأمسية باردة وحتى هو وقد ارتدى سترة الكتان تلك كان يشعر بالبرد فماذا عنها ألاتشعر به وهي بذلك الثوب الرقيق القماش والعاري الكتفين.. أم أن ماتفكر به يبعث الدفئ فيها .. وتملكه الغيظ وهو يفكر انها لابد جائت الى هنا للقاء مارك .. وكاد أن يندفع مغادراً المكان حين رآها تنفض رأسها وتمد يدها بعصبية لتمسح ما شعر انها دموع تساقطت عنها دون ارادة منها.. وغار قلبه وهو يفكر لم عساها تبكي وغادرته تنهيدة خافتة وهو يقف في مكانه قبل أن يستطيع كبحها..

كانت ساشا تدور حول نفسها وقد تآبطت ذراعيها تحاول كبح دموعها .. لا هي لن تبكي لم عليها البكاء هي أقوى من ذلك أقوى بكثير .. ولكن تلك الغشاوة الرقيقة التي غطت عينيها أخبرتها أن الدمع خانها و يهدد بالإنهمار .. ماذا حدث لها؟؟ لقد حان الوقت لتكون صادقة مع نفسها .. لمَ فعلت كل ذلك؟ لم ارتدت الثوب وسرحت شعرها ..؟ لم أتت لدعوة العشاء من الأساس ..؟ كم كانت الاجابة التي راودتها مخيفة شعرت بقلبها ينقبض في صدرها وهي تعرف وتوقن ان هذا الجواب سيريها اياماً عصيبة لن تتحمل ألمها .. لن تتحمل البقاء هنا معه في مكان واحد وكل تلك المشاعر تجتاحها حين يكونان معاً .. ثم هناك سالي..

سالي الفاتنة التي ترمي بكل ثقلها عليه.. (آه) تنهدت بخفوت وهي تتسائل (لم تهتمين بتلك المرأة .. ماذا تفعلين بنفسك ساشا ؟) ورغماً

عنها غافلتها دمعتها وسقطت عنها فمدت يدها وهي تنفض رأسها من كل الأفكار التي تملئه حين سمعته..

عرف انها سمعته قبل ان تلتفت نحوه حتى .. نظرت اليه وقد اتسعت عيناها بدهشة ورأته واقفاً كما النمر الأسود في الظل عرفته .. من وقفته المتعجرفة,, من هالة القوة والسطوة التي تنبعث منه ...,, عرفته وكفى . كيف لها أن تنسى أمره و كل مرة تفكر به تراه أمامها ..

تقدم منها و قال لها:

-يجب أن نتكلم.

قالها ثيوس متجاهلاً ضربات قلبه المتلاحقة وهي تحدق به وأضاف وقد سكتت:

-لماذا أنت صامتة.

اخذت ساشا نفساً عميقاً وقالت متمهلة:

-أنت من يريد التحدث ..

قال بعصبية:

-ماذا تفعلين هنا؟

-اتنشق بعض الهواء.. (قالتها بصوت أصبغت عليه ثلج تعلمت ابتكاره عبر السنوات وأضافت تسأله بسخرية:

-ماذا عنك؟

اسقط في يده قبل ان يقول متلعثماً:

-الهواء بالداخل مكتوم واردت بعض الهدوء..(وسأل بخشونة) وحدك؟!!

رفعت عينيها اليه ورمقته بقلق وقالت:

-كما ترى..

-بانتظار شخصاً ما؟

عقدت ساشا حاجبيها وانتابها الشك لأسئلته المتلاحقة وقالت بنفاذ صبر:

-من تعتقد برأيك؟

رمقها بنظرة طويلة قبل ان يقول ببطئ تعمده:

-مارك.. ربما.

قلبت ساشا عينيها وهي تفكر مابال الجميع يربطها بمارك .. حتى هو:

-ربما.

قالتها متحدية واستدارت تبتعد .. الا انه جذبها من ذراعها وهو يقول غاضباً:

-الى أين تذهبين الأن؟

-سأعود الى القصر.. (قالتها مرتجفة وقد هزتها لمسة يده عليها(

نظر اليها ثيوس كم تبدو رقيقة وهشة بين يديه شعر بارتجافتها وقال:

-انت ترتجفين.. (رأته ينزع سترته الكتانية السوداء واتسعت عيناها حين أحاط كتفيها بها وهو يقول بحنق) يحدث هذا حين تتجولين دون سترة ..

كان يمسك سترته من ياقتها في حين تشبثت هي بأطرافها الناعمة .. كان ينظر الى عينيها المتسعتين وهي تتشبث بسترته التي احتوتها ورغماً عنه وجد نفسه يغرق في اللجتين الزرقاوتين أمامه .. كان قريباً منها الى الحد الذي استطاع فيه ان يرى ارتجافة شفتيها وهي تحاول بكل قوتها ألا تنظر اليه..

ماذا يفعل .. كانت بين يديه حركة واحدة وتصبح بين ذراعيه ..

كان يقبض على ياقة السترة بكل قوة فقربها منه أكثر ولوهلة استطاعت رؤية العرق النابض بجنون في عنقه .. رفعت عينيها اليه وتشابكت عيناهما بنظرة طويلة لم تستطع تحرير نفسها منها قط..

تاهت في عينيه في ذلك الطلب الملح القافز منهما .. (ماذا تفعلين ياساشا ؟؟ (

ولوهلة تملكها الذعر .. ماذا تفعل هنا !! معه..؟ بالكاد تبعد عنه.. ماذا يريد منها ؟!!

والأدهى ماذا تريد هي منه ؟؟

جسدها كان يرتجف .. استطاع الشعور بهذا واضحاً وقد مكنه قربه منها ان يشعر بكل حركة تقوم بها .. ماذا ينتظر؟

كيف يستطيع مقاومة الدافع لضمها اليه؟ .. والشعور برقتها بين ذراعيه.. مالذي يخيفه؟؟

اهو رد فعلها .. ام هو ذلك الرعب الذي يشع من عينيها وهي تحدق به ...

خطوة واحدة و يتذوق طعم الحب الذي يأسره للمرة الأولى..

كم رغبت برمي كل المخاوف التي استحكمت بها خلف ظهرها .. كم رغبت بالإندساس بين ذراعيه ونسيان كل شيء .. رغبت بتلك القوة التي تشع منه رغبت بالدفء والأمان .. رغبت بكل ما يبثه من لهفة اليها والتي كانت واضحة في عينيه.. رغبت به!!..

رأى الذعر في عينيها يخف .. رآها تغوص في أفكار تخصها وحدها في عالم اراد أن يكون فيه لها شريكاً .. قربها منه أكثر حتى التصق قماش الثوب الناعم بقميصه .. كانت متصلبة كالخشب في يديه وذراعيها معقودتين أمامها حتى لامستا صدره الرحب ..

كانت مجنونة ذهنها يعصف بها محذراً مغبة الاستمرار بهكذا وضع .. كان يقربها منه أكثر حتى شعرت بصلابة صدره تحت كفيها .. كم هو دافئ.. فكرت بخدر.. ولم تمانع حين أحاطت ذراعه بخصرها ورأسه يقترب منها عرفت ما يريد واعترفت انها تريده أكثر ..

ضمها اليه أكثر وذراعه تجذبها نحوه وخفض رأسه اليها .. وهو يرفع اليه خصلات شاردة من شعرها الطويل ورأته يشتمها ببطء قبل أن يقول:

-لاتزال رائحة البحر عالقة به..

كانت شاردة بكل تلك المشاعر التي غمرتها حين سمعت ماقاله .. صونه الخشن أخرجها من تلك الدوامة .. وكأنه أخذها ليرميها في عمق البحر البارد كالثلج ..

قربه منها ساعده ليعرف ان هناك شيئ ما قد حدث.. عيناها التان عكستا لهفة اليه اغتمتا بلون ثلجي لم يعرف من اين أتى ..

حتى الجسد الذائب بين ذراعيه تصلب ..

نظر اليها باستغراب وقال:

-ساشا ..

انتفضت ساشا بقوة جاذبة نفسها من بين ذراعيه وهي ترفع اليه عينين ملؤهما الاستنكار .. وقالت ذاهلة:

-ماذا نفعل؟؟

ثم تخلصت من سترته وكأنما تلفحت بأفعى.. وراقبتها تسقط على الأرض وهي تتجاهل وقوفه الذاهل أمامها وقالت مرتبكة وهي تتراجع دون ان تنظر اليه:

-يجب ان أرحل ..

تراجعت أكثر قبل أن يفيق هو من ذهوله ليصرخ بها:

-ساشا؟؟

قالها واندفع نحوها الا أنها صرخت مخنوقة وقد رفعت ذراعيها تبعده عنها:

-لا تقترب مني ..

واسرعت تبتعد..

وقف ثيوس يراقبها تبتعد حتى ابتلعها الظلام وظل واقفاً مكانه حتى بعد ان اختفت عن ناظريه كانت الحيرة تغرس فيه جذورها بلا رحمة وهو يتسائل عمّا فعل لتهرب منه هكذا ؟؟ كانت تذوب بين ذراعيه وفي لحظة واحدة تماسكت بكل تلك القوة واندفعت بعيدة عنه .. لمَ..

سقطت ذراعاه الى جانبيه في احباط وعقله يدرك مجدداً ان الأمور مع تلك المرأة لن تكون ابداً سهلة بالنسبة اليه .. ابداً.

***

كانت الصالة كما تركتها.. الأحاديث الجانبية تتعالى في كل مكان المرح والضحكات الصاخبة تسمع هنا وهناك.. كانت لاتزال ترتجف .. قلبها ينتفض بين جوانبها كطير محبوس في قفص ضاق عليه ولا يرغب سوى بالفرار.. أخذت نفساً عميقاً ورفعت رأسها واندفعت نحو الصخب ..

تأملها مارك ورأت عيناه تتابعانها في كل مكان حاولت التجاوز عنه و الابتعاد قدر الامكان.. حين رأتهما.. كان ثيوس واقفاً وقد أحاط خصر سالي بذراعة وهي تميل اليه تسمع همساً ليس لسواها ..

ادارت عنه وجهها وقد ادركت كمن تنزل عليه صفعة مدوية انها قبل دقائق كانت بين ذراعيه مثلها تماماً أحست بذلك الألم ينبش فيها مخالبه اكثر وأكثر ..

عيناها كانتا ترفرفان بحثاً عن ملجأ من عينيه حين رأت مارك مجدداً .. وهذه المرة حملت نفسها واقتربت منه.. ارادت الهرب ولم تجد سواه.. ابتسمت له وقالت ببساطة متجاهلة الدهشة في عينيه:

-مارك .. كنت ابحث عنك ..

عقدت الدهشة لسانه وهي تضيف بسرعة:

-أخبرني والدي عن المشروع الذي تقومون به .. أخبرني عنه؟

كانت تثرثر بسرعة بطريقة تبرر تلاحق انفاسها وكلماتها المضطربة تفضح توترها وهي تنظر اليه بعينين لا تستقران تتواثب فوق صفحة

وجهه ولكن مارك الغارق في جمال وجهها ابتسم بسذاجة وغرق معها في حديث متصل دون ان يشعر ان المرأة التي أمامه أبعد من أن تكون معه..

حين دخل ثيوس الى الصالة المشعة كان يغلي..

اراد الذهاب بعيداً اراد امتطاء جواده ومسابقة الريح بحثاً عن الهدوء بعيداً عن الاضطراب الذي يعصف بعقله.. اراد الاستلقاء في مكان مظلم يغرق عقله اللاهب في البحر البارد .. علّ ذلك يخفف من اندفاع الدم الحار اليه بكل تلك القوة..

الا أن واجبه نحو ضيوفه وقف أمامه واضطر مرغماً على العودة الى كل ذلك الصخب..

حالما دخل وجد سالي أمامه , كانت تنظر اليه بغضب وقد استشف من شفتها المرتجفة انها تكاد تبكي.. اقتربت منه قائلة بخفوت:

-اين كنت؟

اخذ نفساً وقال بصوت اراده هادئاً:

-اتنشق بعض الهواء..

-تركتني وحدي !!

-أسف.

قالها ببرود لم يتعمده فاقتربت منه وقالت بأسى:

-هل أغضبتك؟

رفع اليها عينين متسائلتين فأضافت:

-أعني الثوب .. ألم يعجبك؟!

رفع يده ليضغط على عينيه بقوة آلمته وهو يطرد صورة ساشا وهي بين ذراعيه من رأسه بصعوبة وتجاهل اقتراب سالي منه وهي تقول بدلال:

-لا تغضب مني .. ارجوك ثيوس.

فتح عينيه لتطالعه عينيها الكحيلتين وقد التمعتا ببريق العشق .. كان يعرف انها مغرمة به .. وحتى اسابيع قليلة كان يفكر جدياً بالزواج منها .. والأن ..

-لدي ما أقوله لك ياحبيبي.

اراد الابتعاد عن الضجيج حوله وبألفة اعتادها أحاط خصرها بذراعه وقال ساحباً اياها نحو الشرفة المشرعة:

-لنبتعد اذاً..

رأى الفرحة تشع من العينين السوداوين فابتسم لها ولم يرى كيف كان القلب الآخر يغلي في طرف الغرفة..

***

فتحت ساشا عينيها لتطالعها الشمس التي استفحلت داخل الغرفة البيضاء وعرفت ان الظهيرة قد انتصفت .. ادركت انها استغرقت في النوم بعد الليلة الليلاء تلك.. لم تنم الا بعد ان شارفت انوار الفجر على البزوغ .. تنهدت وهي تدعك جبينها بكفها بقوة نهضت عن سريرها طاردة كل أفكارها عن ليلة أمس بصعوبة وهي تتجاهل كل مادار على طاولة العشاء.. حيث انبرت سالي بثيوس وانبرى بها مارك .. كانت افكارها تطوف في كل شيئ الا شيء واحد وهو رفيقها في السهرة.

-صباح الخير..

قالتها لليزا بتجهم لم تستطع السيطرة عليه.. ولكن لم يظهر على الأخيرة الإستياء بل على العكس فكانت ابتسامتها جلية وهي تحييها قائلة بجذل:

-صبـــاح الخير.. هل نمت جيداً؟؟

هزت ساشا رأسها بلا معنى وكادت تصرخ حين هاجمها صداع أليم وليزا تقول وهي تناولها كأساً من عصير البرتقال:

-لقد كانت حفلة مميزة .. (وأضافت بخبث) مارك كان رائعاً أليس كذلك؟

تجاهلت ساشا السؤال ومدت يدها تتناول خبزاً طازجاً وهي صامتة قضمت منه قضمة وشربت بعض العصير حين سألت ليزا بحشرية:

-هل قال أين سيأخذك؟

رفعت ساشا رأسها اليها وظهر الغباء في عينيها وهي تقول:

-من سيأخذ من؟؟

ورشفت رشفة أخرى من العصير وليزا تقول:

-مارك سيأخذك الليلة للعشاء.. يالهي ..

صاحتها بقلق حين غصت ساشا بالعصير المثلج ودخلت في موجة قوية من السعال المتواصل وقد دمعت عيناها وجحظتا .. رمت الكأس الزجاجي من يدها وليزا تربت على ظهرها بقوة وتقول:

-خذي نفساً عميقاً..

فعلت ماقالته الا أن السعال استمر ونهضت من على الكرسي وهي تشير لليزا ان تبتعد ..

وقفت ليزا تتأملها بقلق والسعال يخف وقد سالت الدموع من عينيها وهي تأخذ انفاساً عميقة هادئة قدر الإمكان وما إن هدأت حتى قالت ليزا:

-انت الأن أفضل؟

هزت رأسها موافقة ثم رفعت اليها عينين متسائلتين وسألت:

-مالذي قلته عن دعوة العشاء؟

-ياالهي ساشا هل كنت نائمة؟!!.. لقد دعاكي مارك للعشاء الليلة وقد وافقتِ.

اتسعت عينا ساشا وهي تعصر دماغها محاولة التذكر.. ليلة أمس شربت قليلاً ولكنها لا تتذكر انها وافقت على الخروج معه.. يالهي لقد جنت!!

وقفت أمام النافذة المطلة على الحديقة الخضراء وعادت لها ذكرى كلمات وافقت عليها بهمهمة غير مفهومة وهي تتأمل كيف انسجم ثيوس بحديث حميم مع سالي بعد العشاء بعيداً عن الجميع .. اتراها وافقت في ذلك الوقت!!

رباااااه.. (صاحت بحنق.. هي لاتريد التورط بالكاد تحافظ على مسافة من ثيوس حتى يدخل مارك بالخط . ماذا دهاها هل جنت أخيراً..

ماذا تفعل هل تتصل به لإلغاء السهرة أم ماذا؟

-كان مارك غاية في السعادة .. سيكون رفيقاً جيداً.

قالتها ليزا ففكرت ساشا ربما تكون على حق ربما هذا ما تحتاجه الأن .. مارك قد يبعد تفكيرها المحموم عن ثيوس ولو لبضع ساعات ..

فكرت قليلاً واتخذت قرارها بالذهاب فالتفتت الى ليزا وقالت ساخرة:

-هل سمعت بالصدفة في لأي وقت سيمر لاصطحابي؟؟

***

سمع ثيوس تلك الطرقات الخافتة على الباب فدعا صاحبها للدخول بهدوء واستدار ليلقي نظرة على جوليان الذي دخل الى غرفة أخيه وقال وهو يراه يرتدي ثيابه اسعداداً للخروج:

-ألديك وقت للكلام؟

ارتدى ثيوس قميصه وجلس يربط حذائه وهو يقول:

-تحدث كم تشاء.. كلي أذان صاغية.

-اين تذهب في هذا الوقت ظننتك ستنام مباشرة بعد تعب اليوم؟

تذكر ثيوس المشاكل غير المتوقعة التي واجهتهم اليوم في العمل الا أن رغبته في الخروج ليس لها دعوة بالعمل وانما الابتعاد ولو لوقت بسيط عن سوفيرا .. فقال:

-سنخرج انا وسالي برفقة كاثرين واستيفان.. أهذا ما تريد التحدث عنه؟

-سالي؟... وهل تتذكرها؟

اسقط ثيوس حذائه ورفع عينين متشككتين الى شقيقه الذي جلس على طرف سريره ينظر اليه بحيرة وقال:

- مالذي تعنيه؟

استند جوليان على مرفقيه وقال بحدة:

-لقد رأيتك البارحة ياأخي ..

عقد ثيوس حاجبيه وشقيقه يكمل:

-رأيتك تعانق تلك الفتاة ابنة الطبيب.

ابتلع ثيوس ريقه ولعن جوليان في داخله لإثارة ذكرى جاهد اليوم بطوله لطردها من رأسه وحين ظنّ انه افلح عادت لتنقض عليه كما الصاعقة والأدهى انه لايزال يستطيع الإحساس بارتجافتها..

-ثيوس..

رفع عينيه الى أخيه وزفر بضيق وهو يقول:

-دعك من هذا الأمر جوليان.

-كيف .. وانا أراك تنساق خلف امرأة مثلها.

نهض ثيوس بغضب وقال بحدة:

-قلت لك أن تدع الموضوع .. ألا تفهم.

نهض جوليان مواجهاً اخاه وقال بتحدي:

-انظر في عيني وقل أن الأمر لا يتعدى مغازلة عابرة.

اشتعلت عينا ثيوس وقال محدقاً في عينيه:

-وهل تعرف عني أني هكذا ..

-مطلقاً .. ولذا اريد أن أعرف .. لا أريدك أن تتورط معها.

لم يجب ثيوس بل أشاح بوجهه عن أخيه وارتمى على المقعد مجدداً وجوليان يضيف:

-ماذا يدور بخلدك ياأخي؟

نظر اليه ثيوس بعينين متجهمتين وقال ببطء بصوت يجيش بكل مشاعره:

-أنا أحبها.

فغر جوليان فاهه بذهول .. كان يتوقع اي شيئ إلا هذا .. هذا الاعتراف المباشر ..وثيوس يضيف:

-أحبها وكأنني مراهق وقع في الحب للمرة الأولى في حياته.

جلس جوليان الى جواره وعيناه تعكسان قلقه وهو يسأل:

-وهي؟

شخر ثيوس بسخرية وقال:

-بالكاد تطيق النظر إلي.

-لم تبدو لي هكذا مساء الأمس ..

-لا أعرف.. بدت لي أيضاً مهتمة بي وبعد هذا تركتني وكأني لقية ثم عادت الى مارك ..

-ألا تبدو لك لك لعوب.. ربما تحب اهتمام الرجال بها...

هز ثيوس رأسه وقال:

-لاأظن .. هناك شيئ تخفيه يبقيني بعيداً عنها شيئ تتحامى به وتدفع به عنها كل احساس يقربني منها..

ربت جوليان على كتفه وقال:

-ربما روين تستطيع مساعدتنا..

-روين!!

-انهما صديقتان وتخرجان معاً باستمرار..

فكر ثيوس ثم قال:

-لاأظنها فكرة سديدة ليس الأن على كل حال..

-وماذا عن سالي؟

اسقط في يده وتنهد طويلاً قبل أن يقول بتعب:

-لاأعرف ما أفعل معها لا أريد إيذائها ولكن..

-ثيوس كلنا نعرف لم اردت الأرتباط بسالي .. واجبك نحو عائلتك لا يجب أن يقف أمام مشاعرك.. انه قرارك ياأخي وعليك اتخاذه قبل أي شيئ..

تنهد ثيوس مجدداً وفكر انه لم يقع في الحب قط منقبل لم عليه أن يساوم هذا الحب .. لم عليه أن يقوض تلك المشاعر .. وعرف ان

سالي ليست الوحيدة التي سيحطمها وقوعه في غرام ساشا وان الأمور قط لن تكون سهلة..

***

تلفتت ساشا حولها في المطعم الأنيق الذي اصطحبها اليه مارك على جزيرة براكللي وابتسمت وهي تراقب الجمع الكبير المحتفل بافتتاح المطعم الجديد بكل صخب.. والتفتت لمارك وقالت ساخرة:

-حقاً القبارصة يجيدون الاحتفال.

قال مارك ضاحكاً:

-انهم يعيشون اليوم بيومه , يومهم يحتوي العديد من الأحداث ما بين العمل الجاد والمرهق للمشاكل والاضطرابات السياسية وبعد كل ذلك ترينهم في الشوارع المكتظة يحتفلون بكل مناسباتهم بصخب .. ان الحياة في قبرص لها طعم آخر.

-منذ متى تعيش هنا؟

-منذ ثلاث سنوات.. لقد كنت قبلاً في تركيا أما الأن فلا أود مغادرة قبرص.. بعد سوفيرا سأستقر في نيقوسيا..

تأملته ساشا كان شاباً لطيفاً.. المرح يشع من عينيه وقد أفرط في اطراءها منذ التقيا .. كانت لاتنوي التأنق ابداً ولكن ليزا لم تتركها وأعارتها ثوباً لازوردياً طويل يلتف حول كعبيها برقة ..أظهر تفصيله

الأنيق رشاقة قدها تزينت كتفاه بشرائط حريرية بيضاء عنقه واسع وياقته مرتفعة.. وارتدت سلسال ذهبي ورفعت شعرها فوق عنقها..

تأملها مارك مطولاً قبل أن يقول بخجل انها فاتنة ويصطحبها الى المرفأ حيث أقلهم الزورق الى براكللي..

-هل تنوين العودة الى لندن قريباً؟!

قالت متهكمة:

-هل سئمت مني؟

ضحك وقال:

-بالكاد.

نظرت اليه ساشا وشعرت بقلبها ينتفض .. ماذا تفعل هنا معه ؟؟ اتريد ان تصلح من امورها وتراجع مشاعرها المتخبطة ام تريد توريط نفسها أكثر !!

تنهدت واغتم وجهها وهي تنكر افعالها الغريبة مع نفسها .. حتى مارك تنبه لها فقال بخفوت:

-يبدو انني أخطأت.

انتفضت متسائلة:

-ماذا تعني؟

-انت .. تبدين مختلفة عما ظننت في البداية.. البارحة كنت .. حسناً..(كان مرتبكاً حتى قطرات العرق تألقت على جبينه رغم تكييف الهواء)

-كنت ماذا تكلم؟

-كنت أكثر انفتاحاً ..(قالها بسرعة وكأنه يخشى ألاتطاوعه لسانه على قولها.. ونظر اليها بانتظار ردها وهو بإصرار)

أخذت ساشا نفساً عميقاً واكتسى وجهها بالبرود وهي تقول بجفاء:

-لقد أكثرت من الشراب ليلة أمس..

-أ يجب أن أجعلك تشربين لتبتسمي لي !

)قالها بتهكم مهين جعل الدم يغلي في عروقها وكادت تلتقط الكأس المليئ امامه لترميه في وجهه إلا أنها تسمرت وهو يقول بارتباك:

-ياالهي أعتذر لم أقصد..انا اسف.

ولكن ساشا لم تكن تنظر اليه بل هي نسيت العالم كله من حولها .. المطعم المزدحم .. مارك الذي يتصرف بأسوأ طريقة ممكنة .. نسيت حتى غضبها منه .. نسيت نفسها وهي تنظر الى طرف المطعم القصي..

كانت ضائعة في تلك الضحكة التي غطت ملامح وجهه وهو يجلس مسترخياً ينظر الى رفيقته بكل ذلك الانسجام وهي تحكي له ماجعله يفقد تماسكه ويضحك حتى علا صوته ..

اتسعت عيناها بألم وهي تقارن ضحكاته معها وتجهمه معها هي.. وكادت تندفع مغادرة المكان بكل قوة .. حين رأته يلتفت اليها .. لم تتبين ملامح وجهه ولكنها تستطيع تمييز التجهم حين تراه ولو عن بعد.. فأخذت نفساً عميقاً وقررت رغم ذهولها من نفسها قبل أي شيئ أن تلعب لعبته.. فالتفتت لمارك الذي سقط فكه السفلي من فرط ذهوله وهي تلقي له بأحلى ابتساماتها وتقول بنعومة:

-اذن أين ذلك الشراب الذي كنت تتحدث عنه؟

التفت اصابع ثيوس حول عنق الكأس الكريستالي الأنيق بقوة كاد معها أن يتحطم.. وأطبق فكيه بقوة وعيناه ترشقان تلك الطاولة المنعزلة بنظرات لوكانت حية لالتهمتهما معاً.. كان يجلس مرتاح البال مع رفاقه ويضحك من قلبه على المواقف التي لا تكف عن الحدوث لسالي حين ادار رأسه فجأة ليراها.. تجلس مع مارك وتبتسم له..

والأن يبدوان غاية في الانسجام معاً.. حاول اشاحة وجهه عنهما الا أنه لم يستطع اراد ان يحفر صورتها في عقله جالسة هناك تغازل سواه..

ياالهي ماذا دهاه.. فليتماسك قليلاً .. لم هذه الرغبة في الإنقضاض عليهما واخذها من امام ذلك الرجل وابعادها عنه تماماً كان يفكر- ان حبسها في علية القصر- تبدو فكرة سديدة ..

عيناه كانت تطلقان الشرار حين شعر بكاثرين براكللي تقترب منه لتهمس في اذنه بخفوت:

-اهدأ.. ماذنب الكأس المسكينة ..

نظر اليها بتوتر:

-كاثي!

ضغطت على ذراعه بخفة وقالت:

-ليس الأن سنتحدث فيما بعد.

-مابالكما أنتما الاثنان؟

قالتها سالي بفضول فضحكت كاثرين وقالت مشيرة برأسها لطاولة ساشا ومارك:

-أليس هذا مارك نيكس؟

ارتفعت الأعناق الى حيث أشارت وقالت سالي بضيق:

-اه ترافقه تللك الانجليزية.. (واكملت بحدة) لاأطيقها ارجوكِ لاتدعيهما الى هنا ..

زفر ثيوس بتوتر وكاثرين تقول:

-على الأقل سنلقي التحية.. (ونهضت من طاولتها متوجهه للطاولة الأخرى(

تأملت ساشا كاثرين القادمة نحوهما بتوجس والأولى تبتسم برقة وحالما وصلت حياها مارك بحرارة وقال:

-لم أعرف انكم هنا..

-ولكن ساشا لاحظتنا!!.

أجابت بخبث وهي تنظر اليها في حين قال مارك:

-سأسلم على الباقيين.. وتوجه اليهم في حين نظرت كاثرين لساشا وتأملتها مطولاً فلم يكن من ساشا الا أن ترفع رأسها اليها وتبادلها نظرة التقييم الحذرة .. ورأت العينين البندقيتان تبتسمان كاثرين تقول:

-ألن تنضمي الينا؟؟

اسقط في يدها فنهضت متثاقلة واقتربت من منهم..

حاولت تجنب العينين السوداوين واكتفت بتحية شفوية للجميع حتى تتجنب لمسة يده وتتجنب الذكريات وسرعان ما نهض ثيوس عن كرسيه وهو يشير اليها قائلاً بخشونة لم يتعمدها:

-اجلسي ..

-لاداعي.. (رفضت بحزم وهي تضيف) سنعود لطاولتنا على اية حال..

-ألن تشاركونا؟

تسائلت كاثرين بدهشة فعلق مارك محرجاً:

-ليس هناك داع ..

-لا تقولا هذا.. قالها زوج كاثرين ستيفان

-طاولتنا جاهزة والطعام عليها ليس من اللائق مغادرتها هكذا.. (قالتها ساشا بانزعاج) اعذرانا..

وادارت ظهرها لتعود للطاولة البعيدة تحت نظرات مارك الدهشة قبل ان يعتذر من الجميع ويلحق بها..

بالكاد تمالك ثيوس أعصابه حين رفضت دعوته للجلوس.. تريد البقاء وحدها معه اذن؟؟.. تملكه الغيظ وعاود الجلوس في مقعده بهدوء اصطنعه وسالي تقول بحدة:

-انها مغرورة!!

تبادل ثيوس النظر مع كاثرين قبل ان يزيح عينيه عنها ويغرقها في الكأس أمامه..

-كان تصرفاً غير لائق.

قالها مارك بعصبية وهو يرمق ساشا التي ابتلعت مافي كأسها بسرعة وهي تقول بتوتر:

-ان رغبت بامكانك العودة اليهم .. سأنهي طعامي واغادر وحدي..

-يالهي هل تسمعين ما تقولين؟

قالها باستنكار ولكنها كانت ابعد ماتكون من ان تنتبه له وهي تلاحظ كيف عاود ثيوس الابتسام لتلك المرأة وهو يحيط كتفيها بذراعه ووجدت نفسها تسند مرفقها الى الطاولة منحنية نحو مارك قائلة بعذوبة:

-ظننت انك تريدنا ان نتعرف الى بعضنا أكثر.. كيف سيحدث هذا مع وجودهم معنا!!..

رأته يفغر فاهه بذهول وهو يتأته ويقول متلعثماً:

-مـ..ماذا ..

اتسعت ابتسامتها وقالت هامسة بنعومة:

-حد ثني عنك ..

رأت ابتسامته تتسع واندفع يحكي لها بسرعة.. بالكاد استمعت له وهو يحكي عن طموحه واهدافه وشرحه المفصل عن عمله .. وعيناها ترشقان الطاولة الأخرى بنظرات حارقة وتصاعدت ضحكات الجمع وتصاعد معها استياءها..

انهت وجبتها وبدأ الصداع يلفها وقالت لمارك:

-ألن نغادر..

-ولكن الوقت لا يزال مبكراً..ألا تظنين؟

كان الضيق يسيطر عليها ورغماً عنها هي أيضاً لم ترد الرجوع الى المنزل ورفعت عينيها فوجدت كيف كان ثيوس يحدق بها بإمعان وبكل التحدي رسمت على شفتيها ضحكة عابثة وقالت كلمات دون ان تستطبع السيطرة عليها:

-انا لا أعني الرجوع للمنزل.. ألا تعرف نادياً للرقص !!

ما إن غادرتها الكلمات حتى مدت يدها بغباء تنوي سحبها وكادت تضرب نفسها بيديها .. ماهذا الهراء الذي تتفوه به .. أي رقص ؟؟ هي لاترقص .. لاترقص ابداً ..

الا أن مارك ابتسم بحرارة وقال:

-بالتأكيد.. هناك نادياً صاخباً أعرفه هيا بنا.

حسناً لابأس.. بعد خروجهما من هنا ستقتنعه ان الفكرة سيئة فهي متعبة ..

كان رأسها يدور وهما يتجهان الى الباب حين مرا بطاولة ثيوس وبالطبع توقف مارك ليقول بمرح:

-سنذهب الان ..

-لا يزال الوقت مبكراً

قالتها كاثرين وكادت ساشا تصرخ من الغيظ حين رد مارك بسرعة:

-لن نعود الأن.. اقترحت ساشا الذهاب للرقص..

كانت ساشا مشيحة بنظرها عنهم فلم ترى تلك النظرة الساحقة التي رشقها بها ثيوس وكادت تبكي وهي تسمع كاثرين تقول بلهفة:

-سنذهب معكما .. اتشوق للرقص قبل ان يصبح من الممنوعات عني..

والتفتت الى رفاقها قائلة:

-هيا بنا كفو عن الكسل..(والتفتت لساشا قائلة) سنسعد بالذهاب معكما.. اقتراحك رائع عزيزتي..

ضحكت ساشا رغماً عنها وقالت بمرارة لم يلحظها سواها:

-كان أكثر ما قلت روعة.. أليس كذلك!

ابتدأو بالقيام وتأخرت ساشا خلفهم في حين تلكأ ثيوس على الطاولة وهو يرمقها بقسوة قبل أن يقول:

-سعيدة!!

ابتلعت ريقها وقالت بتهور:

-كما ترى..

ولتؤكد سعادتها مدت يدها الى الكأس الذي يقبع امام ثيوس وقد احتوى بعض الشراب وقالت بحدة وهي تواجه نظراته المتسائلة:

-أتمانع ؟

هز رأسه فشربت مابالكأس وأحرقها الشراب وقالت له:

-ستكون امسية لا تنسى... أعدك!

وتجاهلت اقترابه منها واندفعت الى الخارج.. داعبتها النسمات الباردة وتمتمت لمارك بالشكر حين أحضر معطفها .. وماهي إلا لحظات حتى غادرت سيارتين مسرعتين نحو أفخم مراقص الجزيرة ..

تشارك مارك وساشا السيارة مع ثيوس وسالي وتذكرت المرة الأولى التي ركبتها فيها وهي مغادرة المطار الى المرفأ..

ورغماً عنها كانت تتأمل القبضتين المحيطتين بعجلة القيادة بقوة تكاد تحطمها .. وشعرت بغضبه وانه يكاد يوازي غضبها... اسندت رأسها الى المقعد واغلقت عينيها عن الحديث الدائر بين مارك وسالي متجاهلة كل سؤال يوجهه لها الأول بهزة من رأسها او بهمهمة خفيفة..

كانت السيارة تنهب الأرض نهباً في الطريق لنادي الرقص .. ارادت الاعتراض الصراخ فهي لاتريد الذهاب ليس برفقة مارك وبالتأكيد ليس أمام ثيوس..

ولكن السيارة اللعينة واصلت تقدمها حتى سمعت صوت المحرك يخف قبل ان تتوقف تماماً..

فتحت عينيها لتنظر لذلك الفندق الشاهق والذي يقع النادي في الطابق الأخير منه..

ترجلت من السيارة بعد ان فتح لها ثيوس الباب ووقفت بسرعة متجاهلة يده الممدودة لمساعدتها واقتربت من مارك وكأنها تنشد الحماية منه وتركته يحيط خصرها بذراعه وهو يقودها الى حيث وقفت كاثرين برفقة زوجها ستيفان عند المدخل.

استند ثيوس بظهره للشرفة الغارقة في الظلام وتأمل البحر المتلاطم أسفل منه .. ثم ضغط على جانبي رأسه بألم وهو يحاول طرد الصداع الذي هاجمه بقسوة هذه الليلة..

فبعد الأمسية المريعة في المطعم وجد نفسه ينساق وراء نزوة حمقاء وها هو الان في مرقص مكتظ بالكاد احتوى على بعض الهواء الفاسد..

تنهد بضيق وهو يفكر بأن كلام جوليان.. ربما كان محقاً .. ربما هي لعوب .. انها هنا برفقة مارك.. بعد عشاء رومانسي وبعد ان رفضت ان يشاركهما فيه أحد.. ماذا عليه أن يظن؟؟

ولكنها لاتبرر .. وكأنها على العكس تماماً تحاول كل مافي وسعها لجعله يبتعد عنها ..

أخذ نفساً عميقاً مليئاً بعبق البحر وتوجه الى الداخل مجدداً..

ولكن قدماه تسمرتا بالأرض حين وجد نفسه أمامها وجهاً لوجه..

تأملت ساشا وجه مارك المتكدر بعد ان رفضت طلبه الأخير بالرقص متعللة بالصداع واعتلى الكدر صدرها وهي تراقب أزواج الراقصين على الحلبة المكتظة بينهم ثيوس وسالي..

رأت كيف يرافصها بانسجام كامل و رأت في عينيها ذلك العشق..

تأملت كيف اندست بين ذراعيه .. أحاطت بعتقه وغرست أصابعها في شعره.. وامتد عنقها فقط لتنظر اليه.. وتجاهلها هو تماماً!!

من مكانها استطاعت ساشا ان تعرف انه يتجاهلها متعمداً.. نظراته هائمة لا تقع ابداً على عينيها .. يداه تحيطانها بإهمال.. وروحه تحلق بعيداً عن الكل وأولهم هي..

يالهي !! كم آلمها هذا كم شعرت بالأسى عليها .. هل يمكن أن يأتي عليها يوم وتكون واقفة هكذا مكانها .. تستجدي الحب من رجل وهو يدفعها عنه بقدمه..

واتسعت عينا ساشا كيف تفكر! وكيف تحلم !! بأنها قد تقع في أحضان رجل مثله رجل لا يفكر الا بإبقاء المرأة أسيرة لرغباته يتزوج بهذه ويعاشر الأخرى وكله باسم الحب..

ولكن ذلك لن يحدث لها .. ليس لساشا ..

انها أقوى من كل ذلك الألم وتلك المشاعر الساذجة.. هي لن تسمح لثيوس بأن يخرب عقلية بنتها طيلة عمرها ولن تسمح له بتهديد استقرارها وثقتها بنفسها..

أغلقت عيناها عن المشهد العاطفي المذل دون ان تلاحظ ابتعاد ثيوس عن سالي واعتذاره منها ثم التوجه الى الشرفة..

-ألا تنوين الرقص الأن؟

التفتت لمارك الذي كرر سؤاله للمرة العاشرة وقالت ببرود:

-لقد أخبرتك اني متعبة ..

-لمَ جئنا الى هنا اذاً؟

تجاهلت سؤاله وراقبت كيف زفر بضيق وألقى عذراً واهياً وهو يغادر الطاولة..

ابتلعت ريقها الجاف بصعوبة وشعرت بالنادي المكتظ يطبق على صدرها ببطء وفاجأها شعور الإحباط الذي استحكمها وكاد الضيق يستحوذ عليها .. فشربت بعض الماء ونهضت عن الطاولة الخالية إلا منها واندفعت نحو أقرب باب مشرع وجدته امامها..

كاد قلبها ينخلع من مكانه حين كادت أن تصطدم به .. رفعت يديها تقي نفسها عنف الإصطدام وامتدت يداه بذات الوقت لإيقاف اندفاعها نحوه ..

وتشابكت الايدي..

يداه الضخمتين أحاطتا بكفيها الصغيرين بقوة كاد معها أن يحطمها .. شعرت بالألم ولكنها لم تصرخ!!!..

رفعت اليه عينين التمعتا بالتحدي.. ورغماً عنه جذبت كفيها من يديه وهي ترى كيف التمعت الشرارة في عينيه..

خيم الصمت عليهما وكل واحد منهما يضيع في عالم من صنع يديه ..

)ستكونين لي.. مهما طال الوقت(..

)انت تحلم!! انا أبداً لن أكون عبدة لرجل(

)ستقاومين وتقاومين مثل فرس عربية عنيدة(

)سأقاوم كل تلك المشاعر الخائنة التي تراودني عنك .. سأقتلها في مهدها ولن ترى النور قط(

)وانا سأُروضك .. مهما رميتني عن ظهرك سأعاود المحاولة.. حتى تستسلمي للحرارة التي رأيتها في عينيك(

)لن تعاملني كشيئ مسّلمٍ به.. لن تجعلني قط استجدي الحب منك.. سأموت قبل ان أفعل(

)ورغم ذلك ستظللين دائماً متمردة .. فرس جموح لن ترض باللجام وستظل تركض حرة(

)سأحطم القيد الذي تأسرني به .. سأرحل ولن تستطيع إيجادي قط.. سأكون لك كسراب كلما تقترب منه يبتعد أكثر(

)ولكنك ستعودين لي.. لن تصبري على البعد .. لن تستطيعي!! أرى ذلك في عينيك(

ابتعدت عنه وكأن ماساً كهربي أحاط بها واتجهت الى السور .. إلا انه امسكها من مرفقها بقوة وقال:

-انظري إلي.

نفضت يدها عنه وقالت بغضب:

-لاتلمسني.

تجاهل غضبها واندفع يمسكها من كتفيها وهو يغرس أصابعه في ذراعيها وهو يقول بجنون:

-لا تأمريني..

-آآه ..

صرخت بألم وهو يدفعها باتجاهه لتصطدم بصدره العريض ويقول بغضب:

-توقفي عن الجنون..

كانت تحاربه بكل قوتها وهي يتمتم من بين شفتين مطبقتين:

-توقفي ..

واقترب اكثر وهو يهمس:

-ساشا انظري الي!

-لا .. لا .. لا

تمتمت مخنوقة وهي تجاهد لتخليص نفسها من بين ذراعيه المحكمتين ولكنها كانت كمن تحاول تحطيم جدار .. ثيوس لم يتزحزح من مكانه ورغم غضبه الشرير ضحك ساخراً من محاولاتها العقيمة .. حينها فقط نظرت اليه .. بكل الحقد الذي نما بداخلها وامتلئت عيناها بالكراهية..

ضحك ثيوس من محاولاتها الضعيفة للفلات منه ولكن ما إن رفعت عينيها اليه ليرى كم الشراسة بهما حتى غص بألمه وهمس:

-ليس هكذا!!

ودون أن يفكر أو يحسب حساباً للفرس الثائرة بين ذراعيه انحنى نحوها وقبلها...

شعر بقلبه يثب بين ضلوعه وهو يطبق عليها شعر انه يحبها وسيحبها الى الأبد..

انها تنتمي اليه هنا وستظل كذلك للأبد..

اتسعت عينا ساشا وهو ضغط عليها .. كرهته وكرهت قبلته التي سحقتها..

شعرت بنفسها رخيصة !! سلعة مرمية وجدها فجأة ..

وبكل القوة التي تملكتها خلصت نفسها منه بسرعة ورفعت يدها لتهوي على وجهه بصفعة مدوية..

وقف ثيوس أمامها بذهول وقد اصطبغ وجهه بلون الدم وقد انتفخت عروق عنقه وباتت تهدد بالانفجار وهو يحدق بها بنظرة صاعقة الا أنها استجمعت قواها ودفعته عنها بقوة وهي تهتف:

-لن تلمسني مجدداً .. ابداً.. اتفهم..

واندفعت بعيداً حتى ابتلعتها الظلمة..

وقف ثيوس ينظر الى حيث اختفت مطولاً بفكين مطبقين ثم رفع يده وتحسس مكان الصفعة وقال متمتماً:

-لقد أفسدت كل شيئ.

وتهالك على أحد مقاعد الشرفة وغطى عينيه متمتماً:

-غبي .. غبي.

***

بيرو

27/10/10

الفصـــــــــــل الســـــــابـع

لـــــــــــن ترحـــــــــــلي

السماء تلونت بألوان الفجر الذهبية وتعالت أصوات النوارس الناعسة التي تبحث عن وجبة الافطار بنهم واندفعت في صخب تتزاحم عليها...

شخصت عينا ساشا الى المشهد امامها والنوارس تنقض بلا رحمة على سمكة ساقها سوء حظها للاقتراب من سطح الماء وعبثاً حاولت الفرار ولكن احدها سرعان ما أسرها بمنقاره وطار بها بعيداً.. كم تشبهها هذه السمكة انها وحيدة في مكان لا نصير لها فيه ... ليس هناك من احد تثق به ولا تفضي له بألمها ولا بتعاستها.. مجيئها الى قبرص كان غلطة ... لم تدرك فداحتها الا الأن..

مالذي حدث لها لمَ هذا الضعف الذي تشعر به.. ماذا فعل بها ذلك الرجل لتفقد قدرتها على السيطرة على نفسها وتتوه في مشاعر تنتابها للمرة الأولى في حياتها..

البارحة .. لم تكن هي ساشا نفسها التي تعرفها .. كانت امرأة اخرى.. امرأة تمتلئ بمشاعر لم تتعرفها مشاعر استحكمتها وجعلتها تفعل وتقول أشياء من دون ارادة منها..

استغلت مارك بكل وقاحة .. ولماذا لإثارة غيرة ثيوس ؟؟ نعم هي لن تكذب على نفسها لقد استغلته لاثارة غيرة ذلك القبرصي العنيد.. لمَ!!!

لقد كانت خائفة .. لقد أخافتها مشاعرها حين ضمها بين ذراعيه ذلك اليوم الرغبة في أن تكون معه وبين ذراعيه..

الفرح الذي اجتاحها وذوبانها في احضانه ولولا الصدفة ... لا تعرف ماقد كان سيحدث لها بعد ذلك .. والى أي مدى ستتمادى معه..

زفرت بضيق وأحكمت الشال الصوفي الذي تدثرت به ليحميها من نسمات البحر الثلجية في الصباح الباكر.. وهاجت بها الذكريات الى السترة الكتانية التي احتوتها تلك الليلة..

كم كانت دافئة .. رائحتها لاتزال عابقة في أنفها لا ترضى بمبارحتها كانت مثل رائحته حين قبلها البارحة.. رائحة البحر الممزوجة بالمسك .. نفضت رأسها بقوة تسقط عنها ذكرى الليلة الكارثة وهي تجاهد لنسيان كل المشاعر التي اجتاحتها أمس معه..

عاودت المشي على الساحل الذهبي القريب من منزلها وهي تغرس أصابع قدميها في الرمل البارد بعد ليلة طويلة في الظلام..

والريح حولها تدفع خصلات شعرها الذهبية بالتطاير حولها كهالة من نور .. ثيوس.. تمتمت.. ماذا بحق الله تفعل بي..

جلست على الرمال واسندت ذقنها على ركبتيها وعيناها تشخصان الى البحر الذي تلاطمت أمواجه وراقبت ذلك الزورق الذي يشق الماء مسرعاً بعيداً عن سوفيرا.. وخفق قلبها وتمنت بصمت وعيناها تطرفان.. ليتني كنت عليه الأن...

بالكاد تحكم بالمقود بين يديه.. البحر الذي كان ثائراً على غير عادته في الصباح الباكر .. والثورة بداخله كانت أقوى .. لم يستطع السيطرة على نفسه ليلة البارحة.. الغيرة والاحباط اثارتا عقله وحطم كل ماكان ينوي أن يبنيه بدقيقة واحدة..

اثار بداخلها خوفاً ورغبة غير مفهومة للقتال..

كانت منزعجة منه أكثر بكثير مما يتصور .. لقد غادرا النادي معاً حيث أوصلها مع مارك الى سوفيرا ومضى هو مع سالي لإيصالها لمنزلها .. لم تنظر له قط كانت متجهمة ومشيحة ببصرها عنه طوال الوقت حتى كاثرين شعرت بالشرارة المندلعة بينهما ..

لم يستطع النوم طيلة الليل الأرق الذي استحكمه نزعه بالقوة من فراشه حالما انبزغ الفجر ومضى الى زورقه البخاري وانطلق به تاركاً هواء البحر البارد ينخر في مسم جلده المشتعل بالحنق والغضب.. قاد زورقه الى براكللي بعيداً عن سوفيرا وهو يتأمل الشريط الرملي يبتعد عنه بسرعة..

وصل الى الجزيرة السياحية وقد اعتلت الشمس السماء ومن فوره اتجه لمنزل آل براكللي..

***

-كاثي .. كاثي.

فتحت كاثرين عينيها ببطئ ونظرت في عيني زوجها الحانيتين وابتسمت له بإشراق وهمست:

-صباح الخير ياحبيبي. ورفعت رأسها تتلقى قبلته الدافئه وهو يتمتم:

-انه هنا!!

ضحكت كاثرين وقالت متعاطفة:

-لم يذق النوم ها..

-يبدو مريعاً .. من الأفضل أن تنزلي لتريه..

-في المكتبه؟

-نعم .. سأطلب له القهوة والفطور..

-اريد بعض القهوة انا أيضاً.. قالت بدلال فواجهتها نظرة معترضة منه فتذمرت:

-سأكتفي بعصير الفاكهة..

ابتسم لها وقال:

-لا تتأخري .. أظن انه قد يؤذيني بذلك الغضب في عينيه..

وخرج من الغرفة ترافقه ضحكات زوجته العذبة ... استحمت وارتدت ثيابها ثم اتخذت طريقها الى المكتبة حيث قضت معظم ايام حياتها كطفلة ومراهقة ثم سيدة برفقة ذلك الرجل من آل أرجامينيس.. دخلت الى المكتبة وتنهدت بأسى وهي تراه على تلك الحالة..

كان مستلقياً على الأريكة الجلدية وقد رفع ساقيه على طاولة زجاجية أمامه وأسند رأسه على ظهر الأريكة وأغلق عينيه والستائر الداكنة تغطي النوافذ الضخمة تحجب عنهما النور المشع بالخارج .. وحالته المزرية توضح انه لم ينم طيلة الليل وقد نمت لحيته وظهرت ظلالها على ذقنه..

وحالما دخلت قال لها بصوت كئيب:

-أغلقي الباب..

أغلقته وتقدمت لتجلس الى جواره صامتة وانتظرته ليبدأ بالكلام.. ولكن ثيوس ظل صامتاً وطال صمته..

تأملت صديقها القوي وقد تهدلت كتفاه وظهر الضعف في كل منحنى من جسده شعرت بالعطف عليه .. اخافها ضعفه الواضح كان دائماً الكتف التي استندت عليها طيلة حياتها .. هي وثيوس ماجمعهما كان أقوى من كل تسمية لم يكونا أصدقاء ولم يكونا اخوة كانا مزيجاً من كل هذا .. علاقة خاصة تفهمها الجميع..

اقتربت منه ووضعت رأسها على كتفه وقالت هامسة:

-أتريد الكلام؟

تنهد بعمق واحاط كتفيها بذراعه وقال: -لا أعرف ما أريد.. لاأعرف أي شيئ كاثي؟

التفتت تنظر اليه وقالت :-انت واقع في الحب.. غارقاً فيه حتى اذنيك..

ضحك بسخرية مريرة وقال:-هل يبدو هذا ظاهراً!!

-لي أنا فقط..

-لماذا يحدث لي هذا ؟ لم أنا ؟

قالت بحنق: -انه الحب .. آن لقلبك العنيد أن يخفق ثيوس.

-لماذا يخفق لإمرأة لا تطيقني؟

-ومن قال لك انها لاتطيقك؟

-انظري اليها حين تكون برفقتي.. كأنني مجذوم.

ضحكت كاثي وقالت: -لابد أنها تصرفاتك الغبية..

نظر اليها بغضب فقالت متحدية: -انت متهور وغير صبور على الاطلاق.. ليس كل الامور تحل بسرعة ياعزيزي ..

-ماذا أفعل لأشفى منها؟

-وهل تريد الشفاء من الحب.. هل تستطيع الشفاء منه حتى؟!!

تنهد وقال بأسى : -ليتني أستطيع اخراجها من رأسي .. ان ابعد تفكيري عنها ولو لدقيقة واحدة..

والتفت الى كاثي متوسلاً: -ساعديني..

-أساعدك لتنساها ام لتكسب حبها؟

اعتدل في جلسته وقد ظهر الاهتمام في عينيه وقال: -هل تستطيعين؟

-لقد رأيتها كيف تنظر اليك .. رأيت بريق عينيها حين تقف أمامها.. اعتقد أن هناك أمل. ثم قالت بحزم:

-ولكن المشوار سيكون طويلاً.. هل أنت مستعد للقتال؟

فكر ثيوس وقال: -ماذا تنوين أن تفعلي؟

-دع هذا الأمر لي.. (وأضافت متسائلة) ماذا فعلت لها في الشرفة البارحة؟؟

-لمَ؟ تسائل بخشونة

-لأن الفتاة خرجت منها ونظرة قاتلة تتألق في عينيها لقد كانت ترتجف من أعماقها .. هل آذيتها؟؟ (تسائلت بخشية(

هز رأسه نفياً وقال ساخراً: -لقد قبلتها..

لطمته على كتفه بقوة جعلته يتأوه وهو ينظر لها بدهشة فقالت حانقة:

-لقد تسرعت .. انها غير مستعدة بعد.. سيحتاج الأمر عملاً أكثر مما توقعت(قالتها مفكرة ثم سألته) أهناك من ينتظرها في لندن؟

-اتعنين رجلاً ما.. (قالها بتوتر وشرارة الغيرة تندلع في عينيه فقالت :

-نعم هل تعرف شيئاً عن هذا الأمر؟

-كلا .. لاشيئ

-لابأس سأعرفه بطريقتي..

-كاثي ..

نظرت اليه فسألها متشككاً: -ماذا تنوين؟

ضحكت بخبث وقالت: -أتذكر الأغنية التي رقصنا عليها تلك الليلة في حفل تخرجي من الجامعة؟

عقد حاجبيه وضيق عينيه وهو يتذكر جاهداً فزفرت بنفاذ صبر وقالت :

-لبريان ادامز الا تذكر؟؟ (to really love a women)

-بالطبع لا(قالها باستنكار فقلبت عينيها بنفاذ صبر وقالت (

-لا عليك ولكنني سأجعلك تحبها بتلك الطريقة.. حتى تقع مباشرة بين ذراعيك..

نظر لها متشككاً وقال بقلق: -لا أعرف لم لا أشعر بالارتياح لهذا الأمر..

ضحكت له وعقلها يدور في أفكار جهنمية وهي تقرر مساعدة صديقها للفوز بقلب المرأة التي يحب بكل مافي وسعها من قوة..

***

تهادت خطواتها وهي تتجه لفتح باب غرفتها بعد الطرقات الخافتة التي سمعتها وفتحته لتجد ليزا التي قالت لها بسرعة: -هناك فتاة تنتظرك على الهاتف.. تتصل من لندن.

خفق قلب ساشا وهتفت بفرح : -ماري!!

واندفعت الى الهاتف بسرعة والتقطت السماعة وهتفت: -ماري...

-ساشا؟؟

شعرت ساشا بالراحة تجتاحها .. كم تمنت وجود صديقتها برفقتها هذه اللحظات تمنت ذلك من كل قلبها وأرادته وقد تحققت امنيتها بأفضل مما توقعته..

ابتسمت من أعماق قلبها وقالت: -كيف حالك ماري؟

-انا بخير .. كيف حالك انت ؟؟(قالتها ماري وصوتها يشف مبلغ القلق الذي يعتمل بداخلها والذي استشعرته ساشا فقالت متوترة: (

-انا بخيـر..

-متأكدة؟!!

تسائلت ماري بقلق فقالت ساشا بحيرة: -ماري هل هناك شيء؟

صمتت لبعض الوقت ولكنها زفرت وقالت بخفوت:

-انا أسفة ولكنني قلقة عليكي كثيراً ...

-لماذا القلق؟ قالتها ساشا بعد ان ابتلعت ريقها بصعوبة وأتاها الرد سريعاً:

-انت قولي لي.. هل انت بخير حقاً؟ اهناك مشكلة تواجهينها؟

هذه المرة صمتت ساشا وهي تفكر (يالهي ماري الرقيقة ... انها الوحيدة التي تشعر بها حتى من على هذه المسافة) وابتسمت بمرارة وهي تتمتم:

-هل رأيت حلماً آخر؟ ضحكت ماري وقالت بنشافة:

-أنت تعرفينني.

كانت أحلامها تتحقق بكل وضوح وهذا ماكان يثير رعبها في بعض الأحيان .. ولكن روحها الشفافة واحساسها الفني المرهف يفسران الكثير من الأمور..

-ماذا رأيت؟ تسائلت ساشا بلهفة فأجابتها بعد لحظة تردد:

-رأيتك وحيدة..

غار قلب ساشا ةفكرت كم هي محقة انها وحيدة وحدها دون أي قريب أو صديق وأقرب الناس لها هنا أبعد من غريب..

وأكملت ماري: -رأيتك وحيدة على شاطئ غريب عنك.. هناك من يطاردك ولتهربي منه رميتي بنفسك الى البحر.

جف ريقها وغصت به ثم قالت بشحوب: -ولكنني اجيد السباحة..

-ليس في الحلم.. (قالتها باصرار) كنت تسبحين عكس التيار ساشا . ..

أغلقت ساشا عينيها بقوة وهي تجاهد لتمنع دموعها من الإنهمار وسمعت ماري تقول بوجل:

-ساشا بالله عليك .. ماذا يحدث أكاد أموت هنا قلقاً عليك؟

-هناك .. مشاكل ..قالتها بصعوبة فقالت ماري بسرعة:

-والدك وزوجته؟؟

هزت رأسها نافية بقوة وكأنها ستراها وقالت:

-أبداً .. اريد الرحيل ماري!

سمعت التصميم في صوتها وهي تقول: -استقلي أول طائرة وعودي الى لندن يافتاة.

-سأحاول ..

-لا لن تحاولي .. ستعودين على الفور ..

ضحكت ساشا من الاصرار في صوت صديقتها وقالت مازحة : -لم أشتري الهدايا بعد..

صمتت ماري ثم قالت: -لابأس يومين آخرين لن يضروك..

انفجرت ساشا بالضحك وقالت:

-آآآآآه ماري.. لن تعرفي قط مقدار سعادتي باتصالك اليوم .. كنت بحاجته كثيراً..

-أعرف .. اسمعي علي الذهاب الأن .. اتصلي بي غداً لتحددي موعد عودتك.. سأنتظرك.

-نعم لن أتأخر.

-ستخبرينني بكل شيء حال وصولك .. وسنفكر بحل معاً.. أليس كذلك.؟

-بالتأكيد.. الى اللقاء ماري..

-الى اللقاء يا صديقتي..

وضعت السماعة ومضت تنظر اليها من بعيد .. تنهدت واسندت رأسها المثقل بالأفكار الى الجدار خلفها وتمتمت: -يالهي ساعدني.

***

رتبت غرفتها وارتدت قبعتها الرياضية وذلك الصندال الأخضر المريح ثم توجهت للخارج .. لقد عزمت على المغادرة .. هي لم تبلغ أحداً بذلك حت أباها لا يعرف بعد كلامها امس مع ماري قررت الرحيل ستذهب الأن الى براكللي حيث ستحجز تذكرتها المتجهة الى لندن من هناك, ثم ستشتري بعض الهدايا لماري وبول وأصدقاءها في العمل ثم سترجع ..

كانت وحدها في المنزل حين سمعت طرقات الباب أسرعت نحوه وفتحته..

اتسعت عيناها بدهشة وهي تنظر الى من تقف امامها .. كانت تقف متسمرة حين بادرتها كاثرين بالكلام وقالت:

-أهو وقت غير مناسب؟؟

خرجت ساشا من دهشتها وقالت متلعثمة:

-كلا بالطبع تفضلي..

افسحت لها الطريق وعقلها يعصف بحثاً عن أسباب الزيارة غير المتوقعة ولكن كاثي سرعان ما رحمتها من التساؤل وهي تقول بمرح:

-كدت أجن من الوحدة.. ستيفان غارق في العمل وروين غادرت باكراً الى نيقوسيا لإحضار طفلتيها من المطار .. وانا وحدي.. قلت في نفسي لم لا ازورك .. لنتعارف أكثر.

رفعت ساشا كتفيها وقالت باسمة: -مرحباً في أي وقت كاثرين..

اتسعت ابتسامة كاثرين وقالت:

-نادني كاثي.. (ثم أضافت)هل كنت خارجة الى مكان ما؟

-آه نعم .. (ابتلعت ريقها وقالت بارتباك) كنت ذاهبة للتسوق .. (لم تكن تريد لأحد أن يعرف عزمها بالرحيل ليس الأن على الأقل(

-رائع .. ذاهبة الى براكللي؟

-في الحقيقة نعم.

نهضت كاثي وقالت وهي تتآبط ذراع ساشا:

-تبدو فكرة رائعة لا يوجد أفضل من التسوق لتوطيد التعارف بين النساء.

ابتسمت ساشا ببرود وقالت متهكمة : -لحسن حظي ..

ولعنت حظها وهي تفكر بسبيل للتخلص من الرفقة لحجز التذكرة الى لندن...

غادرتا المنزل معاً واستقلتا ذلك اليخت الفخم الذي نقش على جانبه اسم كاثرينا بحروف ذهبية وعلى حاجبي ساشا وهي ترى كم الرفاهية التي تتمتع بها تلك العائلة ثم اشاحت بوجهها عن كاثي التي لم تكف عن تأملها بطريقة مزعجة ولم تكف عن طرح تساؤلاتها الغريبة من آن الى آخر..

وصلتا الى المرفأ ومنه انطلقتا الى المركز التجاري وهناك سألتها كاثي:

-هل تفكرين بشراء شيئ معين؟

فكرت ساشا بكلام يسعفها فلم تجد سوى: -أخبروني عن تلك الحفلة في نهاية الاسبوع .. اردت التسوق لها..

-حفلة الحصاد.. قالتها كاثي بفرح واضافت بسرعة:

-انها حفلة رائعة ياتي لها المدعوون من كل مكان .. ستكون هذا العام هائلة..

وأضافت بتوتر وهي تنظر الى ساشا: -لدينا عمل كثير.

عقدت ساشا حاجبيها باستنكار الا أن كاثي المتحمسة تجاهلت تلك النظرات وجذبتها من يدها وهي تهذر:

-علينا التفكير بالثوب وتسريحة الشعر .. كل شيئ

فكرت ساشا بأسى .. لقد جلبته لنفسي بهذا اللسان الطويل..

بدأتا رحلة البحث عن الثوب .. لو أنهما كانتا تبحثان عن ابرة في كومة قش لكانت وجدتاها منذ زمن .. فكرت ساشا بغيظ.. كاثي لم يعجبها شيئ وكأنها هي التي سترتدي الثوب.. تأففت كثيراً وأعلنت انها تعبت أكثر من مرة ولكن .. كانت كاثي تبدو وكأنها في مهمة

مقدسة ولم تكن لترضى بالتوقف .. ولكن ساشا توقفت .. وسط السوق ونظرت الى كاثي بعناد والأخيرة تنظر اليها بحيرة فقالت:

-هذا يكفي لقد تعبت .. (بحثت عن ثوب لن أرتديه بما يكفي) فكرت بصمت وأضافت:

-سأعود لذلك الثوب الأزرق وننتهي من هذا اللف الذي أذاب حذائي.

-لا .. انه لا يناسبك .. هناك محل بعد أنا واثقة اننا سنجد فيه مانريد.. (أضافت بتوسل) هيا ..

زفرت ساشا بضيق وتعب ثم تبعتها باستسلام وهذه المرة قالت كاثي:
-أخبريني عن حياتك في لندن؟

عقدت حاجبيها وتسائلت: -ليس هناك الكثير ..

-تعملين في صحيفة أليس كذلك ؟ أومأت برأسها فسألتها كاثي:

-متى بدأت العمل هناك؟

-قبل تخرجي من الجامعة وحتى الان.

-أتحبين عملك هناك؟؟

ابتسمت ساشا وقالت : -بالتأكيد انا أحبه و..

-هذا هو...

قطعت عليها كاثرين حديثها بجملتها تلك وهي تقف مسمرة أمام أحد المحلات الفخمة وعيناها تشخصان الى ثوب في الزاوية القريبة منهما وادارت ساشا رأسها الى حيث أشارت وارتفع حاجباها بذهول وهي ترى الثوب الرائع أمامها ..

كان بلون فضي ثلجي بديع طويل بانسيابية ناعمة فتحة العنق واسعة وعميقة وربطتها الى الخلف فيما تزينت الصديرية كاملة بحبات كريستالية شفافة صغيرة..

ودخلتا الى المحل واتسعت عيناها بذهول أكبر وهي ترى ظهر الثوب المكشوف بالكامل حتى الخصر وقالت لكاثي:

-أنا لن أرتدي هذا..

-آه بلى .. قاطعتها بصرامة استغربتها هي نفسها:

-كلا كاثي انا لن أرتديه مطلقاً .. انتهينا.

وغادرت المحل الفاخر بسرعة دون أن تلتفت الى رفيقتها التي لحقتها بعد بضع لحظات وهي تقول:

-ان الثوب رائع لم لا تريدينه ؟

-لأنه لا يناسبني. قالتها باختصار ثم توقفت وقالت لكاثي بانزعاج:

-كاثي انا حقاً آسفة .. لا أعلم لم تفعلين هذا ولكن ..

قاطعتها: -أنا أيضاً اسفة .. لقد فرضت نفسي عليكي اليوم..

-لا لم أقصد..

-لا بأس انا لست حمقاء ..(واضافت بحرج) على العموم لقد بدأت أشعر بالتعب.. لذا سأتركك الأن.

-كاثي لا تغضبي مني أرجوكي.

-ابداً لست غاضبة(قالتها باسمة) سأعود لمنزلي الأن اتمنى أن تجدي ما تبحثي عنه ..

شعرت ساشا بالألم لانها تسببت بجرح هذه السيدة الرائعة وأرادت حقاً الاعتذار ولكنها سكتت وكاثي تقول:

-الى اللقاء.. ودعتها ساشا بصوت محرج وراقبتها تغادر السوق بخطوات سريعة .. وأغمضت عينيها وهي تتمتم:

-يالقلة أدبي معها..

ولكنها سرعان مانفضت عنها مشاعرها ومضت في طريقها .. كانت تبحث عن هدية مميزة لماري في محل للحلي المصنوعة يدوياً حين استدارت بسرعة لتصطدم بأحدهم بقوة .. ومن بين سيل عبارات الاعتذار سمعته يقول:

-ساشا!!!! رفعت بصرها ليطالعها وجه فرانكو أرجامينيس الضاحك فابتسمت له مرغمة وقالت:

-كيف حالك؟؟

-بخير وانتِ؟

-بخير.. ماذا تفعل هنا ؟ ظننتكم معسكرين في المزارع وقد اقتربتم من الانتهاء؟

زفر بضيق وقال متهكماً : -غداً عيد ميلاد ليليان .. خطيبتي.. وقد سمعني ثيوس صدفة أنني لم أحضر لها هدية بعد..

قلب عينيه وقال:

-كاد يقص رأسي .. أعطاني نصف اليوم أجازة للبحث عن هدية لائقة وها أنا .. ابحث وأبحث.

تجاهلت ساشا خفقات قلبها السريعة حين سمعت اسمه واشتدت يدها على كيس المشتروات وهي تغمغم:

-ستجد ما تريد هنا فيه العديد من الاشياء الجميلة..

رغماً عنها وجدت نفسها ترافقه في السوق.. كان يأخذ رأيها في بضعة أشياء ويجعلها تنفجر من الضحك وهو يقص لها مغامراته من آن الى أخر..

كانت سعيدة برفقته المسلية التي انستها ولو لبضع لحظات تعاستها ورافقته الى أحد المقاهي وشاركته القهوة والكعك وهو يقول:

-ستنتهي الأعمال كاملة مع نهاية الاسبوع .. سندع الجميع يرتاحون ليوم واحد ثم نقيم حفلنا السنوي في اليوم التالي..

-هل يحضر الكثير من الناس؟

-تقريباً كل سكان الجزيرة .. يرتدي الجميع أبهى مالديهم ونسهر حتى الصباح.. سيكون حفلاً رائعاً.

ابتسمت له بهدوء فقال: -عليكي ان تبتسمي أكثر فهذا يناسبك.

وجدت ابتسامتها تتسع على غير العادة وضحكت وهي تراه يبتسم بجذل وقال:

-هذا أفضل بكثير ..

ثم أخرج علبة المجوهرات من جيبه وقبع ينظر اليها ثم قال بحنو: -ستعجبها!!

نظرت اليه بدهشة رأت في عينيه نظرة حب لم يستطع اخفاءها فقالت بخفوت:

-انت تحبها!! رفع عينيه اليها بسرعة وقال ضاحكاً:

-مهما حاولت ان أخفيه ..

قالت له باستغراب:

-لم اذاً.. أعني..

تلعثمت وقال لها يسعفها:

-بالتأكيد انا أحبها وإلا لما وافقت على الارتباط بها من الأساس .. ولكنني أحب ان أزيدها سخونة انها لا تثق بي لدرجة الجنون .. وانا احب أن الاعبها قليلاً..

قال جملته الأخيرة بخبث فعقدت حاجبيها بضيق وقالت متضايقة: -لا يجوز ان تؤذيها هكذا ؟

-لا تقلقي عائلتي تحرص على تهدئتها في كل مرة تذهب اليها باكية..

كان قاسياً رغم حبه لها قسوة ظهرت في عدم احترامه لها لهذا قالت له ساشا بضيق:

-يجب أن أعود الى المنزل لقد تأخر الوقت.

نهضا معاً وحارت ساشا كيف ستتركه لتشتري التذاكر .. خطرت لها فكرة فالتفتت اليه وقالت:

-يجب ان اذهب الى الصيدلية سأشتري بعض الحاجيات... بامكانك الذهاب.

-سأرافقك.. احمر وجهها وقالت باصرار:

-انها حاجيات خاصة يافرانكو.

زم شفتيه بحرج وقال:

-حسناً سأنتظرك

-لا داعي..

وأسرعت نحو الطرف الأخر للسوق حيث مبنى السفريات وكادت تصرخ بغيظ وهي ترى لافتة الاغلاق وعادت الى بوابة الخارجية ورأت فرانكو واقفاً امام سيارة الأجرى فاقتربت منه وقال لها:

-كدت أرحل ولكنني تسائلت كيف ستعودين الى سوفيرا..

-شكراً لك. وانطلقت بهما السيارة.

***

دخل ثيوس الى منزل عائلته وكل جزء في جسده يصرخ طالباً الرحمة كان يعمل طيلة النهار دون توقف حتى حصانه القوي استسلم وتمرد عليه وجابهه بصهيل غاضب حين وصلا الى الاسطبل .. اراد ان يجهد نفسه ان يعمل بلا انقطاع حتى لا يترك لعقله الفرصة ان يفكر بها..

اراد أن يصل الى فراشه مهدوداً من التعب فيغيب عن الوعي ولا يترك لقلبه الفرصة ليعيد عليه تلك المشاعر المهلكة التي تعذبه في يقظته ونومه .. أراد الراحة من العذاب الذي فرضته ساشا عليه..

وصل الى غرفته وكاد يدخلها حين تذكر فرانكو.. فغير مساره الى غرفة أخيه المجاورة له وطرق الباب ثم دخل على الفور..

وجد أخاه مستلقياً على الأريكة امام التلفاز فسأله:

-اشتريت الهدية؟؟

مد فرانكو يده الى المنضدة امامه ورمى بعلبة المجوهرات الى شقيقه الذي التقطها بمهارة وبعد ان فتحها قال باعجاب:

-انها رائعة.. (ثم سأله متنهداً) هل انتقتها امي مجدداً؟

-كلا .. قالها باستنكار وعاد ليعترف بخبث:

-لقيت مساعدة من فتاة أجمل..

-تبتاع هدية لخطيبتك وتترك احدى صديقاتك لانتقائها.. فرانكو انت لا تطاق!!

قالها بغضب ولكن فرانكو دافع عن نفسه:

-ولكنها ليست صديقتي .. اعني انت تعرفها انها ساشا..

تصلب ثيوس في وقفته وقال:

-ساشا من؟!!!

-وهل هناك اخرى.؟؟ ابنة الطبيب..

كادت علبة المجوهرات الأنيقة تصرخ من الألم وثيوس يعصرها بين أصابعه وهو يسأل فرانكو بصعوبة:

-خرجتما معاً؟

-كلا التقيتها صدفة في السوق .. هيه (صرخ بحدة حين القى ثيوس العلبة في وجهه وتقدم نحوه ليقبض على ياقة قميصه وهو يقول ملقياً عليه نظرة صاعقة:(

-صـــــدفة ..

ابتلع فرانكو ريقه وقال بصعوبة:

-اقسم انها صدفة التقينا فجأة بعد ان تركتها كاثي وحدها..

-كانت مع كاثي؟ تسائل باستنكار.. ثم سأله:

-ماذا حدث؟

-لم يحدث شيئ .. تسوقنا ساعدتني باختيار الهدية ثم تناولنا القهوة وبعدها أوصلتها الى المنزل.. مالذي يغضبك على أي حال؟؟

تسائل فرانكو بحنق وهو يحاول تخليص نفسه من قبضة اخيه .. نظر اليه ثيوس متوتراً ونفضه عن يده وابتعد عنه وهو يقول مبرراً عصبيته:

-ماذا ان رآك أحد وأوصل الخبر لليليان.. ستسبب مشكلة..

نظر له فرانكو بحيرة وهو يستبعد العذر الذي قاله الا أن ثيوس لم يترك له الفرصة ليفكر بل قال له آمراً:

-اذهب الى المزرعة الأن سيصل بعض التجار ولابد من استقبالهم.. جوليان هناك وحده.

قالها وأسرع بالانصراف الى غرفته متجاهلاً تذمرات أخيه وهناك كان يدور كليث حبيس .. كل التعب والارهاق الذان كان يشعر بهما تسربا منه وامتلئت روحه بالغضب .. ماذا يحدث ؟؟ تخرج مع نيكس في ليلة وبعدها ترافق اخاه للتسوق..

وهو ماإن يقترب منها حتى ترفع كل تلك المتاريس وتعلن حالة التأهب ولا تترك له فرصة حتى ليقترب منها .. آآآآآآآآآآآآآآآآه صرخ بغضب وهو يرمي بملابسه عنه أرضاً ويفتح الماء في الحمام ليدفع بنفسه تحت شلال الماء البارد..

شهق والبرودة تلامس جسده المحترق بنيران الغيــرة .. ورفع رأسه علَّ المياه الباردة تطفئ اللهيب المشتعل فيه .. دون فائدة.

ظللت النار تستعر بداخله وكلما فكر بها مع مارك ثم فرانكو.. ثم قبلتهما التي لم تكتمل .. تعود له كلمات جوليان .. ليست سوى امرأة لعوب..

انتزع نفسه من تحت الماء المنهمر وجر نفسه ليستلقي على الفراش الوثير .. ولكن نعومة الفرش لم يشعر بها إلا كسكين تمزق لحم جلده ببطئ فتقلب من جهة الى اخرى محاولاً نسيان رائحة جسدها بين ذراعيه .. ولكن تلك الرائحة علقت بذاكرة انفاسه الى الأبد وبدا انه يتنشقها مجدداً مع كل نفس يأخذه وكأنها علقت بالهواء حوله دون أمل أن ترحمه وتبتعد مع نسمات المحيط..

نهض عن فراشه والغيرة تلعب بعقله وتذهب برجاحته أدراج الرياح.. ارتدى ثيابه وغادر الغرفة كالاعصار.

***

انتهت ساشا من ترتيب أغراضها في حقيبة الكبيرة التي اتت بها وتنهدت وهي تنظر اليها .. كانت ليزا في المطبخ وهي وحدها كما هي دوماً .. نظرت الى الغرفة التي استضافتها لبضعة ايام وتنهدت بحزن .. لقد أحبت هذا المنزل أحبت كل شيئ فيه والدفئ الذي يشع من حيطانه..

-ساشا .. افتحي ياعزيزتي..

أسرعت ساشا بإخفاء الحقيبة ونهضت لفتح الباب ليطالعها وجه ليزا التي قالت مباشرة:

-هل تعتنين بالصغير ريثما أعود اتصل والدك وهناك حالة ولادة في البلدة سوف أذهب لمساعدته.

-بالطبع سأعتني به اذهبي.

ابتسمت لها بامتنان وقالت:

-طعامه في الخزانة العلوية .. سأحاول أن أعود سريعاً ..

خرجت ساشا لتلقي نظرة على اخيها النائم بعمق في مهده وقالت:

-كم انت بريء ولكم سأشتاق اليك يا صغيري.

جلست الى جوار المهد ومضت تنظر الى خارج الغرفة عبر الستائر الرقيقة الشفافة .. ولم تمضي سوى لحظات حتى رأته...

كان الجواد الغاضب يقترب من المنزل بسرعة مخيفة ومإن توقف حتى قفز ثيوس من عليه وتقدم نحو المنزل ليطرق الباب بقوة..

ابتلعت ساشا ريقها ووضعت يدها على قلبها تهدئ من خفقاته المجنونة وهي تلقي نظرة اخرى على الصغير الراقد كالملائكة ثم اتجهت نحو الباب بخطوات شجاعة وفتحته..

نظر اليها حالما فتحت الباب ورأى شعرها الأشقر منسدلاً على جانبي وجهها وعيناها الزرقاوان تبرقان كعيني القطط..

كانت مستعدة لأي شيئ .. اي شيء إلا هذا الغضب المستعر في عينيه .. وكل شجاعتها التي ساقتها لفتح الباب تسربت من بين ساقيها وهي تقف امامه من غير دفاع .. وثيوس لم يضيع الوقت بل سرعان ما اندفع للداخل مزيحاً اياها عن طريقه وهو يجيل عينيه في ارجاء المنزل الواسع ..

تبعته بخطوات ترتجف وسألته بقلق:

-ماذا تريد؟؟

نظر لها مطولاً ثم قال:

-جئت لأسألك السؤال ذاته.

-ماذا تعني.؟؟

-ماذا تريدين ساشا ؟ ماذا جئت تفعلين هنا ؟

تأملته بدهشة وهو يقول مضيفاً:

-أجئت تبحثين عن مغامرة صغيرة؟ (وأضاف بتهكم) أم هل أقول مغامرات!!

-مالذي تقوله؟ تسائلت بذهول فعلق بسخرية:

-ماسمعتيه.. الهذا جئت الى قبرص .. للهو قليلاً ..

-اصمت .. (قالتها بحرقة وعيناها تلمعان بالأسى الا انه لم يتوقف بل قال بغضب:

-تلعبين هنا وهناك ترافقين مارك في يوم وشقيقي الغر في اليوم التالي.. مالذي تنوينه ياامرأة؟

-لا شأن لك البته .قالتها صارخة بغضب يماثل غضبه الا انه اقترب منها مما جعلها تتراجع ليصطدم ظهرها بالجدار خلفها وعيناه تلتهبان بالشرر وهو يزمجر من بين أسنان مطبقة:

-بل كل الشأن شأني .. مارك يعمل عندي والاخر شقيقي وله خطيبة تغار من ظلها ولن اسمح لأحد بافساد زواجه. ليس امرأة مثللك على اي حال.

نظرت اليه بذهول وتمتمت:

-انت مجنون.. كيف تفكر انني أركض خلف أخيك ..

-اذاً مامعنى خروجكما معاً .. تسكعك معه ومع مارك في يومين ..(وأضاف وهو يرى نظرة الاستنكار في عينيها) لاتفعل ذلك الا امرأة لعوب..

تصلبت عيناها وهي تسمع منه تلك الكلمات القاسية ولكنها تمالكت نفسها وقالت ببرود:

-انت قل لي.. فأنت تركض خلفي منذ ان وصلت الى هنا ..

رشقها بنظرة فولاذية سمرتها قبل ان يقول بقسوة:

-كنت أجرب حظي..

شعرت بقبضة تعصر قلبها ورفعت يدها بسرعة لتصفعه على وجهه إلا أن يدها تسمرت في الهواء وقد قبض عليها بيده وشهقت بألم وهو يلويها خلف ظهرها ليقترب من وجهها ويقول بجنون:

-هل جننتِ.. اتجرؤين على التفكير بصفعي مجدداً..

رفعت عينيها اليه كان قريباً واستطاعت ان ترى الشريان النابض في عنقه يضرب جلده المشدود بجنون وابتلعت ريقها وهي تشعر بالخوف منه ورفعت عينيها اكثر لتنظر الى حبتي الجمر المستعرتين وهو يتمتم:

-لو كنت رجلاً.....(وابتلع بقية جملته وهو يرى الذعر المرسوم في عينيها وقال) أخبريني ماذا تفعلين مع اولئك الفتية .. هل تراجعين قوائمك لإختيار احدهم ..

تمتمت بألم:

-أنت لا تعرف ما تقول ؟

أفلت يدها وقبض على كتفيها بقوة آالمتها وهو يقول بصوت ساخر مقيت:

-ألم تجدي الرجل المناسب بعد؟؟

)لا هذا يكفي .. لقد تحملت مافيه الكفاية بادلته النظرات الساخرة بأشد منها اثارت ارتباكه وهي تقول:(

-ألديك مرشح آخر.. ربما ينال رضاي ؟

فتح فمه ليرد إلا أنها سبقته قائلة بشماتة:

-أرجوك لا ترشح نفسك..

رأت الجمر يشتعل في عينيه وهو يقبض على ذراعيها ويقول من بي أسنان مطبقة:

-لمَ لا ... الا أعجبك؟؟

قالت بشراسة وقد اعطاها الخيط الذي تشبثت به بقوة لتثأر لكرامتها الجريحة:

-لا .. لا تعجبني اطلاقاً وقد سئمتك ومحاولاتك لفرض نفسك علي .. انا لا أطيقك لا انت ولا أيٍ من أفراد عائلتك .. انني نادمة على مجيئي هنا نادمة على كل لحظة قضيتها في هذه الجزيرة الفظيعة.. انا راحلة عن هذا المكان ثيوس راحـــــــــلة ولن أعود..

نظر اليها بذهول وقلبه الجريح ينتفض بألم بين قدميه ورآها ترفع قدمها عن الأرض لتضربها مجدداً فانتفض ألماً وكأنها سحقته حقاً وهي تضيف بكل الألم الذي ينضخ بداخلها:

-هذا ماكنت أفعله في براكللي اليوم ..كنت احجز للسفر .. وقد كنت ارتب حقيبتي قبل أن تأتي حضرتك باتهاماتك وعواطفك التي لاتهمني ..

-تريدين الرحيل اذاً ارحلي .. ارحلي ولا تعودي مطلقاً (صرخ بها.(

ثم ابتعد عنها وتراجع الى الخلف ووصل الى الباب نظر اليها مجدداً رأى الاصرار في عينيها ورأى العزم في وقفتها فاستدار على عقبيه وغادر ترافقه صرخات الطفل الذي استفاق على أصواتهما العالية.. ولكن ساشا لم تستطع الحركة بل تهالكت على الأرض مكانها وغرقت في بكاء عنيف وقد اسنزفت كل شجاعتها.

***

دفنت ساشا رأسها في الوسادة تلك الليلة وأغمضت عينيها بقوة وتمتمت بدعاء صامت علّها ترتاح من الصداع الذي عصف برأسها

وسئمت من محاولاتها الفاشلة للنوم .. نهضت واتجهت الى الصالة كان والدها وزوجته يتابعان فيلماً على التلفاز أرادت اخبارهما ولكنها لم تكن مستعدة ابداً لمناقشة الأمر لهذا رفعت سماعة الهاتف وطلبت الرقم الذي حفظته من مذكرة الهاتف وسمعت صوت العامل قبل ان تقول له بهدوء وهي مشيحة بظهرها عن والدها الذي كان ينظر لها باستغراب:

-اريد الاستعلام عن الرحلات المتجهة الى لندن ..

تجهمت حين سمعته يخبرها ان الطائرة ستغادر الى لندن بعد ثلاثة أيام .. ولكنها فكرت انها ستقضي هذه الأيام الثلاثة في نيقوسيا وليس بالضرورة هنا, لهذا قالت له متجاهلة شهقة الاحتجاج من ليزا:

-اريد حجز مفعد .. نعم ساشا أرجامينيس .. رقم بطاقة الاعتماد هو..

وأعطته الرقم وبعد أن اعطته كافة المعلومات التي يريد أغلقت الخط واستدارت لتواجه نظرات الاستنكار والأسى منهما وحاولت جاهدة اقناع والدها بالأمر ولكن دون فائدة وعندما يئست من تفهمه قالت له ببرود:

-ان قراري نهائي يا والدي ..

وتركتهما لتعود الى حجرتها وهذه المرة حالما وضعت رأسها على الوسادة غرقت في نوم عميق ..

في الصباح استعدت ساشا وارتدت ثيابها استعداداً للرحلة وحملت حقائبها وخرجت الى عائلتها كانت ليزا تنظر اليها بحزن أما والدها فكان يتناول أفطاره بصمت وقالت له:

-ألن تودعني؟

لم يجبها وبقي مشيحاً عنها إلا أن ليزا قالت له متوسلة:

-أرجوك ياعزيزي لا تدعها ترحل دون وداع..

تنهد والدها ونهض من الطاولة ووقف امامها قائلاً بسخط:

-أنا لا اعرف ماذا حدث .. ولماذا ترحلين قبل موعدك ولكنني واثق أن الأمر أبسط مما يبدو عليه ولو أنك فقط..

قاطعته بحزم:

-أرجوك يا أبي .. لقد انتهى الأمر يجب أن انصرف باكراً للحاق بالزورق..لا أريد الانتظار حتى المساء .. وداعاً.

قبلت والدها على جبينه وهي تعرف أنه غير راضٍ عنها وودعت ليزا وعانقت الصغير وقبلته وغادرت الى المرفأ حاملة حقيبتها بنفسها رافضة عرض والدها لمساعدتها وتعللت انها تريد المشي قليلاً وستركب اي من الحناطير المنتشرة في البلدة..

كان وداعاً قصيراً وقاسياً ولكنها أرادته هكذا بدون مشاعر..

كان الطريق الى البلدة طويلاً ولكنها ارتاحت بعد ركوبها حنطوراً قديماً يجره حصان هزيل .. وأخيراً وصلت الى المرفأ الذي كان خالياً..

تلفتت حولها باستغراب ودققت في ساعتها .. لا يزال الوقت مبكراً على مغادرة الزورق.. ربما لم يصل بعد وضعت حقيبتها على الأرض وجلست الى جوارها وهي تغطي عينيها بقبعتها تقيها وهج الشمس وقبعت تنتظر .. وطال انتظارها ... طال حتى بدأ سيل العرق يغرقها وقد انتصف النهار وتصدرت الشمس عنان السماء.. وادركت ان انتظارها بلا فائدة فنهضت والغيظ يتآكلها وهي تركل الحصوات الصغيرة من أمامها وتدير عينيها حولها دون ان ترى أحد .. أين ذهب الجميع..

حملت الحقيبة الثقيلة وعادت الى الطريق تنتظر مرور أي أحد تلفتت في كل مكان وبعد مدة ترائت لها سيارة الجيب الخاصة بعائلة ارجامينيس ولولا يقينها ان ثيوس عادة ما يكون في المزرعة هذا الوقت لكانت فرت من الطريق مولية ولكن اقتراب السيارة اكد حسها ورأت فرانكو خلف المفعد وقال لها مباشرة:

-ساشا ماذا تفعلين هنا ؟؟

-انتظر الزورق لاصطحابي الى نيقوسيا.. انتظرت طويلاً ولكنه لم يصل اليوم.

أرخى فرانكو قبعته وقال باستغراب:

-وكنت ستنتظرين أكثر لا توجد زوارق متجهه الى نيقوسيا..

قالت بحذر:

-ماذا تعني؟

-كما سمعت.. ان الزوارق التي رأيتها لا تغادر الا للجزر القريبة ولكن نيقوسيا لا تذهبين اليها الا بأحد اليخوت.

شحب وجهها وقالت:

-وكيف سأرحل ..

-سآخذك باليخت ان كنت مصرة على الذهاب حقاً..

-هل ستفعل حقاً؟؟

-نعم لكن ليس في التو .

-متى إذن ؟قالتها بنفاذ صبر أدهشه فقال:

-مساء اليوم ان كنت جاهزة (ثم سأل بفضول: (

-لم العجلة يا ساشا .. كنت تنوين البقاء لوقت أطول لم الرحيل فجأة؟؟

قالت باضطراب:

-لقد حدثت بعض المشاكل في العمل في لندن ويجب أن أعود بسرعة.. في أي وقت ستمر لاصطحابي؟

-السادسة .. أيناسبك الوقت.

-تماماً.

ساعدها لنقل حقائبها وهو يقول:

-لنعيدك الى المنزل الأن.

أوصلها الى المنزل وقبل ان تنزل من السيارة قال لها مبتسماً:

-أأنت متاكدة ان المشاكل التي ذكرتها لا تنتظر .. حفل الحصاد بعد بضعة أيام لاتريدين تفويت حفلٍ مثله .. صدقيني..

نظرت له وقالت بمرارة:

-صدقني المشاكل في لندن لا تنتظر... يتوجب علي حقاً الذهاب.

أومأ رأسه بتفهم فتركته وعادت الى المنزل..

شرحت المشكلة لليزا بكلمات موجزة وشكرت الله بصمت على أن والدها خارج المنزل ولن يعود قبل الثامنة..

تأملت ساشا الساعة التي قاربت السابعة والربع بقلق وهي تذرع أرضية الغرفة جيئاً وذهاباً تترقب رنين الهاتف دون فائدة.. لقد تأخر فرانكو .. تأخر كثيراً... رن الهاتف أخيراً فرفعت السماعة بلهفة وتنهدت بارتياح حين سمعت صوت فرانكو وقالت:

-انا جاهزة ..(إلا أن فرانكو قاطعها قائلاً:

-أنا أسف ساشا .. ولكني لن أستطيع القدوم لأخذك.

عقدت ساشا حاجبيها وتسائلت:

-ولم لا؟؟

-لقد نسيت تماماً ان اليخت يحتاج الى صيانة .. لا نستطيع تشغيله.

-ومتى تستطيع؟

-ليس قبل أسبوع(قالها متلعثماً(

-ماذا؟؟ صرخت بتعجب فأسرع يفسر:

-تعلمين ان الجميع مشغولون بالحصاد وليس هناك من سبب للاسراع.

-وماذا يعني هذا الأن؟

زفر بإحراج وقال:

-يعني أنني لم أقصد قط أن أخذلك .. سامحيني حقاً.

تنهدت بصمت وتقبلت عذره باقتضاب وأغلقت الهاتف وهي تجاهد لإبعاد الألم الذي عصف برأسها في تلك اللحظة وهي تفكر بمخرج من هذا المأزق (لمَ لمْ يتذكر صيانة اليخت في الصباح.. آآه ماذا سأفعل الأن؟) تسائلت بحنق.. كاثي .. لمعت عيناها وأسرعت لطلب الرقم لتكلم سيدة براكللي..

كاثي تستطيع ارسال اليخت لأخذها من سوفيرا الى نيقوسيا .. ولكن .. ماذا ان رفضت وبالذات أنها عاملتها بشكل غير مؤدب في ذلك

اليوم.. هزت رأسها منحية تلك الفكرة من رأسها وهي تسمع صوت الخادمة التي قالت انها ستنادي سيدتها بعد أن عرفتها بنفسها..

انتظرت ساشا قرابة العشر دقائق قبل أن تعود الفتاة لتعلن ان سيدتها ليست في المنزل!!!

تملك الغضب من ساشا وهي تسمع هذا التناقض الواضح وأغلقت السماعة في وجه الفتاة المسكينة وهي تشعر بوجود خطب ما.. كانت متوترة الى آخر درجة رغم محاولات ليزا لتهدئتها ..

عندما عاد والدها ووجدها في المنزل مع زوجته وابنه رأت السعادة والدهشة معاً في عينيه ولكن بغمزة من ليزا لم يعلق على الموضوع وهو يلاحظ اضطراب ابنته..

في الصباح غادرت ساشا المنزل الى المرفأ بعد أن ودعت عائلتها للمرة الثانية وهي مقررة أخذ الزورق الى جزيرة براكللي ومنها ستأخذ العبارة السياحية الى نيقوسيا .. ولكن كما الأمس كان المرفأ مهجوراً.. انتظرت حتى انتصاف الظهيرة ولكن دون فائدة حتى الصبية الذين اعتادوا اللعب على الرصيف اختفوا..

وكما الأمس عادت الى المنزل تجر أذيال الخيبة وراءها وسألت ليزا التي عبرت عن دهشتها فلطالما توفرت الزوارق الصغيرة في كل وقت وهنا تأكدت ان في الموضوع أمر ما ..

الطائرة المتوجهة الى لندن تقلع بعد غد ولهذا فإن هناك بعض الوقت .. جلست في الشرفة تنظر الى البساط الأخضر أمامها وفكرت ستشتاق لحبة الزمرد هذه ستشتاق اليها كثيراً..

توقفت افكارها حين رأت سيارة صغيرة تقف أمام المنزل لينزل منها مارك نيكس فوقفت لتحيته..

وقف امامها يقول بعتاب:

-هل حقاً ترحلين دون وداع؟

-جاء الموضوع مفاجئاً.. كيف عرفت؟

قال وهو يجلس على أحد المقاعد:

-رأيت فرانكو البارحة وقد أخبرني .. كان يجهز اليخت حين رأيته أن وثيوس.

التفتت اليه بسرعة خشيت معها أن تكون قد لوت عنقها وسألته بخشونة:

-أكان يجهز اليخت؟

- نعم .. كنت وثيوس نتباحث عن المشروع حين رأيناه يجرب ماكينة اليخت وحين سأله قال لنا انه سيأخذك الى نيقوسيا.

-وهل كان يعمل؟

-مالذي كان يعمل؟

قالت بنفاذ صبر:

-اليخت هل كان يعمل؟

-بالطبع لقد قام بتشغيله وتأكد من الوقود.. لمَ هل تعطل؟

تجاهلت سؤاله وعقدت حاجبيها وهي تتسائل لم الكذب ان كان اليخت يعمل بكفاءة كما يقول مارك .. لمَ كذب عليها فرانكو ..

سمعت حينها مارك يقول:

لقد تركته مع ثيوس وعدت لموقع العمل .. حاولت الاتصال بك ولكن شبكة الهاتف غير موصلة في الموقع .. ولكن أخبريني لمَ لم تغادري؟

قالت ببرود أدهش مارك:

-هذا ماأود معرفته أنا أيضاً.

ضحك مارك وقال:

-ربما من حسن حظي ..

لم تسمع ماقال ومضت تفكر وبعد بضعة لحظات نهض مارك عائداً الى منزله .. فنهضت في الحال وامسكت الهاتف وطلبت رقماً محلياً وبعد قليل رد عليها أحدهم طلبت التحدث الى فرانكو وما أن سمعت صوته حتى قالت بسرعة دون مواربة:

-لمَ كذبت ؟

رآن الصمت على الجهة الأخرى قبل أن يقول معتذراً:

-أنا حقاً أسف..

صرخت عبر الهاتف : لمَ كذبت؟؟

صمت فرانكو ثم سمعته يتنهد قبل أن يقول كلمة واحدة هزت أعماق قلبه:

-ثيوس.

***

كان قلبها يخفق بقوة وهي تصعد التلة الصغيرة.. كان قلبها محقاً منذ البداية بأن هناك رائحة عفنة في موضوع اليخت ... كان ثيوس المانع منذ البداية حتى الزوارق الصغيرة منعها من مغادرة الجزيرة كما فهمت من مارك هذا الصباح...

بالتأكيد فهو سيد الجزيرة المطلق من يستطيع مخالفة أمره!!!

حتى كاثرين التي أنكرت نفسها عنها البارحة .. ولكنها تريد معرفة السبب ألم يطردها من الجزيرة ؟؟

لمَ لا يريدها أن ترحل إذاً ؟؟ ألا يريد إلا إذلالها ؟!!

وأخيراً رأته وتقدمت الى مجموعة الرجال الواقفين حول سيد الجزيرة كانت قد ارتدت قميص صفراء ضيقة وسروال جينز قديم وغطت شعرها بقبعة ذات حواف عريضة تخفي عينيها..

واقتربت منه كانت قد قضت الساعة الماضية كلها بالبحث عنه في كل مكان والأن هاهو واقفاً امامها.. تأملت وقفته المسيطرة الى جوار سيارة شحن مليئة بصناديق الفاكهة وقد ارتدى سروال كاكي اللون وقميص خضراء وقبعة عريضة تحمي وجهه من الشمس.. وبدا كان احد العمال قد نبهه الى وجودها فسرعان مالتفت اليها ووقف يتأملها وكأنه غير مصدق انها هنا أمامه..

عقدت ذراعيها أمام صدرها وهي تريد زيادة ثقتها بنفسها أكثر .. تقدم نحوها وقبعته تخفي نصف وجهه فلم تعرف تعابيره .. وقف امامها مشرفاً عليها بطوله المميز وقامته الضخمة كان الارهاق واضحاً عليه وقد ذبلت عيناه وخبت لونهما وتهدلت كتفاه حالما وقف أمامها قال بصوت كئيب:

-ماذا تريدين؟

كل الكلام الذي حضرته لترميه في وجهه ضاع .. طار من رأسها .. فتمتمت بكلمات متلعثمة:

-أنا .. أعني أنا وأنت يجب أن نتكلم.

-لا أظن الوقت والمكان مناسبان الأن.

واستدار عنها فأسرعت تقف معترضة طريقه وهي تصيح:

-بل سنتكلم الأن وأمام الجميع إن لم يكن هناك مكان آخر..

جذبها ثيوس من ذراعها وهو يقول:

-اصمتي ألا ترين أنني مشغول ؟

-لا يهمني .. فأنت لت نطردني من جزيرتك وتعود لتمنعني عنه ..ثم تنجو بفعلتك .. لست دمية بين يديك ثيوس.

قالتها بهستيريا فأسرع يجذبها الى مبعدة من الجميع حيث أوقفها أمام بضع شجيرات وهو يقول بعصبية:

-ماذا تريدين؟

-أريد أن أعرف لمَ لا تريدني أن أرحل.

نظر لها ببرود ثم قال:

-اليخت لا يعمل.

-مارك قال انه يعمل.

-اذاً لمَ لاتدعي مارك يوصلك.

شعرت برأسها يغلي فتقدمت منه وقالت بألم:

-تهينني وتطردني .. ثم لاتجعلني أرحل .. ماذا أفعل معك ثيوس أرجامينيس؟

تأملها مطولاً وغرقت في العينين الداكنتين رأته يبتلع ريقه بصعوبة قبل أن يهمس:

-انتظري حتى اصلح اليخت.

هزت رأسها بألم وقد فاض بها الكيل فصاحت:

-أتريدني أن أغادر سباحة لأني مستعدة لذلك..

نظر اليها بغضب ثم قال:

-تبدين تواقة للرحيل من هنا ..

ابتلعت ريقها وهي تتفادى النظر اليه:

-بل أكثر .. لا تعرف ما قد أفعل للرحيل بعيداً عنك.

تأمل ثيوس المرأة الواقفة امامه نظر اليها مطولاً .. رآها كيف ترتجف.. كيف تتفادى النظر في عينيه ... وعرف انها تكذب ... رآى الكذب واضحاً في ارتباكها في صراخها في خوفها منه ... ولهذا اقترب منها مجدداً ودفعها نحو اقرب جذع شجرة باسقة متجاهلاً مقاومتها الشرسة ورفع وجهها اليه وقال ناظراً في العينين الزرقاوين بنعومة فائقة:

-كاذبـــــــة..

وأحنى رأسه وقبلها..

كانت تريد القتال الدفاع عن نفسها ولكنها لم تفعل .. تسمرت فقط لوهلة كانت كالمشلولة وبعد ذلك ذابت .. كقطعة جليد فوق صفيح ساخن..

سرعان ماتحولت الى بخار وضاعت بين شفتيه وذراعاه اللتان أحاطتا بها بنعومة لم تتصورها ارادت ان تحيطه بذراعيها ان تضمه اليها بقوة ولكنه خافت ... خافت من كم المشاعر التي اجتاحتها وسيطرت عليها ارادت الهروب الرحيل .. يجب ان ترحل ان تغادر هذا المكان .. هذه المشاعر ليست لها هذه المشاعر ستدمرها ستحطم كل مابنته في سنوات ولكن هيهات كان القلب قد استحكمها ورفض جسدها اطاعة أوامرها واشتاقت للمزيد ارادت هذا الحب..

نعم هي لن تخدع نفسه هي ساشا تحب ثيوس وببطء مدت ذراعيها تحيط بكتفيه وهي تبادله القبلة بمثلها وتغرق معه في عالم ليس لأحد سواهما عالم أطار بصوابهما لم يأبه لكل ماقاله لها .. لكل اتهاماته بأنها لعوب انها بين ذراعيه الأن تحقق أكثر احلامه بعداً .. تعيد اليه انفاسه التي خطفتها منذ اول لقاء بينهما .. سقطت قبعتها وهو يمسد شعرها الاشقر ويتخلله باصابعه وهو يبتعد عنها ببطء فقط لينظر اليها .. رأى الدموع في عينيها ... بكت وانهمرت دموعها رفعت يديها تخفي عينيها عنه فتمتم:

-ساشا .. لا تبكي..

تمتمت وسط دموعها:

-لاأفهم ماذا تريد .. تريدني أن أرحل .. تريدني ان أبقى تريد أذيتي.. أم تريد أن .. (أرادت ان تقول تحبني ولكن الكلمة وقفت في حنجرتها ولكنه فهم ورد قائلاً وهمسه يحمل شوقه اليها:(

-اريد الكلمة التي لم تنطقيها..

رفعت عينيها اليه فقال وهو يمسح دموعها:

-لا تبكي أرجوكي..

أبعدت نفسها عنه وهي تقول:

-انا لاأعرف.. ماذا يحدث لي..(وقالت باكية) لقد أفقدتني صوابي ولاأعرف ماذا أفعل معك ؟

واضافت وهي تتسرب من بين ذراعيه:

-لقد انتصرت ثيوس .. انتصرت.

عاود جذبها بين ذراعيه وقال بلهفة:

-لاأريد الإنتصار .. انا اريد غنيمتي ..

حاولت تخليص نفسها منه وهي تقول:

-أرجوك دعني ..

تركها على مضض ولكنه قال:

-سأراكِ في حفلة الحصاد ليلة الجمعة.

-أنا لن آتي.

-بل ستأتين.. قالها بإصرار وراقبها وهي تبتعد وابتسامة النص تعلو فمه وهو يردد: ستأتين يا حبيبتي.

***

نهايـــــــــة الفصل

قراءة ممتعة

بيـــــرو

****

الفصـــــــ8ـــــل الثامن

مـــــــلك رجـــــل سواك

كان الطريق طويلاً وبدا وكأنه بلا نهاية .. مشت ومشت حتى صرخت قدماها طلباً للرحمة .. ولكنها لم تسمع لهما .. استمرت بالمشي وهي تتعمد زيادة الألم علها تنسى ولو للحظة الألم الذي يحز في صدرها ويدفع الدموع للانهمار من عينيها ..

تدافعت المشاعر الجياشة بداخلها ولم تعد تستطيع السيطرة على الألم .. فتهالكت على جانب الطريق وجلست تشد اليها ذراعاها وهي تخفي وجهها المبلول بالدموع وشهقت بولع وهي تفكر .. احبه يالهي الرحيم انا أحبه..

كانت الدنيا تتهاوى تحت قدميها كم ان الحب قاسٍ كم يزرع فيها الخوف والألم .. كم خافت من مغبة الحب الذي لا تستطيع السيطرة على مفرداته .. خفقات قلبها تسارعت .. تسابقت نحو جرف لم تلحظه

وهوت... الى مصير لم تعرفه تهاوت أمام عينيه ومشاعره المتدفقة وحبه الجارف ... الذي أخذها بعيداً وسط عاصفة هوجاء .. أغلقت عينيها وسلمت له كل مفاتيح مدنها وتركت نفسها ضائعة بين يديه مسجونة في عينيه

انتهت مقاومتها المتخاذلة واستسلمت حصون قلبها بكل بساطة .. شعرت بالعجز .. عجز لم تشعره مذ كانت طفلة.. لم تهنأ بحب إلا وتحطم أمامها كقطعة فخار تناثرت أجزاءها بلا رحمة لتخدش حنايا قلبها بجروح لم تلتئم حتى الأن. .. الى متى ؟؟ الى متى سيستمر هذا الشعور بالخدر اللذيذ اللذي يجتاحها وهي بين ذراعيه .. الى متى سيظل الشوق يسيطر عليها وهي تنظر اليه .. متى ينقلب الخدر الى تملل والشوق الى برود .. متى تصبح المشاعر الفياضة جافة .. متى ينطفئ اللهب ويصبح القلب فارغاً .. والكلام العذب يتحول الى سكاكين تجرحها .. والصدر الحنون ينقلب الى وادٍ مفزع من الوحشة والوحدة.. متى تنتهي الكلمات العذبة وينقلب السحر على الساحر..

ليست سوى مسألة وقت قبل ان يتحول الحلم الى كابوس والحب ينطفئ كلهيب شمعة ألقاها القدر في بحر أهوج تلاطمت أمواجه بل مبالاة..

وحينها ستعود الى الألم الى الوحدة.. فلم عليها الانتظار؟؟

لم تنتظر وقد رأت أمامها النهاية مكتوبة على جبينها..

كلا هي لن تنتظر ... فاليد التي لا نفع منها ..... البتر يكون علاجها الوحيد .. قد يؤلم ولكنه الشيئ الوحيد الذي يشفيها تماماً..

لم يستطع ثيوس العمل .. كيف يفكر بأي شيء وهو قد ذاق طعم الحب بين ذراعيها ورآه واضحاً في عينيها .. كبف يعرف طعم الجنة ويعود الى الأرض ..

كان سعيداً مقاومتها كلها انهارت بين ذراعيه وبادلته قبلته المتلهفة .. ارادها ان تبقى بين ذراعيه الى الأبد ولكن كما قالت كاثي .. عليه أن يتحلى بالصبر .. عليه أن يسايسها..

هناك ما تخفيه عنه .. شيئ يقف بينهما . ذكرى لا تريد ان تفارقها ربما كان حبيباً قديماً ... وتملكته الغيرة واشتعل القلب غيظاً وهو يفكر بمن عساه ملك قلبها قبله...

كان يراقب العمال حوله بقلب لاهٍ لا ينفك يفكر بها .. حتى استسلم ورمى كل أوراق الشحن من يده وصرخ بفرانكو:

-أنا عائد الى المنزل..

تلقى صيحة احتجاج منه ولكنه ابتسم برعونة وامتطى جواده وانطلق به بعيداً..

كان يبتسم بعبث وهو يتذكر مافعل ليمنعها عن السفر .. حالما سمعها تقول انها راحلة حت تملكه الغضب وأرادها أن ترحل حقاً .. ومضى به الغضب أن يتمنى ألا تعود..

ولكن قلبه ساقه الى المرفأ ليأمر جميع الزوارق بأن الابحار عن الجزيرة ممنوع منذ الان .. وتجاهل احتجاج الجميع وصرخ بهم انه صاحب القرار الوحيد هنا..

وذلك اليوم حين رأى فرانكو يجهز اليخت ويقول له انها تنوي الرحيل وأنه سيوصلها ... تملكته الرغبة ان يصعد على متنه ويعلق شقيقه الأحمق على صاري المركب من شدة غيظه ولكنه اكتفى بنظرة صاعقة له جعلته يقول بتلعثم ان من الأفضل لها ان تبحث عن وسيلة أخرى للسفر..

وكان من حسن حظه ان ساشا اتصلت بكاثي وهو في منزلها يحكي لها عما حدث بينهما في المنزل وكيف أمرها بغباء أن ترحل وهي قد صممت على الرحيل أصلاً .. ومضى يتوسل لها ألا ترد عليها وقد أيقن أنها تريد الاستعانة بها على الرحيل عنه..

وتاقت نفسه للذهاب اليها وأخذها بين ذراعيه ليبثها حبه ويعتذر عن كل حمقه معها .. ولكن تلك السخرية التي واجهته بها وذلك الرفض التام لمشاعره جعله يدخل في اكتئاب سيطر عليه ..

حتى رآها اليوم واقفة أمامه تصرخ في وجهه في لحظة وفي التالية تذوب بين ذراعيه وقد أدرك من عينيها تلك المشاعر التي لم تجرؤ على مغادرة شفتيها وظلت محبوسة في داخلها حتى تفجرت بين ذراعيه...

هذا النهار هي لم تنهض عن سريرها قط ظلت مستلقية تحدق بالسقف وتعذرت لوالدها وليزا بالصداع النصفي الذي هجم عليها للمرة الأولى منذ سنوات .. كانت تشعر برأسها ينفلق الى نصفين وكانه تحت عاصفة لا تنفك الصواعق تصيبه من آن الى آخر.. الغرفة المظلمة الباردة عكست مشاعرها التي اصطبغت بسوداوية القلب وبرودة الشتاء .. كم تتوق الى ان تعود للوراء لأسابيع قليلة ولا تأتي الى هنا .. ريتها في تلك الشقة الآمنة بعيداً عن حرب المشاعر وتقلبات القلب هذه.. ليتها الأن تقف مع ماري تحدقان بجسر لندن كما اعتادتا ان تفعلا في كل يوم وقت المساء..

بعد غداً موعد الحفلة.. بعد غداً عليها أن تقرر أن تذهب اليه كما طلب منها أو أن تذهب بعيداً ولاتعود .. ليتها تختفي تتبخر كحلم سيئ عند الاستيقاظ..

غطت وجهها بالملاءة وتنهدت بألم وهي ترغم نفسها على النوم عل الالم يخف او ينجلي ولكن النوم نأى عنها وكأنه ابرم اتفاقاً ضدها..

نهضت بتثاقل وهي تشعر بالخدر الذي يسيطر على الرأس حين يبدأبالتعافي من ألم الصداع والشعور بثقله يجثم عليها.. توجهت الى الحمام وفتحت صنبور الماء وملئت قبضتيها ثم أغرقت وجهها به بقوة وهي تشهق من برودته التي أنعشت بشرتها .... ليلة البارحة ظلت مستيقظة حتى انتصف الليل وهي تستمع لحديث والدها وليزا عن الفرح الغامر الذي انتشر في الجزيرة والكل يتحدث عن الحفل

المهيب الذي سيقام بعد غدٍ في حديقة القصر.. الكل .. الكل دون استثناء مدعو من الصغير حتى الكبير .. الغني والفقير .. لا استثناءات في الحفل الذي يعم أرجاء الجزيرة ويستمر الى ساعات الصباح الأولى كم تاقت الى الذهاب الى والدها لأخذ نصيحته .. ولكنها لم تستطع حتى النظر في وجهه .. كانت سعادته في بقاءها وعدم سفرها واضحة ولم ترد قط أن تحبطه..

خرجت الى ردهة المنزل حيث جلست ليزا تلاعب صغيرها .. حيتها ثم قالت متسائلة:

-أين ذهب والدي؟

تحاشت ليزا النظر اليها وقالت بهدوء:

-ذهب الى العيادة.

-هكذا باكراً .. لم تتجاوز الساعة السابعة؟؟

-لديه مريض غير صبور.. (ثم قالت مشيرة للمائدة في المطبخ الواسع:

-تناولي بعض الطعام فأنت لم تأكلي شيئاً منذ الفطور يوم أمس.

شعرت ساشا حينها فقط بقرصة الجوع تهاجمها وتذكرت أن صداعها المخيف سد رغبتها بالأكل ومنعها عن كل شيء ماعدا شرب كميات كبيرة من الماء.. لهذا انقضت على شطائر الجبن وحبات الزيتون الشهية بنهم وقد تناست كل شيئ الا جوعها..

انهت طعامها ونظفت المكان وساعدت ليزا بالاهتمام بالصغير وما إن تعالى صوت الساعة معلناً انتصاف الساعة التاسعة حتى سمعتا طرقاً بطيئاً على الباب .. و ذهبت ليزا لفتحه..

تأخرت قليلاً قبل أن تعود محملة بصندوق ضخم.. تأملته ساشا بدهشة وهي تقول:

-ماهذا؟

-وصل بإسمك!!

ازدادت دهشتها وليزا تمد لها بطاقة بنفسجية.. فضتها ساشا بسرعة والتهمت الكلمات المكتوبة بأناقة وهي تشعر بالذهول

))اخبرتني العصفورة انك قد تحتاجين لهذا يوم الجمعة((

شعرت بالشك يجتاحها وهي تتأمل العلبة الطويلة الفضية بشرائط بنفسجية وتلك العلبة الأصغر منها حجماً والتي قبعت الى جوارها.. وكانت تعرف ماتحتويه ومن مرسلها ..

-ألا تعتقدين بأن عليك فتحها!!!

قالتها ليزا بلهفة.. ولكن ساشا كانت متخوفة وكأن مابداخل العلبة أفعى رقطاء تتحين الوقت لعضها بلا رحمة..

ولكن الفضول مقبرة الأنثى .. وبكل اللهفة في أعماقها فتحتها .. وتحت طبقات الحرير الفضي وجدته.. الثوب الماسي الذي أعجب

كاثي ذلك اليوم.. تصلبت يداها ولم تجرؤ على أخراجه من علبته ولكن ليزا الذاهلة مدت يديها وأخرجت الفستان من طياتها وهي تشهق يذهول من روعته بين يديها..

اما ساشا فقد تصلبت وهي تنظر اليه ودون أن تشعر قبضت على البطاقة بيدها بقوة حتى جعدتها وهي تفكر .. ربما .. ربما!!

***

تأمل ثيوس العاصمة الغارقة بأنوار المساء وتنشق عبقها باستمتاع .. من يراه الأن لايراه منذ يومين حين كانت الابتسامة لا تلامس شفتيه ولكنه اليوم يتحلى بشيئ هام للغاية.. الأمل.

كان وشقيقه جوليان في نيقوسيا ينهيان كل الاجرائات اللازمة لتصدير محصولهم الوفير هذا العام .. كان يحتاج للابتعاد عن سوفيرا هذه الأيام لأنه لو بقي فيها لم يكن ليوقفه أحد عن المرأة التي يحب ولا حتى هي نفسها..

كان الفندق الذي ينزل فيه واحداً من أرقى الفنادق في نيقوسيا والذي اعتاد النزول فيه فبالرغم من فخامته الا أن طبيعته وبناءه الحديث يجعله وجهة رجال الاعمال من كل اتجاه كان فندق ألمـــــوند يطل على الساحة التجارية وتجاوره _كمعظم الفنادق فيها_ كل المراكز التجارية والدوائر الحكومية ..

ابتعد عن النافذة المطلة على الساحل وتأمل ساعته انها الثامنة والنصف موعده مع اليكس كان يقترب .. استحم وغير ثيابه .. من يراه الأن لايمكن ان يربط بينه وبين المزارع الفظ على أرضه وبين عماله فالبدلة الحريرية الرملية التي ناسبت جسده الطويل وعرض كتفيه القويين جعلته يبدو ابن مدينة ثري لم يحفر الأرض الرطبة قط من قبل .. سمع طرقات على الباب الذي مالبث ان فتح ليدخل جوليان فقال له ثيوس بمرح:

-تعلم منذ الان ان تطرق الباب حين تدخل الى غرفتي يا أخي الصغير.

-ولم التغيير؟.. لطالما دخلت غرفتك دون استئذان سواء في المنزل أو خارجه..

-هذا لأنها لن تكون غرفتي وحدي .. قريباً..

قالها بشغف عاشق فتأمله أخاه باستغراب ثم قال وكأنه أدرك الأمر:

-هل تعني ما تقول؟؟

تقدم منه ثيوس وقال بابتسامة التهمت وجهه:

-قريباً.. قريباً جداً.

وربت على كتفه وقال بحماس:

-لنذهب .. لا أريد التأخر على أليكس..

تأمله جوليان بدهشة إلا أنهما فعلاً كانا متأخرين فأزاح الموضوع جانباً مؤقتاً وهو يلحق بأخيه الى المصعد..

الشوارع المكتظة كانت تثير أعصابه وبالذات أنه لم يكن يقود السيارة فزفر بضيق وهو يقول متذمراً:

-لو كنت اعلم ان الازدحام سيكون هكذا لخرجت منذ بزوغ الفجر.. لم لا يقود بسرعة أكبر..

تأمله جوليان بحيرة وقال:

-انها المرة الأولى التي أراك فيها نافذ الصبر الى هذه الدرجة ..ماذا يحصل؟؟

-اريد الإنتهاء من كافة الاجراءات لأعود الى سوفيرا بأسرع وقت.

قالها بشوق استعر في عينيه لم يخفى على أخيه الذي قال مبتسماً:

-تعلم الصبر يا أخي .. لا تندفع نحوها بكل هذه اللهفة وإلا أصبت بالجنون.

-لا أستطيع..(قالها مبتسماً بحنو وأكمل) لوكان الأمر بيدي لعدت الأن في التو واللحظة لآخذها بين ذراعي وأخبرها انها لا يمكن أن تكون إلا لي أنا .. انها مكتوبة على صفحة قدري .. موسومة في عروقي احيا بها مع كل دفقة من دمي .. انها تعيد لي أنفاساً تخطفها مني بنظرة من تينك العينين الزرقاوين .. (تنهد من أعماق قلبه) لو رأيتها بين ذراعي تحارب قلبها الذي يستسلم بكل قوته وجبروته ..

عيناها تقاتلان بشراسة لبوة مجروحة.. وجسدها ينتفض كطير حبيس وجد سماءه عندي .. أحبها .. أحبها كما لم أحب أي امرأة في حياتي..

ونظر الى أخيه المتسمر وهو يحدق به بذهول فضحك من أعماق قلبه يتدارك الارتباك الذي عصف به وهو يتغزل بها أمام أخيه ثم قال:

-تباً لك ياجوليان .. كيف لي أن أتذكر ما يجب بحثه مع أليكس والمجموعة بعد هذا!!!

***

أدخلت ساشا الثوب الى الخزانة وهي تفكر .. ليلة واحدة فقط.. ليلة واحدة تعيش فيها الحلم الذي لم تتخيله .. ليلة واحدة ستسلم فيها كل دروع مقاومتها وتعيش لحظات لن تنسها مهما حدث..

ليلة ستحبه فيها كما تمنت أن تحب منذ زمن .. بلا قيود بلا شرط ستحبه وكفى .. وبعدها .. أغلقت عينيها وهي تحجب عنها التفكير بما سيحدث بعدها.

أخرجت الحذاء الفضي ذو حبة الكريستال الناعمة والشرائط الفضية الحريرية التي أحاطت بالكعب بنعومة وتركته على أرضية الخزانة بجانب دفقات الحرير التي ترفلت من الثوب المعلق.

أخذت بعدها سماعة الهاتف وأجرت اتصالاً وحالما طلبت مقصدها قالت وقد سمعت الصوت الانثوي الرقيق:

-شكراً لك..

سمعت تنهيدة قصيرة بعدها قالت كاثي:

-لا تشكريني .. فقط اذهبي للحفل وحاولي ألا تؤذي صديقي..

اتسعت عينا ساشا وكاثي تقول:

-لاتندهشي فثيوس لا يخفي عني شيئاً..

ابتلعت ساشا ريقها وقالت متلعثمة:

-انا .. انا أريد التكلم معكي؟

-انا هنا تكلمي..

-ليس على الهاتف.. هل نستطيع اللقاء؟

ما رأيك لو تأتين لمنزلي الليلة..

تنهدت ساشا بارتياح وقالت:

-سآتي.. (ثم أردفت بقلق) هل الزوارق متواجدة؟

ضحكت كاثي وهي تقول:

-لا تقلقي سأرسل اليخت لاصطحابك..

ابتسمت ساشا وهي تغلق السماعة وذهبت لابلاغ ليزا ..

وفي المساء كانت تتأمل الصالة الفارهة في منزل كاثرينا براكللي بذهول .. كانت الفخامة تحيط بها من كل صوب والصالة تتألق باللون الذهبي والبني وانتشرت الثريات في السقف تكاد تلامس الأرض الرخامية من فرط كبر حجمها..

وانتشر السجاد العجمي في كل مكان والمفروشات المذهبة على الطراز الفرنسي تنافس في ألقها اللوحات الجدارية الضخمة والتحف الموزعة بشكل فني على كل مكان..

جلست ساشا على أحد المقاعد وهي تفكر ان الترف شيء لا يبعث على الارتياح على كل حال .. لقد كانت تعيش مع عائلة امها في أمريكا وكان زوجها غاية في الثراء ولكن ذوقه في كل شيئ كان بسيطاً ولم تكن الفخامة أبداً منهجه..

وصلت اليها كاثي وهي تترفل بعبائة حريرية بلون أبيض وحملها ظاهرٌ عليها وقالت لها بمرح:

-مرحباً بك .. انا آسفة لابقائك منتظرة هنا..

-سلمت عليها ساشا وقالت بتوتر:

-لا بأس.. هل نجلس هنا؟

-لا .. لم لا ترافقيي الى غرفتي الخاصة سنرتاح هناك أكثر.

رافقتها ساشا وهي تقارن ملابسها البسيطة التي تكونت من تنورة قطنية طويلة وبلوزة مشابهة عارية الكتفين بلون المرجان .. أخذتها

الى غرفة أصغر مساحة بكثير وتبدو فيها الكثير من اللمسات الشخصية التي لابد انها تعكس مزاج صاحبتها .. فيها الفرش احتكم على العصرية والبساطة وكذلك الراحة الشخصية حيث الكراسي الواسعة المنجدة بقماش صارخ الالوان والطاولة الخشبية الصقيلة المغطاة بمفرش محلي وعليها آنية الزهور التي احتوت باقة متنوعة بألوان مختلفة من الورد..

جلستا على الكراسي الوثيرة وساشا تقول:

-انها غرفة رائعة..

-انها غرفتي المفضلة قد تجدينها مكتظة قليلاً ولكنني أجمع فيها كل ماأحب ان يكون الى جواري في اي وقت دون اهتمام بتناسقها مع بعضها.. انها ثورتي الصغيرة وسط النظام المفرط هنا.

تأملتها ساشا وهي تفكر كيف عساها ان تفتح معها موضوع كهذا .. وحارت كيف تخرج الكلمات المحشورة في فمها ولكن كاثي أسعفتها وهي تقول:

-أتيت للحديث عن ثيوس؟؟

اتسعت عيناها وواصلت كاثي ضاحكة:

-أخبرتك.. انه يقول لي كل شيئ..

نهضت ساشا عن المقعد وقالت متوترة:

-وماذا قال لكِ؟؟

نظرت اليها مطولاً ثم قالت:

-انه آسف.. وأنه لا يريد ايذائك.

-ماذا يريد اذاً؟!! صرخت بها ساشا فقالت كاثي:

-هذا ما عليه أن يقوله بنفسه لك.. (ثم نهضت هي الأخرى وواجهتها قائلة) أعطه فرصة.

-فرصة لمَ؟؟

-ليبوح لك بمشاعره..

أشاحت ساشا عنها وقالت بألم:

-مشاعر خاطئة .. غير متوازنة غير حكيمة بالمرة.

-لم تقولين هذا؟ انه يريدك.

التفتت اليها ساشا بعنف وقالت بصرامة:

-هذه هي المشكلة بالذات.. انه يريدني .. كما يريد أي امرأة.

-لوكان يريد أي امرأة لكان اختار تلك التي تتمرغ تحت قدميه.

قالتها بحدة كاثي وهي ترمق ساشا بقسوة وجابهت نظراتها المتشككة وهي تقول محاولة السيطرة على صوتها:

-لا أعرف لمَ افعل هذا لكِ ولكني لم أرى ثيوس في مثل هذه الحالة قط من قبل .. انه يهتم بك حقاً .. لا أستطيع أن اقول أكثر فهذا منوط به هو فقط..

تأملتها ساشا بقلق فقالت مضيفة:

-أعطه فرصة واحدة ليقول لك كل شيئ عن مشاعره.. وبعدها .. افعلي ماتريدين .. اعطه فرصة حتى لا يطير صوابه.

جلست تعيد على نفسها ماقالته كاثي.. سيطير صوابه .. هل يحبها فعلاً ؟؟ ألهذا سيطير صوابه .. يااااه كم أن الحب مزعج ومثير للأعصاب وغير منطقي بالمرة.. وهو كذلك رائع و مذهل وخيالي .. كيف لها أن تفكر انها هي ساشا ستقع لأجل ذلك المزارع الخشن فظ الطباع .. ولكنها وقعت..

أحبته وهي التي لم تعرف قبله للحب معنى.. ولكن الى متى ؟ الى متى يدوم الحب قبل أن تلتهمه عواصف الكراهية والشك والغيرة .. الى متى سيظل هائماً كلما نظر في عينيها قبل ان نقسو عيناه بالشك ويظللها الملل .. الى متى؟؟ .. عادت الى أفكارها عن تلك الحفلة وفكرت مراراً وهي تقرر بقلب مخلوع من الألم ما ستفعل .. وكيف ستفعله ومتى بالضبط.. و أغلقت عيناها خوفاً ورهبة مما قد يفعله هو معها وللحظة أدركت هول ما ستفعل وادركت انها لن تؤذي بهذا الفعل إلا نفسها وحبيبها..

***

تعالت ضحكات ثيوس وأصدقائه في المطعم الأنيق الذي يطل على الساحة التجارية في نيقوسيا وهم يتذاكرون أيام الصبا الماضية حيث مغامراتهم الصبيانية في دهاليز المدارس قبل أن تتفرق بهم السبل كلٌ الى طريق .. رأى ثيوس كيف أشار له صديقه أليكس بطرف خفي فنهض من مقعده مستاذناً الجميع ولم يلبث أليكس أندراوس أن لحق به وفي ركن قصي من المقهى المجاور للمطعم اتخذا مجلسهما بعيداً عن العيون المتطفلة .. مال أليكس صوب صديقه وهو يقول بخفوت:

-لقد بدأت المفاوضات.

-ومتى يكون السفر (سأل ثيوس بتوتر وقد ارتسمت الجدية على ملامح وجهه وأليكس يقول وهو يرشف من فنجان القهوة(

-لم يحددوا بعد .. سأعلمك حال ورود أي خبر ولكن أظنه في وقت ما من الشهر القادم.

-هل كل الأطراف متفاهمة؟

-بالطبع .. على المبدأ على الأقل .. سنناقش المسائل العالقة هناك على كل حال..

أنهى ثيوس فنجان قهوته وسأل:

-من سيذهب غيرنا؟؟

-لا تزال المعلومات غير كافية.. سنعلم كل شيء في الأسابيع القادمة ..

نهضا معاً وتوجها صوب المجموعة مجدداً ولكن ثيوس توقف وأمسك ذراع صديقه وهو يقول باهتمام:

-اعتني بنفسك ياأخي.

ابتسم أليكس وقال مشدداً على ذراعه:

-دائماً ياأخي .. وانت اعتني بنفسك.. وفي المرة المقبلة حين نلتقي أرغب بلقاء تلك المرأة التي شغفتك حباً..

ضحك ثيوس وهو يقول:

-ستراها .. قريباً.

تلكات ساشا في الخروج من غرفتها وهي تنظر للمرآة للمرة المائة متأملة كيف انساب الثوب عليها بروعة وكشفت فتحته الأمامية عنقها العاجي كالمرمر وجزء كبير من صدرها وفتحة الثوب الخلفية التي كشفت عن ظهرها المسمر بفعل حمامات الشمس وتألق الثوب بلونه الماسي عليها وتطريزات الصديرية الصغيرة تلمع بلون القمر المضيء وراجعت على حذائها الرقيق وقد أضاف بضع سنتيمترات الى طولها..

و انسدل شعرها الأشقر الثلجي بخيوطه النحاسية محيطاً بوجهها بنعومة ورفعت خصلاته الطويلة عن عنقها بمشبك مزين بحبات من الؤلؤ و فضة اشترته من سوق الجزيرة منذ مدة ..

ارتدت قرطين من الفضة تدليا من اذنيها كدائرتين متداخلتين مزينتين بحبات الماس الصغيرة وهما هدية من داني في عيد ميلادها الفائت..

ثم وضعت لمسات من ظلال العيون الدخانية أحاطت بعينيها لتضيفا لوناً داكناً أخفى لونهما الأزرق الصافي لتبدوان غاية في الزرقة القاتمة.. ولمسة على شفتيها بلون زهر القرنفل الأحمر ..

وأخيراً لمسة من عطرها المفضل ديفا .. وأصبحت جاهزة..

حسناً .. تنهدت بعمق وأسرعت لوضع معطفها الطويل عليها وخرجت لوالدها وزوجته ..

جلس ثيوس على سلم المؤدي للطابق العلوي من القصر وقد استبد به القلق وسلبه القدرة على التفكير فبات لا يقوى على الانتظار كان يعرف انها ستأتي من الباب الأمامي لهذا ترك الحفل المدوي في الحديقة وجاء الى الداخل ينتظر كمراهق شقي ينتظر سبب شقاءه..

تأخرت .. فكر بغيظ وهو يجيل عينيه يبحث في الوجوه التي تتوافد عب الباب المشرع على ضلفتيه ومن بعيد تأملته عينان استبد بهما فراغ موحش ورآن عليهما الصمت المغلف بألف صرخة نادمة .. بائسة ..

ثيوس نفسه شعر بالحنق .. منذ أن أخبرته كاثي أنها قادمة وهو لم يهنأ بلحظة من الاحتفال الذي ينتظره كل أفراد العائلة كل عام ومع

الاخبار الجديدة التي رفعت أسعار منتجاتهم الى السقف هذا العام كان كل شيئ يسير من أفضل الى أحلى..

كل شيئ إلا علاقته بها الليلة.. سيعتذر عن كل ما بدر منه ثم سيقول لها كم يحبها وكم يرغب بأن يكون معها الى الأبد..

كان غارقاً في افكاره حين وقفت أمامه والدته بشكل مفاجئ جعله ينتفض واقفاً وهي تقول بحزم:

-ماذا تفعل هنا وتترك كل الضيوف يتسائلون عنك؟؟

-أنا أنتظر ضيفاً مهماً يا أمي.

-مهما كانت أهميته فلا يجوز ان تترك ضيوفك الاخرون بالانتظار .. فرانكو يفسد الأمور في الخارج بمزاحه السمج ودعاباته غير المضحكة وجوليان أنت ادرى به .. هيا بني فكما يبدو انت أملي الوحي..

أغمض ثيوس عيناه بيأس وهو يتبع والدته الى الحديقة التي أصبحت كقطعة من باريس بكل تلك الإنارة الموزعة بكل مكان بطريقة بديعة اظهرت الحجم الهائل للحديقة وتنسيقها المبدع وعلى بعد انتصبت دكة خشبية كبيرة احتوت الفرقة الموسيقية الشعبية التي تحيي الحفل وعلى مبعدة منها دكة اخرى رخامية محاطة بأنوار ملونة احتوت الراقصين الذين تمايلو على الانغام الناعمة تارة وتلك الصاخبة تارة اخرى .. كان المدعوون في كل مكان تكاد تضيع من كثرهم .. ورافق

ثيوس والدته الى ركن اجتمع فيه لفيف من أصدقائهم بينهم عائلتا براكللي وعائلة سوس..

تأمل ثيوس كيف وقفت سالي غاضبة منه على بعد الى جانب والدتها التي زمت شفتيها بضيق وهي واعية للرجل كيف تجاهل ابنتها التي تتفجر انوثة بذلك الثوب الذي ترفلت به والذي كلفها ثروة صغيرة بلون العنب البري كشف عن ذراعيها واحاط بعنقها بخيوط تالقت بلمعان مثير مالبثت ان انسدلت تتقاطع على ظهرها بتناسق بديع .. ولكن ثيوس أهملها وبدت العينين السوداوين ترمش بألم .. وهي لا تسمح لأحد بأن يؤذي صغيرتها المدللة .. هناك خطب ما فكرت بمكر وصممت على اكتشاف ما هيته..

أشاح ثيوس بعينيه عن والدة سالي التي تتأمله بغيظ وابتسم لكاثي التي كانت تتشبث بذراع زوجها .. ولكن في اعماق عينيها رأى شيئاً غريباً .. حزن لم يألفه قط في العينين الفرحتين دوماً.. فتقدم منها وقال مبتسماً:

-تبدين فاتنة..

ضحكت كاثي وقالت وهي تنظر لزوجها:

-احذر انه يغار هذه الأيام؟

-مني أنا ؟؟

قالها ثيوس باستنكار فضحك ستيفان وقال:

-انا مطمئن من ناحيتك ولكن هناك بعض العيون التي لم ترحم زوجتي .. يبدو انها تصبح أكثر اثارة بالبطن المنفوخ.

-لا أظن .. انها تبدو بالوناً منتفخ .. أيبدو البالون مثيراً.. لا..

ولكنه لم يكمل وهو يرى كيف تبدلت النظرة المرحة في عينيها الى دموع ترقرقت فقال بجزع:

-ياإلهي كاثي كنت أمزح..

حاولت الضحك بمرح وهي تجاهد لإخفاء دموعها عنهما وقد أحاطها زوجها بذراعيه وهو يرمق ثيوس بلوم.. فقالت:

-انها الهرمونات أنا أبكي دون سبب في كل لحظة .. لا تأبه بي.

مد لها منديله فتقبلته باسمة وقالت:

-لا تقلق .. انا بخير وإياك ان تقول أنني أبدو كالبالون مجدداً وإلا انفجرت في وجهك..

شعر ثيوس بسخافته وقال لها:

-أنت امرأة فاتنة كاثي ولا أستطيع قول المزيد.

-توقف أنت تزيد الأمور سوءاً..(قالتها ضاحكة ثم نظرت الى البعيد وقالت بهدوء(

-فاتنتك وصلت يا عزيزي..

التفت ثيوس الى حيث نظرت كاثي وكاد قلبه يثب من صدره وهو ينظر الى ملكة الحفل دون منازع..

دخلت ساشا الى الحديقة وهي ترسل عينيها بعيداً عن كل العيون المحدقة بها .. كانت تخاف من أن يكون ثوبها مبالغاً فيه .. ولكن رؤيتها لكل أولئك النسوة اللواتي تزيّن بكل ماقد يخطر على البال حتى تنهدت بارتياح..

مشت الى جوار والدها الفخور وقد أمسكت شالها الحريري الشفاف بيديها وهو يرفض بعناد البقاء على الكتفين المرمريين ولا يلبث ان يسقط كلما رفعته..

وارتدت القفازات الحريرية الفضية التي بدت ملائمة للغاية لما تنتويه ..

تقدمت وعائلتها الى السيدة صوفيا التي نظرت اليها مستغربة وهي ترحب بهم بحرارة وكانت تهم بتحيتها حينما شعرت بنظرات تحرقها وتذيب روحها كشمعة ولدت فقط لتحترق..

لم تنظر وكم أرادت ذلك عرفت أنه هو ولا تسأل كيف .. من يمكن أن يذيبها هكذا سواه من يملك عليها هكذا سلطة إلاه .تجاهلت تلك القشعريرة اللذيذة التي سارت على طول عمودها الفقري ببطء وهي تسلم على والدته دون ان تكلف نفسها عناء النظر اليه..

أما ثيوس فقد تسمر وهو ينظر اليها واقفة هناك على مسافة قريبة منه بعيدة جداً عنه .. كيف تحلى بتلك القوى حتى لا يركض اليها وياخذها بين ذراعيه ويعترف وقد كفاه تعذيباً بكل حبه لها وشوقه اليها.. ولكنه وقف..

ناظراً اليها بذلك الثوب الفضي الذي يلمع بوهج ماسي يخطف الابصار فبدت متألقة كشعاع افتقده القمر .. محاطة بهالة من نور تعكسه تلك الأضواء التي ساهمت بإيقاف دقات قلبه للحظات قصيرة شعر معها بأنه يحلق في الحرير الذي ترفلت به وذلك الغموض الذي غطاها..

استدارت عنه لتحيي والدته فظهرت تفاصيل الثوب الذي اطار صوابه وهو يكشف عن ظهرها كاملاً وانسدل بنعومة حتى غطى كعبي حذائها وقف ينظر اليها وهو يريد منها أن تنظر اليه .. فقط تنظر اليه ولكنها لم تفعل بل سرعان ما وجدها محاطة بمارك نيكس واثنان من المهندسين رفاقه من نيقوسيا ..

حارت ساشا ما عليها أن تطلب فقد وقف أمامها مارك واثنين من رفاقه متلهفين لسماع ما تطلبه ومارك يقول:

-هل احضر الشراب..

-امممم.. حسناً وانت أحضر المقبلات .. وانت لاتنسى كعك الفاكهة.

راقبت انصرافهم عنها بضحكة مرحة اخفت بها توترها فهي بالكاد تبقى وحدها وقد تهافت عليها تقريباً كل عازب في الحفل واولهم مارك.. إلا واحد فقط أهملها ولم يأتي اليها ولا مرة .. وهذا ماأثار غيظها وجعلها تتمادى مع كل رجل تقدم نحوها وتكلم معها ..

وها هي الان ترافق مارك ورفاقه الذين لم يتهاونوا للحظة عن مغازلتها وتقديم مالذ وطاب من الشراب والمقبلات لها .. تنهدت بضيق وهي تراقب ساحة الرقص التي اكتظت ومن بعيد لمحته يراقصها بكل شغف .. يضمها اليه وكأنها تحفة يخاف عليها أن تنكسر .. كيف له ان يفكر بها وها هو مع هذه الافعى .. كيف؟؟

-أترقصين.. رأت مارك الذي احضر لها الشراب يقولها بتوتر فقالت وعيناها تغليان:

-لمَ لا..

نظر اليها بذهول وهي تقول:

-هيا بنا..

قادها نحو حلبة الرقص التي تلألأت بالضوء الابيض وألاف الألوان المتناثرة.. وجذبها بين ذراعيه ورقصا معاً..

حاولت ساشا ابقاء مسافة بينهما وهي تضع ذراعها على كتفه بخفة وكادت تقفز حين شعرت بأصابعه على خصرها ورفعت عينيها تقابل

عينيه الفرحتين .. ابتسمت له وهي تراقب الزوجين على مبعدة بينهما غارقان في احضان بعضهما دون أي اهتمام بكل من حولهم..

أدارها مارك حول الحلبة عدة مرات وهي تتشاغل عن معذبها بالاجابة عن تساؤلات مارك المتتالية .. ولكن مارك سرعان ما توقف عن الرقص وهو يستدير بسرعة وصوت مرح يقول بخفة:

-أتسمح أن استعير رفيقتك .. نظرت ساشا لاستيفان بدهشة.. وهو يغمز لها بخبث ولم ينتظر رد مارك بل التقطها من ذراعيها ودار بها حول المسرح وهو يضحك بخفوت ويقول:

-ماألطف كاثي حين تحاول جمع اثنين معاً..

حدقت به ساشا باستنكار فقال ضاحكاً:

-أتمنى لكي التوفيق..

-ماذا..

لم تكمل عبارتها وهو يدور بها دورة واسعة تسببت بتراجعها للخلف حتى ارتطمت بشخص ما..

لم يعرف ثيوس ماذا عليه أن يفعل وهو يراها تراقص ذاك المارك .. كاد صوابه ان يطير حين تردد الكل عليها وهم يودون أن تنظر لهم المرة تلو الاخرى ..

أرادها له هذه الليلة له كلياً ورغم ذلك هاهي الان تتلاعب بكل رجل أمامها وتتدلل على كل واحد منهم إلا رجل هو الوحيد الأحق بها .. إلا هو ..

كان يراقص سالي بعد أن شدته رغماً عنه الى ساحة الرقص وكاد يثير فضيحة وهو يراها تراقص مارك وهو يضم جسدها الرقيق الفاتن بين ذراعيه ..

أشاح بوجهه عنها وهو يكاد يرتكب جريمة واسودت عيناه من الغيرة وأعماه الغضب فكاد أن يقفز ليفرق بينهما بيديه ويرمي بذلك الغر الى اعماق البحر لأنه تجرأ ولامس حبيبته ثم يلتفت اليها وينزل بجام غضبه عليها ويمزق عنها هالة البرود تلك بقبلاته ويغرقها في بحر الحب والرغبة حتى تنهار معترفة انه الوحيد الذي يملك حق ملامسة أي جزء من جسدها من اعلى قمة رأسها حتى أصابع قدميها..

وأغلق عيناه بحنق حين استرق نظرة اليها فوجدها قد انتقلت لاستيفان.. أين زوجته هذا الأحمق؟ فكر بغيظ وأبعد عينيه عنهما وسالي تقول هامسة في أذنه:

-يبدو أن ستيفان معجب بتلك الانجليزية..

زفر بضيق وأشاح بوجهه عنها حين شعر بذلك الجسد الدافئ الذي ارتطم بظهره فالتفت مندهشاً وتسمرت عيناه على ساشا التي وقفت تنظر اليه بين ذراعي استيفان فتمالك نفسه وقال ساخراً:

-احذر اين توقع رفيقتك ياستفان.

قال ستيفان مبتسماً بخبث:

-اعذرني يا رفيق ان لم أستطع ابعاد عيني عن رفيقتك أنت ..أتبادل!!

ولم ينتظر رده بل تخلى عن ساشا بخفة وهو يجذب سالي الساخطة اليه ويبتعد بها عنهما..

وقفا .. تسمرا في عالم لم يحتوي إلا هما .. وتقدم منها ليجذبها إليه وهو يقول:

-ستيفان المهرج..

وبدآ بالرقص معاً..

حالما أخذها بين ذراعيه أدركت انها لم ترد ولن تريد أن ترقص قط إلا مع هذا الرجل .. ضمها بين ذراعيه بكل رقة وقربها الى جسده حتى شعرت بخفقات قلبه المتلاحقة تخفق داخل صدرها هي..

رفعت ذراعيها لتحيط بعنقه لتقترب منه أكثر .. وهو يحيط خصرها بيديه وأصابعه تلامس نعومة ظهرها العاري..

رفعت عينيها اليه وحدقت في عينيه .. كل ماحولها اختفى .. الحديقة الفضية .. الفرقة الموسيقية .. المدعوون .. عائلتها .. عائلته ..كل شيئ كل شيئ ماعداه..

كان كل جزء في جسده يرتجف وهو يضمها بين ذراعيه يحيط بها كطفلة صغيرة بالكاد خرجت من قوقعتها ..

رفعت ذراعيها لتحيطا عنقه وتاهت عيناه بحثاً عن عينيها وكاد أن يطير بها بعيداً حين ألتقاهما .. وغرقت العينين في حديث لم تصنع من اجله كلمات بعد .. لم تفسره حروف ولا يفيه حقه لحن .. أغنية صامتة تلك التي عزفت بين دقات قلبيهما ..

امتزجت فيها مشاعر لم تظن قط انها ستراودها نحو اي رجل .. مشاعر فائضة .. خرجت من أعماق قلبها الذي ينتفض بين يديه خوفاً منه وعشقاً له..

لم تشعر انها ترقص بل هي تطير تحلق في سماء وردية كريشة هائمة.. لا تستطيع الرجوع الى ارض الواقع..

اقترب بوجهه منها وهو يهمس لها بكلمات لم تسمعها قط من قبل .. تاهت في معانيها وكأنها وسط فيض من المشاعر التي تتقاذفها دون معين..

كلمات قالها بالقبرصية وكأنه في غمرة عاطفته نسي انه يجيد الانجليزية.. صوته الاجش داعب اذنيها برقة فاستمتعت بكل حرف نطقه من غير ان تفهم من غير ان تدرك كم تعني له ولكنها فهمت وأدركت .. همس لها بكلمات جسدت كل شوقه وغرامه..

أدارت رأسها فتنهدت بعمق وهي تذوي في عينيه المشتعلتين بحثاً عن معانيها .. فنسيت للحظة خطواتها وكادت تتعثر إلا ان ذراعاه اشتدتا عليها وتشبثت هي الأخرى بكتفيه وغرست يديها في قماش بدلته الحريرية السوداء وقربت نفسها منه أكثر وهي تدفن وجهها في عنقه تستمتع بدفئه ورائحته الزكية التي داعبت أنفاسها..

كان ثيوس غارقاً في أروع احلامه وحبيبته هائمة بين ذراعيه..

ذلك الجليد الذي كان يسكن عينيها .. ذاب ..تبخر كأن لم يكون ..وأصبح لونهما الازرق عميقاً كلون مياه البحر تحت ضوء القمر ..

نسي كل شيء في عينيها .. نسي انها لا تجيد لغته .. ونسي انه يجيد لغتها فتفجرت كلماته تبثها حبه بلغة أجداده .. وهي تنظر اليه .. وكاد يقسم أنها فهمته .. فهمت كل كلمة حب .. كل همسة شوق..

حتى الأطراء الذي همسه لها رأى وجنتاها تحمران خجلاً منه .. فكيف لم تفهم .. كيف لم تعرف ؟؟

ضمها اليه أكثر وهو يشعر بيديها تتشبثان به أكثر كان يريد أن يأخذها بعيداً .. بعيداً عن كل العيون.. لهذا ورغماً عن جسده الصارخ لهفة اليها ابعدها عنه ببطء وهو يرى أمارات عدم الفهم على وجهها وقال لها بخفوت:

-تعالي معي.

تبعته غير واعية للعيون المندهشة التي حدقت بهما من كل صوب.. عيون لم تفهم وأخرى لم تصدق..

ولكنهما لم يعيرا أي شخص أدنى اهتمام .. وثيوس يقبض على يدها وهو يقربها منه أكثر وأحاط كتفيها بذراعة وهو يدفع بها الى جزء معزول من الحديقة دخلا إليه عبر بوابة حديدية زينتها الأزهار المتسلقة وفي ركن قصي منها .. التفت اليها ودون أن يضيع أي فرصة قال بصوت لاهث:

-أحبك ..

اتسعت عيناها بذهول وهو يقول مجدداً:

-أنا أحبك..

وقفت ذاهلة لا تقوى على شيئ ولكنه لم يترك لها أي فرصة.. وسرعان ما أحاط عنقها بكفيه واقترب منها ليكرر اعترافه بهمس وهو ينحني ليغمرها في قبلة لم تذق قط مثلها..

كل النجوم تألقت وألقت بسحرها على تلك البقعة من الحديقة وهما غارقان في لجة الحب التي لا تنضب.. أحاطته بذراعيها بقوة حتى بات من المستحيل أن تفرق متى يبتدي هو وتنتهي هي ..

لامست أصابعه الدافئة بشرتها الثلجية وهو يمر بظهر يده على ذراعها التي تلامس مؤخرة عنقه وتغرس بأصابعها الحريرية منابت شعره فدفع بالدم الحار ليبيضخ في عروقها كما لم يفعل من قبل وذابت

عروقها التي لم تتحمل حرارة مشاعره وغرقت في قبلته التي حملتها الى آفاق لم تظن قط أنها موجودة

ووجدت نفسها تعانقه بقوة وتلتصق بجسده القوي وكأنها لا تريد الانفصال عنه ..

كم مضى من الوقت وهي بين ذراعيه .. لا تعرف ولا تريد أن تعرف يكفيها أن تبقى حبيسة هذا الرجل الذي تحبه الى الأبد ..

وصعقتها أفكارها وأختلج قلبها بين حنايا صدرها .. الأبد .. أهي حقاً مستعدة أن تخاطر بأن تخسر كل شيئ .. مستعدة أن تلقي بخطتها الى عرض البحر هكذا ..

ولكن؟؟ كيف تتركه الأن .. كيف تقلع نفسها من بين ذراعيه كان عناقه سجنها وحريتها .. مهربها وملاذها .. كيف تحطم كل هذه المشاعر التي تراودها عنه كيف تحطم حبها بيدها .. حبها الوليد الذي يتفتح للمرة الأولى في حياتها .. كيف؟؟

أبعدت وجهها عنه بصعوبة وهي تتأمل ملامح وجهه.. كيف امتزجت كل تلك الخشونة مع تلك العاطفة التي تتدفق من عينيه .. وجنتيه العاليتين وذقنه المربع البارز ... أنفه المستقيم .. شفتيه العذبتين .. بشرته السمراء الداكنة .. كان هذا الرجل حبيبها .. ابتسم لها تلك الابتسامة النادرة التي سرعان ما تحولت الى ضحكة عابثة معدية وهو يقول:

-أتحاولين حفر ملامح وجهي في رأسك..ام ماذا؟

انتفض قلبها وشحب وجهها وهي تفكر .. كم هو محق.. مدت أصابعها تلامس منحنيات وجهه وشعرت بالغضب لارتدائها القفازات.. ولكنها مررت الحرير الفضي على ملامحه الخشنة وهي تقول:

-أريد أن أتذكره الى الأبد..

ثم أطرقت وهي تنزع عن يدها اليمنى قفازها بارتباك وهو يتأملها باسماًوانحنت الى الأمام ثم رفعت يدها نحوه وعاودت ملامسته بشغف..

وإغمض ثيوس عينيه وهو يتمتع بملمس بشرتها الناعمة على بشرته الخشنة وهي ترسم خطوط وجهه وما إن وصلت الى شفتيه حتى أمسك يدها..

قربها منه مقبلاً باطن كفها بنعومة شديدة وفتح عينيه شاعراً بالبهجة لذلك الألق الذي تلألأ في عينيها .. ثم بدأ يقبل رؤوس أصابعها برقة وهو يشدها نحوه لتغرق بين ذراعيه مجدداً ورفعت اليه شفتيها لتطبع قبلة كرفرفة الفراشة على ذقنه وسرعان ما ابتعدت عنه وهي تقول بمكر:

-عليك ان تحلق ذقنك أفضل من هذا..

-أحاط عنقها بيديه وقال بخبث:

-شَوَكتَكِ !!

هزت رأسها مبتسمة فقال ضاحكاً:

-اعتادي عليها..

ضحكت له برقة قبل أن يغرقا في بحر الحب مجدداً .. وأيقنت ساشا أنها لاتريد من هذه الليلة أن تنتهي وقررت أنها لن تنفذ خطتها الليلة يكفيها من التعاسة ما لاقت وغداً .. غداً يوم آخر..

***

تأمل والد ساشا الجموع وهو يقول لزوجته بقلق:

-أين اختفت على كل حال ؟

-لا أعرف أنا لم أرها منذ مدة ..

نظر والدها للضيفين الذين برفقته وقال:

-كانت تراقص أحد معارفنا سأسأله وأعود على الفور..

وهنا مرت روين التي أوقفتها ليزا لتسألها عن ساشا فهزت رأسها بحيرة وقالت:

-لا أعرف لم ارها اليوم إلا مرة واحدة .. وكانت تراقص ثيوس .. وغادرا معاً.

توقف والدها ونظر اليها باستغراب بينما قال الرجل بجواره بتوتر:

-من يكون ثيوس هذا .. اين هي ساشا ؟

هز والدها كتفيه بحيرة في حين قالت الفتاة بقلق:

-هل اصابها مكروه ياترى..

-انها هناك..

قالتها ليزا بابتهاج وهي تشير الى الطرف الأخر من الحديقة حيث تقدمت ساشا برفقة ثيوس ..

واتسعت عينا ليزا بدهشة فقد كانت ساشا كلياً محاطة به..

سترته على ذراعيها وذراعه تحيط بخصرها في تملك وقد تساقطت خصلات شعرها الأشقر على كتفيها تتلاعب بها نسمات البحر الباردة ..

كانت تضحك بمرح لشيئ يهمس هو به في أذنها وقد تجاهلا عيون الجميع وهما يعلنان للكل أنها ملكه..

كادت ساشا ان تتوسله ليعودا الى الحفل وقد غابا طويلاً فنظر لها بانزعاج ثم قال وهو يرى الإصرار في عينيها:

-لا بأس .. ولكن.. (نظر لها بصرامة) غداً كله لي..

أرادت أن تهتف له أنها هي أصبحت كلها له.. ولكنها تمالكت نفسها وأومأت له بسعادة فابتسم وقال مداعباً شعرها الذي تساقط على كتفيها:

-لو فقط تعبرين عما تريدين بالكلام بدل هذه الاشارات أكون أسعد رجلٍ في العالم..

-ماذا تريدني أن أقول؟؟

همست له فقبض على ذراعيها وقربها منه وهو يهمس بشوق:

-قولي أحبك..

)أحبـــــــك.. أحبـــــــك) صرخت بها حتى اهتزت لها جدران قلبها بقوة ولكنها لم تغادر شفتيها بل ارتجفت بين يديه والكلمة تهزها من أعماقها..

قال لها:

-ترتجفين .. هل تشعرين بالبرد؟

-نعم قالتها وهي تخفي عينيها عنه حتى لا يرى اعترافها مكتوباً فيهما ثم رفعتهما متسائلتين إليه حين قال بسخط وهو يحيطها بسترته الدافئة:

-لولا هذا الثوب السخيف لكنت دافئة.

-ألم يعجبك؟؟ ابتاعته كاثي..

تنهد بأسى وقال:

-كيف لم يعجبني؟.. أنا اعشقه .. (وأضاف بحنق) وكذلك كل رجل في الحفل تباً لها تلك المرأة..

-تغار؟!! قالتها بمكر.. تحول الى ارتجافة وهي ترى النظرة السوداء التي حجبت عيناه وهو يقول:

-بالطبع.. انت ملكي .. ولا أسمح لرجل أن ينظر إليك..

شعرت لوهلة بالخوف من نظراته تلك وتملكها الذعر فيما لوكانت مضت بما كانت تنوي .. الا أنه أحاطها بذراعه ومشا بها عودة الى الحديقة وهو يتجاهل مشاعر الغيرة تلك وما إن وصلا الى مشارف الحفل حتى انحني اليها ليقول لها بحب وشوق وقد لاحظ صمتها:

-انه رائع عليك.. حالما رأيتك به وددت لو أسارع لأعمي كل رجل في هذا المكان وآخذك بعيداً حتى لايرى فتنتك هذه سواي..

رفعت له وجهها ضاحكاً فبادلها الابتسامة بمثلها قبل أن يسمع تلك الصيحة الفرحة من بعيد ويرى تلك الفتاة التي أسرعت لمعانقتها..

شعرت ساشا بالذهول يعتريها وهي تسمع صوت ماري الذي تردد أمامها ورأت الأخيرة تجري نحوها لتعانقها بمحبة واستغرقها ذهولها للحظات قبل ان تبادل صديقتها عناقها وهي تصرخ بها:

-ماري ماذا تفعلين هنا؟

-تاخرتِ علينا كثيراً وأنا اتصل دون فائدة منذ أيام .. فلم نستطع الانتظار وجئنا على متن اول طائرة..(والتقطت أنفاسها بعمق وهي تتأمل ابتسامة ساشا وواصلت) اتصلنا بوالدك وأردناها مفاجأة .. دبر لنا المجيء بالزورق وو صلنا للتو ..

كان ثيوس يتأمل الفتاة الطويلة الصهباء التي تحادث ساشا بمرح ولكنه سرعان ما انحنى ليلتقط شيئاً وقع من يد ساشا في غمرة عناقها لصديقتها.. في حين ضحكت ساشا على عفوية صديقتها وقالت:

-انت مجنونة يافتاة.. ولكن من جاء برفقتك؟

-ومن تنتظرين سواي..

التفتت ساشا الى مصدر الصوت وتمتمت بذهول وهي ترى صاحبه:

-بـــــول!!!

تأمل بول المرأة التي قطع من أجلها مسافات شاسعة تتهادى أمامه كعروس حالمة بين ذراعي رجل آخر .. المرأة التي أخذت خاتمه ووعدته بالزواج .. تتلاعب بمشاعره وتغازل رجلاً أجنبي ضخم .. تملكته الغيرة وأعمت عيناه فتقدم منها وهو يقول بقسوة:

-ماذا ألم تتصوري أن أتي لآراكِ هنا..

كان ثيوس ينظر لما التقطته يداه ببلاهة وعدم فهم ولكن كل عروقه تحفزت حين ظهر ذلك الرجل .. معتدل القامة شعره خفيف والاهم نظرته اليها .. نظرة امتلات بالقسوة والألم .. نظرة رجل مخدوع...

كادت ساشا تهوي وهي ترى بول واقفاً أمامها .. لم يكن من المفروض ان يأتي .. ليس بعد أن قررت الانتظار .. ليس الأن .. فكرت بجنون .. ليس الأن..

رأت ثيوس يتقدم ليقف أمامها حاجباً جسدها عنه وهو يقول متحفزاً:

-من أنت؟

تأمله بول بحدة وقال:

-اسألها؟

كانت مواجهتهم الصغيرة قد اجتذبت بعض العيون الفضولية وتنبه لها ثيوس ومن نظرة الذهول في عيني ساشا أدرك أن الموضوع ليس بسيطاً.. لهذا جذبها من ذراعها بقسوة لم يتعمدها وقال بجفاء:

-لنذهب عن هنا..

كان تقريباً يجرها خلفه .. متجاهلاً نداءها الخافت له وهو يقول بصرامة لجوليان الذي وقف أمامه:

-ليس الان.

أدخلها الى غرفة المكتب و أجلسها على كرسي وهو يتجاهلها تماماً وهو يستدير الى بول بكل جسده وهو يقول:

-تكلم.

نظر بول اليها ثم الى الرجل امامه وقال بألم:

-انها خطيبتي..

تجاهل ثيوس صرخة الاحتجاج من ساشا وهو ينظر لبول الواثق من نفسه بذهول وضاعت الكلمات من فمه وغص بها وهو يحاول استيعاب ما يقوله الرجل الذي قال مضيفاً:

-أعطيتها خاتمي قبل سفرها ..

شعرت ساشا بالدنيا تدور بها .. خطتها التي نسجتها في الأيام الماضية تعود لترتطم بها بقسوة.. كانت قد خططت لقول الشيئ ذاته لثيوس الليلة بعد ان تذوق الحب لأول مرة .. ستخبره انها مخطوبة .. وأنها وعدت غيره بالزواج .. ولهذا ارتدت الخاتم الليلة .. انتفضت بذعر تبحث عن الخاتم الذي أخفته في قفازها حين خلعته وهي بين ذراعي ثيوس.. الخاتم الذي وقع منها .. ولسوء حظها التقطه هو..

رفع ثيوس خاتم بول الذي سقط من يد حبيبته هذه الليلة وقال بصوت متحشرج:

-أهذا خاتمك؟؟

عقد بول حاجبيه وقد اندهش انها ارتدته ولم يفهم .. والتفت اليها وقال:

-ماذا تفعلين ياساشا؟؟

بالكاد استطاعت رفع عينيها المبللتين بالدموع اليه وهي تهمس:

-بول.. انت لاتفهم ..(كانت تريد ان تفهمه انها تحب هذا الرجل ولكنه حب لا يمكن أن يتم ..حب محكوم عليه بالموت ولم ترد إلا أن تتمتع به قبل أن تحكم عليه هي بالاعدام.. ولكن بول قال:(

-كيف فعلتِ هذا ؟

ولكنها لم تجب بل رفعت عينيها الى ثيوس الذي كان مديراً لها ظهره وكأنه لا يقوى على النظر اليها.. وهو يقول بصوت مرعب:

-اتركنا وحدنا..

قال بول باستنكار:

-ماذا ؟؟

نظر اليه ثيوس بشراسة وصرخ:

-اخرج من هنا..

لم يكن بول يعرف ثيوس قبلاً ولكن تلك النظرة المجنونة التي تواثبت من عينيه جعلته يبتلع ريقه بصعوبة ويغادر الغرفة .. حينها التفت ثيوس اليها ونظر اليها مطولاً وعيناه حائرتان بين الغضب وعدم الفهم وهي متسمرة تنظر اليه وقد اخفت الدموع عينيها.. أراد الصراخ .. أراد تحطيم كل شيء أمامه أراد أن يمسكها من ذراعيها وهزها بقوة حتى تخبره الحقيقة .. الحقيقة التي يريد سماعها..

ارادها ان تقول أن كل ماقاله ذلك الرجل مجرد كذب.. وان الخاتم ليس الا كابوس سيئ..

ولكنه ظلت صامتة عيناها ذابلتان بالدموع .. كان بوسعه أن يقتلها ولكنه أراد ان يفهم.. اقترب منها وركع على ركبتيه أمامها وقال بهدوء:

-أفهميني ..

بالكاد نظرت اليه .. لم تستطع ان تفعل .. ان تنظر في عينيه وتكذب ولكن لابد ان القدر قد ساق بول اليها في تلك اللحظة حتى لا يزيد من عذابها وعذابه فيما بعد ..

لهذا تمتمت بصوت بالكاد سمعه:

-نعم.. اننا مخطوبان ..

كل الهدوء الذي تحلى به تبخر وهجم على ذراعيها بقسوة وهو يغرس أصابعه في لحمها الغض وهو يصرخ بجنون:

-كيف تكذبين .. كيف؟؟

لم تستطع ساشا سماع كل ما قاله وهو يهزها بكل ذلك العنف حتى كاد رأسها ينفجر فصرخت تنتزع جسدها الضعيف من بين ذراعيه وهي تقول:

-أرجوك.. دعني..

افلتت منه وركضت عنه الا انه عاود التقاطها من ذراعها وثبتها على الباب الخشبي وشعرت ببرودته على ظهرها العاري وقد سقطت سترته عنها ورأت في عينيه المجنونتان مشاعر متناقضة رأتها في كل خلجاته كان الحب يكاد يطير بصوابه والغيرة تعميه والحقد الأسود يطوق مشاعره ويرميه وسط عاصفة من الرغبة في الانتقام..

يداه تحطمان ذراعيها و هو ينظر اليها بكل الألم في نفسه وقال:

-لماذا ؟؟ هل أحببتني ؟؟ ام انك كنت فقط تلهين بي؟

شهقت بالبكاء فلم تعد تتحمل وصاحت:

-انت تؤلمني دعني أرجوك..

هزها بعنف مجدداً:

-وماذا عن ألمي أنا .. ألا أعني لك شيئاً..

أغلقت عيناها وهي تود الصراخ له بانها تذوب من أجله .. ولكن ..

ثيوس فهم ضعفها واستغله وهو يقترب منها ليضم جسده بين ذراعيه وهو يدفن وجهه في عنقها ويقول بلهفة:

-ابقي معي هنا ساشا .. دعيني اخرج اليه .. سأخرجه من حياتك ساشا .. انت لي أنا .. اريدك وانت تريدينني يا حبيبتي..

بدأت مشاعرها تلين وقبلاته تزعزع كل قوتها وأرادت التسليم له .. أرادته بكل قوة..

ولكنها خافت وتذكرت الصراخ .. المحاكم .. نظرة الكراهية بعد الحب الكبير.. ورغماً عن كل الحب في قلبها تمالكت نفسها وقالت متجاهلة مشاعره التي تغمرها:

-كيف اكون لك ..وأنا ملك لرجل سواك.

حينها فقط توقف ثيوس .. تصلب بين ذراعيها وابتعد ببطء وهو ينظر اليها واقتلبت النظرة الهائمة واكتست بالكراهية لكل ماتمثله هذه الأنثى الشيطانة التي لعبت بعقله وأطارت صوابه..

مهما حدث .. مهما حدث بينهما فعليه أن يتذكر دوماً أنها أفعى ..امرأة لعوب تلهت به وبمارك وهي ملك لرجل سواه.. ودون أن يسيطر على نفسه ارتفعت يده لتصفعها على وجهها..

كانت الصفعة من القوة التي رمتها أرضاً وهي تشهق باكية .. ودون أن بعير قلبه الذي زحف اليها ليخفف عنها ألمها أدنى اعتبار.. اندفع خارجاً حيث اجتمعت عائلته ووالدها مع بول الذي وقف أمامه ورمى خاتمه الذي كان لا يزال معه في وجهه وهو يقول بصوت جاء مهتزاً رغم صلابته:

-خذها من بيتي .. لاأريد أن أراها أبداً بعد اليوم..

قالها واندفع متجاهلاً نداء والدته المذهولة وكل من حولها ..

أما ساشا فقد تسمرت على الأرض الباردة وهي تحيط ركبتيها بذراعيها بقوة وهي تنشج بالبكاء دون أن تعي غير صوته البارد وهو يأمر بول بأخراجها عن حياته..

نهاية الفصـــــل 8

قراءة ممتعة

بيـــــرو

أثـــــر على الرمـــــال 9

الفصـــــل التاســـــع

دمـــــــوع على خد القمـــــــــر

السعادة... مامعناها ان كنت وحيداً لايوجد معك من ترغب ان تزرع ابتسامتك الفرحة على شفتيه .. الحزن ما معناه ان أصبح القلب خاوياً من المشاعر فلا تميز بين شقاء وسعادة..

خواء عجيب ذلك الذي استحكم حياتها .. بعد تلك الليلة.. لاتزال أثار صفعته معلمة على وجهها وكأنها وصمت بها الى الأبد.. ولم تعرف ان كلماتها له كانت كضربات السكين التي مزقت جسده وشغاف قلبه دون رحمة ..

لم تعرف ساشا كيف غادرت القصر بعد الذي حدث .. لا تتذكر سوى ماري التي عانقتها بقوة وهمست لها ان كل شيئ سوف يكون على ما يرام.. لم تتذكر سوى هدير السيارة التي أوصلتها الى بيتها ثم السرير البارد .. قضت يومين كاملين في حالة ذهول .. لا تقابل أحد ولا تغادر حتى غرفتها..

والدها العاجز عن فهم شيئ لم يقربها وقد حملها مسؤولية ماحدث ولامها على على كل شيئ.. حتى ليزا لم تستطع ان تفهم لمَ كذبت عليهم جميعاً ولم تخبر أحد بخطبتها المزعومة من بول!!

بول نفسه ابتعد .. كان لايزال على الجزيرة في ذلك النزل الصغير الذي أرشده اليه والدها .. ولكنه لم ينس المنظر الذي أثار فيه مشاعر غيرة لم يظن أنه يملكها وأثار الحقد في نفسه من مرآها مع ذلك الرجل..

دخلت ماري الى غرفة ساشا على أطراف أصابعها وتأملتها راقدة تحت الغطاء الرقيق وتنهدت بألم لمرآها هكذا .. بعد ليلة لم تذق فيها طعم النوم ولم تستطع ان تتوقف عن البكاء .. ولولا الحبوب المهدئة التي أعطتها اياها ليزا لكانت الان أسوأ..

تقدمت نحوها وقد انتصفت الظهيرة وهي عازمة على جعلها تنهض لتأكل شيئاً فهي لم تأكل منذ تلك الليلة..

جلست على السرير الى جوارها وهزتها برفق.. ساشا .. ساشا..

قالتها هامسة فتململت ساشا في مكانها وهي تحاول اخراج نفسها من ذلك الكابوس الذي يراودها .. كانت تركض في سرداب طويل مظلم كلما تقدمت خطوة الى الأمام تراجعت عشر خطوات الى الخلف .. كانت تبحث عن مفتاح ضوء يخرجها ولكنها لم تجد ..

سقطت على الأرض الثلجية وصرخت .. صرخت بكل قوتها ولكنها لم تسمع صوتها .. لم تسمع أي صوت.. بل الصمت الرهيب الذي أصمها .. هزت رأسها مراراً تخرجه من دوامة الكابوس المفزع .. ولكنها لم تستطع .. كل الذي حدث انها سعرت بهزة قوية في أعماقها وصوت حنون يهمس في أذنها برقة منادياً اياها .. ففتحت عينيها بقوة .. تطالعها عينا ماري الحنونتين..

نهضت مرتبكة تتخبط على الفراش... وهي تجاهد للسيطرة على الارتجافة في جسدها..

أحاطتها ماري بذراعيها وهي تقول:

-أهدئي حبيبتي لابد أنه كابوس..

تشبثت بماري بقوة والرجفة تخف والعرق يتصبب منها غزيراً.. شعرت بجفاف حلقها وكأن صديقتها شعرت بها فمدت لها كوب ماء من على الطاولة المجاورة وهي تقول:

-اشربي هذا يا حبيبتي ..

عبت ساشا من الكوب كأنها كانت تعدو لمسافة طويلة وسط صحراء قاحلة لا توجد بها قطرة ماء..

هدأت قليلاً فأسندتها ماري الى الوسائد المرتبة خلف ظهرها وهي تقول:

-أفضل الأن ؟؟

رمقتها بعينين ذابلتين ولكن شق عليها أن ترى الخوف في عيني صديقتها الجميلتين فهزت رأسها أن نعم.. فابتسمت ماري وقالت:

-سأحضر لك بعض الطعام ..(حاولت ساشا الاعتراض ولكن ماري اسكتتها بحزم وهي تضيف) بل ستأكلين لا يجب ان تبقي هكذا دون طعام..

وغادرت الغرفة بسرعة تاركة ساشا وحدها مما جعلها تتنهد بحزن أثقل قلبها وحرمها من أن تهنى بحياتها .. حاولت النهوض من سريرها ولكن ذلك الضعف الذي تحكم بها منعها من أن تتحرك.. فعاودت الاستلقاء وهي تتشبث بثنايا الفراش بعد أن شعرت أنها تهوي في دوامة من المشاعر تقتلها ببطء..

كل المشاعر التي قالت بأنها لن تؤثر فيها كل ذلك الحب الذي ساقه اليها .. كل ذلك الألم الذي خلقته بيديها .. والذي ينخر في جسدها بقوة .. كل ذلك لم يكن قط كما تصورته.. قاسٍ قاسٍ لدرجة لا يمكن ان يتصورها عقل .. كيف لها أن تفكر أن مامر بها يمكن ان يشوه ما

بداخلها من قوة الى هذه الدرجة .. حتى أصبحت ضعيفة .. ضعيفة بطريقة تكرهها..

لم تعرف ان الحب يمكن أن يخرج أقوى مافيها ويظهر بذات الوقت .. أضعف ما فيها..

أحبته .. بكل قوتها .. وأمامه أرادت الاستسلام .. ولكن ذلك الخوف الذي يسكنها .. خوفٌ أقوى ما يكون من أن ياتي يوم لتكرهه .. لتلعن اليوم الذي رأته فيه .. ليس عليها أن تنتظر لم عليها أن تسمح لقدر قاسٍ بالسيطرة على حياتها ورميها في ذلك العذاب مجدداً.. لهذا أخذت منه المبادرة حطمت حياتها بيدها لتستطيع بنائها مجدداً بنفسها .. سيكون عليها أن تستغل كل لحظة لتضمد جرحها وتلعق الدماء التي سالت منه .. وحالما يشفى ستنهض من جديد ..

ولكنها في غمرة مشاعرها السوداوية نسيت القلب الأخر الذي داست عليه ..

نسيت ثيوس الذي تألم مثلها وتحطم فؤاده وهو يرى المرأة التي عشقها تصيح به أنها ملك لسواه.. وليس هذا فقط بل أنها فعلت ذلك بعد أ اعترف لها بحبه وأوحت له بالأفعال لا الكلمات انها تبادله تلك المشاعر..

ثيوس الذي لم يطق البقاء في سوفيرا وهي هناك لم ترحل بعد.. كم أراد أن يأخذها بعيداً ليرميها وسط بحر تلاطمت أمواجه حتي يهنئ بالحياة دونها .. ياله من غضب عاصف ذلك الذي تملكه وهي تقر

كلام ذلك الرجل .. تقول له بكل صفاقة انها ملك لسواه وقد كانت تستقي الحب بين ذراعيه قبل لحظات .. آآآآه كم أنها قاسية .. أفعى شيطانية تلاعبت بكل المشاعر التي تفجرت بداخله نحوها .. كيف استطاعت ان تمثل الحب واللهفة بين ذراعيه .. كيف تلاعبت بكل الكلمات كيف أخفت عنه وعن الجميع انها مخطوبة لرجل آخر.. كيف؟؟

تطلع الى المرفأ الغارق بالظلام وقد خفت الحركة فيه تماماً في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. كانت ليموسول الصاخبة .. هادئة في هذا الوقت من الليل ومن شرفة البار الذي يرتاده كان يراقب الميناء الضخم الذي يعد أكبر موانئ الجزيرة وقد تسربل بعباءة الظلام .. وهمدت حركته تماماً ..

لقد غادر ثيوس الجزيرة في الصباح التالي للحفلة وهو لا يطيق البقاء معها في محيط واحد.. كان يعرف انه لو بقي هناك قد يرتكب جريمة شنيعة ..

غادر الى ليموسول حتى يستطيع اعادة حساباته .. ووجد هناك صديقه أليكس حيث استقر معه في منزله .. مضى عليه يومان كاملين وهو يقضي معظم ساعات الليل في الشرب عله ينسيه صدمته فيمن أحب .. وهذه الليلة لاتختلف عن سابقتها فها هو يجلس وحيداً يغرق حزنه في زجاجات المشروب التي لم نقطع عن طاولته..

كان السكر يظهر واضحاً في ملامح وجهه المسترخية والابتسامة الساذجة على شفتيه وهو يراقب فتاتين تجالسان أحد الرجال في الزاوية البعيدة ولم يفته كيف راقبته كلا الفتاتين بشغف وقد سئمتا مرافقهما كما يبدو وضحك بسخرية واحداهما تشير له وقد سحرهما بهالة الرجولة الطاغية التي تشع منه .. ملامحه الوسيمة ولامبالته الواضحة بكل ماحوله.. فنهضت احداهما واقتربت منه بتبختر خليع والثوب الذي ترتديه يكشف عن جسدها أكثر مما يخفي .. وما إن وصلت الى طاولته حتى قالت بهمس مثير:

-هل أنضم اليك؟

تأمل ثيوس الفتاة أمامه ورأى الجسد المثير متفجر الأنوثة وضحك وهو يغمغم وقد ثقلت عيناه ولسانه بفعل الخمر:

-وتتركين مضيفك وحده .. لا يجوز.

جلست الفتاة أمامه على حافة الطاولة وهي ترفع ساقها لتضعها على الكرسي بين ساقيه وهي تميل عليه وتقول باغراء:

-لا يهمني البته.. ما يهمني الأن هو كيف أقنعك بدعوتي للشراب معك؟

تأملها ثيوس مطولاً وصورتها تهتز أمامه بفعل الثمالة ثم قال:

-أريني ما تستطيعين وبعدها..

وترك جملته معلقة وهو يعتدل في مجلسه فضحكت بخلاعة وهي تقترب منه أكثر قائلة بشغف:

-أنت رائع..

جذبها ثيوس الى صدره وهو ينظر الى جسدها المثير ويقول:

-ماذا أقول عنك انت اذاً ؟؟

ضحكت له مجدداً وقالت وهي تلامس وجهه:

-أين يقع منزلك..

هز رأسه رافضاً وهو يقول:

-منزلي منطقة محظورة.. لم لا نذهب الى منزلك انتِ؟

-انتما لن تذهبا الى أي مكان..

قاطعتهما هذه الكلمات الغاضبة والتفت ثيوس ليجد الرجل الذي كانت تجالسه وهو يرغي ويزبد:

-عودي الى طاولتي يا امرأة.. في الحال.

نهض ثيوس من مقعده ببطء وهو يزيح الفتاة بعيداً ووقف امام الرجل بطوله الفارع وجسده الضخم وقال بصرامة بقدر ما تسمح بها ثمالته:

-انت .. كلمني انا..

نظر له الرجل باستهتار وقال وهو يلاحظ انه بالكاد يحافظ على وقوفه:

-ماذا ستفعل ستضربني؟؟

زمجر ثيوس ورفع قبضته موجهاً له ضربة أرادها قوية ومزلزلة وجائت ضعيفة ومتخاذلة تفاداها الرجل بسهولة ليعو د ويسدد نحوه لكمة أشد ضراوة أصابته في فكه مباشرة ورمته عدة أقدام الى الخلف وتعالت صرخات الرواد وهما يشاهدان هذا القتال ولكن ثيوس الثمل لم يتحرك بل تمدد على الأرض الرخامية وضحك وهو يمسك بفكه ويقول:

-لقد جئت به على نفسك أيها الأحمق..

ونهض بسرعة ورغم ترنحه هجم على الرجل بقوة ورماه أرضاً .. وعلى الأرض بقي يكيل له اللكمات حيث تفجر غضبه أمامه وهو يصرخ وقد نسي نفسه:

-كيف تجرؤ على ضربي أيها الأحمق.. ألا تعرف من أنا؟؟.

وقف الجميع يراقبون المشهد بصمت وقد تفجر الغضب من العينين السوداوين وخشي كل واحد منهم التدخل والوقوع بين براثن هذا الذئب المسعور..

ولكن ثيوس وجد نفسه فجأة يرفع من فوق الرجل وسمع صوت يقول بعصبية:

-ثيوس؟؟

تجهم وجه ثيوس وهو يحاول تمييز صاحب الصوت وطالعة وجه أليكس والأخير يقول بصرامة:

-حان الوقت للعودة الى المنزل.. هيا بنا.

حاول مقاومته وهو يقول:

-ارحل.. انا لست طفلاً لتحاسبني على موعد عودتي للمنزل.. ارحل عني.

أنهض أليكس ثيوس عن الأرض رغماً عنه وهو يصيح:

-ستأتي معي في الحال أنت ثمل وقد ترتكب الكثير من المصائب .. هيا.

ترنح ثيوس وهو يتجه مع أليكس الغاضب الى باب البار وضحك باستهتار وكاد يقع وهو يرتطم بالكراسي في طريقه وهو يصرخ باتجاه الرجل المرمي أرضاً:

-لا أحد يتجرأ و يمس ثيوس أرجامينيس بسوء.. لا أحد..

..ولكن أليكس أحاط بخصره بذراع والأخرى تمسك بذراعه حتى لا يسقط مغمياً عليه.. وحالما وصلا الى السيارة ألقاه في المقعد الخلفي وتوجه الى جهة السائق وهو يتذمر بحنق:

-الأحمق سيقتل نفسه على هذه الحالة..

وألقى عليه نظرة عبر المرايا ووجده يحاول الاعتدال الا أنه سرعان ما استلقى على المقعد و غرق في نوم عميق..

وصلا الى المبنى الفخم حيث يسكن أليكس وتعاون مع حارس الامن ليوصله الى غرفته..

وهناك مدداه على الفراش الواسع ونظر اليه اليكس مطولاً وهو يدفن وجهه في أغطية الفراش الوثيرة وهو يهمهم بكلمات لم يفهم منها أليكس سوى اسم واحد .. ساشا .. فهز رأسه وقال بذهول:

-ماذا فعلت بك تلك المرأة يا صديقي؟؟

***

رفعت ساشا حقيبتها وتأملت بعينين مكسورتان الغرفة التي كانت ملجأها في الأسابيع القليلة التي مضت وبلعت ريقها بألم ثم اتجهت الى باب الغرفة بخطوات متثاقلة وهي تدعو ان تكمل طريقها الى المطار بدون عقبات فهي لم تعد تحتمل كل هذا الألم وكل هذا الحزن الذي استحكم قلبها ..

ثيوس ترك الجزيرة كلها بعد الحفل ولم يعد حتى الأن وقد مضت ثلاثة أيام وها قد حان الوقت لرحيلها ومع ذلك بالكاد تحملها ساقيها للرحيل ..

كان بول وماري بانتظارها في خارج الغرفة .. نظرت لبول الذي أشاح بوجهه عنها .. يالهي حتى بول العزيز يكرهها فمنذ تلك الليلة وهو

يتعمد تجاهلها باستمرار .. بدا وكأن الجميع قد اتفقوا على أن يكرهونها .. ماعدا ماري الصديقة الحنون التي لم تخذلها قط..

رأت ليزا تقف معهما تحمل ابنها الصغير فسألتها بصوت متحشرج:

-أين والدي؟

أشارت ليزا برأسها الى غرفة المكتب حيث يقضي والدها معظم أيامه في الأونة الأخيرة هناك بعيداً عنها .. والدها الذي لم يتفهم قط ما حدث.. ولا يزال يطالبها بالشرح من وقت الى آخر..

تقدمت الى المكتب .. طرقت الباب ثم تقدمت بدون ان تنتظر اذن منه ..

كان والدها يبدو وكأن سنين قد أضيفت الى عمره وهو يتكئ على المكتب الخشبي الضخم وحالما دخلت رفع اليها عينين قاسيتين أرسلتا الارتجاف الى جسدها ..

كانت عيناه تخفيان عتاب عميق لم تستطع ان تفهمه فتقدمت منه وقالت بكل الشجاعة التي بداخلها:

-أنا راحلة ياأبي.

تأملها مطولاً قبل ان يقول:

-هكذا .. بدون تفسير لمَ حدث؟؟

أطرقت للحظات قبل ان تقول:

-لا يوجد تفسير..(انتفضت بقوة حين خبط بيده على سطح المكتب وهو يصرخ:(

-مالذي تقولينه .. أنتظرتك لتخرجي من تلك الحالة المزرية التي كنت تمرين بها حتى تفسري .. تشرحي لي كل الذي حدث.. والأن تقولين بكل بساطة ألا تفسير لديك؟؟

ابتلعت ريقها وقالت بدهشة من ثورته التي لم تعتدها:

-ما حدث يخصني وحدي.. (قاطعها صائحاً باستنكارثم أكمل عنها:(

-كيف تقولين هذا .. انه يخصنا كلنا..

ثم نهض من مكتبه واقترب منها وهو يقول بحدة:

-تأتين لي في زيارة .. وتوقعين بأحد أفضل الرجال الذين التقيتهم في حياتي ..وحين يبدو ان كل اموركما معاً تسير من أفضل الى أفضل .. يظهر لك خطيب؟!!!!

وعاود سؤالها والاستنكار يكاد يطير بصوابه:

-منذ متى انت مخطوبة ؟؟ كيف لم أعرف..(وأضاف وهو يدور داخل الغرفة) لقد أفسدت كل شيئ .. حطمت علاقتي برجل كنت اعتبره صديقاً لي قبل ان يكون صاحب عمل.. والأن كل استقرار عائلتي مهدد بسبب نزواتك الحمقاء..

-كفـــى .. كفـــى ..(صرخت بها ساشا وهي تسد أذنيها بيديها بقوة وهي ترفع اليه وجهها بعد طول اطراق ليراه غارقاً في دموع غزيرة وهي تضيف بحسرة:

-هل تعي ما تقول .. كل الذي تفكر به هو انت وعائلتك.. كما فعلت طيلة حياتك..

نهضت من المقعد وواجهته وهي تواصل بألم:

-ماذا عني أنا يا ابي.. ماذا عن ابنتك .. اين هي من عالمك هذا .. انت وامي جلبتماني الى هذا العالم .. ومثل شيئ بلا قيمة تركتماني وتلهيتما بكل مشاكلكما ونسيتماني أنا .. ابنتكما الوحيدة..

أشاحت بوجهها عنه ومضت تتكلم بصوت خفيض مثقل بالألم:

-هل تستطيع ان تتصور مشاعر طفلة تتربى في مدرسة بعيدة ووالداها لا يكلفان نفسيهما عناء الأطمئنان عليها ..هل تتصور ان تعيش يتيماً ووالداك على قيد الحياة ..

)أضافت بحسرة:(

-أردت ان اشعر ولو لمرة واحدة معنى ان تعيش مع عائلة .. ولكن حتى امي أصبح لها عائلة غيري.. عائلتها هي وليس عائلتي..كنت دائماً غريبة.. وحيدة.. حتى هنا .. لديك عائلتك ..وانا مجرد ضيفة..

والتفتت اليه تكمل بكل الألم الذي احتواها:

-ضيفة تسببت بافساد أمورك مع عائلتك وأصدقائك.. انت حتى لم تكلف نفسك عناء السؤال عن الأذى الذي أصابني أنا مما حدث.. هل أنا نكرة بالنسبة اليك الى هذه الدرجة .. ألا تهتم لما يصيبني الى هذا الحد..

تنهدت بألم وهي تراه مسمراً ينظر اليها بذهول وهي تقول:

-أنا آسفة أبي .. أسفة ان افسدت عليك صفو حياتك مع أحبائك .. ثق ان هذا لن يتكرر..

قالتها وأسرعت بالخروج تكاد لا ترى أمامها وتجاوزت ليزا وهي تقول لماري بجمود:

-لنرحل عن هنا..

لحقتها ماري بسرعة وقلبها يرتجف حزناً على صديقتها وقد تهادت الى سمعهم كلهم الكلمات القاسية التي تبادلتها مع والدها ولم ترد سوى ان تهدئ من روعها..

وصلتا الى السيارة ووضعا فيها الحقائب وكادت ماري ان تقول شيئاً لولا ان قاطعتهما صرخة قوية من الداخل .. تسمرت ساشا في مكانها في حين انطلق بول الى الداخل بسرعة تلحقه ماري ..

***

تلاطم هواء الليل البارد على وجه ثيوس وهو يغرق في بحر أفكاره الخاصة .. لم يعد يستطيع البقاء في ليموسول بعد الأن لقد أمضى هنا

الكثير من الوقت بالفعل وعليه العودة الى سوفيرا.. تنهد وهو يفكر انها لابد قد رحلت الأن .. رحلت عنه الى الأبد ولن تعود..

أغلق عينيه بألم وهو يتذكر أخر مرة رآها .. مكومة على الأرض بفعل صفعته المدوية حتى خشي عليها أن تكون قد فقدت الوعي.. وبعدها لم يرها قط.. يالهي كم يشتاق اليها .. الى رائحتها العذبة .. ملمس بشرتها الحريرية وانتفاضة جسدها الرقيق بين ذراعيه..

اة كم أحبها .. ويبدو أنه سيحبها الى الأبد .. لقد وسم قلبه بتلك المرأة .. ولن تخرج الا بتمزيق قلبه ارباً..

كان الليل قد انتصف والأفكار السوداء تلعب بعقله فساقته قدماه الى البار القريب من ساحل البحر.. وهناك وكما في كل ليلة أغرق بؤسه في الشرب ..

كم مضى عليه من وقت .. لا يعرف ولكن بدأ الشراب يدير رأسه فقرر أن الوقت قد حان للعودة فآخر ما يريده شجار سكارى مثل الليلة الماضية..

كان يهم بالرحيل حين وجدها تقف امامه عقد حاجبيه وقال:

-ماذا تفعلين هنا؟؟

تأملت سالي البار المزدحم بالرجال الثمالى وهي تدير رأسها بحثاً عنه .. قضت ليلتها كلها بالبحث عنه في كل أرجاء ليموسول..

كادت تموت من غيرتها حين رأت حبيبها الوحيد يغازل تلك الانجليزية الحقيرة وكادت تموت وهي ترى في عينيه النظرات الولهة التي طالما حلمت بها .. ولكن شيئ ما حدث .. غادر بعده ثيوس الحفل واختفى وحتى تلك المرأة غادرت دون أن ينتظرو نهاية الحفل الذي استمر حتى الصباح..

وكاد يطير صوابها وهي تبحث عن ثيوس ولا أحد يعرف أين هو؟ .. حتى اتصل أليكس أندراوس صديقه المقرب بكاثي ليلة أمس وبعد جهد جهيد استطاعت سالي أن تستخرج منها الى أين ذهب..

وها هي الأن وقد جابت نصف ليموسول بحثاً عنه .. قد وجدته أخيراً ..

كان يجلس الى طاولة منفردة في الطرف القصي ولحسن حظها كان يهم بالخروج فلو أنها تأخرت قليلاً.. تقدمت اليه بسرعة ووقفت أمامه وهي تنظر اليه بلهفة وهو يسألها عما تفعله هنا بخشونة لم تعتدها منه ولكنها أدركت انه ثمل .. عيناه الحمراوتين ووجهه المنفوخ فقالت:

-جئت لأجلك..

أمسكت ذراعه وأجلسته الى الطاولة مرة اخرى وهي تهمس قريب من اذنه:

-اين ذهبت حبيبي .. اشتقت اليك.

تأمل ثيوس المرأة الفاتنة أمامه وفكر بسخرية أنها تتلهف عليه وهو لا يكاد يرى أبعد من الشعر الأشقر والعينين الزرقاوتين.. وتنهد مبعداً اياها عنه قليلاً وهو يقول:

-لم يكن عليك المجيئ .. ثم كيف عرفتي أني هنا على أي حال؟

رفعت يده وضغطت بها على صدرها وهي تقول بصوت مثير:

-قلبي المجنون ساقني اليك..

ابتلع ثيوس ريقه وقد لعبت اثارتها المتفجرة بعقله المغيب بفعل الشراب.. ومضى ينظر اليها .. وابتسمت سالي بانتصار وهي ترى تلك النظرة التي تعرفها جيداً .. نظرة رجل يشتهيها .. فلم تضيع الفرصة بل اقتربت منه وقبلته باثارة..

تسمر ثيوس لوهلة ولكنه عاد ليبادلها قبلتها بأقوى منها ..وطالت القبلة الساخنة قبل أن تبتعد سالي بقوة عنه وهي تنظر الى وجهه الوسيم وهمست تقول وشفتيها على عنقه:

-لنذهب من هنا يا حبيبي.. تعال معي وسأنسيك الدنيا كلها..

ابتلع ثيوس ريقه.. ولم يملك من نفسه شيئ سوى النهوض معها .. كان يعرف انها تريده وهو في هذه اللحظة بالذات يحتاج أي امرأة .. تنسيه ولو للحظات المرأة التي يريدها حقاً..

تأملت سالي المرفا الذي بدأت تدب فيه الحياة مع بشائر الصباح الأولى بعينين اغتمتا بدموع حبيسة مالبثت أن سالت من عينيها ببطئ وهي تبكي بصوت مكتوم ..

تباً لك ثيوس .. تباً لك ..

تمتمت بصوت خفيض.. وما لبثت ان التفتت للخلف وهي تحدق بالرجل النائم على الفراش بألم.. كم شعرت بالسعادة وهي بين ذراعيه.. بين ذراعي الرجل الذي لم تحب سواه..

لقد أنساها العالم كله .. جعلها تشعر بانها امرأة بطريقة لم تعرفها قط في حياتها .. وكادت تموت من فرط سعادتها وهي بين ذراعيه .. ثم وبكل برود أخذ خنجراً مسموماً وطعنها به عدة مرات..

تهالكت على الأرض وهي تشد الروب الحريري على جسدها بقوة علها تعوض الخواء الموحش بداخلها.. لقد أحبته بكل مافيها من قوة .. ورغم كل شيئ لم تكن لرجل سواه ..

وبعد كل هذا نسي انها من كانت بين ذراعيه .. نسي أنها من تبادله الحب بالحب.. وفي غمرة عاطفته المجنونة .. ناداها .. ساشا..

شهقت بالبكاء حين تذكرت مقدار الألم والخيبة التي شعرت بهما وهي تسمع سيل الكلمات اللاهفة .. كلمات لم تسمعها قط من قبل لا منه أو من غيره ..

كم يحب تلك المرأة !! لقد غرق في عاطفته وصورت له مخيلته انها بين ذراعيه فمضى يبثها حبه وشوقه .. وهو بين ذراعي غيرها..

نهضت من على الأرض الرخامية ومضت تلملم ملابسها المبعثرة في كل مكان وهي تتجه الى الحمام..

بعد أن ارتدت ثيابها تقدمت منه ونظرت الى ملامحه المسترخية والابتسامة التي داعبت شفتيه .. جلست راكعة امام الفراش واقتربت منه تعب من ملامح وجهه الحبيبة وقد نمت ذقنه فظهرت كظل أسود كثيف لامسته بأصبعها برقة وهي تتمتم:

-سأستعيدك ثيوس .. ستعود لي جاثياً تطلب مني السماح يا حبيبي .. سأجعلك تدفع ثمن قهري هذه الليلة.. (وأضافت بحقد وعيناها تغلي بالألم(

-أما تلك الساقطة فسأتخلص منها بنفسي .. سأعاقبها على سرقتك مني وعلى حرماني من حبيبي.. سأجعلها تندم على كل لحظة قضتها معك ..

رأت ملامح وجهه تتجعد في تكشيرة وكانه سمع حقاً ما تقول فتملكها الغضب واسرعت بمغادرة الغرفة قبل أن ترتكب عملاً أحمق..

***

صـــــداع عنيف ذلك الذي هجم عليه .. صداع كاد أن يقسم رأسه الى نصفين وهو يسمع صوت بصيح الى جوار اذنه منادياً اياه ..

لم يستطع فتح عينيه شعر بثقل يجثم عليهما وكأنه يزن مئات الاطنان.. لهذا أبقى عينيه مغلقتين بألم وصاح في الصوت المزعج أن يصمت..

ولكن الصوت لم يصمت فصرخ فيه مجدداً الا أن انه لم يصمت أيضاً.. بقي يفرك عينيه بقوة وهو يحاول ازالة الثقل الجاثم عليهما وعقله يستوعب ببطء الصوت الذي أزعجه ..

كان هاتفه المحمول يرن بلا توقف فمد يده يبحث عنه بين أغطية الفراش دون فائدة .. فنهض منه بصعوبة وهو يفتح عينيه ببطء حتى رأى الهاتف على الطاولة المجاورة للسرير أخذه بسرعة وشاهد رقم أليكس على الشاشة ففتح الخط وقبل حتى أن يتكلم سمع صوت صديقه المتوتر يقول:

-تباً يارجل اين انت؟؟

تلفت ثيوس حوله وهو ينظر الى غرفة الفندق الذي ينام بها وحاول أن يتذكر ليلة أمس .. ولكن كان الضباب يلف ذكرياته فقال ببطء كسول:

-في فندق ما..

-يالك من أرعن.. لقد كدت أموت من القلق عليك ليلة أمس .. لِمَ لم ترد على هاتفك؟

زفر ثيوس وقال غاضباً:

-ياالهي أليكس .. ماذا تكون زوجتي؟؟

رد عليه صديقه بغضب أشد:

-بل صديقك أيها الأحمق.. أخبرني مع من قضيت ليلتك ولا تجرؤ ان تقول انها فتاة الليل تلك..

عادت ذكريات الليلة السابقة تراوده وهو يتذكر المرأة التي نامت بين ذراعيه وصرخ بحنق وهو يهتف:

-تباً ..تباً...آآآآآآآآه

-ماذا هناك.. هل كانت هي؟

-بل أسوأ بكثير..

قالها بغضب وزفر بضيق وهو يقول:

-لقد افسدت كل شيئ .. كل شيئ..(ونهض عن الفراش يلملم أغراضه المبعثرة وثيابه الملقاة في كل مكان وهو يقول لأليكس(

-سأتصل بك لاحقاً .. يجب علي الذهاب الان.

-انتظر هناك شيئ..

انتظره ثيوس ان يكمل فقال بصوت مضطرب:

-الطبيب .. والد ساشا..

تسمر ثيوس وهو يسمع اسم المرأة التي عذبت لياليه وأليكس يكمل:

-لقد أصيب بنوبة قلبية.. انه في المستشفى.

فغر ثيوس فاه بدهشة ولكنه سرعان ما تمالك نفسه وهو يقول:

-أهو بخير؟؟

-لا اعرف .. جوليان اتصل بي بعد ان فشلوا في الوصول اليك .. انه في براكللي ..

-يالهي .. ساشا ..(شعر بقلبه ينقبض وهو يتخيل ماتمر به في هذا الوقت فقال:

-اسمع اليكس أحتاج للمروحية..

-انها جاهزة لقد رتبت لك كل شيئ لتصل الى هناك قبل المساء ..اذهب للمطار مباشرة سأوافيك الى هناك حالما أستطيع..

-شكراً لك يا أخي.

-اذهب الان سنتكلم لاحقاً.

***

وقفت ساشا أمام باب العناية المشددة في المستشفى المركزي في براكللي وعيناها جامدتان وهي تراقب سرير والدها من وراء الزجاج وقد التصقت به العديد من الانابيب التي تمده بالمحاليل العلاجية وتلك التي تراقب نبضات قلبه المتعب ..

كم كان الذنب يتآكلها .. لولا صراخها عليه وكلامها المؤذي .. لما كان والدها يمر بهذه المحنة .. لقد تسببت بالأذى لكل من تحبهم..

ثيوس .. والدها ..ليزا و حتى بول.. أغمضت عينيها بألم وهي تكتف ذراعيها وشعور عارم بالبرد يلفها .. شعرت بيدين تحيطانها وسمعت صوت ماري الحنون:

-ساشا تعالي لنجلس قليلاً..

رافقتها ساشا الى المقاعد البلاستيكية وجلستا معاً وماري لاتزال تهمس في أذنها بكلمات مواسية رقيقة في ذلك الوقت جاء بول ليجلس الى جوارها وهو يناولها كوباً كبيراً من القهوة وشطيرة قائلاً:

-خذي عليك ان تأكلي شيئاً فانت لم تأكلي منذ الصباح..

أخذت القهوة رافضة الشطيرة بحركة من رأسها وهي تغمغم:

-لا أشعر بالجوع ..

قال لها باصرار:

-بل عليك ان تأكليها كلها..

حاولت معارضته ولكنها انتفضت واقفة حين رأت ليزا تغادر غرفة العناية والدموع تنهمر من عينيها وسألتها بذعر:

-ماذا حدث؟؟

أخذت ليزا نفساً عميقاً قبل ان تقول بجفاء:

-لقد قال الطبيب انها لم تكن جلطة.. بل شريان متضيق .. وسوف يخضعونه للجراحة في أسرع وقت..

-هل استطيع رؤيته؟

نظرت اليها ليزا بقسوة وقالت:

-أظن أنك تسببت بما يكفي .. لو رآك الان لأصيب بالأزمة مجدداً..

اتسعت عينا ساشا بألم وهي تستسلم لذراع بول الذي سحبها بعيداً عن زوجة ابيها وضمها اليه برفق وهو يهمس لها بحنو:

-لا تقلقي ساشا سوف يكون بخير ..

أرادت البكاء .. الصراخ .. ولكن كل ذلك تجمع في حلقها بغصة ألم مريرة وهي تدفن وجهها في كتفه وتتشبث بذراعيه بقوة..

-ليـــزا..

كادت ساشا تصاب بالاغماء وهي تسمع ذلك الصوت الحبيب يهدر في الممر الصامت والتفتت بقوة ليطالعها مشهد زوجة ابيها التي ارتمت بين ذراعي ثيوس وهي تنشج بالبكاء بقوة وهو يربت على ظهرها مواسياً ..

تأملت منظره الكئيب وقد كللت الظلال السوداء ملامح وجهه ومعطفه الاسود الطويل يزيده ضخامة ولوهلة شبهته بالدب.. الذي يحتضن فريسته قبل أن يغرس فيها مخالبه الحادة..

كم تاقت ان تكون هي بين ذراعيه تبكي ألمها وتشكو وجعها له .. كم تاقت ان يخفف ألمها عنها ولو بكلمة ..

ولكن ثيوس تجاهلها تماماً وهو ينفرد بليزا في زاوية بعيدة ويستمع لكلامها بتركيز شديد ومن النظرة القاسية المحقرة التي رماها بها عرفت ان ليزا لم تنصفها ولو بكلمة واحدة..

فأشاحت بوجهها عنه وهي تقول لبول بضراعة:

-لنذهب خارجاً..

نظر اليها بول بألم وهو يعي ما أصابها حال وصول ذلك الرجل .. ولكن حبه الكبير لها جعله ينهض عن المقعد وهو يشدها اليه .. جاذباً اياها معه الى الخارج..

آآآآه على مشاعر الغيرة التي تنهش في أعماق الرجل العاشق ..

كاد ثيوس ان يحطم محتويات المشفى على رأس ذلك الرجل الذي تجرأ واحتضن المرأة التي يعشق أمامه بكل وقاحة .. لحظتها تسمر وهو ينظر اليهما معاً ..

لا بد ان ضغط دمه قد ارتفع الى حدود أعلى مما يتحمله بشر فقد شعر بالدم يغلي في عروقه ونيرانه تتأجج في عينيه وهو يراها تستند الى ذراعي هذا الاحمق..

اليس هو من يفترض ان يكون معها الان .. يواسيها ويطمئنها انها ستكون بخير .. وان والدها لن يصيبه مكروه ..

أليس هو من يفترض أن يواسيها في ألمها .. يمحو ملامح البؤس المحفورة على وجهها بقبلة منه .. قلبها الخائف يستكين بين ذراعيه .. وارتجافة جسدها الباكي تهمد بلمسة من يديه ..

أليس هو من يجب أن يكون مكان هذا المغفل الذي سمح للدموع الماسية تلك أن تجرح وجنتيها..

أخرج نفسه من تلك الحالة بسرعة قبل أن يتسبب بفضيحة هو في غنى عنها وهو ينادي ليزا التي اجهشت بالبكاء حالم ارتمت على صدره..

ضمها اليه مواسياً وأخذها بعيداً عنهما وهو يسمع من بين كلماتها المبعثرة كيف تسببت ساشا لوالدها بتلك الأزمة القلبية وحدجها بنظرة قاسية لم تتحملها وسرعان ما غادرت المكان برفقة ذلك الرجل خطيبها..

جلس هو حينها برفقة ليزا وتلك الفتاة التي عرف فيها صديقة ساشا الانجليزية.. لم يمضي الا وقت قصير قبل ان يأتي أحد الأطباء وهو يقول لليزا ان زوجها قد استفاق ويريد رؤيتها ..

تنهد الجميع ارتياحاً ونهضت ليزا تلحقه بسرعة.. وبقي ثيوس برفقة ماري التي اطالت النظر اليه من بعيد وكأنها تقيمه في سرها ببطء وتروي ..

تأملت ساشا البحر الذي تلاطمت أمواجه بفعل الريح العاصفة التي عكست عاصفة المشاعر التي هاجت بداخلها وهي تهرب من عيني ثيوس القاسيتين ..

كانت تحصد شوكاً زرعته بيديها .. تألمت من عينيه القاسيتين التين جرحتا شغاف قلبها المرهق .. تألمت من فكرته السيئة عنها .. اغمضت عينيها وهي تحاول طرد وجهه الحبيب عن مخيلتها ..

كان بول يجلس الى جوارها صامتاً فالتفتت اليه وقالت:

-أنا اسفة بول.

رأته يغمض عينيه بقوة ويقبض كفيه ويبسطهما بحركات متعاقبة فقالت:

-لقد آذيتك .. ولكني لم أقصد قط.. لم أعني أبداً ان اوذيك..

ضحك بسخرية وهو ينظر اليها ثم قال:

-ولكنك فعلتي ياساشا ..آذيتني بكل الطرق الممكنة..

ثم أخرج من جيبه الخاتم الذي احتفظ به طويلاً ونظر اليه قبل ان يقول باسى:

-لقد انتهينا .. أرجوكي ان تحلي مشاكلك مع ذلك الرجل .. بعيداً عني ياساشا .. فالحرب من أجل امرأة لا تريدني أمر لا يستهويني حالياً ..

ورفع يده بقوة ليرمي بالخاتم الماسي في عرض البحر وهو يقول:

-طائرتي لم تغادر المطار بعد .. استطيع اللحاق بها لدي الوقت وأظن ان ماري سترغب بالبقاء معك على كل حال..

واقترب منها وقال محدقاً في عينيها:

-الى اللقاء ساشا ..

تأملته ساشا من وراء عينان باكيتان وهو يغادر الرصيف المزدحم بالسواح في هذا الوقت من المساء واسندت ظهرها للمقعد الخشبي وهي تغلق عينيها بقوة والدموع تنساب منهما ثم انتفضت بقوة وهي تشعر بيد توضع على كتفها والتفتت الى صاحبتها لتجد كاثي واقفة الى جوارها .. جلست بجوارها وهي تسألها:

-كيف أصبحت حال والدك الأن ؟؟

أخذت ساشا نفساً عميقاً وهي تمسح عينيها بحركة طفولية من يدها وقالت بصوت خنقته العبرات:

-لا أعرف.. سيجرون له جراحة؟؟

وجدت كاثي نفسها تضمها بسرعة وهي تقول برقة:

-سيكون بخير لا تقلقي..

استكانت ساشا بين ذراعيها وقالت بألم:

-انا أشعر بالخوف .. ماذا ان مات أو ..

قاطعتها كاثي:

-سيكون بخير يا ساشا انا واثقة.

نشجت ساشا بالبكاء فضغطت كاثي عليها مواسية وهي تقول:

-لمَ لا نذهب الى منزلي؟

هزت راسها رافضة الا أن كاثي لم تترك لها فرصة للاعتراض وقالت :

-ليس هناك ما تفعلينه هنا ستاتين معي وتأخذين قسطاً طويلاً من الراحة.. وغداً صباحاً ستعودين الى المشفى للإطمئنان على والدك .. هيا بنا..

تأملتها ساشا بعينين مندهشتين من فرط طيبة هذه المرأة وعرفت انها تحتاج الى الراحة تحتاجها بشدة لهذا نهضت برفقتها ومشت معها قليلاً قبل ان تقول متذكرة:

-صديقتي ماري.. انها بالداخل.

-مع ليـــــزا؟؟ (تسائلت كاثي فأومأت ساشا فقالت الأولى مضيفة) لم لا نتركها برفقتها ستحتاج ليزا للدعم وسنتصل بها من منزلي لنطمئنها عليك.. هيا بنا.

شعرت ساشا بالارتياح لبضعة دقائق والسيارة الفارهة يقودها سائق خاص تتجه بها الى منزل آل براكللي وسرت ولو لمرة واحدة في حياتها ان تترك زمام أمورها لشخص ماعداها.

***

تأمل ثيوس الحديقة الغارقة في الظلام بعينين مثقلتين .. لم يعرف اين يذهب .. يعود الى سوفيرا! ولكنه عاد ليفكر بليـزا ولم يستطع تركها بمفردها .. كانت حالة الطبيب تتحسن وكل المشرفين عن حالته يقولون انه سيتحسن ..

ساشا اختفت .. لم تعد الى المشفى .. لابد انها مع ذلك البول في مكان ما ؟؟ أخذ نفساً عميقاً وهو يحاول عدم التفكير بها مجدداً فهي لم تجلب له سوى الألم والمصائب .. عليه أن يفكر ملياً قبل اتخاذ أي خطوة..

يكفيه ما حدث في ليموسول .. تباً انه لم يفكر بعد فيما حدث مع سالي .. تباً له كيف يرتكب مثل هذا الخطأ... علاقته بسالي كانت .. كانت دائماً شائكة .. لا ينكر انه ليس بقديس .. وان سالي كانت دائماً معه.. وهي لم تبخل بنفسها عنه في بضعة مناسبات سابقة.. هي ليست بريئة وهو رجل... لم تكن المرة الأولى التي يمارس الحب معها ..

ولكن ليس الأن .. ليس وهو غارقٌ حتى اذنيه في حب امرأة سواها .. ليس وهو يعرف ان حياته تعقدت بشكل أكبر مما يستطيع حله بالسياسة ولقاء عائلي وما شابه.. سالي كانت دائماً تراقب من بعيد وتعيش على نار باردة.. طالما انها مؤمنة انه في قبضة يدها ولكن... ليس الأن ليس بوجود ساشا في حياته..

والدليل انها لم تكن موجودة حين استيقظ.. بل هي لم تتصل به منذ ليلة أمس .. ترى ماذا حدث؟؟

عندما يحاول التذكر لا يرى الا مشاعره بوجود امرأة بين ذراعيه .. وكلما أراد النظر اليها لم يرى سوى العينين الزرقاوين للمرأة التي يحب..

تنهد بضيق وعاود شرب عصير الفاكهة وهو يراقب ستيفان الذي كان يلاعب مفاتيح البيانو في صالة منزله في براكللي وسأله:

-مالذي أخر كاثي الى هذه الدرجة؟ ماذا تفعل كل هذا الوقت فوق؟

أشاح ستيفان براسه وقال بارتباك حاول أن يخفيه:

-انت تعرف النساء لابد انها تتزين أو ماشابه.

رمقه ثيوس بحذر وهو يعرف محاولة صديقه اخفاء أمر عنه.. ولكن الباب الذي فتح وكاثي وراءه وعلى وجهها تلك الابتسامة المرحبة جعلته يتغاضى عن الأمر وهي تدخل لترحب به بحرارة..

أخذت كاثي نفساً عميقاً وهي تدخل لترحب بثيوس .. كانت قد ساعدت ساشا بالخلود للنوم لتوها بعد أن اعارتها ثوب نوم قديم لها واعطتها حبة منوم ..

وغرقت ساشا بالنوم سريعاً وهي جالسة تتأملها بعمق قبل ان تدخل الخادمة لتعلن لها ان ستيفا يريدها في الحال.. وكادت ان تضحك بهستيرية حين علمت ان ثيوس جاء الى المنزل وهو بالأسفل ..

ورغماً عنها وجدت نفسها تتسائل .. ماإذا كان القدر يلعب لعبة اكبر من ان يستطيع أحد ان يفهمها..

جلست الى جواره وقالت:

-هل من أخبار عن الطبيب؟

-كيف عرفت؟؟

-روين قالت لي.. هل من أخبار؟

-سيكون بخير..

جائت احدى الخادمات حينها وقالت لستيفان:

-مكالمة لك من السيد آرتسمان.

نهض ستيفان وقال معتذراً:

-علي الذهاب العمل لا يرحم.

تأملته زوجته بابتسامة وهو يغادر ونظرت بعدها الى ثيوس الذي كان شارداً بافكاره مجدداً.. فسألته:

-أهناك اخبار عن ساشا؟؟

التفت اليها بسرعة وعصبية فاضافت:

-هل رأيتها؟

ابتلع ريقه بصعوبة وقال بألم:

-كانت مع ذلك الرجل.. رحلت معه.

-غادرت!!

-لا أعرف .. ولكنها لم تعد الى المشفى .. ولا اعرف عنها شيئاً ولا اريد ان اعرف.(قالها بغضب وقد اسودت عيناه واصبحتا بلون الفحم المحترق ففكرت كاثي لوهلة قبل أن تتسائل:

-هل انت واثق انهما رحلا معاً؟.. اعني انها لن تترك والدها في هذه الحالة ..

-لقد اخبرتني ليزا أنها السبب .. لقد تشاجرت مع والدها وتسببت بمرضه.

-نحن لا نعرف ماحدث حقاً.. (قالتها بعتاب فنظر لها بحدة وقال بعصبية:

-لماذا اشعر أنك تدافعين عنها ؟؟

-لأنني لا اعرف ماحدث بالضبط..

نهض ثيوس من مقعده وقال بغضب مفرط:

-ساخبرك بم حدث بالضبط .. لقد خدعتنا كلنا .. خدعتني انا ..حتى والدها لم يعلم بخطبتها لم يعرف أحد.

-روين عرفت.. (قالتها كاثي بهدوء.. قابله بنظرة صاعقة من عينيه مطالبة اياها بالتكلم فقالت:

-أخبرتني روين أن ساشا كلمتها قبلاً عن بول.. (وأضافت بلهجة ذات مغزى) ولكنها لم تقل قط أنها مخطوبة ..

نظر لها بتساؤل وهو يقول:

-ماذا تعنين؟ أتقولين أنها ليست مخطوبة لذلك الرجل.. ماذا عن الخاتم .. لقد قالت لي بنفسها انها ملك له.

هزت راسها وقالت:

-انا لاأعرف ولكن هناك أمر غير سليم في هذه المسألة..

-لقد انتهى الأمر كاثي.. لقد رحلت معه وانتهى الأمر..(قالها باحباط شديد وهو يشيح ببصره عنها.. تاملته مطولاً ثم استجابت لذلك الهاتف في اعماقها وقالت:

-ولكنها لم ترحل..

نظر اليها والعجب يحفر ملامحه وهي تقول بتصميم:

-بول عاد الى انجلترا .. ولكنها لم ترحل بعد..

عقد حاجبيه وتسائل:

-وكيف عرفتي؟

-انها نائمة في غرفة الضيوف فوق.

تأملت كاثي الصدمة التي لاحت في عينيه وهي تقول عبارتها بكل هدوء وعرفت من احمرار وجهه وانتفاخ اوداجه ان ضغط دمه قد ارتفع حقاً وهي تضيف بحزم:

-انها ضيفتي ثيوس .. اياك ان تتصرف بتهور..

اسند ثيوس برأسه الى ظهر المقعد وهو يحاول تهدئة مشاعره الثائرة في أعماقه ولكنها لم تقبل بالهدوء والتفت الى كاثي وسألها:

-أين هي؟

صمتت رافضة البوح فقال ببرود:

-سأعرف بطريقتي.. إن لم تخبريني؟

-أنت لا تطاق.. لن أسمح لك ابداً بالتطفل على ضيفتي.. بالكاد نامت بعد الحبوب المهدئة..

-أين هي كاثي(زمجر بعنف فقالت بضيق) غرفة الضيوف المجاورة للجناح الشرقي ..

قفز ثيوس من مقعده وتجاهل صياح كاثي وهو يصعد الدرجات المؤدية الى الطابق العلوي قفزاً.. لم يهمه شيء ولم يرد غير شيء واحد .. ان يرى المرأة التي يحب ..

تناقصت المسافة بسرعة مخيفة وقبل ان يهزمة تردده فتح الباب المعني ودخل الى الغرف بكل هدوء..

كان الظلام منتشراً وبعد ان اعتادت عيناه عليه تقدم نحوها..كانت النافذه مفتوحة يتسلل عبرها ضوء قمر شحيح بالكاد أضاء الغرفة بلون شاحب .. كانت ممدة على الفراش فاقترب منها ببطء ثم ركع امام السرير الضخم الذي احتوى جسدها الرقيق واقترب منها ..

كانت تضم وسادتها اليها بقوة وعلى الفرش الابيض انتشر شعرها الأشقر الذي تألق بلون فضي بفعل ضوء القمر وبدت بشرتها شاحبة كالموتى وهي تنافس في بياضها بياض الوسائد الناعمة حولها..

شعر بيد باردة تعتصر قلبه وهو ينظر اليها .. يالهي كم يحبها وكم آذته وحرمته لذة الحب.. اراد ان يصرخ ان يهزها بعنف .. ان يوقظها من نومها .. أراد ان يحرمها لذة النوم كما حرمته هناء عيشه وراحة باله .. اراد أن يضمها بين ذراعيه أن يشبع رغبته المسعورة منها أن يجعلها امرأته بكل ما للكلمة من معنى .. أن يسمها للأبد كما وسمته هي.. أرادها له .. له وحده.

ولكنه لم يستطع حتى ان يمسها .. كانت تشع حولها هالة قوية .. تحميها من كل شيئ وكأنها تقول صارخة .. لا تلمسني.. تنهد بأسى وتراجع عنها...

استند بظهره الى حرف السرير وهو يراها ترفس الأغطية من عليها وهي تتشبث أكثر بالوسائد .. وكشفت عن ثوب النوم القطني القصير الذي ترتديه الذي بالكاد ناسبها .. فالبرغم من كون كاثي الان ضخمة

الا انها كانت نحيلة كالقلم قبل حملها .. وبالتاكيد لن تناسب قمصانها جسد ساشا متفجر الأنوثة ..

وزم ثيوس شفتيه بتوتر وهو يجذب الاغطية محاولاً ستره وهو يلعن في سره هذه القمصان القصيرة .. ولكن ساشا لم تكن لتقبل بوضع الاغطية قط .. وبدأت تهمهم بضيق فخشي للحظة ان تستيقظ .. فتركها كما هي .. واقترب من وجهها وبقي مستنداً على الفراش بذراعيه ويسند ذقنه عليهما وهو يطيل النظر اليها...

كيف التقت رموشها الطويلة بوجنتيها .. كيف انحنى فمها ونعومة شفتيها .. كم يشتاق اليها والى قبلاتها .. ااه كم يحبها .. وكأنها سمعت مافكر به .. وجدها تبتسم برقة وتهمهم برضا وهي تلقي بذراعها حول عنقه .. واتسعت عيناه وهو يجد نفسه محاطاً بذراعها ووجد نفسه رغماً عنه يقترب منها حتى كاد وجهه يلامس وجهها ..

ابتلع ريقه وحاول ابعاد ذراعها عنه ولكنها كانت تبدو رائقة المزاج .. مستمتعة .. وهو لن ينكر أبداً شعوره الرائع وهي قريبة منه ورائحة جسدها المنعشة تدغدغ أنفه وتثير فيه مشاعر أقوى من ان ينكرها ..

تنهد وذكرى منظرها بين ذراعي ذلك الرجل يهجم عليه بقوة ووجد جسده الذي كان يحترق رغبة بها يتصلب والحب الذي كان يشع من عينيه تقتله الغيرة .. ووجد نفسه يتملص من ذراعها وهو يبتلع

احساس مؤلم بالغدر والخيانة .. كان يعرف انه لوبقي هنا سيقوم بشيئ سيندم عليه بالتأكيد..

لذا نهض ببطء وأشاح بوجهه عنها وهم بالخروج لولا أن استوقفه صوت بدا له وكأنه نشيج صامت.. التفت اليها وعلى ضوء القمر الشحيح .. رأى على وجهها لمعان .. لمعان عرفه جعل قلبه يغور بين ضلوعه.. أقترب منه ببطء وعاود ركوعه وهو يرى خيط الدموع ينساب من عينيها فشعر بذنب لم يفهمه يأكل أعماق قلبه وفكر بغيظ كيف تستطيع هذه المرأة ان تؤثر فيه هكذا وجعله يشعر بذنب من المفروض ان يتآكلها هي ..

ولكنه لا يستطيع ان يقف هكذا وهي امامه تبكي .. (أي حلم هذا الذي أبكاكي يا حبيبتي) همس بها بألم ومد يده يمسد خصلات شعرها المتناثر فعاودت الدموع انهمارها .. فاقترب منها وقبل عينيها ببطء ومسح الدموع التي سالت على خديها بشفتيه وهو يهمس بشوق:

-لا تبكي يا حبيبتي .. أرجوكي لا تبكي..

كان يراها كطفلة ضائعة .. كم كسر قلبه ان يراها تبكي هكذا وفي أثناء نومها أيضاً .. يالهي كم أنها رقيقة وناعمة ..

كم يتمنى لو يأخذها بين ذراعيه وينسيها هذه الدموع التي آذت مقلتيها .. كم يتمنى ان يمحو هذه الدموع.. ابتعد عنها وقد توقفت دموعها وبان الرضى على قسمات وجهها وحمل نفسه رغم عنها

الى الخارج حتى لا ينتابه ذلك الضعف المجنون مجدداً .. وياخذها بين ذراعيه ويريها معنى أن تكون ملك لرجل حقاً..

***

انتظرت كاثي بقلق نزول ثيوس من عند ساشا وبقيت تذرع الأرض الرخامية لبهو منزلها بتوتر وعيناها على السلم اللولبي المتسلق الى الطابق الأعلى .. وزفرت بضيق وهي تراه يمزل من الغرفة بسرعة .. وقفت أمامه لتكلمه لكن ثيوس مضى في طريقه ولم يتوقف أبداً ..

نظرت اليه باستنكار ولكنه فتح باب المنزل وغادر..

مشى طويلاً .. طويلاً جداً وهو لا يكف عن التفكير .. لماذا تركها خطيبها ورحل .. هل وقعت بينهما مشكلة.. آه يا ساشا .. ماذا تفعلين بالرجال حولك .. ماذا تفعلين؟؟

وصل الى المرفأ وهناك وجد يخت عائلته راسياً.. اقترب منه وهو يصيح منادياً المسؤل عنه.. خرج له شاب في العشرين رحب به في حرارة وثيوس يتسلق السلم الخشبي ويقول بتكدر:

-سأنام حتى الفجر .. عندها عد بنا الى سوفيرا ..

أومأ له الفتى وسرعان ما ستلقى ثيوس على السرير الشبكي المعلق رافضاً النوم في الكبينة الرئيسية واغلق عينيه على صورة القمر الذي سكن أحلامه ورغماً عنه رأى خيط الدموع يسيل على خده..

في الصباح كانت الشمس تنتشر في الغرفة وتنيرها بشكل كبير نظرت ساشا الى الاثاث الفخم والناعم لغرفة النوم التي تحتلها في منزل كاثي وزفرت بهدوء وهي ترى كيف انحسر ثوب نومها عن ساقيها .. وتذكرت ذلك الحلم.. لم تستطع تذكر تفاصيله .. ولكنها تتذكر مشاعرها تماماً فيه .. كانت خائفة .. خائفة حتى الموت والبرد .. البرد يقرصها بقسوة .. ثم غمرها شعور عارم بالدفء .. شعرت بالأمان واستكانت أحلامها ونامت بعمق .. دون أية منغصات ..

تنهدت ونهضت من الفراش الوثير وذهبت الى الحمام الملحق بغرفتها.. امام مرآة الحمام وقفت تغسل وجهها ولكنها توقفت وهي ترى أثار دموع لطخت خدها .. مستها بيدها بتردد وهي تشعر بذلك الدفء يعاودها من جديد وكأنما هذه الدموع قد مسحت من قبل .. ابتلعت ريقها وهي تقول لنفسها بقسوة:

-كفي عن أحلامك السخيفة .. ألا يكفي ما حدث حتى الأن..

وفتحت الماء بقوة ومسحت وجهها عدة مرات لتمحو عنه الأثر الذي عليه..

كان النهار قد انتصف وثيوس يدخل الى بوابة منزله حين شعر بلكمة توجه الى معدته .. كانت سيارة سالي متو قفة أمام المدخل .. تنهد بتعب وكاد ان يستدير عائداً من حيث أتى .. الا أنه استمر بطريقه وعلى المدخل التقاها..

تأمل الفتاة وقد تكللت عيناها بحزن لم يتوقعه وشعر بالذنب وهو ينظر اليها .. وقفت تنتظر ان يتكلم .. ولكنه تسمر وقد فقد الكلمات المناسبة ليقولها فتنحنحت هي وقالت:

-ألن تلقي علي التحية..

رفع يده يتخلل شعره باصبعه وهو يقول بتوتر:

-سالي أنا ..

اقتربت منه ووضعت أصابعها على فمه تمنعه من الكلام وعيناها تبرقان ببريق غريب وهي تقول:

-لا داعي .. لا تعتذر.. نحن بالغان ثيوس ..(ثم غمزت بعينها وهي تقول متظاهرة بالمرح) كما أنها لم تكن المرة الأولى ..

ومررت أصبعها تلامس خطوط فمه باثارة وعيناها تنضخان بالرغبة وهي تضيف:

-لقد استمتعت جداً.. نحن نعرف كيف نستمتع معاً يا حبيبي .. كما سنفعل دائماً ..

أبعد يدها عنه وهو يقول بصرامة:

-هذه هي المشكلة سالي .. هذا لن يحدث مجدداً كانت غلطة .. ولا يجب أن نكررها..

قست عيناها ورغم ذلك لم تتغير الأبتسامة على شفتيها وهي تقول:

-ولكني أعرف انها ستتكرر.. انت لا تستطيع الابتعاد عني ثيوس..
(ورفعت ذراعيها تحيط بعنقه وهي تقترب منه لتلامس فمه بشفتيها بخفة وهي تهمس) أنا اجري في دمك .. ولن تستطيع الخلاص مني أبداً..

تركته فجأة وغادرت .. وجد نفسه واقفاً في مكانه يغلي من الغضب وهو يفكر بأنها لعنة سكبها هو بنفسه على رأسه .. وكاد يصرخ بغيض حين وجد والدتها تتقدم نحوه من الداخل وهي تبتسم بلزوجة وتقول بمرح:

-كيف حال رجلي المفضل ..

حياها بجفاء ثم اعتذر وهو يسرع بالدخول متجاهلاً رغبتها بالكلام .. أما هي فقد ابتسمت بخبث وهي تراقبه ينتفض من غيظه وسارعت الى السيارة حيث جلست سالي خلف مقودها وقالت لها بهدوء:

-هل فعلت ماقلته ؟

تنهدت سالي بضيق وقالت:

-نعم .. تصرفت وكأن شيئاً لم يحدث.. غازلته رغم أنني أود لو أفقأ عينيه ذلك الأحمق..

ضحكت والدتها وقالت بخبث:

-وكأنني صدقتك.. عليك التزام الهدوء يا حبيبتي .. الهدوء والتروي سيعيدان رجلك اليك.. والأن اذهبي الى كاثي .. وافعلي ماقلته لك..

نظرت سالي الى امها وقلبها يخفق من نظرة الخبث والشر التي تطل من عينيها..

***

اغتسل ثيوس بالماء الدافء وبقي وقتاً طويلاً تحت رذاذ الماء القوي وهو ينهمر عليه وبعد ان استرخت كل عضلات جسده تقريباً .. خرج من تحت شلال المياه والتف بمنشفته وتوجه الى سريره ليستلقي عليه دون أن يهتم بتبليله ..

بقي ينظر الى السقف المزخرف بنقوش يونانية قديمة فقدت هويتها بفيض من النقوش التركية التي تجاورها بلوحة غريبة مميزة .. وأشاح ببصره عن هذا الجمال وهو يحاول صرف تفكيره عن المعضلة التي تواجهه حين سمع طرقات على الباب ,,

نهض متثاقلاً فتح الباب ليطالعه وجه آنزي الحنون وهي تقول بصوتها الثخين:

-هناك فتاة شابة تنتظرك في الأسفل بني.

عقد حاجبيه وقال متسائلاً:

-ألا تعرفينها آنزي؟؟

-أراها للمرة الأولى يابني..

تنهد وقال بضيق:

-سأنزل على الفور..

لم يستغرق سوى بضعة دقائق لارتداء ثيابه ونزل على الفور .. في غرفة المكتب وقف دون حراك يتأمل الفتاة ذات القد الرشيق التي وقفت باعتداد تنظر اليه والقوة تنشع من عينيها الخضراوين وهي تقول بحزم:

-أنا وأنت علينا أن نتحدث..

نظر اليها بتوجس قبل أن يقول لها ببطء:

-أن اسمع..

تقدمت منه ورفعت يدها تسلم عليه وهي تقول:

-لنتعارف أولاً .. أنا ماري.. ماري ويذيرس..

سلم عليها وهويعرفها بنفسه قبل أن تقول:

-انا أعرف عنك الكثير.. أكثر مما تتصور..

عقد حاجبيه وهي تضيف:

-ولكني لم آتي لهذا السبب ..

-لم جئت اذاً..(قاطعها بصرامة فنظرت اليه لوهلة قبل أن تقول) لقد جئت لأصلح بعضاً مما أفسدته صديقتي ..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينتظر منها أن تكمل ما تقول ولكنها لم تقل .. بل اخرجت من حقيبتها أوراق مطوية بعناية وناولتها اياه وهي تقول:

-هذه ستفسر الكثير..

تردد ثيوس ولكنه أخيراً مد يده وتناول الأوراق وحالما فضها اكتشف انها رسالة.. رسالة من ساشا لماري.. وغرق في الكلمات الناعمة التي اخذته الى عالم آخر من المشاعر.. جعلته دخل الى عقل تلك المرأة .. كلمات عبرت فيها عن كم المشاعر التي تأسرها .. مشاعر لم تظن قط أنها تملكها .. كلمات عبرت فيها حن حبها له بكل بساطة .. عبرت عن حياتها التي قلبت رأساً على عقب بفعل ذلك الرجل الذي التقته .. حب حاربته من دون أمل ..

كتبت عن خوفها.. بل رعبها من هذا الحب كتبت وكتبت حتى تعب القلم .. ولم تتوقف بدت الرسالة غير مكتملة .. رفع الى ماري عينين جاحظتين وصوته خنقته المشاعر ورفع الأوراق يلوح بها وهو يتمتم بصوت متحشرج:

-ما معنى هذا..؟؟

قالت ماري بخفوت:

-معناه انها تحبك.. هي لم ترسل الرسالة قط .. وجدتها بين اغراضها .. وعرفت انك الوحيد الذي يحق له ان يراها.(ثم اندفعت تقول وقد نهضت من مقعدها(

-اسمع يا سيد ثيوس .. انا لا أعرفك .. ولكني أعرف ساشا جيداً .. أعرفها أفضل مما عرفها أي فرد في عائلتها .. انها صلبة وقوية .. ولكن من الداخل هي مجرد فتاة مراهقة تصرخ بأعلى صوتها ليراها احد .. هي لم تقع في الحب قط من قبل .. لا تعرفه .. لهذا شعرت بالخوف والرعب من المشاعر التي تجتاحها وانت معها .. لهذا تسلحت بأقوى أسلحتها ورفعت دفاعاتها كلها لحماية قلبها من التحطم..

وأضافت بألم:

-انها تحبك .. ولكنها خائفة من هذا الحب.. خائفة منك أنت.

أغلق ثيوس ثيوس عينيه بألم وهويستمع الى ماري وحالما سكتت حتى نهض من مقعده بثورة وأمسكها بكتفيها بعنف وهو يصرخ بغضب:

-ماذا عن ذلك الرجل؟

-بول!!!

-نعم بول..ماذا عن خاتمه..

-بول عرض عليها الزواج فعلاً ولكنها لم توافق بعد .. لقد طلب منها أن تستسغل الرحلة للتفكير .. حتى أنه هو من أصر أن تحتفظ بالخاتم معها حتى عودتها..

اندفع ثيوس الى الخارج كالصاعقة و هو يرى العالم كله مصبوغ أمامه باللون الأحمر.. سوف يقتل أحدهم اليوم ,, بل سيقتل شخصاً واحداً فقط .. سيقتلها هي .. ساشا..

آآآآآآآآآآه زمجر بها بغضب وهو يدير رأسه في أرجاء المكان بحثاً عن سيارته وحالما وجدها اندفع بها نحو المرفأ..

تسللت ساشا الى الاسطبل وهي تتوق الى ركوب الخيل .. كانت كاثي تحوطها بسوار من حديد وكأنها آنية زجاجية تخشى عليها من التحطم وهي تعتني بها حتى ضاق بها الحيل.. واخيراً استطاعت التخلص منها .. هي لا تقصد ان تكون فضة ولكنها تحتاج لمساحة وحدها ولو لبعض الوقت..

رأت الخيول الجميلة متراصة أمامها وحارت أيها تنتقي قبل ان تسمع ذلك الصوت .. التفتت اليه بسرعة واتسعت عيناها اللتان نظرتا الى المرأة بالثوب الأسود..

كانت سالي تتوجه الى منزل كاثي حين رأت ساشا تتسلل الى الاسطبل .. وشعرت برغبة عارمة في القضاء على هذه الحشرة التي تقض مضجعها وتسرق منها الرجل الذي تحب..

وذكرى ثيوس وهو ينادي على اسمها وهي بين ذراعيه تلاحقها ليل نهار..

لحقتها الى الأسطبل وهي مصممة على ايذائها غير عابئة بما سيحدث لاحقاً ..

وهناك تواجهتا وبدأت سالي تقول بحقد:

-ماذا تفعلين هنا ؟

ابتلعت ساشا ريقها ولم تعجبها اللهجة الحقود وهي تغمغم:

-ليس من شأنك.

ابتلعت سالي الاهانة وهي تتقدم نحوها ببطء تطيل النظر في عينيها وتقول:

-هل أنت ضيفة كاثي ؟

اشاحت ساشا بوجهها وهي تجيبها فقالت سالي:

-لابد انها مضيفة سيئة تلك التي تتركك تجولين بمفردك في ارجاء المكان.. أخبريني ألم تذهبي لمكان غير سوفيرا وبراكللي؟

شعرت ساشا بالتوتر وتسائلت عن مغزى هذه الأسئلة وهي تهز رأسها نافية فضحكت سالي بخبث وهي تقول:

-يالنا من مضيفين سيئين.. (واضافت ببطء وهي تراقب شحوب وجه ساشا) كان علينا أنا وثيوس اخذك معنا الى ليموسول البارحة ..

ابتلعت ساشا ريقها وهي تتسائل رغماً عنها:

-هل .. كنتما معاً؟؟

تنهدت سالي وقالت حالمة:

-ليلاً نهاراً.. (وشددت على كلمة ليلاً وهي ترى كيف امتقع وجه ساشا وهي تضيف) ثيوس رجل جامح .. وهو لا يكتفي من الحب..

أطرقت ساشا بأسى وهي تفكر.. كم انه مخادع .. تركها ليقضي يوماً عابثاً مع هذه الأفعى.. تركها في ذلك البؤس تغرق في عذابها وحدها .. تباً لك ثيوس .. تباً لك..

كانت الدموع تترقرق في عينيها وسالي تشعر بالسعادة لرؤيتها متعذبة ولكنها سعادة غير كاملة فهي أرادت ايذاءها بقوة ولهذا جالت بعينيها في الاسطبل وبرقت عينيها بقوة قبل أن تتجه الى جواد بعينه وهي تقول:

-اذا كنت تودين امتطاء الخيل فأنصحك بذلك الجواد البني .. انه لطيف..

ومسدت خطم الجواد الأحمر وهي تضيف:

-ولكن لا تقتربي من ستاليون.. انه همجي.. ولن تقدري على السيطرة عليه ..

وابتعدت عن الجواد وهي تتمتم:

-مثل ثيوس تماماً..

رفعت ساشا عينيها وقالت بكرامتها المجروحة:

-استطيع السيطرة على أي جواد اريد..

ابتسمت سالي بسخرية وهي ترى أن خطتها تفلح بامتياز:

-ليس ستاليون.. انه فوق مستواك..

-سنرى..(قالتها ساشا بغيظ واندفعت الى مربط الجواد وفاتتها تلك النظرة الحمراء المجنونة التي شعت من عينيه وهي تسرجه بسرعة .. وزفر الجواد الأحمر تحت نظرات سالي المترقبة بهدوء وساشا تمتطيه بسهولة .. وتقوده الى خارج الاسطبل بهدوء وسالي تغمغم:

-مرحى لي.. ضربة واحدة بالسوط وستاليون المجنون يقود رفيقته السارقة الى حيث لن ترجع..

ظهرت ابتسامتها الشيطانية وهي تراقب ابتعاد ساشا بالجواد رويدا.. رويدا.. وعيناها تغفلان عن عينين بريئتين اتسعتا لمرأى ذلك المشهد بذعر..

كانت الدموع تنسكب من عينيها باسهاب وهي تقود الجواد الضخم بعيداً عن تلك الشيطانة وهي تشهق .. كانت تبحث عن عذر للبكاء وقد أعطتها سالي العذر بكل سهولة..

لم تعد تريد رؤية ذلك الرجل أو السماع باسمه مجدداً .. ارادت الركض والابتعاد عن كل شيء .. ولولا وجود والدها في المستشفى لكانت غادرت المكان باسرع مما تتصوره..

أنت بألم وهي تتذكر كلمات سالي انها قضت الوقت ليلة أمس برفقة ثيوس .. ياله من كاذب ومنافق.. ياله من جبان..

حينها سمعت وقع تلك الحوافر وهي تقترب منها ادارت راسها لترى الحصان الأسود الفاحم يقترب منها بقوة وميزت فارسه من بعيد فلكزت حصانها لتحثه على الركض فأطاعها ..

كان ثيوس يصرخ بها بقوة ولكنه لم تفهم ما يقول.. كل الذي أرادته هو الابتعاد عنه .. فحثت ستاليون على الركض أسرع.. وهي تتجاهل صرخاته المدوية..

وصل ثيوس الى منزل كاثي بسرعة قياسية وهو يبحث عن ساشا وأخبرته احدى الخادمات انها تتنزه في الحديقة بعد ان خلدت كاثي للراحة بعد الغداء..

خرج باحثاً عنها ولكن أحد الصبية سرعان ما رآه واقترب منه بقول بتوتر:

-السيدة الشقراء.. السيدة الشقراء..

أمسكه ثيوس بقوة وسأله بتوتر:

-ماذا حدث؟.. تكلم يافتى؟؟

أخذ الفتى نفساً عميقاً قبل ان يهذر بالحديث دون ان يفهم منه ثيوس اي كلمة فصاح به أن يسكت وساله:

-قل لي ماذا حدث دون ثرثرة..

-انها تمتطي ستاليون المجنون..

اتسعت عينا ثيوس بذعر وهو يتذكر الجواد الاحمر المجنون الذي حطم اعتى الرجال ورماهم عن ظهره مسبباً لهم اصابات خطيرة ولم يستطع الا أن يرى الجسد الهش تحت الحوافر المجنونة فأغلق عينيه بألم قبل أن يسأل الصبي:

-الى أين ذهبت؟

-باتجاه التل..

اندفع ثيوس حينها نحو الأسطبل ووجد الحارس ودون ان يشرح قال له بصرامة:

-أحضر مساعدة .. واعطني البندقية.. هيا أسرع.

أعطاه البندقية وأسرع الرجل لتنفيذ الأمر وثيوس يمتطي أحد الأحصنة القوية ويندفع خلف المرأة التي يحب وقلبه قد طار مسابقاً اياه نحوها بكل قوة..

وجدها تتهادى على صهوة الجواد ورغماً عنه صرخ يحذرها أن تنزل من عليه ولكنها ما إن سمعت صوته حتى لكزت الجواد وانطلقت به

ما أطار صوابه وهو يطير بحصانه خلفها وهو يصرخ بها أن توقف الستاليون بكل هدوء ولكنها أشاحت بوجهها عنه ومضت تزيد سرعة جوادها لا تريد الا الابتعاد عنه .. فحاول الاقتراب منها أكثر وهو يصرخ بها:

-ساشا توقفي .. أوقفي الحصان بهدوء..

التفتت اليه وقالت بجنون:

-اذهب عني ..

-لا تكوني حمقاء .. أوقفي الحصان ساشا..

تلاطم الهواء حولها وشعرت ان الحصان يزيد من سرعته وهي تصيح بثيوس:

-ارجع الى عشيقتك ثيوس .. عد بها الى ليموسول واتركني بحالي..

شعر ثيوس بالذهول .. ولكنه لم يتوقف بل زاد من سرعته وهو يصيحبها:

-ساشا انا اعرف انك تحبينني .. لقد قرأت رسالتك لماري .. اعرف ان خطبتك لبول كذبة .. فتوقفي أرجوكي ودعينا نتحدث..

شعرت ساشا بالدوار وهي تسمع كلماته المتوسلة ولم تعرف هل كانت هي السبب أم سرعة الحصان المخيفة .. وبدأت تحاول السيطرة

عليه بتوتر .. وراى ثيوس محاولاتها عديمة الفائدة واتسعت عيناه وهو يعرف أين سينتهي بها المطاف فصاح به:

-بهدوء .. ساشا أمسكي اللجام بقوة ولا تفلتيه ولكن بهدوء..

حاولت ساشا ان تفعل مايقول ولكن الحصان كان ثائراً.. وما إن حاولت شد لجامه حتى انتفض ثائراً وهو يرفع ساقيه يريد رميها عن ظهره وصرخت ساشا تنادي ثيوس بكل ما اوتيت من قوة وهي تترك اللجام من يدها للتشبث بعنق الجواد الهائج وصاح بها ثيوس وقد كاد يصاب بالجنون:

-ساشا تشبثي.. (تلفت حوله بيأس محاولاً فعل المستحيل ونظر اليها وكاد قلبه يتوقف وهو يرى كيف ينتفض الجواد المجنون وهي تكاد تطير من على ظهره وقد تطايرت خصلات شعرها الشقراء حولها وهي تنتفض انتفاضته وعيناها تنظران اليه متوسلة فخطرت له فكرة فسيطر على حصانه بقوة واقترب منها وهو يقول بهدوء:

-اقفزي نحوي..

شهقت ساشا وقالت:

-لا استطيع ..

بلى تستطيعين.. هيا حبيبتي .. اقفزي نحوي ..

أغمضت ساشا عينيها برعب وهي تحاول تخيل ما يطلبه منها فصاح بها:

-ساشا انظري الي .. انظري إلي..

نظرت اليه بذعر فقال لها بتصميم:

-ثقي بي يا حبيبتي .. ثقي بي..

ابلتعت ريقها وحاولت الابتعاد عن عنق الستاليون وثيوس يزيد من سرعة جواده ليبقى بمحاذاتها ومد يده اليها وهو يحثها:

-هيا .. تشجعي..

نظرت اليه بجزع وابتلعت ريقها وهيأت نفسها لالقاء جسدها بين ذراعيه حينما اضطرب الستاليون ...

بدا وكأنه عرف خطتهما فقد رفع قوائمه بصورة كبيرة وهو يصهل بجنون ومع عدم تشبثها باللجام شعرت ساشا بالجسد الناعم تحتها ينتفض بقوة وشعرت بنفسها تطير من فوقه فجأة فصرخت بقوة وهي تقذف من ظهر الحصان واغلقت عينيها وهي ترى الأرض الصلبة تقترب منها بسرعة .. وبالكاد شعرت بملمسها .. فقد غابت عن الوعي على الفور..

تسمر ثيوس بذهول وهو يرى كيف وقعت ساشا عن ظهر الجواد وصاح بألم وهو يرى كيف ارتطم جسدها الرقيق بالأرض ..

ولكنه عاد وتجمد وهو يرى الحصان يرفع قوائمه استعداداً لضربها على الأرض مجدداً وهذه المرة فوق الجسد المسجى بلا حراك ..

وتوقف عقله عن العمل وهو يتخيل مصير حبيبته بين القوائم المجنونة... ووجد جسده الحل قبل أن بفكر به عقله ..ففقز من جواده بتهور رامياً كل ثقله على الستاليون دافعاً به بعيداً عن الجسد المسجى أرضاً ..

وارتطم الوحشان أرضاً واحتمى ثيوس بجسد الحصان حتى لا يتلقى جسده عنف الصدمة ورغم ذلك شعر بألم حاد في صدره .. ولكنه تجاهله وهو يقفز بعيداً عن حوافره المجنونة والتقط البندقية المعلقة على كتفه وصوبها نحو الجواد الذي كان يجاهد للوقوف وبكل الغضب بداخله أطلق النار..

وقف ثيوس يلهث أمام الجثة الهامدة للوحش الضخم الذي أذاقه الويل ورمى بالبندقية أرضاً وهو يتجه بسرعة نحو جسد ساشا الهامد بلا حراك..

ورمى بنفسه عليها وأصوات الرجال تقترب منهما واتسعت عيناه بذعر وهو يرى وجهها الشاحب كالموتى وخيط الدم ينساب من جرح عميق بشع على جانب وجهها وتحسس يديها ليراها باردة كالثلج ..

لامس وجهها بألم وهو يقول بضراعة:

-ساشا .. استيقظي.. ساشا اتوسل اليك.. استيقظي..

ولكن الجسد الهامد لم يتحرك .. فانهمرت دموعه من عينيه وهو يرفع جسدها بين ذراعيه ويضمها اليه بلوعة والتلال حوله تردد صرخته المرتاعة باسمها .. دون أي رد..

نهاية الفصل

**

أثـــــر عـــــلى الرمـــــ10ـــــال

الفصـــــــــــل العاشر

اكتفيـــــــــنا من الألم

كم مر من الوقت وهو مسمرٌ ينظر اليها.. جسدها المسجى .. بلا حراك.. أنفاسها الرقيقة بالكاد تخرج من صدرها ..عينيها المسبلتين .. بشرتها الشاحبة.. شفتيها الجافتين وتلك الضمادة الضخمة التي غطت رأسها.. مد يده يغطي يدها الظاهرة من تحت الأغطية الباردة بحذر من الابر المغروسة فيها .. كانت يدها باردة .. هامدة مسد باطن كفها بأصبعه بقوة عله يبعث فيها بعض من حرارة جسده ولكن .. برودتها ظلت كما هي والجسد الهامد لم يتحرك..

عاوده ذلك الألم الممزوج بالعجز وهو ينظر اليها دون ان يستطيع عمل شيئ.. أي شيئ.. كان لا يستطيع حتى الكلام معها .. كان خائفاً ألا تسمعه.. ألا تفهمه..

ابتلع ريقه بألم وهو يتذكر ماحدث أمس.. كيف جرت الأمور بعد أن أطلق النار على الجواد المجنون والتفت اليها ليجدها في عالم اللاوعي.. كم كانت صدمته كبيرة وهو يناديها وهي لاتكاد تتنفس.. كاد يصاب بالجنون .. هزها بقوة ولولا الرجال اللذين انتزعوها من بين يديه انتزاعاًلن يعرف ماكان حصل..

في تلك اللحظة وصل ستيفان ومعه رجال المزرعة وهناك تولى ستيفان الامور.. أبعده عنها وأحضر طبيباً لمعاينتها وسرعان ما نقلت بالمروحية الى مستشفى براكللي وكل ذلك وثيوس كالمخدر .. يصر على الذهاب معها ويتحرك بطريقة آلية دون أن يعي ما يفعل ولمَ يفعله..

وقف خارج الزجاج في غرفة العمليات وهو يرى الأطباء منكبون عليها.. لم يعرف ماذا يحدث ولكنه لم يرد الا أن يكون قربها ..

كان تشخيصهم ..ارتجاج في المخ .. وغيبوبة لن تطول كما قالوا.. جسدها به العديد من الرضوض ولكن .. لم يكسر شيئ.. ويبدو أن كومة العشب التي وقعت عليها تحملت وقع الصدمة..

أسند ظهره الى الكرسي وهو بالكاد يستطيع أخذ نفسه.. الألم في صدره يزداد بقوة وهو لم يبتعد عنها مقدار انش واحد .. كان لا يغادر جانبها رفض عروض الجميع لكي يغادر ويذهب الى منزله للراحة بعد أن فشلوا في اقناعه بالذهاب للطبيب..

ماري الوحيدة التي تجاهلت أوامره وأوامر الأطباء كلهم وبقيت معه .. كانت قد ذهبت لتحضر القهوة منذ قليل وتركته وحده معها .. والتفت الى الباب وهو يسمعه يفتح بهدوء ليطالعه وجهها المتعب وعينيها المنهكتين.. وشعر بالاشفاق عليها..

ناولته كوب القهوة وجلست الى الكرسي في الناحيةالأخرى وهي تهمس:

-هل من جديد؟؟

حملت عيناه همه كله وهو يهز رأسه نافياً ولكن ماري التقطت يد صديقتها وقالت بأمل:

-ستنهض بسرعة .. انها أقوى من أن تستسلم هكذا..

زفر بتوتر فنظرت اليه وهالها منظره المرعب .. شعره المشعث وذقنه التي نمت بلا تنسيق وعيناه بركتين من دم .. كتفاه المنحنيتين .. وتلك الخدوش المنتشرة على وجهه ويديه .. بقايا الدماء المتناثرة على قميصه .. كان ستيفان أخبرهم انها دماء الجواد الذي أرداه .. ولكنها تعرف ان تلك الدماء ممزوجة بدماء صديقتها التي كانت بين ذراعيه..

كان يتألم بقوة .. ولكنه كتم كل ذلك الألم ورفض مجرد الاعتراف به.. رفض الاهتمام والعناية.. رفض كل شيء ولكنه يجب أن يرى طبيباً.. لهذا قالت له:

-عليك ان تجعل طبيباً يعاينك ثيوس..

نظر اليها بضيق وقال مستهتراً بكلامها:

-لا يوجد ما يستدعي هذا.. انا بخير.

-لقد قفزت فوق جواد هائج .. على الأقل لنطمئن قليلاً فقط!!

- لقد تحمل الحصان الوقعة كلها .. لم أرتطم بالأرض قط..

وأشاح بوجهه عنها فتنهدت وهي تفكر بمدى عناد هذا الرجل..وعادت تلتفت الى صديقتها وهي تتنهد بأسى وقالت بألم:

-انظر اليها.. انها غائبة عن الوعي في مستشفى .. في بلد غريب عنها .. ويجالسها غريبان..

قال بخشونة:

-نحن لسنا غريبان.. انت صديقتها.. وأنا..

قاطعته بحدة:

-أنت ماذا؟؟ ... مهما أصبغت علينا من صفة.. لا نزال غريبين.. أين عائلتها..أين امها وأشقاءها.. أين أفراد عائلتها..

وأضافت بحزن ودموعها تجري على خدودها:

-كانت دائماً وحيدة.. وستظل كذلك..

-أنا لن أتركها وحدها.(قال بحزم وهو يمسكها من يدها بقوة ويكرر بحزم) لن أتركها قط..

نظرت اليه وعادت لتطالع وجه صديقتها الغارقة في عالم لا يعرفه سواها وتنهدت متألمة وهي تتمتم:

-ألا يجب علينا الاتصال بوالدتها .. على الأقل فقط لإطلاعها بالأمر..؟؟

التفت اليها وقال باهتمام:

-أعطني رقم هاتفها وسأجعل جوليان يتولى الأمر..

هزت رأسها بأسى وقالت:

-ولكنني لا أعرف رقمها ؟؟.. انه مع ساشا.. ربما العم دايف يملكه؟؟ (تسائلت فقال ثيوس (

-رفض الطبيب أن نخبر والدها بالأمر .. فلقد خرج من عملية دقيقة ولا يجب اقلاقه,, أبداً.

أخذت ماري نفساً عميقاً.. وعادت تراقب صديقتها بألم ..وهي تتحسر على كتلة النشاط والحياة ساشا وهي ممدة أمامها هكذا بلا حراك..

***

تأملت سالي والدتها بضيق والأخيرة ترغي وتزبد وهي تكيل لها سيل الكلمات الغاضبة وأرخت عينيها وهي تبعد عن عينيها الغاضبتين وهي تقول:

-كيف تكونين بمثل هذا الغباء.. كيف تنساقين وراء أهواءك هكذا..

-أمي.. (بدأت بالاعتراض الا أن أمها صاحت بعصبية:(

-لقد أفسدت كل خططي بغبائك.. لقد هدمت ما بنيته في سنوات لأضمن زواجك من ثيوس .. والأن بسبب غيرتك الحمقاء من تلك المراة حطمت كل شيئ..

-أماه .. أنت لن تعرفي قط مقدار غيظي من تلك الساقطة.. لقد قتلتني .. وسرقت حبيبي مني..

-والأن أنت قد أعطينها اياه مغلف بورق الهدايا .. جاهز ليؤكل ..

نهضت والألم يغزوها وهي تصيح:

-أنت لن تفهمي قط مامررت به .. لقد رغبت بقتلها وهي تسلب مني رجلي.. لقد تماسكت رغماً عني .. وتركتها تذهب قبل أن أخنقها بيدي..

-هذا حسن هي تموت وانت تذهبين الى السجن.. أهذا ما تريدينه؟؟

أشاحت سالي بوجهها ولم ترد فاقتربت منها امها وأمسكتها من كتفيها وقالت:

-عليك أن تنفذي ما أقوله لك من الأن وصاعداً.. لن تستطيعي الحصول على ثيوس بالطرق الهوجاء التي تعتمدينها .. دعي كل شيئ لي.

ابتلعت سالي ريقها وتسائلت:

-على ما تنوين أمي؟؟

ضمت حاجبيها بتفكير وقالت بأسى:

ـعملتك الغبية لم تتركنا الا بموضع متفرج.. لا نستطيع معه الا الانتظار وبكل ترقب .. وحالما تحين الفرصة نقتنصها بكل سرعة وبكل دهاء..

وغرقت في تفكيرها مجدداً وسالي تنظر اليها ... بتخوف.

***

كان الهدوء مسيطراً على المكان .. هدوء لم تشعره قط في حياتها... سكينة تغلغلت الى اعماقها وبدت لها ملاذاً آمناً ضمها اليه الى الأبد ..

ورغم تلك السكينة اجتاحتها الغرابة.. فشقتها في لندن لا تتمتع قط بمثل هذا الهدوء.. حتى في الوقت المبكر من الصباح .. فهناك هدير السيارات وصفارات القطارات من المحطة القريبة .. ولكن هذا الهدوء ..

أرادت أن تتمطى في سريرها الذي كان بارداً على غير العادة..ولكن... كل جسدها كان يؤلمها بطريقة غريبة.. حتى عينيها .. حين أرادت فتحهما كانتا ثقيلتان بقوة عشرة أطنان..

ولكنها استطاعت أخيراً فتحهما .. وبصعوبة استطاعت تمييز الغرفة التي تنام فيها والتي تختلف عن غرفتها في لندن بشكل كبير..

كانت أقرب الى غرف المستشفيات بالسرير الأبيض الضيق الذي ترقد عليه والأجهزة الطبية الحديثة المنتشرة حولها .. الغرفة باللون

السماوي.. الذي أثار فيها قشعريرة باردة سرت فيها بقوة .. حاولت النهوض ولكن جسدها كله كان يصرخ بقوة.. حاولت تصفية ذهنها والذكريات تعود اليها ببطء..

رحلة قبرص ...والدها ... ثيوس.. وتأوهت بألم ما إن تذكرته.. تذكرت تلك الليلة.. وشجارهما .. تذكرت والدها وما اصابه .. وانسابت دموعها على خدها وهي تتذكــر ما قالته سالي تلك الأفعى في الأسطبل ..

ثيوس قضى الليلة معها.. كم كان الخبر كالسكين الذي مزقها... وتذكرت الجواد الذي امتطنه.. ثم رأته.. واقفاً يصيح بها ان تقفز من على الحصان الهائج..

رأته يصيح بها أن تثق به.. أن تسلم له وتتركه يتصرف.. وكادت تفعلها.. لولا الحصان الذي رماها أرضاً.. وكادت الدنيا تغيب بها.. ولكنها قبلاً رأته كيف رفع قائمتيه الضخمتين جاهزاً لسحقها..

كان جسدها كالمشلول تحت الحافرتين والضباب ينتشر فيهما بسرعة .. ولكن قبل أن تصرخ.. قبل أن تفقد الوعي.. كان يقفز أمامها على الحصان وقبل أن ترى كيف التحما كانت تغيب في عالم اللاوعي .. وهي تخنق صرخة ملتاعة أحاطت بكل جزء من جسدها .. خوفاً عليه هو ... حبيبها.

تلفتت حولها بحثاً عمن يطمئنها عليه.. فقط يقول أنه بخير وبعدها ستتركه ... ستعود من حيث أتت وتتركه لسالي.. كما يريد هو..

لماذا تركوها وحدها .. نهضت بصعوبة وقد استندت بضعف الى الوسائد خلفها .. وهي محتارة تنادي على من؟؟ من يمكن أن يكون هنا معها؟؟

شهقت بألم حين شعرت بوخز الأبر المغروسة في ذراعيها .. وكتمت دموعها بقوة وهي تبعدها عنها متجاهلة المحاليل التي راحت تنقط على الأرض المصقولة برتابة..

نهضت وتدلت ساقيها من على الفراش المرتفع.. ورأسها يكاد ينفجر من الألم ذلك الألم الذي ينبض بقوة ويجعل تدفق الم الى رأسك مؤلماً بطريقة لا تطاق ..

نهضت رغم الألم .. الارض الباردة شاركتها برودتها عبر قدميها الحافيتين.. وقفت على ساقين من حبال تتلويان تحتها مهددتان بالتهاوي بين لحظة وأخرى.. ولكنها تماسكت .. قلبها يخفق بألم ولن يهدئ حتى تطمئن عليه..

توجهت نحو الباب الوحيد في الغرفة.. وفتحته بأنامل ترتجف.. ولكن الظلام كان مسيطراً.. وارتجفت بقوة بفعل البرودة .. ولكنها تقدمت وقد خانتها دموعها وسالت على وجنتيها وهي تفكر:

-يالهي ساعدني ..

كان الألم لايزال مسيطراً وبقوة وجسدها ينتفض بفعل الملابس الرقيقة التي ترتديها .. صداعها يتفاقم والضباب ينتشر في عقلها ويجعل الرؤية غير واضحة ..

بالكاد استطاعت سحب ساقيها سحباً الى النافذة الزجاجية الضخمة التي تغطي نصف الحائط أمامها وتأملت المطر الذي انهمر غزيراً فغطى كل شيئ ولم يظهر سوى الماء المنسكب..

قدرت أنها في المستشفى في براكللي.. بعد أن لاحظت نفس لون الجدار ونفس شكل اللافتات..

تقدمت نحو الممر المهجور وقلبها ينتفض بخوف تحكم بها .. أين هو؟؟.. وسحبت نفساً قصيراً حين فتح باب في نهاية الممر ليخرج الرجل الساكن في قلبها واقفاً أمامها بكل هدوء ..

تسمر ناظراً اليها بذهول وهي تتمتم بفرح لم تستطع السيطرة عليه:

-أنت بخير!!!..

وكأن تلك الكلمات قد استنفدت القوة الباقية بداخلها لأنها سرعان ما شعرت بساقيها تلتفان حولها ووتهاويان بقوة الى الأرض الصلبة ..

نقل ثيوس كوب القهوة الساخنة من يد الى أخرى وهو يعود بسرعة الى غرفة ساشا ..

كان قد أقنع ماري بالذهاب لمنزل كاثي بعد أن كادت الأخيرة تحملها حملاً للذهاب معها .. بعد ثلاثة أيام من الانتظار.. وبقي هو الى جوار

ساشا .. غلبه النوم لبعض الوقت ولكنه استفاق على صداع مؤلم فخرج الى المقهى طلباً للقهوة عساها تخفف بعضاً من صداعه..

فتح الباب المؤدي الى غرف العناية.. كان الصمت مخيماً فتلفت بحثاً عن الممرضة المسؤولة حين رفع عينيه ليراها واقفة أمامه..

اتسعت عيناه بذهول وساشا واقفة أمامه .. شعر بأن صورتها تهتز أمامه وفكر للحظة.. لابد أنها حلم.. ولكنه تنبه أن وجودها واقع بعد أن سمعها تتمتم بصوت ضعيف شيئ لم يفهمه ..

وغمـــره شعور عميق بالفرح وهو يراها واقفة أمامه .. ولكن ذلك الفرح تحول الى خوف شديد وهو يراها تتهاوى أمامه على الأرض.. لم يعرف كيف رمى بكوب القهوة وهو يقفز نحوها بسرعة ملتقطاً جسدها المرتجف قبل أن تلامس الأرض.. وهو يصيح بأعلى صوته منادياً الطبيب..

قطع ثيوس الممر المقابل لغرفة ساشا مايقارب المئة مرة وهو يمنع نفسه من الانقضاض على الغرفة والاطمئنان على حبيته بكل صعوبة ...

كان يذرع الممر جيئة وذهاباً وهو يكاد يغلي.. لقد مر وقت طويل .. منذ أن أعادها الى غرفتها وجاء الطبيب وجيش من الممرضات الذين طردوه طرداً من الغرفة... وهاهو الأن لا يقوى على الدخول اليها والاطمئنان عنها..

مرر يده في شعره بعصبية وهو يتذكر ارتجافة جسدها الضعيف بين يديه.. بشرتها الباردة .. خفتها الزائدة.. عينيها الذابلتين وهي تنظر اليه بذهول قبل أن تسبل عينيها وتغيب عن الوعي..

تنهد بقوة وكاد يصيح وهو يرى الطبيب يغادر غرفتها .. تقدم نحوه وسأله بتوتر:

-أهي بخير؟؟

تنهد الطبيب بارتياح وقال مبتسماً:

-لقد استيقظت تماماً.. هي متعبة ولكنها واعية لكل شيئ..

-حمداً لله...(قالها بارتياح وعلت الابتسامة شفتيه وهو يتجه نحو باب الغرفة ولكن.. ذراع الطبيب اعترضته فالتفت اليه بتساؤل .. والطبيب يقول بارتباك:

-أنا أسف حقاً .. سيد ثيوس انها ترفض أن تراك..

تسمر ثيوس وهو يحدق بالطبيب الذي يصل طوله الى حدود كتفيه وتحولت النظرات المتسائلة الى فيض من الشعلات النارية الملتهبة وهو يقول من بين أسنان مطبقة:

-ماذا تعني أنها ترفض رؤيتي!!!..

ابتلع الطبيب ريقه ولكنه تمسك بموقفه وهو يكرر:

-لقد قلت لها أنك تنتظر الدخول اليها .. ولكنها رفضت .. قالت أنها لاتريد أن تراك.. طلبت فقط امرأة تدعى ماري.

قبض ثيوس على يديه بقوة حت كاد يدميها وأنفاسه تضيق في صدره من فرط الغضب وكاد يحطم الباب الغبي ويندفع اليها ويعرف منها بالضبط لم لا تريد أن تراه.. ولكنه قدر شيئ واحد فقط .. شيئ واحد ألجم جسده المتفجر غضباً.. وهو منظرها وهي تسقط بين ذراعيه وذلك الضعف الشديد الذي ظهر عليها..

ابتعد عن الباب وهو يغلق عينيه بألم ويضغط عليها بقوة محاولاً السيطرة على كل اندفاعاته ..

سمع صوت الخطوات السريعة والتفت خلفه ليرى ماري ترافقها كاثي وستيفان .. كاثي اتجهت اليه بسرعة في حين أسرعت ماري الى غرفة صديقتها دون كلام..

تهالك ثيوس على المقعد وكاثي تقول:

-خرجنا من المنزل بعد اتصالك مباشرة..أهي بخير؟؟

هز رأسه وقال بصوت متحشرج وهو يخفي عينيه عنهما:

-انها لاتريد رؤيتي..

مدت كاثي يديها وأسندت رأسه المتعب على كتفها وقالت بحنو:

-انها فقط مشوشة .. ستكون أموركما على خير مايرام..

-لنأخذك الى الطبيب..

رفع ثيوس بصره الى ستيفان وقال بضيق:

-لا أحتاج لطبيب..

-أنت مصاب وقد رفضت أن ترى طبيباً حتى تطمئن عليها .. وهي الأن بخير.. هيا الأن.

-ثيوس عزيزي ..اذهب أرجوك .. انت تتألم.

-أنا بخير ولا أشكو من شيئ..أبداً

تقدم ستيفان بسرعة وضغط على جنبه الأيمن بقسوة وصاح ثيوس متألماً وتصبب العرق منه وهو يبتعد بسرعة وستيفان يقول بغضب:

-كف عن التصرف كالأولاد وهيا بنا..

-ثيوس أرجوك أذهب.. سأكلم ساشا بنفسي أعدك..

نظر اليها ثيوس وأيقن أنهما مصيبان الألم في جنبه لم يعد يطاق وهو بالكاد يلتقط أنفاسه.. لهذا نهض من مقعده وقال:

-لا بأس سأذهب معك يا ستيفان..

تنهدت كاثي بارتياح وهما يبتعدان بخطوات بطيئة وهزت رأسها متعجبة من قوة وعناد هذا الرجل وقلبها يخفق بشدة خوفاً عليه..

***

أسندت ساشا ظهرها الى الوسائد الوثيرة خلفها وتأملت ماري التي جائتها بكوب ماء وابتسمت لها برقة وهي تشرب منه .. ثم قالت:

-تبدين مريعة.. كيف أبدو أنا على كل حال؟

ضحكت ماري وقالت مداعبة:

-بخير حال.. لولا القبعة التي فوق رأسك..

ابتسمت ساشا ثم تذكرت وسألتها بارتياع:

-هل حلقوا لي شعري؟؟

-كلا .. اطمئني..

تنهدت بارتياح فنظرت اليها ماري ثم قالت بتوتر:

-ساشا... ثيوس بالخـ...

قاطعتها نظرة الألم في عينيها وهي ترفع يداً أثقلها الحزن وهي تتمتم:

-لا... لا أريده..

-ساشا .. هو لم يتركك .. منذ الحادث .. لم يترك الغرفة قط..

أشاحت بوجهها وهي تقول بألم:

-لا أستطيع .. لا أستطيع أن اسامحه..

-تسامحينه على ماذا؟؟ وهو من يفترض أن يسامحك..

أدارت ساشا رأسها الى كاثي التي دخلت الى الغرفة وهالها أن تقول هذه المرأة أنها لا تسامحه وهو من تعذب بسببها بل أنه كاد يموت وهو ينقذها وبلغ الغيظ منها محلاً جعلها لا تهتم لمرآها راقدة في فراش المرض وهي تضيف بقسوة:

-أنت حطمت كل ما كان بينكما .. أنت من لك خطيب.. أما هو فـ...

قاطعتها ساشا والدموع تتدفق من عينيها:

-انت لا تعرفين عمّا تتحدثين كاثي..

-بالتأكيد أعرف .. لقد تعذب ثيوس ولم يهنأ بلحظة واحدة منذ أن علم بخطبتك ..

-ألم يهنأ وهو يفرغ عذابه بين ذراعي سالي.. (صاحت بها ساشا بغضب وأضافت بألم وهي ترى كاثي تسكت مبهوتة وكذلك ماري وقد اتسعت عيناها(

-لقد كنت أتعذب أكثر منه وأنا أرى والدي يموت .. أما هو فقد غادر مسرعاً.. يحاول ردم سوء التفاهم مع سالي ويعوضها اهمالها في الفترة الماضية.. اذهبي واسأليه كيف أغرق حزنه وألمه .. اسأليه عن سالي وتلك الليلة في ليموسول .. قلت لك مرة أنه يبحث عن أي امرأة كاثي .. ولكنك لم تصدقيني.. أليس هذا ما حدث الأن ..

وقفت كاثي غير قادرة على الرد في حين أجهشت ساشا بالبكاء وهي تتمتم:

-يعلم الله انني لم أخنه قط .. أبداً.. وهو .. أنا فقط لاأريد أن أراه.. وحالما يسمح لي الطبيب سأغادر الى لندن .. لم أعد أطيق البقاء هنا .. اريد الرحيل.

تقدمت منها كاثي وقالت بهدوء:

-أخبريني من قال لك هذا الهراء..

تمتمت بألم وهي تنظر اليها:

-ليس مهماً ..المهم انه حقيقة..

لم تعترض كاثي بل نظرت اليها بقلق .. كانت تعرف ان سالي لحقت بثيوس الى ليموسول ولكنها لم تظن قط انها يمكن ان تفعل هذا .. ليس الأن..

تنهدت وقالت لها وهي تجلس الى جوارها على الفراش:

-سوف أعرف ماهية الأمر .. ثقي بي..

ثم أضافت مداعبة وهي تضع يدها على بطنها المنتفخ:

-يالهي لقد كدت أموت من القلق.. حتى أنني كدت ألد مبكراً بسبب قلقي عليك..

ابتسمت ساشا بصعوبة وهي تقول:

-إياك أن تفعليها لن أتحمل وزرك قط..

ضحكت كاثي وقالت بحنو:

-أنا سعيدة للغاية لأنك بخير .. وصدقيني سأفعل المستحيل لكي أعرف ما فعله ذلك الأحمق ..

أحنت ساشا رأسها وهي تتمتم:

-لاداعي لفعل شيئ.. فالأمر قد انتهى من قبل حتى أن يبدأ..

-لا لم ينتهي بعد..(قالتها كاثي بحزم واندفعت مغادرة المكان.. كانت تغلي من الداخل ..ثيوس.. غمغمت بغيظ وهي تتناول هاتفها وتتصل بزوجها والدم يتصاعد الى رأسها وصاحت به بعنف حالما فتح الخط:

-أين أنتما؟؟

أبعد ستيفان رأسه عن الهاتف وكأنها فعلاً تصرخ في أذنه وقال بانزعاج:

-في غرفة الأشعة ... لماذا؟؟

-انتهيا وتعاليا الى المقهى حالاً.. أتفهم ستيفان أنت وذلك المجنون الذي يرافقك ..

-حسناً .. حسناً..(قالها ستيفان مهدئاً وحاول اضافة شيئ الا أنها أغلقت الهاتف في وجهه بقوة جعلته يغلق عينيه بغيظ وهو يتمتم:

-أقسم أني في أحيان أرغب بتحطيم هذه الهواتف..

والتفت الى ثيوس الذي أصر الطبيب على اجراء صور الأشعة لصدره وضحك قائلاً بصوت مرتفع:

-كيف تحتملها يارجل؟

التوى فم ثيوس بضحكة ساخرة وهو يقول:

-انت تزوجتها فقل لي؟

بادله ستيفان الضحك بمرح.. عله يفرج عنه ذلك الكرب الذي يلوح في ملامحه ويزيح عن كتفيه بعض الهم الذي أثقله..

كانت كاثي تغلي غضباً وهي ترى الاثنان يتهاديان في مشيتهما نحوها وكانت الشرارات تتصاعد من العينين البنيتين اللتان اضطرمتا بلون نحاسي خطير وهي تقول بشراسة حالما جلسا:

-ماهذا الذي فعلته يا ثيوس؟؟

نظر اليها باستغراب وقال:

-كانت مجرد صور أشعة..

أغمضت عينيها بفروغ صبر وهي تقول بعصبية:

-أنا أتحدث عن ليموسول .. عنك وسالي؟؟

شحب وجهه لوهلة قبل أن يقول بجفاء:

-هي أخبرتك؟؟

تأملته قليلاً قبل أن تقول:

-بل ساشا..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينظر اليها قبل أن يقول:

-كيف عرفت؟؟

-لا أدري.. ولكنها مصدومة ثيوس ..

أطرق برأسه وهو يغلق عينيه بقوة .. كانت تعرف اذاً.. حديثها معه على الحصان وهي تصيح به أن يعود لعشيقته لم يكن مجرد كلام تهذر به.. كانت تعرف..

-سأتحدث معها .. دعوني أراها..

قالها بخفوت.. فهزت كاثي برأسها وهي تقول معاتبة:

-ليس الأن انها غاضبة ولا تحتمل مجرد الكلام .. دعني أحاول رغم أنك لا تستحق..

-كاثي.. لقد كنت ثملاً بالكاد استطعت الوقوف..

ضحكت بسخرية وهي تستمر بتقريعه:

-لا تستطيع الوقوف ولكنك استطعت أن تمتع نفسك..

-كاثي!!..

قالها مغاضباً فتجاهلته وهي تتجه نحو المصعد قائلة:

-سأراها قليلاً ثم نعود الى البيت..(وبدا كأنها تذكرت شيئاً فالتفتت اليه وسألت:

-ماذا قال الطبيب؟

تبادل ثيوس وستيفان النظرات قبل أن يشيحا ببصرهما عنها ويطلبا القهوة متجاهلان وقفتها الغاضبة..

***

تقدمت ماري من ثيوس القابع في المقهى وجلست أمامه بهدوء.. تأملها قليلاً قبل أن يقول:

-ماذا هناك..

-هل ستجلس هكذا مكتوف الأيدي .. أم ستعود للشرب الذي أوقعنا في هذه المشكلة منذ البداية..

تجاهلها واشاح ببصره فواصلت بحدة:

-بصراحة ثيوس.. انت ضعيف(تجاهلت النظرة السوداء التي رشقها بها وهي تكمل(

-نعم ضعيف .. لو أنك تتحلى ببعض القوة لذهبت اليها حالاً وقلت لها حقيقة مشاعرك.. نفست عن غضبك وتركتها لتنفس عن غضبها هي الأخرى..

أغمض عينيه وقال بيأس:

-انها تكرهني..

-بل هي تحبك.. بكل قوتها .. ولكنها غاضبة وناقمة لأنك تركتها .. وتظن أنك عدت لتلك المدعوة سالي..

-أنا احبها..

-اذاً قل لها هذا.. أخبرها عن حبك .. واعتذر عن خطأك..

تأمل ثيوس تلك الفتاة الصغيرة وشعر بالامتنان لها وحالما رأت ماري ابتسامته حتى نهضت من مقعدها وقالت:

-سآتي غداً.. لا أريدك على نفس الحالة..

غادرت وقلبها يخفق وهي تدعو بصمت أن يتحرك ويخرج نفسه من بأسه.. من أجله وقبل كل شيئ من أجل ساشا..

كان الظلام منتشراً .. أضائت النيون الأبيض فشع في الغرفة فاتجهت ساشا الى أمام النافذة وقد لفت جسدها بمئزر سميك.. كانت ماري قد ذهبت لتغير ثيابها وتتناول العشاء وبقيت وحدها.. ليزا زارتها ورغم جفائها الا أن قلقها كان واضحاً طمئنتها على والدها وأنه قد يغادر المستشفى بعد بضعة أيام ..

كما أنها اتصلت بوالدتها وكم كانت امها عنيفة وهي تتهم والدها بالاهمال لأنه تركها تسقط عن الجواد .. وضحكت ساشا مطولاً وهي تحاول افهامها ان الجواد لا يخضع لسلطة أبيها..

تأملت الشارع المضيئ.. ورمت بعينيها بعيداً ترى تلألأ أضواء وسط البحـــر.. وأدركت أنها سوفيرا.. ناعسة بين أحضانه..

أسندت جبينها على الزجاج وهي تفكـــــر.. ماذا فعلت لتجني كل هذا الألم .. ماذا فعلت لتحب رجلاً بكل هذه القوة ..

هي التي لم تؤمن قط بالحب وحاربته بكل قوة.. كيف خارت قواها أمامه .. كيف استسلمت لقلبه الذي لم يرحم عذابها وقلة حيلتها .. حطمها وعاد بكل بساطة للمرأة الأولى في حياته.. ماذا عنها .. ماذا عن كل الكلمات التي أسمعها اياها .. كيف استطاع ان يؤذيها هكذا .. بكل تلك القسوة واللامبالاة.. كيف؟؟؟

تنهدت وتذكرت كيف بدت سالي شامتة وهي ترمي بكلماتها المؤذية في وجهها بلا رحمة .. كيف استطاع ان يكون معها وهو بحسب قوله يحبها هي.. كيف؟؟

أغلقت عينيها بألم وقد عاودها صداعها بشكل أقوى.. وتلمست طريق عودتها الى الفراش واستلقت عليه وهي تشد الغطاء عليها لتحاول الخلود للراحة وجسدها كله يؤلمها وكأن الألم لم يعد يسع القلب الذي تحويه بين جنباتها..

جلس ثيوس على المقعد الخشبي في حديقة المستشفى وقد رفض أوامر الطبيب بالرجوع للمنزل والراحة.. وتحسس صدره المتألم وهو يتذكر الطبيب الذي صرخ به بغضب:

-ثلاثة ضلوع!!! ثلاثة ضلوع مكســورة.. مما صنعت يارجل.. حديد!!

تجاهله وهو يسأله بتوتر:

-ماذا الأن ..

-كيف استطعت تحمل الألم.. كيف استطعت التقاط أنفاسك..

نهض ثيوس وقال بغضب:

-هل ستعطيني العلاج أم ستظل تحاضرني طوال الوقت؟؟

نظر له الطبيب باستنكار وقال بعصبية:

-أتظنني ساحر؟؟.. علاجك سيحتاج الكثير من الوقت .. وهذا الوقت ستقضيه بالراحة في سريرك.. مع أقل قدر من الحركة.

-شكراً لك..

نظر الطبيب اليه وكأنه ينظر الى مخبول والتفت الى ستيفان الذي غطى وجهه بيده من اليأس وقال بحدة:

-هل ستدخل بعض التعقل الى رأس صديقك..

هز رأسه وقال بنفاذ صبر:

-حاول ان استطعت..

تركهم ثيوس عند هذا وغادر متجاهلاً أوامر الطبيب وعاد لينتظر السماح له برؤيتها .. وسرعان ما جاء ستيفان يحمل حزام مقوى وقال له:

-على الأقل ارتدي هذا .. سيساعدك..

ارتداه على مضض ولكنه شعر بالامتنان حالما تحسن الألم بصورة كبيرة.. وهاهو الان يرابط تحت نافذتها .. كانت الأضواء مطفأة وكان ساهماً غارقاً في أفكاره يتذكر حديثه مع ماري حين لمعت الأنوار فجأة ..

اعتدل في مقعده وهو يرى طيفها يقف أمام النافذة .. تسمر ينظر اليها وقلبه يخفق بقوة لم يتخيلها .. لم تقف طويلاً وسرعان ما ابتعدت عنها ولكنه لم يعد يحتمل..

نهض متجاهلاً آلام صدره.. وانطلق الى غرفتها..

السرير البارد لم يحسن من صداعها وهي تتقلب من جهة الى أخرى .. تباً لقد تناولت المسكنات التي وصفها لها الطبيب ولكنها لم تفدها..

كيف تكذب على نفسها بهذه الطريقة.. هي لاتحتاج الى مسكنات.. هي تحتاج اليه هو....شربت من كوب الماء الذي الى جوارها بنهم وهي تبتلع بؤسها معه.. أو تحاول..

أغمضت عينيها وهي تتمنى بصمت .. ليته يأتي.. غمغمت بأسى (ليته يأتي الأن .. وسأغفر له كل شيئ).. وماكادت تنهي ماقالت حتى انتفضت بقوة شاهقة والباب يفتح بقوة ليظهر ثيوس أمامها..

اتسعت عيناها بقوة وهي تراه واقفاً يلهث ورغماً عنها تملكها الخوف من ذلك الشرر الذي تطاير من عينيه .. دخل الى الغرفة ببرود.. أغلق الباب خلفه ثم استند عليه.. ومضى ينظر اليها..

تنبهت الى رقادها والثوب القطني الأزرق الذي يحمل شعار المستشفى بالكاد يغطيها .. فرفعت الغطاء حتى ذقنها وعينيها الزرقاوتين تنتفضان من تلك الشعلة في عينيه.. رأت عضلة تختلج في فكه بقوة.. وانحبس الكلام في حلقها فلاذت بالصمت.. في حين هو تقدم نحوها ببطء.. وقف أمام سريرها وقد بدا كالمارد بضخامته وقال بصوت مكتوم:

-أحقاً لا تريدين رؤيتي؟؟

كيف لا .. وهي تمنت للمرة الأولى في حياتها .. وحقق الله امنيتها قبل حتى أن تنهيها.. كيف لا وهي لم ترد من الدنيا كلها الا أن تراه ..

ولكنها اسبلت عينيها تهرب من الطلب الملح في عينيه والمشاعر تعصف بها .. غير قادرة على نسيان مافعل.. كيف تسامح خيانته التي قتلتها ببطء..كيف؟؟

جلس ثيوس أمامها وهو يستند الى الفراش وعينيه تبحثان عن عينيها وهو يقول:

-انظري الي ساشا...

لم تفعل .. ولكن عيناه التقطتا عينيها ودون ارادة منها سجنهما بين جفنيه وهو يقول متأملاً الموجات الزرقاء:

-قولي أنك لا تريدينني.. قوليها الأن فأرحل بلا عودة..

شحب وجهها وجف حلقها وهي تفكر انه قد يرحل ويتركها .. هكذا وحيدة .. لتبقى تتحسر على الحب طيلة حياتها دون معين أو ذكرى تصبرها بقية أيامها..

فكرت يوماً أن تتخلى عن كل شيئ وتعطيه فرصة.. فماذا فعل؟؟ تركها ليغرق في بحر الهوى مع سواها..

رأى ثيوس الصراع في عينيها فقال يدعم دفاعه:

-كنت بائساً.. (التمعت عيناها وهو يضيف بحسرة) لم أعرف يأساً.. ولاحزناً كالذي عرفته يوم الحفل.. ظننتك تركتني للأبد .. بدا كل شيئ سيئاً الى درجة لن تتصوريها قط.. كنت أمشي ولا أعرف الى اين.. كنت ثملاً تلك الليلة.. أردتك ..

-وذهبت معها هي..

قاطعته بألم فأسرع يقول:

-أردتك أنت ولم أجد الا هي أمامي..آآآه ساشا .. أنا لن أدافع عن نفسي قط.. ولكنني رجل.. وأخطئ .. وقد أخطئت .. ارتكبت أكبر غلطة في حياتي..

واقترب منها ويداه تمسكان كتفيها وهو يقول بعنف:

-لو تعرفين مدى الغضب الذي شعرت به بعدما تشاجرنا في المنزل.. أردت قتل أحد في تلك اللحظة .. غيرتي أعمتني لم ارى الا السواد أمامي .. كرهتك بشدة وتمنيت لو أنني لم ألتقي بك قط ..

تأوهت من ضغط يديه فأبعدها عنها بسرعة وسقطت ذراعيه الى جانبيه وهو يقول باحباط:

-يبدو أنني لا أجيد الا إيلامك..(وعاود يقول بحرقة) لماذا فعلت هذا .. لماذا كذبت علي؟؟

التفتت اليه وقالت بألم:

-لقد كنت خائفة.. خائفة منك.. وقد كنت محقة.

-لا.. (اقترب منها مجدداً وهو يمعن النظر في عينيها ويقول بحدة) إياك أن تخافي مني.. ساشا.. أنا أحبك..لقد وثقت بك.. أحببتك دون قيد أو شرط.. ولا أسألك الا ان تحبيني بالمقابل .. بنفس الطريقة يا حبيبتي.. بلا خوف..

-سالي ..

قاطعها بصوت مرعب:

-انتهت.. انتهى كل شيئ.. أقسم لك.. وبول..(سألها هو بتشكك (

قالت بألم:

-لم يكن قط..

عاودت النظر الى عينيه وتاقت نفسها اليه .. لقد وثقت به على الحصان ولولا أضطرابه لكانت قفزت الى ذراعيه وهي تسلم حياتها ثقة به.. ألا تستطيع أن تثق به وتسلم قلبها له..

وهي ترغب بذلك من كل أعماقها..

ارتجفت شفتاها وهي تهمس وقد قررت تسليم كل شيئ لقلبها يتصرف معه كيف يشاء:

-أحبك ..

ارتجف قلبه بقوة ولكنه عاد ليسألها بحزم:

-ثقي بي ..

ابتلعت ريقها بصعوبة .. ثم قالت وقد تألق العزم في عينيها:

-أثق بك..

لم يتركها حتى لتكمل عبارتها بل جذبها اليه بقوة في عناق وحشي يخرج فيه كل شوق الليالي الماضي.. ذابت ...طارت ...حلقت بين ذراعيه كل تلك الايام من الحرمان انتست بين ذراعيه ..

عانقته بقوة تثبت له حبها بكل طريقة ممكنة لا تفسرها كلمات.. اصابعها ضائعة في شعره ويداه تضمان جسدها الضعيف اليه بقوة... بالكاد استطاعت التنفس قبل أن يبعدها عنه ببطء لينظر في عينيها وهو يهمس مرتجفاً:

-أحبك ..

سالت دموعها بقوة وهي تدفن رأسها في عنقه وتهمس بارتجافة مماثلة لارتجافته:

-لا تتركني ثيوس .. لا تتركني أبداً..

ضمها اليه بقوة متجاهلاً الألم العنيف الذي عصف به وهو يتمتم:

-أبداً حبيبتي.. أبداً.. (ونظر اليها وتمتم) لقد اكتفيت من الألم يا حبيبتي..

وكأنها شعرت بألمه فقد ابتعدت عنه كالملسوعة وهي تقول:

-هل أنت بخير؟

نظرت الى العرق الذي تصبب منه ورأت محاولته للابتسام وقد فشلت فشلاً ذريعاً وهو يتمتم:

-مادمت انت بخير..

جذبته ليستلقي على السرير وهي تقول بحزم:

-سأحضر الطبيب.

الا أنه جذبها الى جواره وهو يعترض ضاحكاً:

-لا تقلقي أنا الأن انفذ أوامر الطبيب فعلاً..(أشار الى الحزام المحيط بصدره وأكمل) ارتدي هذا وأستلقي على الفراش..

قالت بجزع:

-هل أصبت..

أراد ان يطمئنها .. ولكن تلك النزعة الشيطانية في أن يرى خوفها عليه دفعته الى أن يقول بتردد:

-بضعة ضلوع مكسورة..

شهقت بألم وهي تغطي فمها بيدها ثم اقتربت منه وهي تهتف:

-هل أنت بخير؟؟

قربها منه أكثر وهو يبتسم بخبث:

-لو تلقيت العناية الكافية..

قبلته برقة وهي تهمس:

-سأعتني بك حتى أخر يوم في عمـــــري..

قبلها مطولاً قبل ان يقول بصوت خشن:

-سألزمك هذا الوعد..

ضحكت وهي تلامس وجهه وتقول:

-وأنا سألتزم به..

رأى طيفاً يمر في عينيها فاعتدل في رقدته وجذبها مريحاً رأسها على صدره وهو يقول:

-يجب أن تنامي لترتاحي..

رفعت رأسها تنظر اليه وقد طالت ذقنه وذبلت عيناه وظهر التعب جلياً على ملامح وجهه ثم قالت:

-ومتى ترتاح أنت ؟؟

نظر اليها وقال بعد مدة:

-حين تكونين لي ..

ابتسمت له بخجل ثم أحاطت صدره بذراعها وهي تغرق وجهها في تجويف كتفه .. وتحت لمسات أصابعه الناعمة لشعرها المنتشر فوق ذراعه أغمضت عينيها وغرقت في النوم .. بين ذراعيه..

تسللت ماري الى الغرفة التي ترقد فيها ساشا وقد كانت الأنوار مطفأة والهدوء يعمها .. استطاعت ان تنام جيداً ليلة أمس بعد أن فكرت هي وكاثي بخطة لجمع العنيدين معاً رغم أنفهما ..

وفي الصباح انطلقتا الى المستشفى كاثي ذهبت للطبيب تسأله عن حال ساشا في حين دخلت ماري اليها مباشرة..

كان الهدوء مسيطراً وقدرت ماري بحزن انها لابد سهرت ليلة أمس ولم تستطع النوم .. تنهدت بألم وهي تقترب من الفراش بحذر تخشى أن توقظها..

ولكن حسرتها على صديقتها انحشرت في حنجرتها .. وعيناها تتسعان بدهشة وهي تراهما معاً..

كانت ساشا نائمة تدير له ظهرها تتوسد ذراعه في حين استلقى هو الى جوارها ويده الأخرى تحيط بخصرها وتضمانها اليه في تملك .. وكانا غارقان في النوم بعمق .. وكانهما لم يذوقا طعم النوم منذ التقيا..

سمعت الباب يفتح فأسرعت للقاء كاثي التي كادت تندفع الى الداخل .. صحبتها الى الخارج متجاهلة اعتراضها وماري تكبت ضحكة مرحة.. فقالت لها كاثي بحنق:

-ماذا تفعلين دعينا نطمئن عليها..

-انها بخيـــر .. لم تكن بحالٍ أفضل.

-أهي نائمة..

أحاطت ماري بكاثي وجذبتها بعيداً وهي تقول ممازحة وعيناها تسرحان بعيداً:

-أخبريني.. كيف تبدين باللون الازرق..

-ولماذا؟؟(سألتها باستغراب فضحكت ماري وقالت:

-لأننا بالتأكيد سنكون اشبيناتها .. لا يوجد لديها الكثير من الأصدقاء..

توقفت كاثي عن المشي ونظرت اليها بدهشة قبل أن تستوعب الأمر ببطء.. ثم قالت بشك:

-ماذا رأيتِ بالداخل بالضبط.؟؟

غمزتها بعينها وتابعت مشيها وهي تقول بخبث:

-لمَ لا تدعيني للقهوة وسأحكي لك بالتفصيل..

ومضيتا معاً...

***

سرحت ساشا شعرها بأصابعها بسرعة وهي تتفادى نظرات ماري الخبيثة وقالت لها بانزعاج:

-كفي عن هذا ..

-ماذا.. أنا انظر اليك فقط..

-بالذات هذا .. اشعر بالارتباك..

ثم أضافت بحنق:

-لمَ لم تحضري مشطاً معك..لقد تعبت.

جلست خلفها على السرير وبدأت تملس شعرها الغزير وجمعته وراء عنقها وهي تسألها:

-متى سيأتي ثيوس..

-قال بعد الغذاء..(ثم التفتت اليها وسألتها بخشية) هل أبدو جميلة... لازلت شاحبة أليس كذلك؟؟

ضحكت ماري ونظرت لصديقتها وهي ترى الفرحة واضحة في عمق عينيها وسألتها:

-سعيدة؟؟

تنهدت بقوة وقالت وعيناها تلمعان:

-لم أكن أسعد في حياتي كلها ..(وتوقفت وهي تسرح بفكرها قليلاً قبل أن تقول بصوت متحشرج)

-أحبـــه.. كما لم أحب قط من قبل..

أحاطتها ماري بذراعيها من الخلف وقالت مرحة:

-انه راائع ساشا .. وهوحقاً يحبك..

ابتسمت ساشا وقالت:

-أنا سعيدة لأنه أعجبك.. (وأضافت شاكرة) لقد أخبرني عن الرسالة..شكراً لك حبيبتي..

نهضت ماري ووقفت تتامل صديقتها وقد خلعت عنها ثوب المستشفى وارتدت ثوب ناعماً بلون العاج مزين بورود خضراء صغيرة على الحاشية وقد أخفى عنقه المغلق الخدوش المنتشرة في عنقها وأعلى يديها..

كان وجهها متورداً وهي تتلفت بين الحين والأخر لتطالع الباب بانتظار حبيبها.. فتنهدت بسعادة وقالت:

-سوف أغادر الأن .. لا أريد البقاء فيطردني ثيوس حين يأتي طرداً..

-هولا يطردك .. لا تقولي عنه تلك الاكاذيب.. انه يطلب أن تغادري فقط..

قالتها ساشا مازحة فحدجتها صديقتها بحنق وقالت:

-المرة الماضية كاد يرميني خارجاً.. ماذا تفعلان كل هذا الوقت معاً على كل حال؟؟

أشاحت ساشا بوجهها بعيداً ضاحكة وكاد قلبها يقفز فرحاً حين فتح الباب ليظهر خلفه ثيوس .. بابتسامة خلبت لبها وجعلت قلبها يرفرف بهجة برؤيته.. دخل وقد أدار عينيه في وجهيهما وهو يقول بمرح:

-مرحباً سيداتي.. (واقترب من ساشا وهو يخرج من وراء ظهره باقة ورود بيضاء رائعة وتمتم وهو ينحني نحوها) مساء الخير ياملاكي ..

رفعت اليه وجهها مترقبة قبلته التي لم تخيب امالها فجاءت رقيقة.. ساحرة.. رفعتها برقة نحو سماء لم تسمع بها ولم ترها الا معه ..

وضمت وروده التي لم يقطعها قط طيلة مرضها .. وهي تنظر اليه وقد شع وجهه بلهفة وشغف اليها وجلس على ذراع المقعد الذي تجلس عليه ونظر الى ماري التي قالت وهي ترفع أنفها:

-كنت سأغادر في الحال..

ضحك ثيوس ضحكة صاخبة وساشا تدفن رأسها في قميصه تخفي ضحكتها وقال هو وهو يرى ماري تزم شفتيها حنقاً:

-اجلسي ارجوكي.. صديقي سيأتي في الحال .. اريد تعريفه عليكما..

والتفت لساشا وقال:

-أنه أليكس .. وهو بمثابة أخي..

قالت بفرح:

-أنا متشوقة لرؤيته.. أين هو؟

-أنا هنا.. هل تسمحين لي بالدخول..

التفتت اليه ساشا وتأملته بتروي وثيوس يدخله بسرعة.. كان بطول ثيوس ولكنه أنحل منه وليس له عرض كتفيه البارز..

ملامحه قبرصية بشعره الأسود الداكن وعيناه السوداوين الضيقتين .. وجنتيه العاليتين وشاربه المرتب .. كانت ملابسه أنيقة وتبدو مصممة خصيصاً له ..

سلمت عليه بود وتقبلت علبة الحلوى التي أحضرها شاكرة وأعطتها لماري التي مضت تمازحه وهي تشكو من ثيوس بمرح ..

ضحك اليكس وقال:

-انه متعب في بعض الأحيان.. ولكن على المدى الطويل .. قد ينصلح حاله.

هزت ماري كتفيها وقالت مشاكسة:

-لا أظن.. ليس بعد الان .. لقد كبر ومن الصعب تغييره..

تدخلت ساشا بابتسامة وهي تلاحظ حنق ثيوس:

-لا أريده أن يتغير .. انا أريده كما هو..

ضمها اليه ثيوس وقال بانتصار:

-يمكنكما ان تبلعا ما تقولاه .. مادامت ترضى بي هكذا فلا يهمني..

ضحك أليكس وقال:

-بالتأكيد .. ماذا يهمك ان كانت هذه الفاتنة في صفك.. ما يهمك من كل من يحيط بك؟؟

ضحكت ساشا ولكنها التفت الى ثيوس باستغراب ويده الملقاة على كتفها تشتد .. ورأت عضلة فكه تختلج وهو يضغط عليها بقوة ..

وفكرت ضاحكة..(انه يغار.. يغار بشدة) فقرصته في ساقه وقابلت عيناه المتحفزتين بابتسامة معاتبة أزاحت من عينيه كل نظرة ولم تترك سوى ابتسامة حقيقية وهو يشيح ببصره عنها ضاحكاً..

قضى الجميع وقتاً ممتعاً ذلك اليوم .. وبعد أن حان وقت انصرافهما قال لها ثيوس:

-سأزور والدك اليوم ..

انقبض قلبها وهي تقول:

-ماذا ستقول له؟؟

-سأطمئنه عليك .. فهو يعتقد أنك في منزل كاثي .. نحن لم نخبره الى الان .. حتى بعد عودته الى منزله طلب الطبيب اخفاء الأخبار المؤثرة عنه..

عانقها برقة وقال:

-سأعود وقت المساء.. لدي شيئ أقوله لك..

قالت بشوق:

-سأنتظرك .. لا تتأخر..

ابتسم لها وقال:

-لن أتأخر ..

سلم عليها أليكس بحرارة وانطلقا معاً .. وبقيت ماري التي قالت:

-انه مجنون ..آآآآآآه (صاحتها بالم وهي تتلقى الوسادة التي رمتها عليها ساشا في وجهها والأخيرة تقول بحنق:

-إياك قول هذا عنه...

أبعدت ماري الوسادة ونظرت لصديقتها ضاحكة فضحكت هي الأخرى .. وهي تشرد في والدها .. ترى ماذا سيفعل معه .. ماذا يريد منه؟؟

***

كانت ساشا تكاد تطير فرحاً وهي تنتظر ثيوس .. لقد قال الطبيب انه سيسرحها غداً من المشفى.. كانت متحمسة للغاية وما إن وصل ثيوس حتى ألقت بنفسه بين ذراعيه وهي تهتف بسعادة:

-سأخرج غداً..

رفعها ثيوس بين ذراعيه وأدارها بمرح وهو يقول:

-سعيدة بخروجك .. نحن لن نلتقي مثلما نفعل الأن ..

كانت تضحك بسعادة ولكن الضحكة ماتت على شفتيها وهي تقول وقد بدأ الدوار يلعب بها:

-أنزلني..

أقلقته نبرتها الجادة فقال وهو يضعها على الأرض:

-هل أنت بخير..؟؟

-انه بعض الدوار.. ليس إلا ..(ثم رفعت اليه وجهها وهي تتسائل) لمَ لن نلتقي كما نفعل الان..

ضمها اليه برقة وهو يسند رأسه بجبينها ويقول هامساً:

-يقولون أنه يجلب سوء الحظ..

شحب وجهها وجف ريقها وهي تتسائل:

-سوء حظ؟؟

أومأبرأسه.. ثم قال:

-التقيت والدك..انه بخير ويتماثل للشفاء بسرعة.

غمغمت بتوتر:

-حمداً لله.. ألم يسأل عني ؟(قالتها متوجسة فقال لها ثيوس بحنو:

-بالتأكيد.. سأل عنك باستمرار.. وبالذات بعد أن أخبرته عنا..

-هل قلت له عنا؟؟

-بالتأكيد.. أنا رجل قديم الطراز حبيبتي.. (ثم أضاف بخفوت).. لاأرغب بأن يتم الأمر دون مباركة والدك..

-أي أمر هذا..(تسائلت بدهشة(

إلا أنه أجلسها على المقعد ودون أي كلمة ركع أمامها وهو يشد على كفيها الباردتين بقوة وعيناه تقبضان على عينيها بنظرة شغوفة وهو يسأله بخفوت:

-ساشا..

-ماذا ؟؟

بالكاد غادرتها الكلمات وهي ترى ابتسامة خلابة تلعب بشفتيه وعيناه تتالقان بمئات الشعلات الصغيرة وهو يكمل بنعومة:

-تزوجيـــــــني..

مضت تنظر اليه وهو ثابت لا يتحرك .. كان متوتراً مثلها .. بل أكثر رأت تلك العضلة التي تفضحه دائماً وهي تنتفض في فكه ..

ورات عيناه وقد اختفى سوادها وحلت مكانها شعلة تضطرم ببطئ وهو بانتظار ردها .. ولم تتأخر عليه .. وجاوبته بأحلى طريقة ممكنة ..

رفعته اليها من ياقة قميصه حتى قربت وجهها من وجهه وبكل الشغف بداخلها .. قدمت له شفتيها .. وبين القبلة اللاهفة .. وأخواتها مست تشعل النار في قلبه وكل ذرة من جسده...قائلة:

) -نعـــــــــم..(

***

نهاية الفصل

قرائة ممتعة

بيـــــرو

****

الفصـــل الحـــــــادي عشـــــر

الفجـــــر ينســـى موعـــــــدهـ

تأملت ساشا البحـر المتلاطم أمامها بنفاذ صبـــــــر وغرست أصابعها في الرمال... مر اسبوعان.. منذ غادرت المشفى اسبوعان كاملان .. لم تعرف بهما طعم الشقاء.. بل سعادة... فرح... وحب مجـــرد لا ينتهي...

كل شخص في حياتهما تقبل هذا الحب... رحب به.. وسانده بكل صورة ممكنة.. شقيقاه.. روين.. حتى مارك.. الذي قال وهو يزورها باضطراب.. لم أكن أعرف أنك تنتمين للرئيس... وكم أغاظها هذا القول.. بقدر ما أسعدها.. فهي حقاً تنتمي اليه وكأنها جزء منه .. تعلقت روحها بكل همســـــة ولمسة منه.. باتت عليها صفات الحب واضحة.. هامت به وهام بها ..وشهد الطير .. و البحر وشهدت حتى السماء ورمال الشاطئ الذهبية على كل لحظة حـــــب..

اليوم هو اليوم الأخير لها على براكللي.. هذا المساء تعود الى سوفيـــرا.. لقد بقيت في ضيافة كاثي ما يكفي من الوقت.. تعافت

تماماً.. حتى ثيوس تماثلت كسوره للشفاء.. وبالكاد تركت أثراً... تلفتت حولها بضجر ثم عادت لتسند ظهرها الى الكرسي الطويل الذي تسترخي عليه وهي بالكاد تتمالك نفسها من الصراخ الغاضب وهي ترى ماري التي وصلت لتوها وهي تتهادى في ثوب طويل ناسب قامتها الرشيقة.. ونظرت اليها غاضبة وهي تجلس بجوارها بكل هدوء وعيناها تهربان من عيني صديقتها بشقاوة..فقالت ساشا متشككة:

-أين كنت يافتاة.. انتظرتك طويلاً.. أين ذهبت؟

-كنت أتجول في السوق..

-ولم لم تخبريني هذا الصباح .. كنا ذهبنا معاً؟؟

-كنت نائمة بعد السهرة الطويلة ليلة أمس.. (وأنهت عبارتها وهي تغمزها بخبث فتضرجت وجنتا ساشا بالخجل وهي تتذكر ليلة أمس.. وقد أخذها ثيوس الى مطعم رائع مطل على البحر ولم يعودا الى المنزل الا بعد منتصف الليل .... بكثيـــــــــر..

أخذها الى أماكن عديدة.. حدائق .. مقاهي تركية وغربية منتشرة في كل مكان .. كانا يتمشيان يداً بيد يأكلان المثلجات كالأطفال.. بعد منتصف الليل.. ضحكت حتى دمعت عينيها حين مرا بجوار نافورة ضخمة سرعان منفثت ماءها كله على الجميع ولسوء حظه .. تبلل ثيوس حتى النخاع.. والبكاد استطاعت الهروب منه وهو يركض خلفها مغتاظاً من ضحكها ..

وأعادها لمنزل كاثي في قرابة الفجر .. وعلى الباب أعطاها درساً اخر في فنون الحب .. لم تعد تستطيع العيش من دون قبلاته .. أدمنتها.. طال بهما الوقوف كمراهقان.. يكتشفان الحب للمرة الأولى .....وتذكرت كاثي التي طلت من شرفة غرفتها وهي تقول بمرح خبيث:لقد تجاوزتما الوقت المسموح به.. اصعدي ساشا أو انزل ستيفان في الحال ليطرد هذا العاشق الذي أخرك هكذا..

شتم ثيوس وهو يصيح بها:

-أليس من المفروض ان تكوني الان نائمة..

-كيف أنام وضيفتي خارج سريرها كل هذا الوقت.. ارحل الأن..

ودعته بشوق للقائهما غداً.. وراقبت رحيله بقلب يخفق من السعادة.. لهذا الرجل الذي سيصبح زوجها..

شحب وجهها وهي تتذكر طلب الزواج الذي تقدم به ذلك اليوم.. وعرفت منه فيما بعد أن والدها وافق عليه.. وأنه يباركه

أشاحت بوجهها عن ماري وقد ظهر عليها الاضطراب ورأت ماري صديقتها فقالت بقلق:

-هل انت بخير؟؟

نظرت ساشا للبحر وقالت متنهدة بقلق:

-انا خائفة ..

-مما تخافين حبيبتي؟؟

-من كل شيئ.. خائفة من حبي الكبير له..

-ألا تثقين به؟

-بالطبع ... ولكني اخشى من الحب ماري.. أخشى ألا أتحمله..

عانقتها بمحبة وقالت ضاحكة:

-لا تكوني سخيفة ساشا .. بالطبع ستتحملين..(ونظرت في عينيها وقالت) لا أحد يموت من الحب ساشا..لا أحد.

ابتسمت ساشا رغم أن الكلمات وقعت عليها بقوة .. وشعرتها تزلزل قلبها بشيئ من الخوف .. ولكنها نفضته وماري تهب واقفة وهي تقول بحماس:

-لنذهب الأن ونوضب أغراضنا .. ثيوس سيأتي وقت العشاء.. ويجب علينا الاستعداد..

وكأنها صبت الماء على نبتة ذابلة.. فذكر ثيوس أزاح عنها كل بؤسها وتألقت السعادة في عينيها وهي تنهض لاهفة للذهاب اليه..

***

كانت قد انتهت من تجهيز حقيبتها .. استحمت وارتدت ثيابها.. ووقفت أمام النافذة تتطلع لمجيئه بفارغ الصـــــــبر سمعت طرقاً على الباب ثم دخلت ماري ترافقها كاثي التي قالت حزينة:

-لن تعرفا شوقي لكما .. من قبل أن تغادرا حتى؟

عانقتها ساشا بمحبة وقالت:

-لن نغيب طويلاً.. ثم أنك ستأتين للزيارة أليس كذلك؟؟

-بالتأكيد.. ولكن ليس بكثرة .. أنا أدخل شهري السادس في الحمل.. ستيفان لا يريدني أن أرهق نفسي ..

-بالتأكيد ليس عليك ذلك.. (قالتها ساشا بحزم وافقتها ماري قائلة:(

-لا نريدك أن تتعبي نفسك.. احتفظي بقواك للعرس..

التفتت كاثي الى ساشا التي أحمر وجهها وقالت ضاحكة:

-أنظري الى اليها كيف تخجل... هل حددتما الموعد بعد؟

هزت رأسها نافية فعلقت ماري بسخرية:

-أستغرب عدم أخذه لك للكنيسة في تلك اللحظة.. لربما لا يجدان الوقت للتفكير والتخطيط..آآآآآه(صاحت بها وساشا تقرصها بقوة وعيناها غاضبتان وضحكات كاثي الصاخبة ترافق هذه التصرفات الطفولية وساشا تقول بغيظ:

-كل مافي الأمر أن ثيوس طلب مني الاتصال بوالدتي وتحديد الموعد معها حتى تكون هنا .. أنتما لا تفهمان شيئاً..

تقدمت كاثي تحيطها بذراعها وتقول:

-بالتأكيد نفهم حبيبتي.. كل مافي الأمـــر اننا ننتظر خطوتكما الأولى لنبدأ.. سيكون سباق محموم وكلنا سنشارك به...

نظرت اليها وقالت صادقة:

-ولكننا لم نتكلم بعد.. لقد مر كل شيئ بسرعة..

-الأن وقد تعافيتما كلاكما .. سيكون الأمر بسيطاً..ونحن هنا جاهزتان للمساعدة بكل قوتنا..(قالتها ماري بابتسامة تبادلنها بينهن قبل أن يسمعن زمور السيارة المميز الذي أعلن عن وصول ثيوس فقفزت ساشا واقفة وهي تقول بفرح:

-لقد وصل..

ودون أن تنتظر أي منهما اندفعت للقاءه.. وقفتا معاً تهزان رأسيهما بأسف وكاثي تقول برزانة:

-أنظري ما يفعل الحب.. لا تكاد تلمس الأرض بقدميها.. المجنونة..

وافقتها ماري قائلة بجد:

-معك حق..(وسرعان ما أحنت رأسها على كتف كاثي المندهشة وقالت بغيظ باكٍ) أريد واحداً لي..

وغرقت كاثي بالضحك..

غرقت ساشا بقوة في دفئ ذراعيه وتنسمت عبق البحر الذي غطى بشرته ورفعت اليه وجهها متسائلة:

-كنت تسبح؟

أومأ برأسه فقالت بشوق:

-اشتقت لشاطئ سوفيرا..

-سأخذكك للسباحة غداً..

ابتسمت فرحة وهي تقول:

-ستفرح ماري كثيراً..

قاطعها بنفاذ صبـــــر:

-وحدنا.. أنا وانت فقط.

وضعت اصبعها على شفتيه وقالت ضاحكة:

-ستغضب إن سمعتك..

هم بقول شيئ آخر إلا أنه ابتلع عبارته و ماري تمر أمامهما وهي تقول صائحة بكرامة:

-لقد سمعت وانتهى الأمر.. ولن أكون عزول بينكما بعد الان.. (ووقفت امام ثيوس الذي أطرق ضاحكاً وقالت ترفع أنفها بكبرياء) وان كنت تود العودة بها وحدكما .. فالأمر لا يعني شيئاً بالنسبة لي.. سأنتظر الزورق.. (قاطعتها ساشا بجزع) ماهذا الكلام .. ثيوس قل شيئاً ..

بالكاد استطاع ثيوس تمالك نفسه من الضحك.. وهو يجاهد ليرد عليها بجدية.. وساشا تنظر اليه بغضب لإغضابه صديقتها:

-ماري .. عزيزتي أنت مرحب بك دائماً .. وأنا لم اقصـ..

-بل قصدت.. ولكنني أستطيع التفهم.. أنا أعرف انكما تريدان بعض الوقت لنفسكما.. لا تقلق لن أكون عزولاً .. والان هيا بنا .. لا اريد التأخر عن العشاء..

واخذت طريقها الى غرفة الطعام ترافقها ضحكات ثيوس ونظرات ساشا المعاتبة ..

تناولوا العشاء الذي اتسم بالمرح برفقة كاثي واستيفان.. وبعد تناول الحلوة أعلن ثيوس ان الوقت قد حان للعودة.. كان الوداع مؤثراً وكاثي قد سالت دموعها وهي تعانق ساشا بمحبة وتقول:

-عودي قريباً.. سأشتاق اليكي.. كثيراً.

ابتسمت ساشا وهي ترد:

-وانا أيضاً حبيبتي ..

عانقت ماري كاثي بقوة.. ولكن ثيوس الذي صاح متذمراً قرب الباب جعلهما تسرعان اليه ضاحكتين..

***

وقفت ساشا والاضطراب يسيطر عليها.. كان الوقت قد تأخر وقد تركها ثيوس بعد أن أوصلهما الى باب منزل والدها في سوفيرا .. وبعد أن ساعدهما ليضعا أغراضهما عاد لمنزله بعد ان ودع والدها الذي كان لا يكاد ينظر اليها ..... وجائت تحيته لها جافة ومقتضبة...كادت الدموع تطفر من عينيها ولكن نظرة مشجعة من ثيوس جعلتها تختزن تعاستها وتواجه ليزا بابتسامة كئيبة..

كانت تتأمل البحر الهادئ مستكيناً تحت ضوء القمـر حين سمعت تلك الطرقات الخافتة على الباب.. مسحت دمعة فرت من عينيها في غفلة منـها.. وطلبت من الطارق الدخول..

راقبت الظل الضخم الذي سقط على الجدار والتفتت الى والدها الذي دخل غرفتها بخطوات بطيئة وكأنه يسحبها معه سحباً... ووقف يتأملها وقد تكورت على الكرسي أمام النافذة .. تسمرت ساشا بانتظار خطوته الأولى.. فاقترب منـها وهو يقول بخفوت:

-أتسمحين لي بالجلوس..

أومأت له فجلس على طرف الفراش المقابل لها وهو يثبت عينيه على الأرض وكأنه لا يقدر على النظر اليها لازمت النظر اليه وكأنها لا تريد ان تفوتها لمحة من وجهه.. انها تحبه كثيـــــــراً رغم كل شيئ.. أخيراً رفع عينيه اليها وهو يقول بألم:

-أنا أسف..

هالها منظر الدموع التي تألقت في عينيه فاتجهت صوبه وهي تمد له ذراعيها لتحتويه برقة وتقول:

-يالهي أبي.. أنا من يجب أن اعتذر .. لقد اخطأت في حقك.. وتسببت بأذيتك بصورة فظيعة..

ضمها اليه بحنو وقال:

-لا يا حبيبتي .. أنا وأمك .. لقد غرقنا في مشاكلنا ونسينا أهم شيئ لنا في هذا العالم ... أنت ساشا .. لا تتصوري قط أننا لم نحبك.. على العكس .. كنت السبب الوحيد لاستمرار زواجنا في تلك الفترة.. كنت الشمعة الوحيدة في علاقتنا المظلمة ..

واضاف وهو يمسح الدموع المتساقطة من عينيها:

-لا تبكي يا عزيزتي .. لقد انتهى الماضي.. انتهى يا حبيبتي .. والان لديك حياة كاملة بانتظارك..

ونظر عميقاً في عينيها وهو يضيف:

-ثيوس رجل رائع.. انه طيب القلب وهو قادر تماماً على اسعادك.. ثقي بهذا بنيتي .. عليك أن تحافظي عليه .. وتعتني به.. لا تدعي شيئاً يحطم العلاقة الرائعة بينكما..

أومأت له بسعادة ولم تستطع الكلام فعانقها بمحبة وقال:

-سأتركك لتنامي الأن.. غداً ستذهبين للقاء السيدة صوفيا ..

تنهدت ساشا بقلق وقالت متوترة:

-لا تعرف كم أخشى لقاءها والدي.. هي لم تستسغني منذ التقينا..

ضحك والدها وقال:

-بالنسبة اليها فقط كوني هادئة ولا تعارضيها .. انها سيدة قديمة الطراز.. وانا واثقة انها ستحبك إن تنازلت عن كبرياءك قليلاً.. انها تحب ان تكون المسيطرة على الامور في كل شئون منزلها..

عقدت ساشا حاجبيها وهي تقول باضطراب:

-هل يجب أن اتنازل عن شخصيتي لأرضيها.!! لا أستطيع فعل ذلك أبي ..

-من أجل ثيوس.. لا تريدينه أن يقع في صراع بينك وبين والدته التي يعشقها؟؟

ابتلعت ريقها باضطراب واشاحت بوجهها عنه وهي تفكر بأنها لن تكون مجرد شيئ مسلم به في حياة حماتها العتيدة ..

انها امرأة عصرية ومستقلة.. ولن ترضى بأن توضع على هامش سيدة أفكارها من قرون مضت .

نهض والدها وقال وهو يسير الى الباب:

-نامي جيداً ولا تنسي ماقلته.. سايري السيدة صوفيا .. ليس من اجلها .. بل من أجل ثيوس.

بعد انصرافه استلقت على الفراش الدافئ وهي تعيد التفكير بما قاله لها .. مئات المرات...

***

زفرت ساشا بتوتر والسيارة الجيب تقترب من جولدير بسرعة فالتفت اليها ثيوس بسرعة ومد يده يقبض على كفها البارد كالثلج وهو يقول بمرح:

-تبدين كمن يساق الى المشنقة حبيبتي..

-ثيوس لا تزيد الطين بلة أرجوك... انا متوترة بما فيه الكفاية..

قهقه وقال:

-يالهي ساشا ..انها أمي وليست وحشاً.. انها أطيب مخلوق في هذه الدنيا..

-أخشى انها لا تطيقني..

اوقف ثيوس سيارته على جانب الطريق والتفت اليها بكامل جسده وهو يقول:

-ساشا انظري الي..

التفتت اليه فقال وهو يلامس جانب وجهها برقة:

-لا يهمني قط ما قد تقوله أو تفكر به أمي أو أي شخص آخر في هذا العالم.. لا يهمني إلا واحدة فقط ..(وغمز بعينه وقال بخبث وهو

يقترب منها) واحدة اطارت صوابي مذ رايتها تكاد تفقد وعيها بين يدي ..

تلقت قبلته بسعادة وهي تتذكر خفقان قلبها لسماع صوته قبل حتى أن تراه في المطار ذلك اليوم وابتسمت وهي تتذكـــــر .. كل ماحدث بعد ذلك .. وكيف كانت باردة وداخلها يغلي ..

ابتعد عنها وعاد ليشعل السيارة التي مضت بهما الى منزله..

ما إن وصلا حتى عادت اليها ذكريات آخر ليلة كانت فيها هنا.. ورغماً عنها تلمست أثار صفعته التي كادت تطيح برأسها .. وشحب وجهها وجف حلقها وهي تمشي برفقته وقد أحاط كتفيها بذراعه وغفل عن الخوف الذي سكن جسدها وهي تخطو الى منزله.. خوف لم تقدر قط على تفسيره ..

قال لها وهما يتجهان الى الداخل:

-أفراد العائلة يتناولون طعام الافطار في الحديقة.. ولكن والدتي تتناوله هنا .. في غرفتها الخاصة ..

كان يشير الى غرفة في أقصى زوايا المنزل وقفت معه وقد خفق قلبها .. كانت اصابعه السمراء القوية تحيط بمعصمها النحيل كقبضة من حديد ..آلمتها وبنفس الوقت أشعرتها بالأمان.. وأنها لا تنتمي إلا إليه وعرفت أنه متوتر مثلها وربما أكثر .. رأته يزفر بقوة والتفت اليها قائلاً قبل أن يطرق الباب:

-لا تخافي من امي... انها لا تعض.

ابتسمت له وقالت بتحدي يناقض ارتعاش صوتها:

-لست خائفة..

نظر اليها باسماً ثم جذبها اليه حتى ماعاد يفصلهما شيئ وقال هامساً:

-أتمنى..... فهي تستطيع شم الخوف.. ولكني اثق بك..هيا.

كان قد طرق الباب وتصاعد صوت عميق بنبرة متعالية يدعوهما للدخول..ففتح الباب ودفعها الى الداخل برفق قبل أن يغلق الباب خلفها وابتسامة شيطانيـــة ترتسم على شفتيه... لم تتصور أنه قد يتركها وحدها وتوعدته في سرها بغيظ والقلق ينخر بداخلها ..

وقفت أمام الباب مسمرة وهي تفكر للمرة المليون هل الثوب الأزرق الذي ترتديه مناسب للقاء السيدة صوفيا.. الثوب الحريري البسيط الذي كشف عن كتفيها ووصل طوله الى ركبتيها.. وشدت خصره بقوة بحزام جلدي رفيع بلون داكن.. وقد تركت شعرها يتلى وراء رأسها كذيل الحصان ...

تأملت الغرفة التي أدخلها اليها.. كانت شيه معتمة يدخلها القليل من الضوء عبر الشيش الخشبي للنوافذ.. وأظهر الضوء الشحيح المفروشات على الطراز التركي .. من الأريكة المنجدة بقماش زاهي الالوان الى الطنافس المتناثرة على الارض .. اللوحات التي تمثل

رجالاً بالطرابيش العثمانية العتيقة.. ثم الطاولات المنحوتة باليد والسجاد التركي الفاخر الذي افترش الأرض بالاضافة للعديد من التحف الشرقية المتناثرة في كل مكان ..

وأخيراً وقع بصرها على السيدة أرجامينيس.. كانت تجلس على كرسي مذهب مغطى بالقطيفة الداكنة وقامتها الممشوقة تتربع علية باستقامة وقد ظهرت أصولها التركية عليها واضحة... ثوبها البسيط وملامحها الجميلة البيضاء الخالية من أي عيوب أو مستحضرات وذلك العقد من العقيق البني اللامع تزين به جيدها وقد عقصت شعرها فوق رأسها..

كانت السيدة تتأملها هي الأخرى بصمت فآثرت ساشا الصـــمت هي الاخرى..ولكن السيدة قطعته فجأءة وهي تقول بصوتها الرقيق الحازم:

-هلا فتحت النافذة قليلاً الجو معتم..

انتفضت ساشا وأسرعت نحو النافذة وهي تقول:

-بالتأكيد.

فتحت ساشا الشيش الخشبي بعض الشيئ والسيدة تواصل:

-أنا أتركها مغلقة حتى هذا الوقت من النهار حتى أتفادى الشمس التي تواجه النوافذ في الصباح الباكر..(وأشارت حولها وهي تقول بأسف) انها تفسد لون المفروشات..

عادت ساشا لتنظر اليها وقد غمـــــــرت الغرفة بنور الصباح الأبيض وبانت تفاصيل الغرفة الانيقة وتفاصيل السيدة الجالسة بكل عظمة..

ورأت طاولة الطعام الأنيقة التي تراصت فوقها أصناف الأجبان والزيتون بأنواعه والخبز الأبيض الطازج.. أشارت لها السيدة للكرسي الذي في قبالتها وقالت:

-أجلسي يا صغيرتي.. (جلست ساشا متخشبة على الكرسي والسيدة تصب لنفسها فنجان من الشاي وتصب في فنجانها هي الأخرى وتقول) أحب تناول الشاي في الصباح كعادتكم انتم الانجليز.. هل تحبين الشاي ساشا؟؟

-بالتأكيد..(يالهي ماذا أصابني؟؟؟ كانت متوترة حلقها جاف للغاية فرفعت الشاي تتجرعه متناسية سخونته التي أحرقتها إلا أنها كتمت آهة الألم التي كادت تقفز منها وكتمت سعالها وهي تطرق بوجهها عن السيدة التي تفحصتها .. ساد الصمت مجدداً ولكن صوفيا عادت تقطعه وهي تقول متأملة ساشا بتمعن:

-سمعت بما أصابك .. وأنا أشكر الله أنك أصبحت على مايرام الأن.. لم أستطع المجيئ لزيارتك وذلك لسفري برفقة روين كما تعرفين..

)لم تبدين وكأنك تتمنين ان كنت مت اذاً) فكرت ساشا بتوتر وهي تنظر اليها والسيدة تضيف بمكـر:

-لقد أخبروني عنك وثيوس..(سكتت وهي تراقب امتقاع وجه ساشا التي بدت وكأنها طفلة ضبطت تسرق من مرطبان الحلوة .. ثم اضافت:

-وأخبرني ثيوس أنه هناك اتفاق بينكما على الزواج.. وأن والدك قد بارك هذا الزواج؟

لم تعرف ساشا بما تجيب كانت تعرف انهما سيتحدثان عنها وعن ثيوس ولكنها فقط.. مرتبكة ورغماً عنها كانت هذه المرأة .. تخيفها.. لم تعرف بما تجيب وما تتوقع منها هذه المرأة أن تقول, فآثرت الصمت وقلبها يخفق بجنون ويداها متعرقتان تقبضان على المنديل الابيض الذي خطفته من المائدة وعيناها المرتبكتان مزروعتان في فنجان الشاي أمامها .. هي أبداً لم تواجه موقفاً كهذا من قبل .. أبداً..

عضت شفتيها حتى كادت تدميها وسمعت صوفيا تقول:

-ساشا..(رفعت اليها عينان تلمعان وادهشها أن ترى تلك النظرة الحانية في عينيها وهي تضيف برقة:

-أنا لا أقصد ازعاجك قط يابنتي... ولكن..(وشردت ببصرها وهي تكمل) ثيوس لم يكن له قط تلك العلاقات المتعددة بالنساء كما قد تتصورين.. علاقاته قد لا تتجاوز عدد أصابع يديك الواحدة.. وكلها كانت سطحية وقصيرة المدى.. ماعدا سالي.

شعرت ساشا بقبضة من جليـد تعتصر قلبها وهي تتذكر تلك الرقطاء التي تسببت بأذيتها هي وثيوس على السواء وكادت دموعها تغلبها فتسقط على خديها وهي تتذكر الشماتة في عينيها وهي تصف لها عن غرامهم في ليماسول..كانت حتى الان لم تناقش موضوع سالي معه .. اكتفت باعتذاره ذلك اليوم ولم تفتح معه الموضوع قط.

تابعت صوفيا غير منتبهة لتأثر ساشا:

-لقد كان الجميع يتوقع.. (إلا أنها لم تكمل بل هزت رأسها وعادت لتبتسم وتقول) عليكي ان تعلمي أنني لا أتدخل في اختيارات أبنائي قط..ربما فرانكو هو الوحيد الذي ألزمناه بالزواج من ليليان وذلك لمصالح عائلتنا وقرابتها بعائلتها منذ زمن .. جوليان اختار روين بنفسه .. ولم يطلب اذن أحد.. وثيوس(وأطالت النظر اليها وهي تبادلها النظرات بصعوبة) يبدو أنه قد اختارك انت.

كلماتها كانت غير مريحة لساشا وشعرت بقلبها ينقبض والسيدة تضحك وهي تشير للطعام:

-ولكن يالهي ماذا دهاني .. نسيت الطعام وآداب الضيافة .. تفضلي بنيتي.. سيطول بيننا الحديث فيما بعد..

شعرت ساشا بالسخرية وهي تفكر من يمكن أن يشعر بالجوع بعد هذا الكلام ..

مضى الوقت والسيدة لا تكف عن طرح الاسئلة عن عائلتها وأمها في امريكا وزاد اهتمامها حين عرفت ثراء زوج امها الذي قام بتربيتها .. سالت عن أشقائها .. عن عملها وعن ماري صديقتها .. حتى عن شقتها في لندن..ولكن ساشا لم تلاحظ تلك النظرات المتحفظة التي كانت ترمقها بها وهي تحكي بشغف عن عملها .. وسألتها:

-وماذا ستفعلين بع زواجك؟؟

احمرت وجنتاها ولازالت الكلمة تدفعها للخجل إلا أنها قالت ببساطة:

-سأجد حلاً..

-ولكن ثيوس يحتاج لامرأة تتفرغ له كاملة.. ماذا عن الاطفال؟(تسائلت صوفيا بهدوء دفع ساشا الى التوتر وهي تقول بعصبية:

-ثيوس نفسه يعمل في المزرعة منذ الصباح حتى المساء .. ماذا يفترض أن افعل حتى يعود؟؟أقلم أظافري!!!

عقدت صوفيا حاجبيها وقالت وقد تسلل اليها توتر ساشا:

-عليكي مراعاة شؤن منزله .. والاعتناء به حين يعود..

تصاعد الدم الى رأسها وهمت بقول شيئاً يبرد غضبها من تدخل هذه المرأة بشؤنها ولكنها صمتت حين اندفع ثيوس الى الغرفة بسرعة وقد ظهرت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يواجه الاثنتين ويقول بسخرية:

-لقد انتصف النهار ألم ينتهي الحديث بعد؟؟

رأت ساشا كيف تحلى الوجه البديع للسيدة بفرحة طاغية وهي تنظر لابنها البكر وقالت له ببهجة:

-لقد انتهينا لليوم.. هناك الكثير ليقال بعد..(ونظرت لساشا وكأنها تقول هذا ابني الحبيب فلا تتجرأي وتؤذيه أو تسببي له الألم.. ورغماً عنها أشاحت ساشا بعينيها وصبت نظراتها الى الرجل الذي تحب فوجدته ينظر اليها بلهفة بانت واضحة في عينيه وهو يمد يده اليها ضاحكاً وهو يقول:

-ليس الان يا أمي .. سآخذ هذه الفتاة الأن لدينا الكثير للقيام به.

نهضت ساشا بارتباك وودعت السيدة صوفيا بكلمات قصيرة جاءت رغماً عنها جافة وتوجهت معه الى الخارج وحالما اصبحا وحدهما حتى قالت:

-لن أسامحك قط..

ضحك بملئ فيه وتجاهل نظرتها الثائرة وقال:

-أعطيك الحق لفعل الشيئ نفسه معي حين تصل أمك.

-لم اتصل بها بعد.

-ولهذا أخرجتك.. اتصلي بها الأن..

أخذها الى غرفة المكتب .. شعرت ما إن دخلتها بالذكريات تهاجمها بقسوة وتذكرت صفعته التي رمتها الى الطرف القصي ولكنه لم يظهر أي تأثر وهو يقودها الى المكتب ويقدم لها الهاتف ويقول:

-تكلمي قدر ما تريدين

ابتسمت وهي تخرج هاتفها الذي لم تستفد منه لعدم وجود تغطية كافية في هذه الجزيرة وطلبت الرقم بقلب يرتجف.. كيف يفترض أن تخبر امها عنهما وهو قاعد هكذا أمامها ولهذا قالت بهدوء وهي تنظر اليه:

-أخـــــرج..

عقد حاجبيه وتمتم متذمراً بالقبرصية بكلمات لم تفهمها فضحكت وصاحت:

-سأتعلم اللغة ثيوس وعندها لن تنتصر في مشاحناتنا بهذه الكلمات الغريبة..

قهقه وهو يغادر المكتب وتركها وحدها .. أخذت نفساً عميقاً وهي تكمل طلب الرقم وانتظرت...أتاها صوت والدتها الناعس فأدركت فارق التوقيت وشعرت بالغباء.. ولكنها تبادلت معها العبارات الترحيبية واسعدها الفرح في صوت امها حين سمعت صوتها.. وتنحنحت ساشا عدة مرات قبل ان تقول لأمها بصوت مرتبك:

-امي هناك شيئ ساخبرك اياه.. (صمتت تنتظر ردة فعل ولكن جاوبها الصمت فأدركت أن امها تنتظرها أن تكمل هي الأخرى فواصلت باضطراب وصوت خافت:

-امي انا سأتزوج..

أطبق الصمت عليهما فأدركت أن امها قد صدمت فلم تتكلم قبل أن يأتي صوت أمها ليقول بذهول:

-ماذا قلتي؟؟

-كما سمعتي أمي .. سأتزوج.

-من يكون(بذهول(

-انه رجل رائع تعرفت عليه هنا في قبرص.

-أنجليزي؟؟

-لا.. قبرصي.

-ماذا يعمل؟؟أهو صحفي ..أم هو طبيب؟

تنهدت وقالت بنفاذصبر:

-ليس طبيباً.. انه صاحب المزرعة التي يعمل لديه والدي..

-مزارع(باستنكار(

-نعم.. أنا أحبه(بخفوت ..) أحبه بجنون امي.

صمت وتنهد قبل أن تقول:

-يالهي حبيبتي كم انتظرت فقط لأسمعك تنطقين هذه الكلمة.. مبارك حبيبتي..

اتسعت ابتسامتها وقالت:

-سيعجبك ثيوس .. انه يذكرني بداني..

ضحكت امها وسمعت أصوات الى جوارها قبل أن تقول:

-جاك يهنئك..

-بلغيه تحياتي..

-انه يقول لك بانه متكفل بجهازك ساشا..

عقدت حاجبيها وقالت:

-امي هذا لايمكن.

-بلى .. انه مصر ولا تنسي انه قام بتربيتك كابنته .. لا تحرميه من هذا ساشا..(قالتها انها بحزم فأغلقت ساشا عينيها وقالت باحراج:

-امي هذا كثير..

-لا عليك.. أما ثوب زفافك فسيكون هدية مني..

-لاااا..(صاحتها ساشا بذعر وهي تتذكر بذوق امها المتكلف واضافت بقوة) لن تلبسيني ثوباً بذوقك امي..

ضحكت امها:

-ولكنني سأختار واحد من التشكيلات الجديدة الرائعة لا تقلقي بنيتي ..

-لا أمي .. لا..

تهادى اليها صوت امها ينتحب وهي تقول شاهقة بالبكاء:

-ولكنني لن أكون الى جوارك بالسرعة المطلوبة ساشا ولن أشارك بالكثير.. هل تحرمينني من هذه اللذة يابنتي؟؟. أرجوك ساشا..

آآآآآه كانت امها تستعمل أكثر سلاح مؤثر لديها ...دموعها , كانت تعرفها لن تتحمل وفعلاً بدأت تلين وهي تسمع الشهقات المتتالية وفكرت (ليت صاعقة تنقض علي الأن .. وقالت لها) لا بأس أمي .. افعلي ما تشائين.. (كان كل جزء من جسدها يصيح بها أن ما تفعله حمق ولكن طيبة قلبها تحكمت به في تلك اللحظة ووجدت نفسها تقول :

-متى تستطيعون المجيئ .. لنحدد الموعد امي؟؟

-يجب أن نرتب وضعنا هنا وننتهي من التسوق.. لدي العديد من الاشياء (كانت تستطيع سماع أفكارها وهي تخطط كعادتها لفعل الكثير من الاشياء.. والخطط التي ترسمها وسمعت بوضوح تذمر العم جاك وهو يطلب منها العودة الى النوم ولكن امها كانت في عالم آخر

من التخطيطات وضحكت ساشا حين اخذ زوجها الهاتف ليقول لها بحنو:

-مبارك يابنتي..

-عم جاك ... شكراً لك..(قالتها بخجل وهو يضحك ويقول (

-أمك لن تعود للنوم الان وستوقظ الجميع للبدء بالتسوق.. سنكون معك حالما نرتب امورنا يا صغيرتي.. لا تقلقي..

شعرت بالامتنان لكلماته وقالت هامسة:

-شكـــــراً عمي..

ودعها واعداً اياها بالرد عليها بأسرع وقت .. وضعت الهاتف من يدها وظلت تنظر اليه برهبة وقد دقت ساعة الصفر..

***

مضى اسبوع كامل منذ اتصلت ساشا بوالدتها وقد تحدد موعد العرس ليلة أمس .. بعد ثلاثة عشـــــر يوماً.. تنهدت بقلق وهي ممدة على سريرها في منزل والدها .. ثلاثة عشر يوماً بالتمام والكمال .. يالهي لماذا أنا خائفة هكذا؟؟؟ لماذا ؟؟ فكرت وقلبها الذي كان يخفق بقوة غير مسبوقة يخنقها.. اليوم تذهب وماري وروين لمنـزل كاثي للغذاء .. ثيوس كان مسافراً حيث ذهب هو وجوليان الى نيقوسيا لعمل لا تعرف عنه هي شيئاً ..

منذ سفره وهي تشعر بشيئ لا يوصف يغزوها .. شعور بالوحدة القاتلة التي تسيطر عليها .. اشتاقت اليه بجنون لم يمضي يومان فقط على سفره وهي تقضي ليلتها تبكي الى وسادتها وتشكو من هجره... يالهي كم تحبه وتتمنى أن يكون معها الأن فقط لتقول له كم تحبه وكم تشتاق اليه .. كم تريد أن يضمها بين ذراعيه .. وينسيها العالم كله .. كل خوفها وقلقها كل شيئ ..

تاملت الخاتم الذي أعطاها اياه وتذكرت كيف وقف امامها واعلن حبه بكلمات لا يمكن ان تنساها وكاد قلبها يتوقف وهو يخرج خاتم الماس الرائع ويلبسها اياه...

نهضت متثاقلة لا تقوى على الوقوف.. جلست أمام النافذة تنظر الى البحر بضجر.. كل شيئ بلا طعم حين يكون ثيوس بعيداً عنها .. كل شيئ فاتر بارد ..

كان النهار قد انتصف حين وصلتا الى منزل كاثي ترافقهما روين وطفلتيها رائعتي الجمال بشعرهما الأحمر الناري .. واللتان لم تطيقا صبراً وسرعان ما انقضتا على الحديقة الواسعة وشرعتا باللعب متجاهلتان الكبار تماماً ..

بعد التحية المعتاده قادتهم كاثي الى غرفة بديعة تطل على الحديقة لتظل الفتاتان تحت أنظار امهما .. ودارت الأحاديث المعتادة قبل أن تسأل كاثي:

-والأن ساشا أخبريني كيف هي استعداداتك؟

-أي استعدادت؟؟ (قالتها بغباء فاتسعت عينا كاثي وتنهدت ماري وروين وهما يتبادلان النظرات وماري تقول:

-لا حياة لمن تنادي .. كاثي أرجوك أفهميها معنى كلمة عروس.

نقلت ساشا بصرها بين الثلاث اللواتي يرمقنها بغل وقالت متوترة:

-ماذا تريدون مني أن أفعل؟؟ أدور في كل أنحاء الجزيرة وأحمل يافطات تعلن عن زواجي؟؟

ضحكت كاثي وقالت:

-يالهي ساشا .. هناك العديد من الأشياء التي عليك القيام بها.. هل فكرت بالكنيسة؟ اتريدين الزواج في سوفيرا أم هنا في براكللي .. الكنيسة هنا أكبر وأوسع.. وماذا عن الحفل بعده .. أين سيقام .. في منزل ثيوس أم هنا في براكللي.. و التجهيزات .. الطعام والفرقة الموسيقـ...

-كفـــــــى!!(صرختها ساشا بذعر وهي تغمغم) ماهذا كله ..أنا لا اعرف شيئاً..

-وثيوس يختار هذا الوقت ليسافر هه.. تباً له من أحمق.

قالتها كاثي بعصبية قبل ان تعود لتقول مبتسمة:

-لا تقلقي حبيبتي .. سنتكفل نحن الثلاث بالتجهيزات كلها ولكن اتفقي مع ثيوس على المكان المناسب لكما..

-قال انه يريد الزواج في كنيسة العائلة في سوفيرا.. ولكننا لم نتحدث عن الاحتفال؟

-هذا لأن الرجل العاشق يريد خطفك بعد قرائة النذور فوراً.. انه يحلم.. سنقيم احتفال .. وسيكون ضخماً..

ثم أضافت وقد لمعت عيناها:

-متى نبدأ بالتسوق؟

-أمي تكفلت بجهازي؟؟

غمزت كاثي لماري بعينيها وقالت مبتسمة بشيطنة:

-لا يمنع هذا من أنك ستشترين بعض الحاجيات بنفسك..

اندفعت ماري تقول بلهفة:

-نعم .. أتوق للتسوق هيا ساشا.. ماذا ان لم يعجبك ذوقها.. قد لا تجدين الوقت لشراء الحاجيات فيما بعد.. وخصوصاً انهم سيصلون قبل اسبوع من الزفاف فقط..

تنهدت ساشا وقالت:

-ولكن ماذا ان أحضرت أمي خزانة كاملة وهاذا ما ستفعله ..أنا أعرفها.

-نحن لن نشتري خزانة كاملة.. بعض الأشياء لن تقتلكي يافتاة.. ثم ان الثياب هنا رائعة.. (قالتها كاثي بحماس فاستسلمت ساشا وأومأت برأسها موافقة فقالت روين ضاحكة:

-هكذا أفضل .. عليك ان توافقي كالعروس الطيبة..

ضحكن بمرح وعدن يخططن العديد من التفاصيل.. وكانت الأيام تمـــر بصورة رهيبة .. تجهيزات ومواعيد لا تنتهي.. حتى بعد عودة ثيوس لم تعد تستطيع اللقاء به من كثر انشغالها .. وفي المساء تعود لمنزلها بغاية التعب لا تكاد تضع راسها على الوسادة حتى تغرق في نوم عميق...

وفي احد الايام كن الثلاث .. ساشا ماري وكاثي في أحد المحلات الفخمة التي تعرض ملابس النوم بكل أنواعها ... وكانت كاثي تقنع ساشا بشراء ثوب نوم من الحرير الموشى بلون الورد والذي تأملته ساشا بنظرة مصعوقة قبل أن تعيده الى البائعة دون كلام وكاثي تحاول اقناعها وماري واقفة مبتسمة وساشا تقول:

-هل جننت .. انظري اليه انه يحتاج لخريطة لألبسه ..

ونركتها واقفة في المحل تواجه نظرات البائعة الساخرة وغادرت بكل بساطة..ولحقتها ماري بسرعة فما كان من كاثي الا أن تعيد القميص الصغير آسفة ولحقتهما حين توقفت فجأة تنظر الى ماتسمرت ساشا وماري للنظر اليه.. كانت سالي..

وقفت سالي أمام ساشا فجأة تعترض اندفاعها من المحل.. شهقت بذعر وابتعدت الى الخلف ولا شيئ يخطر ببالها سوى تلك الحوافر المجنونة والتي كانت ستدهسها بلا رحمة بسبب هذه المـــــــرأة.. وغريزياً ابتعدت عنها خطوة للخلف وهي ترى تالق الشر في عينيها ..وانضمت لها ماري وعقدت حاجبيها وهي ترى توتر صديقتها وهي تنظر الى هذه المرأة التي تألقت بالثوب الحريري الأسود والشعر الناعم الذي شدته وراء راسها .. ورغم أنها لا تعرفها الا أنها شعرت بأنها ليست في صف ساشا بل على العكس تماماً..

تكلمت سالي اخيراً وقالت:

-تجهزين عدتك للزواج منه؟؟

ابتلعت ساشا ريقها وقلبها يخفق بقوة آلمت اذنيها وهي تعقد حاجبيها بحزم لم يتسرب الى قلبها الراجف ووقفت أمامها باعتداد وقالت بصوت أملت معه ان يكون حازماً ولكنه جاء مضطرباً:

-هذا ليس من شأنك..

تقدمت منها خطوة وحدقت بعينيها وهي تقول بشراسة:

-من شأن من اذاً.. انه حبيبي.

تقدمت كاثي في تلك اللحظة تقول بهدوء:

-سالي توقفي..

التفتت اليها بغضب وارتفع صوتها حتى جذب أنظار بعض المارة وهي تقول:

-أتوقف ؟؟؟ وانت من بين كل الناس كاثي.. أنت صديقتي؟؟

تنهدت كاثي وقالت متعاطفة:

-سالي الامور لا تحل هكذا.. اسمعي..

-هناك حل واحد..(قاطعتها سالي بصوت خافت خرج من بين أسنانها المطبقة وهي تثبت عينيها على وجه ساشا الممتقع قبل أن تواصل بحقد) أتركيـــــــــه..

فار الدم في رأس ساشا ونسيت كل ذلك الخوف بداخلها وكاد الغضب يتطاير من عينيها وهي ترى هذه الأفعى ترغي وتزبد فقالت والغضب يحمل نبرات صوتها:

-من تكونين لتقولي هذا الكلام .. ثيوس لا يحبك .. لا يفكر بك حتى ..

-أنت كاذبة انهـ..

-لماذا أحمل أنا خاتمه إذاً..(قاطعتها ساشا قبل أن تكمل نفث سمومها وهي ترفع يدها اليمنى حيث تالق خاتم الماس بوهج خلاب يتوج يدها ويعلن ملخصاً لقصة حبها ورات وجهها يشحب فواصلت بشماتة غير آبهة لمشاعر سالي).. مالذي منعه من أن يعطيك هذا الخاتم سالي .. لماذا أعطاني إياه .. ولماذا سيتزوجني أنا وليس أنت؟؟؟

رأت السواد ينتشر في الوجه الجميل ليزيد عليه قبحاً بشعاً وهي تقول متمتة:

-أقسم أن تندمي.. أقسم أن أحرق قلبك وان أستعيده منك أيتها السارقة..

كانت ساشا بالكاد تحافظ على اعصابها وهي ترد بثبات:

-أنا لن أسمح لك بالتدخل بيننا سالي .. نحن نحب بعضنا بقوة ونثق ببعضنا بقوة أكبر.. لن تفسدي هذا لنا .. أبداً لن أسمح لك بخداعي مثل المـــــــرة الماضية..

قربت وجهها منها وقالت بحقد:

-أنا لا انتظر إذنك.. سترين.

وابتعدت عنها لتدير عينيها في كاثي وماري اللتان فضلتا ان تخوض ساشا معركتها بنفسها وقالت:

-ســـــنرى..

واندفعت تغادر المكان بخطوات هستيرية ترافقها نظرات ماري المندهشة بصمت وكاثي المتوترة وساشا التي تسربت شجاعتها من بين أصابع قدميها وتهالكت على كرسي بلاستيكي وهي تشعر بالدنيا تدور حولها وكل الذكريات البغيضة عن ذلك اليوم تعاودها..اغلقت عينيها بقوة وهي تبعدها عن ذاكرتها بشدة وشعرت بيد توضع على كتفها فالتفتت لترى ماري وكاثي واقفتان الى جوارها والأولى تقول:

-لا تعيريها أي اهتمام ساشا .. انها رفرفة طير مذبوح ليس الا..

نظرت اليها ولكنها لم تستطع ان تصدق غير النبض العنيف الضارب في صدرها ووقفت بصعوبة وهي تقول وقد فقدت رغبتها بالتسوق نهائياً وهي تقول:

-لنعد الى المنزل ..

***

راقبت ساشا كيف تصارع شقيقيها التوأم ريك وباتريشيا على مفتاح الغرفة المطلة على سوق المدينة وضحكت بمرح وأمها تصرخ بهما أن يتوقفا.. وسرعان ما اندفعا الاثنان الى الخارج وهما يدمدمان بغضب وامها تقول بتوتر:

-انهما لا يطاقان .. لا يزالان يتصرفان كالأطفال..

-انهما يكبران امي .. . اعطهما بعض الوقت لينضجا ..

وتأملت امها السيدة الأنيقة الثرية بشعرها المرفوع فوق رأسها بلونه الأشقر الذهبي وعينيها الخضراوين بلون العشب .. فاتنة هي الكلمة لوصف امها .. وصلت برفقة زوجها وتؤاميها اليوم واستقروا في الفندق ذو الخمس نجوم في براكللي .. وكانت امها غاية في التوتر لأن ثيوس لم يتواجد ولم تفهم قط العمل الذي منعه من استقبال حماته من سفرها ..حيث أنه لم يعد بعد من سفره ..

أما هي فقد طال اشتياقها له ورغم دفاعها عنه إلا انها لا تفهم قط سبب غيبته الطويلة.. عشرة أيام .. يتكلمان يومياً ولكنه لا يقول لها أي شيء .. مضى الوقت وهي تساعد أمها في ترتيب أغراضها وهما تتكلمان بحماس عن حفلة العرس التي لم يتبقى لها سوى أيام قليلة جلست أمها على السرير الزوجي الضخم وجذبتها لتجلس الى جواره وقالت بتوتر:

-ساشا هل أنت سعيدة؟؟

رغم أنها وامها لم تكونا دائماً على اتصال وكذلك لم تكونا متقاربتان ... إلا أن امها استطاعت رؤية ذلك التوتر والخوف في اعماق العينين الزرقاوين ... ولكن ساشا لم تكن تستطيع انكار سعادتها .. التوتر والخوف .. كانا طبيعيان بالنسبة لعروس جديدة ولكن السعادة!!!.

-نعم أمي ... أنا سعيدة للغاية..(قالتها لأمها بكل صدق وهي تنظر اليها فضمتها اليها بقوة وهي تقول:(

-هل يستحقك هذا الغريب؟؟

ضحكت ساشا وقالت:

-أنا واثقة من هذا ... أمي انه رائع..

قالت امها بغضب مصطنع:

-وأين هو الان؟؟

زمت شفتيها بعدم ارتياح ولكن رنين الهاتف انقذها ورات على الشاشة المضيئة حروف اسمه المتوهجة فقفزت الابتسامة الى شفتيها وتألقت عينيها .. وحتى حمـرة الخجل زارت خديها وهي تنهض وتبتعد الى النافذة وهي تقول لأمها:

-انه هو..(فتحت الخط بسرعة لينساب صوته المعذِب الى اذنيها برقة وهو يقول:

-صباح الخيـر حبيبتي..

-صباح الخير..(قالتها وهي تكبت تنهيدة ارتياح لسماع صوته الحبيب فقال:

-وصلت عائلتك؟

-أمي غاضبة ثيوس.

-ولماذا؟؟(قالها باهتمام فقالت:

-لأنك لست هنا .. تشعر بالاهمال..

ضحك بهدوء:

-لا تقلقي .. سأتصرف مع حماتي الغاضبة بنفسي .. أخرجي نفسك من الامر..

تنهدت وعادت تقول وهي تشيح عن امها التي تتأملها بفضول:

-ولكنني أنا أيضاً غاضبة؟

-وكيف أرضى بغضبك... أخبريني لمَ؟؟؟

-تركتني وحدي ... كل هذه التحضيرات بين عائلتك وعائلتي اصبت بالجنون ثيوس...(قالتها بحنق فضحك بصوت منخفض وقال:

-لقد ارسلت لك شيئاً أتمنى أن يخفف من غضبك...

-ماذا (قالتها بفتور فقال:

-افتحي باب الجناح وترينها أمامك..

قالت بدهشة:

-ما أدراك أننا في الفندق؟؟

-لدي مصادري الخصوصية ياعمـــــري.. والأن افتحي الباب وتلقي مفاجأتك ..

التفتت الى امها وقالت هامسة بحماس:

-أرسل لي هدية!!

وتوجهت الى الباب تلحقها امها بفضول وما إن فتحت الباب حتى تسمرت تنظر الى هديتها...

استند ثيوس الى الجدار المواجه لباب الجناح الذي تسكنه عائلة ساشا وابتسم بسعادة حين فتحت له الباب.. تأمل الدهشة في عينيها فلوح بهاتفه وقال بخبث:

-هل أعجبتك المفاجأة ؟؟

لم تتركه ليكمل بل أسرعت ترمي بنفسها بين ذراعيه وتلقاها هو غامراً اياها بحب وهي تدس جسدها بين يديه وتقول:

-آآه ثيوس لقد اشتقت اليك.. اشتقت اليك بجنون حبيبي..

ضمها بقوة وهو يتنشق عبير شعرها الذي انتشر على ذراعيه ومرغ أنفه في عنقها وشفتاه تلامسان النبض الضارب فيها وهو يتمتم:

-لو تعلمين كيف مضت تلك الأيام علي ساشا ... كنت كالميت الذي لا يحيه الا الاستماع لصوتك.

ابتعدت عنه لتنظر في عينيه اللتان حفر الارهاق فيهما أثاره ورأت كيف استطالت ذقنه فمررت يدها عليها وقالت بحنو:

-لقد اهملت نفسك ..

هم بقول شيئ ولكن صوت تنحنح قطع عليهما تلك اللحظات فالتفتا سوياً نحو والدتها التي قالت مبتسمة:

-لابد انك ثيوس..

ابتسم ثيوس واحاط كتفي خطيبته بيده قبل ان يمد يده الثانية مسلماً على المرأة الواقفة أمامه وقال:

-وأنت السيدة براند ..

صافحته وقالت معاتبة:

-لقد توقعنا ان تستقبلنا في المطار... هل كان العمل أهم من عائلتك المستقبلية؟؟

-أمي!!(تمتمت ساشا بحرج ولكن ثيوس ضغط على كتفيها مطمئناً وقال) أنا حقاً أعتذر كان من المفروض ان نصل اليوم فجراً الى براكللي ولكن المشكلة التي سافرنا اليها تفاقمت في اللحظات الأخيرة ولم أستطع المغادرة قبل الأن ..

)ثم أضاف بمرح) ولكي أعوض هذا .. ادعوكم جميعاً للغذاء اليوم في مطعم رائع أعرفه.. هل انت راضية الان ؟؟

تأملته امها باعجاب لهذا الرجل الواقف امامها بكل كبرياء يحتضن ابنتها كأنها جزء منه وتنتمي اليه ورغم اعجابها به الا انها لم تملك الا الشعور بالخوف من تملكه الواضح وأدركت ان ابنتها لم تكتشف فيه بعد الكثير..

وتغدوا معاً.. وانسجم ثيوس مع جاك زوج امها بقوة وأمضيا طيلة فترة بعد الظهر يتحدثان عن الاعمال ماجعل ساشا وامها تنسجمان تماماً في الحديث عن العرس الوشيك وساشا تقول:

-ماذا عن الثوب أمي؟

-سترينه غداً.. انه رائع..(قالتها امها بحماس متجاهلة توتر ساشا وقالت مضيفة) سيكون رائعاً عليك .. صدقيني..

تنهدت ساشا ثم سألتها مغيرة الموضوع:

-متى سيصل داني؟

-قال بانه سيأتي ليلة العرس.. انها الامتحانات .. سيأخذ أجازة لمدة يومين فقط..

-اشتقت اليه(تمتمتها ساشا وهي تشرد في شقيقها ولكن صوت ثيوس انتزعها وهو يقول:

-آن الوقت لنغادر حبيبتي..

الفتتا اليه بحركة واحدة وامها تقول بدهشة:

-اين تأخذها؟؟

-الى بيتها.. (قالها باستغراب وراى كيف نظرت ساشا اليه بعتب فلم يفهم ولكن امها اوضحت بعصبية: (

-ساشا لن تذهب لبيت ذلك الرجل .. ستبقى معي هنا حتى موعد العرس.

نظر ثيوس لساشا بحيرة فنهضت هي وقالت لأمها:

-سأعود على الفور امي.

وجذبت ثيوس الى الخارج وقالت له:

-سأظل مع أمي هنا... لقد أخبرت والدي وقد تفهم..

تنهد بأسى وقال:

-هل علي أن آتي لبراكللي حتى أراك؟؟

-سأكون بانتظارك.. متى قررت أن تأتي.. (قالتها ويدها تضغط على يده بقوة فابتسم بحنو وضمها اليه وهو يقول:(

-سأشتاق اليك.. هل اراك غداً..

ضحكت قائلة:

-لن ينفع.. غداً ستأتي كاثي وماري وحتى روين.

-ولم الاجتماع النسوي هذا؟(قالها ساخراً فردت بحنق:(

-لا شان لك.. هناك تجهيزات علينا القيام بها ..

-آآآه .. اذا ففي النهاية الموضوع لصالحي.. أليس كذلك؟(قالها بخبث فلكمته في كتفه مداعبة وقالت حانقة) أنت لا تطاق.

ضحك لها وعاد يضمها اليه مجدداً لا يقوى على الابتعاد عنها...

***

تأملت ساشا الثوب الابيض الذي ترتديه مصعوقة .. وقفت لأكثر من عشر دقائق مسمرة تنظر اليه... جائها صوت ماري تدعوها للخروج فانتزعتها من الذهول الذي اعتراها وغادرها الشحوب واكتستها حمرة الغضب والخجل وهي تقول من بين اسنانها:

-أنا لن أخرج...أبداً..

رآن علهن الصمت والارتباك ونظرن الى والدتها التي قالت مبتسمة بثقة:

-ساشا حبيبتي كيف سنحكم على الثوب ان لم نراك ترتدينه... هيا بنيتي تعالي..

زمجرت بغضب ولكنها خرجت اليهن تجر ذيله بيدها وهي تنظر اليهن بانفعال... وتفاوتت النظرات..

أمها كانت تنظر اليها باستحسان جللته ابتسامة فرحة... كاثي وروين ينظران اليها بذهول في حين انفجرت ماري بالضحك..

-أنه اسوأ ثوب رأيته في حياتي...

تبادلت امها النظرات مع كاثي وروين والأخيرة تقول:

-ساشا .. انه مذهل..

-ولكنه ليس لي.. أنا لست هكذا..ماري تكلمي..

كتمت ماري ضحكتها وقالت:

-لم أكن أضحك عليك .. ساشا .. بل على المسكين ثيوس ... سيصاب بازمة قلبية ..

ضحكت كاثي وقالت:

-كلهم سيقعون ... ربما يجب أن ندعو طبيباً ونحضر سيارة اسعاف للاحتياط فقط..

-كفاكما..(صاحتها ساشا بغيظ وهزت رأسهاوهي تقول بعناد) لن أرتديه.

قفزت امها تقول بغضب:

-ساشا توقفي عن اللعب كالأطفال.. انه من احدث التصميمات .. انظري اليه وكيف ناسب قوامك يا فتاة.. يالهي لقد صمم خصيصاً لك..

-ماذا؟؟؟(قالتها ساشا بدهشة فقالت امها:(

-لقد أعطيت المصمم تفاصيل عنك وقد صنعه خصيصاً لك (قالتها بتوتر لم تفهمه ساشا ولكن امها أدارتها لتواجه المرآة الطويله.. ووقفت تتأمله مجدداً... هي لا تنكر قط جماله .. قماش الدانتيل ينساب بتنورة ضيقه تتوسع حول قدميها قليلاً,, ولكن ذلك القماش لشفاف الذي أظهر جذعها كاملاً حتى خصرها جعلها تتضايق .. كان الثوب خلاباً .. ولكن ليس لها لم تشعر به .. لم تحبه وكفى..

رأت امها تنظر اليها بلهفة .. لم ترد أن تكسر بخاطرها قط .. لم ترد أن تؤلمها ولهذا التفتت الى كاثي وماري وقالت:

-مارأيكما بجدية ودون سخرية..

تبادلتا النظرات ثم قالت كاثي بابتسامة:

-انه فاتن... للغاية حبيبتي..

ونهضت نحوها تعانقها وتقول مداعبة:

-ولازلت اصر على دعوة الطبيب.. لست مسؤولة ان قضى ثيوس ليلته الاولى في المستشفى..

-جبانة..

صاحتها ساشا وهي تسمع الجميع ينفجرون بالضحك ولم تتمالك نفسها وغرقت بالضحك معهم...

***

كانت السماء مظلمة بشكل أكبر هذا اليوم وقد غاب القمر خلف غيوم وكأنها خرجت من أعماقها وتلبدت السماء..

نظرت الى كأسها السادس هذه الليلة وتمنت لو ينسيها ولو قليلاً من كربها وسوء حظها .. ليتها تموت .. ليتها تموت فتنسى كل شيئ عنه..

عل الشراب ينسيها خيانته ويمحو عن قلبها عذابه وألمه... آآآه ثيوس .. ليتني لم اعرفك .. يالهذا الألم.. يالهذا العذاب متى ينتهي.. متى يخف.. أحبك.. أحبك..

دمعة خائنة تسللت من عينيها وكادت تخنقها لولا تلك اليد الحانية التي مسحتها برقة قبل أن تلامس وجنتيها .. رفعت الي عينيه عينان غرقتا بالدموع ورأت العذاب يطل من عينيه.. ويقول بحنو:

-انه لا يستحق كل هذا.. لا يستحق ان تبكيه بالدموع..

انسكبت دموعها وشهقت وهي ترمي بنفسها بين ذراعيه قائلة:

-آآآه أليكس .. لماذا ؟؟ لماذا فعل بي هذا؟

ضمها أليكس بقوة وهو يغلق عينيه متمتعاً بملمس بشرتها الناعمة وهو يفكر (يالهي كم احبك... احبك وان كان قلبك ملك لصديقي الوحيد ؟؟ هولا يستحقك بعد أن فرط بك هكذا .. لا يستحقك.) ونظر في عينيها وتاه في الكحل الاسود الذي سال على وجنتيها تسحبه الدموع .. وبانت الرغبة في عينيه وهو يلامس شفتيها بشفتيه... انتفضت بين ذراعيه فشدد ضغطه عليها وهو يقول:

-دعيني انسيكي ثيوس.... اتركيني احاول..

نظرت اليه بذهول .. تنساه .. كيف تنسى حب عمرها ؟ كيف ؟؟ لم تستطع مقاومته وهو يضمها اليه بقوة معانقاً اياها .. لم تستطع الا التجاوب مع عاطفته الجياشة التي لم تشك قط انه يحملها لها ...أليكس صديق ثيوس المقرب..

وعادت اليها تلك الصورة التي لم تبارح خيالها وثيوس بين ذراعيها ويناجي الاخرى في خياله .. فالتفتت بالعينين الكحيلتين لأليكس وقرأت الرغبة الملحة في عينيه وقالت لاهفة:

-حاول.. ولن اوقفك.

عندها قفز أليكس وجذب سالي الى ذراعيه واخذها الى غرفته.. ولم يشك للحظة انه يرتكب أسوا غلطة في حياته ليس فقط بالنسبة له .. بل على اعز اصدقائه...

***

-لا اصدق هذا ..

تمتم بها ثيوس ضاحكاً وهو يغلق عينيه والأصوات الصاخبة حوله تتعالى وهو يحضر حفل توديع العزوبية الذي أصر فرانكو واليكس على اقامته له ..قبل ليلة واحدة من الزفاف وصاح بالجمع المتحلقين حوله:

-من صاحب فكرة احضار الراقصة؟؟؟

أشار جوليان بيده الى فرانكو الذي كان ماخوذاً بالراقصة التي تتمايل أمامهم فانتفض الاخير وقال:

-انها افضل فكرة على الاطلاق ... انها فاتنة..

اشاح ثيوس بوجهه وقال ساخراً:

-لن يعجب الأمر ساشا قط.. هي لا تعلم بامر الحفلة اطلاقاً.. هي مشغولة حتى النخاع بفض الهدايا برفقة نساء العائلة وأنا اسهر برفقة راقصة.. أعتقد ان الأمر سيء..منذ الان.

ضحك جوليان في حين قال فرانكو:

-أين اليكس قال بانه قادم ومضت أكثر من ثلاث ساعات .. هل أضاع الطريق.

ابعد ثيوس يد الراقصة التي تكاد تجلس بجانبه وقال له بضيق:

-لابد انه قادم.. (ثم نهض من كرسيه بسرعة مبتعداً عنها وتجاهل اعتراضها الذي سرعان ما ابتلعته وهي تعود لتراقص فرانكو الذي استحوذ عليها كلياً..(

تأمل ثيوس الوقت الذي مضى وأليكس لم يظهر بعد وحانت منه التفاتة الى الباب ثم لاح الارتياح على وجهه وهو يرى أليكس يتقدم منه .. عقد حاجبيه وهو يرى كيف تلافى اليكس النظر الى وجهه وهو يقول:

-أنا اسف على التأخر .. استغرقت في النوم.

تجاهل ثيوس النظرات الهاربة واحاط كتفي رفيقه بذراعه وقال ساخراً:

-لم لا تمارس مهامك كاشبيني الموقر وتطرد هذه الراقصة من هنا .. وان اعترض هذا المغفل .. اطرده معها..

ضحك أليكس بتوتر ومضى يتحدث مع الراقصة ولم يمضي بعض الوقت حتى كانت تتأهب للخروج ولكن جميع المدعوين نهضوا معترضين بقوة فما كان من أليكس الا أن تركها تكمل فقرتها المغرية وعاد الى ثيوس خائباً فنظر له الاخير بسخط وقال:

-يالحظي في أشبيني.. ألا تنفع بشيئ؟؟

ضحك أليكس بمرارة التقطتها اذنا ثيوس بوضوح وهو يقول بخفوت:

-صدقني.. لست أفضل اصدقائك الأن ثيوس...

عقد ثيوس حاجبيه وهم بقول شيئ الا ان فرانكو هجم عليه يجذبه الى دائرة المحتفلين رغماً عنه ومن مكانه استطاع ان يلاحظ ملامح شقيق مسيرته كيف اظلمت واجتاحه القلق ولكن... فوضى الاحتفال عادت لتغرقه وينغمس فيها حتى اذنيه...

كانت ساشا ترتب حقائبها التي ستاخذها معها في شهر العسل تساعدها ماري التي كانت تقول:

-انها ملابس رائعة .. ومن دور ازياء شهيرة.. ان امك مبذرة ..

ضحكت ساشا بتوتر وقالت:

-انه العم جاك.. لقد أسرف في دلالها..

رفعت لها ثوب نوم حريري ليلكي اللون قصير بالكاد فيه بعض القماش وهي تغمز بعينها وتقول ساخرة:

-ماهذا كله... ألا تخشين الاصابة بالبرد؟

اعتلت الحمرة وجنتيها وهي تسحبه من يدها وتلقيه في الحقيبة تقول باستحياء:

-انها امي.. هي لم تحضر الا هذه الأشياء .. لا أعرف كيف سأرتدي هذا أمامه.. سأموت من خجلي.

سالتها ماري بلهفة:

-هل يعرف؟

-ماذا؟؟

-تعرفين... أنك لم تكوني مع رجل من قبل؟؟

جلست على حافة الفراش وقالت:

-وكيف اخبره بذلك .. انت مجنونة؟

سالتها بخبث:

-أنتما لم... تعرفين..

ضربتها بقوة على كتفها وقالت ساخطة ووجهها ينفجر من الاحمرار:

-لا شان لك.. أنت لا تطاقين..

ضحكت ماري بمرح وقفزت هاربة من سخط صديقتها ووقفت امام الثوب متأملة قبل أن تقول:

-انه رائع... (ثم أضافت وهي تعقد حاجبيها) من هو براد؟؟

تسائلت وهي تنظر الى ساشا التي قالت تسأل بانشغال:

-براد من؟؟؟

رفعت لها قطعة المقوى الصغيرة التي تحمل شعار بيت الازياء وقالت لها:

-ألم تري هذا.. مكتوب عليه.

التقطت ساشا البطاقة وفتحتها لترى الكلمات القليلة المكتوبة والتي لم تلحظها قبلاً ...

)اليكِ... ساشا .... براد) عقدت حاجبيها وتمتمت بضيق وألم:

-تباً... يالهي امي لماذا تقلبين صفحات طويتها منذ زمن؟؟

-ماذا حدث؟

رمت ساشا الثوب من يدها وقالت بتصميم:

-مستحيل أن ازف لثيوس بثوب صنعه لي براد.. مستحيل.

-من يكون هذا؟

سألتها ماري وقد انتقل توترها اليها فنظرت لها متوترة قبل ان تقول بحزم:

-احضري حقيبتك.. سنذهب للسوق.. في الحال.

وتجاهلت نظراتها الذاهلة واندفعت خارج الغرفة.

***

كان الصباح مشرقاً .. الجزيرة كلها تزينت احتفالاً بزواج سيدها الطرقات تشبعت بالزينة والاعلام الملونة الموسيقى والرقص عم أطراف البلدة القديمة بحواريها وشواطئها .. ليلة أمس بدأت الاحتفالات التي استمرت للصباح واليوم عادت لتواصل وكأنها لم تتوقف قط ...

كل شخص ..رجل كان ام امرأة .. صغير أم بالغ .. كلهم سهروا للصباح ..بلا استثناء ..

كانت ساشا قد وصلت الى جزيرة سوفيرا ليلة أمس وقضت ليلتها الأخيرة كعازبة في منزل والدها رغم اعتراض امها الشديد.. تأملت الصباح الذي حمل اليها أصوات المحتفلين ... لم تكن لتفكر قط انها بزواجها ستقام كل هذه الأحتفالات والأفراح...

اخبرتها روين ان في الزواج التقليدي يستمر الاحتفال ما يقارب الثلاثة أو الأربعة أيام.. وتنهدت بقلق ونظرت الى الثوب الجديد الذي اشترته وماري مساء أمس.. انه يناسبها ويعبر عنها .. وقعت بغرامه حال رؤيته فصممت على شرائه ولم يوقفها ثمنه المرتفع...

حان الوقت ... ستصل مصففة الشعر بعد قليل برفقة كاثي وعليها أن تكون جاهزة... تنهدت بعمق وتمتمت لنفسها بوجل:

)كلها ساعات قليلة وتصبحين زوجة الرجل الوحيد الذي أحببته في حياتك... وتنسين الألم الى الأبد ساشا (

***

حار ثيوس ماذا يجب أن يفعل... يجلس يقف أم يدور حول المكان وتعالت اصوات المدعوون حوله وتنقلت عيناه بينهم ولاح له وجه جوليان المبتسم بوقار وفرانكو الذي يعاكس خطيبته بكلامه الساخر .. رأى والدة ساشا وقد ترفلت بثوب ساحر بلون البحر وقد تركت شعرها الاشقر ينسدل بقصة حديثة أحاطت بوجهها وهي واقفة برفقة والدته التي لم تقل عنها أناقة بثوبها الحريري الأخضر وقد رفعت شعرها فوق رأسها بتسريحة يونانية كلاسيكية..

كان متوتراً .. يكاد يقضم أظافره من فرط توتره... الليلة ..يتزوج المرأة التي يعشق.. يالله كم هذا الأمر مخيف..فكر بسخرية .. انه خائف .. حتى النخاع.. التفت الى الخلف بسرع حين شعر بمن يحط يده على كتفه وابتسم بتوتر وهو يقابل عينا صديقه اليكس الذي ابتسم وقال له بمكر:

-متوتر؟؟؟

زفر ثيوس وقال بسرعة:

-أين كنت ؟؟ بحثت عنك منذ الصباح.

تفادى أليكس الاجابة عن السؤال وهو يتذكر سالي التي قضت ليلتها في الفندق الذي ينزل به في براكللي... وتذكر قولها له انها ستسافر الى باريس هذا الصباح لعدم قدرتها على البقاء قريبة أثناء زواجه..

لا يستطيع أن يفهم كيف تكون معه ويسمح لها بالتحدث بكل تلك المرارة عن رجل سواه.. ولكنها اتخذته عشيقاً تفرغ فيه مرارتها وحقدها بدلاً من ثيوس .. وهو رضي بالأمر.. فقط لأنه يحبها .. وقد أحبها منذ رآها وهي التي لم ترى في حياتها سوى ..ثيوس.

ولكنه ازاح عنه تلك الأفكار ومضى يقول:

-لقد غرقت في النوم .. وأنا هنا الان ..

أخذ ثيوس نفساً عميقاً ثم أخرجه بقوة وهو يقول:

-لم تأخرت كل هذا الوقت .. أين هي؟؟

قال ثيوس ضاحكاً وهو يشير الى جوليان وفرانكو اللذان انضما لهما:

-ان العريس قلق .. ربما ضاعت عروسه في الطريق.

ضحك الثلاثة بمرح في حين زم ثيوس شفتيه بضيق .. ولكنه عاد ليعقد حاجبيه وهو يتأمل الشاب الأشقر الذي وقف أمامهم... كان طويل القامة رفيع القد بعينين زرقاوين ذكرته كثيراً بعيني ساشا وشعر أشقر قصير وبنية قوية .. وقف ينظر له باعتداد قبل أن يمد يده ويقول بصوت قوي:

-لا بد أنك ثيوس؟

لم يحتر طويلاً بل ابتسم وقد عرفه على الفور وقال:

-ولا بد انك داني..

شد داني على يد صهره وقال بابتسامة:

-دانييل .. لا أحد يناديني بداني سوى شقيقتي التي أسرفت بدلالي.

-دانييل .. تشرفت بلقائك ..

تبادل والجميع التحية قبل أن ينضم اليهم جاك والده بحديث ضاحك يحاولون اخراج التوتر من جسد ثيوس المشدود والذي انتفض بقوة حين وصلت روين بثوب الاشبينات الأزرق الغامق لتقول:

-ادخلوا جميعاً.. لقد وصلت العروس.

تأملت ساشا الكنيسة الحجرية القديمة وقد انتصبت بجلال وسط حديقة خضراء بسيطة وقد بان القدم واضحاً على الحجارة البنيه ولكن الأعتناء الواضح في الشرفات الخضراء والتفاصيل الدقيقة للسلم الحجري المنحوت في الصخر جعل المكان يبدو غاية في الروعة ..

أخذت نفساً عميقاً وتآبطت ذراع والدها الذي ابتسم لها بحب فبادلته ابتسامته بتوتر ونظرت الى اشبيناتها الثلاث وقد تألقن بالثياب الزرقاء الداكنة .. كانت ماري تعبث بشعرها الذي قصته قصيراً فأظهر ملامح وجهها الضاحكة دائماً.. أما كاثي فقد أخفت بطنها المنتفخ بقماش الثوب الذي انسدل عليها بنعومة وهي تهز رأسها فرحة بطول شعرها الجديد وقد سرحته بتريحة كلاسيكية ... والأخيرة

روين التي بثوبها البسيط وشعرها الأحمر المشبوك خلف رأسها جذبت اليها الأنظار...

وأخيراً .. الى الصغيرتين وقد تألقتا بالثياب البيضاء رغم ان الكبرى منهما أصرت على انتقاء الثوب بشبك بلون أحمر فاقع ناسب بشدة خدودها المتوردة بفعل الاثارة .. واكتفت الصغرى بثوب أبيض ناصع يشبه على حد قولها ثوب العروس... وابتسمت ساشا وهي تتذكر الصخب الذي عانت منه روين وهي تحاول السيطرة عليهما...

تقدمت منها كاثي وقالت مبتسمة:

-لقد حان الوقت ... مستعدة؟

أخذت نفساً عميقاً وتجاهلت رجفة يديها وهي تومئ برأسها فساعدتها ماري على انزال الطرحة البيضاء الشفافة على وجهها وقالت حينها كاثي والثلاث يتأملنها بانبهار:

-يالهي ساشا معك حق هذا الثوب يناسبك أكثر..

وافقنها بهمهمة غير مفهومة قبل ان تتناهى الى سمعهما الموسيقى التقليدية لدخول العروس فاصطففن أمامها وماري تقول:

-حان الوقت..

شعرت حينها بركبتاها ترتجفان تحتها ولولا ذراع والدها الممسك بها باحكام لسقطت أرضاً التفتت اليه ممتنة فقال لها:

-هيا .. لابد انه ينتظرك بفروغ الصبر..

ابتسمت له وقد تالقت عيناها لذكر ثيوس وواتتها الشجاعة فبدأت المشي نحو باب الكنيسة المشرع على ظرفتيه... بكل ثقة.

أخذ ثيوس نفساً عميقاً قبل أن يلتفت الى الخلف .. رأى الصغيرتين تتقدمان اولاً وقد أمسكت كل واحدة منهما بسلة من اوراق الأزهار البرية لنثرها على الممشى المغطى بسجادة عجمية ثمينة .. وضحك على الشيطنة المرتسمة بالذات في وجه الصغيرة ميشال وهي تمنع نفسها من الضحك بصعوبة..

ثم دخلت الاشبينات الثلاث بأثوابهن الزرقاء الغامقة وقد أمسكت كل واحدة منهن بباقة جميلة من الازهار .. وحلما أصبحن بالقرب منه حتى همس لكاثي بتوتر:

-اين ساشا؟؟

ضحكت بخفوت قائلة:

-انظر خلفك..

التفت ثيوس بكل جسده الى الباب حيث يفصله عنه ذلك الممر الطويل وعلى جانبيه المقاعد التي ضمت كل أفراد اسرته التي قدمت من كل مكان لحضور عرسه بالاضافة لأصدقائه .. وخلف كل هذا رآها واقفة .. لم يعرف كم مرة وقف قلبه وهو ينظر اليها منذ تعرف عليها ولكن

اليوم قد طال الأمر حتى شعر برأسه يدور... لم ير اي امرأة قط في جمالها..

تقدمت منه ببطء وثوبها يختفي تحت الطرحة البيضاء الطويلة وقد تألق ضاغطاً على جذعها حتى وركيها قبل ان يتسع قليلاً تحيطه كسرات من القماش الشفاف .. كان بسيطاً راقياً يظهر تفاصيل شخصيتها البديعة مع كل طية من طياته...

اختفى العالم من حوله ولم يشعر بيد اليكس التي تربت على كتفه ولا بالموسيقى الصادحة... فقط بها .. شعر انها مع كل خطوة تخطوها نحوه تجدد ثقتها به .. كان خائفاً من كل هذه التحضيرات ان تغير رأيها بآخر لحظة .. ان تهرب منه وتضيع الى الابد.. كان مرعوباً ولكنه اراد ان يثق بها وان يثق بثقتها به ...

كادت تفقد الوعي .. كل تلك النظرات المنصبة اليها تكاد تصيبها بالجنون من فرط الخجل .. حاولنت البحث عن عينين صديقتين فاصطدمت بعيني والدتها الذاهلتين وهي تنظر الى الثوب الذي لا يشبه ما أحضرت قط.. فأشاحت عنها متهربة ووقعت عيناها على شقيقها داني.. كان ينظر لها فخوراً وقد اتسعت ابتسامته لتشمل وجهه كله فابتسمت له بحرارة وهي التي لم تره حين وصوله ...

ولكنها انتبهت الى نظرات اخرى... عينين داكنتين بلون الفحم نفضت عنها كل العيون وأسرتها بنظرة حازمة متحكمة فشخصت اليها مسلوبة الأرادة.. ووجدت نفسها تخطو اليه وقد تلاشى العالم من

حولها ذاب وتبخر ولم يبقى سواه... رأته وقد ارتدى بدلة رسميه رمادية فاتحة من الحرير وتألقت تلك الزهور الورديه التي تلائمت مع باقتها في عروة سترته... ابتسم لها فتعلقت بابتسامته كما الغريق... وأغرقته معها في حديث طويل لم يسمعه سواهما ... واقتربت منه أكثر ....

لم يخفق قلبه قط كما يخفق الأن وهي تقف بين يديه تردد معه بصوت واحد تلك النذور التي ستجمعهما الى الابد ... كلمات ابتدعتها تلك المشاعر التي تعصف بهما تؤرجحهما بين درفتيها بهدوء عاصف ... لم ينقذهما منها شيء شوق يعصف وأمل بهطل كالمطر...شغف يستعر... وحب تهادى برقة موج البحر الرائق

تأمل ملامح وجهها المبهمة خلف ستار الحرير ورأى كيف ترتجف شفتيها وهي تهمس بكلماتها وأصابعه تدفع بالخاتم الذهبي الى أصبعها .. يدها باردة كالثلج ويده لم تكن بأفضل حال.. رفع يده يتلقى خاتمه وهي تحدق بعينيه وقالا معاً وهما يجيبان القس العجوز ... نعـــــــم ...

اقتربت منه ليرفع عنها طرحتها البيضاء وهو يكشف عن وجهها الحبيب وقبض برقة على كتفيها وهويقربها منه ليقول هامساً (أحبـــــك) قبل أن يغرقها في قبلة طويلة ... أنستها كل من حولها...

كانت الصالة التي اقيمت بها حفل استقبال العرس رائعة .. الورود في كل مكان والفرقة الموسيقية تعزف بلا انقطاع تقريباً.. المدعوون الذين تزينو بكل أناقة.. والعروسان .. التائهان في عالم آخر..

لم يتركها ثيوس قط.. رقصا معاً مراراً ومراراً... ورفض أن تراقص غيره .. حتى والدها وشقيقيها أو حتى شقيقيه.. ماجعلها تضحك وهي تقول له:

-ثيوس لا تكن سخيفاً.. دعني أرقص مع سواك..

قربها منه اكثر وهو يسند رأسه على جبهتها ويقول بعناد:

-لا..ألا تعرفين كم اغار ساشا .. سأصاب بالجنون ان رايت احدهم يضمك اليه كما افعل..

رفعت رأسها وهمست تساله وقد أثار صوته الرجفة في اعماقها:

-حتى أبي .. ودانـي؟؟

-يالهي ساشا .. أنا اغار من الثوب الذي ترتدينه لانه اقرب اليك مني.. أغار من الهواء الذي يفصلني عنك.. اغار من اي شخص تحبينه وتكنين له أي مشاعر سواي..

قالها برقة لم تتخيلها ولوهلة خافت من تلك المشاعر اللاهبة في عينيه ولكنها ارادت اطفاء لمحة الألم التي مرت بهما فقالت واعدة وهي تمرر يدها على خده:

-وانا لن ارقص مع سواك ثيوس.. اعدك..

ضغط عليها وهو يهمس بشوق:

-لنرحل عن هنا ساشا ..

غرست راسها في عنقه وهي تغمغم:

-لايزال الوقت مبكراً.. ماذا سيقولون ؟

-فليقولوا ما يشائون ..لا يهمني. قالها ضاحكاً فبادلته الضحك ولكنهما لم يغادرا .. بقيا يشاركان في الحفل الذي استمر حتى وقت متأخر من الليل ..

وفي لحظة قالت له:

-يبدو أن احدهما قد طب في حفرة عميقة ..

رفع راسه حيث اشارت ورأى ماري تراقص مارك نيكس بشغف ولا يكادان يبتعدان عن بعضهما فابتسم بمرح وساشا تقول بحنق:

-هي لم تقل لي ؟؟ وكل ذلك الوقت الذي تختفي به .. لا باس سيكون لنا حديث ..

عاود ثيوس الضحك وهو يقول:

-دعينا من الجميع .. ارقصي معي...

رقصت معه وكما وعدته لم تراقص غيره .. قط ...

حان وقت المغادرة .. و انطلقت السيارة التي يقودها أليكس الى المطار حيث ستقلهم طائرة خاصة الى بافوس حيث يبدأ شهر العسل.

***

تأملت ساشا الفيللا التي وصلا اليها ... كانت رائعة ورغم ان تفاصيل كثيرة لم تظهر بسبب الظلام الا انها بالتاكيد تبدو رائعة .. قربها منه وهو يضمها ويقول:

-ما رأيك؟

-انها فاتنة حبيبي.. رائعة حقاً.. اود ان اراها في ضوء الشمس ..

ضحك وقال:

-هذا للغد .. اما الأن فلم لا أريك الطابق العلوي..

اومأت له بفرح ومضت ترافقه الى الاعلى.. كانت الفيللا تتكون من طابقين ولم تستطع ان تشاهد الكثير فقد أخذها على الفور الى غرفة النوم الرئيسية..

شعرت بالبرودة تجتاحها ورغم السترة التي ترتديها فقد هزتها رعشة قوية وهي تشيح ببصرها عن السرير الضخم وتتجاهل النظر اليه وهي تجيل ببصرها في انحاء الغرفة الواسعة السابحة بضوء القمر الذي اتخذ نافذتها مسكناً له..

تقدم منها ببطء وادارها لتواجهه ورأت تلك الرغبة المجنونة في عينيه هو يقبلها ببطئ.. خافت ذعرت وتشتتت مشاعرها ووجدت نفسها تبعده عنها بارتباك ولكنه لم يدعها تبتعد بل قبض على معصميها وقال بخفوت:

-ماذا هناك؟

-الن ننتظر؟؟ قالتها مرتجفة فابتسم بهدوء بعيد عنه وهمس لها:

-لقد انتظرت طويلاً.. اطول من اللازم ساشا..

وعاد يغرقها في عناقه ولكنها تمتمت مبتعدة بقوة:

-هناك شيئ..

نظر اليها بحيرة ثم سألها:

-تكلمي ساشا .. ليس هذا وقت للعب باعصابي..

رفعت أصابعها رغماً عنها لتقرضهما بتوتر وانسدل شعرها أمام عينيها فاقترب يرفع ذقنها اليه وهمس بحب:

-قولي ياحبيبتي.

لم تستطع اخباره وهو ينظر اليها فرمت نفسها بين ذراعيه وعيناه متسعتان من المفاجأة واخفت وجهها المحترق خجلاً في طيات قميصه وهي تهمس بصوت بالكاد سمعه ولكن كلماتها خرقت اذنيه:

-انا .. انا لم أكن مع رجل من قبل ثيوس.. لم يمسني رجل من قبل.

كانت متسمرة بين ذراعيه وقلبها يرتجف وتحت اذنها قلبه الخافق بجنون وذراعاه تشتدان حولها وهو يهمس بصدق:

-ساشا .. يا حبيبتي .. انا لن اؤذيك..

رفعت اليه عينيها بتردد ورات كل ذلك الحنو يتالق في عينيه فقالت باضطراب:

-ظننتك ستسخر مني؟؟

ضحك بعلو صوته وعاد لينظر في العينين البريئتين قبل أن يقول بمشاعر مخنوقة:

-ساشا لو تعلمين مقدار سعادتي .. امرأتي هي لي .. ولم تكن قط لسواي.. لو تعرفين ماذا اشعر الان ..

-أخبرني...

قالتها بشوق ولكنه لم يخبرها بل أراها ..

أراها معنى الحب الذي يكنه لها بكل قوته وشغفه الكبير بها ضاعت الأنفاس.. تاقت الروح .. وهلكت الأشواق.. في محـــراب الحب ..

وغادر السقم وانكب الهوى يبني صرحاً.. معبداً بنيران رغبـــــة مجنونة .. ساقها الحـب مكبلة بسلاسل من حديد بعثت الحياة في حبـــات الرماد المتناثرة ...

صنعت من كل واحدة منها ...جمـــــــــرة تشتعل وتشتعل.. ببطء مسعـــــــــور ...واضطرمت نيـــران العشق تشدو بأغنية صاخبة لا يلاحقها نغم...

واستكانت روحها الثائـــرة بين يديه.. وقد عادت اليها أنفاسها ممزوجة بعطر أنفاسه الحارة.. وغابت عيناه في السحـــر المتدفق من عينيها.. ويداه لاتكادان تلاحقان لهفته عليـــها وشفتاه تبثان شوقه بكلمات لم تفهم منها ســـــوى العشق الذي يقطر.. من كل حرف بها..

ليلهمـــا لم ينتهي .. وطال السهـــــر .. وتربع القمـــــــر ولم يسعفه فجـــــر.. تأخر وهو ينتظر نهاية عواطف محمومة.. تشتعل بكلمة .. ولاتكـــــاد تهمد.. حتى تعيدها لمســـــة الى الحياة بقوة ..

تأخـــر الفجـــر مأخوذاً بسحـــر الحب الذي أنساه موعـــــده... وطرق عليه القمـــــــر ولكنه أبى إلا أن يغفو على ترنيـــــمة العشق التي يسترق السمع اليها ...

ولم يهنأ حتى سكنت الأشواق وارتوت الروح من نهر الحب الذي تدفق بلا حساب وقد نهلا منه كل قطراته... وبزغ الفجر اخيراً ...

وتلألات الأضواء البرتقالية تغزو غرفة النوم التي عمها الهدوء وساشا تنظر في عيني زوجها اللتان عكستا البريق البرتقالي وهمست وهي تدفن وجهها بين ذراعيه:

-أحبك....

نهاية الفصل

قرائة ممتعة

بيـــــــــــرو

****

الفصـــل الثاني عشـــــر

عسل طعـــمه علقم

تلاحقت الموجات تتسابق للارتماء في حضن الشاطئ الذهبي كل واحدة تتلهف لاظهار حبها ومدى شوقها اليه وحالما تصل تذوب.. تتغلغل بين ذراته ولانها تعشقه فهي لاتجد أفضل من هكذا طريقة لتبقى بالقرب منه ... ان تمتزج بكل ذراته وتصبح جزء ليس من الممكن فصله عنه ... ان تبقى للأبد .. بين أحضانه...

وهكذا رغبت ساشا .. ان تكون بين ذراعيه الى الأبد تنام وتصحى ورأسها يرتاح على صدره وخفقات قلبه القوية تهويدتها ... سبعة ايام مضت عليهما في الجنة .. جنة المحبين والعاشقين جنتهما وحدهما....

في بافوس الرائعة.. بافوس مدينة أفروديت آلهة الحب عند الأغريق .. مدينة الحب والعشق.. تمثلت فيها كل ما له علاقة بالعشق والهوى ..

تاملت الفيللا الأنيقة التي تملكها عائلة أرجامينيس في كورال بيتش كانت في ضوء الشمس اكثر روعة وهيبة بلونها الابيض الناصع وسقفها المثلث باللون الاحمر

أما المدخل فتحيطه حديقة غنية بالاشجار والازهار تخفي معالم الفيللا عن محيطها والفيللا نفسها بابها زجاجي له سقف واطٍ ونوافذ مقوسة كبيرة وبلاطه الصقيل محمي من اشعة الشمس القوية...

تقودك مباشرة الى غرفة جلوس منيرة .. بألوانها البيضاء والبرتقالية والمفروشات بلون الكريم والنوافذ الزجاجية البيضاء الواسعة التي تطل على مشاهد مختلفة من الحديقة ..

والى جوارها غرفة الطعام في زاوية الطابق الارضي حيث نافست بألوانها المشرقة ألوان غرفة الجلوس البيضاء.. بطاولتها المربعة وكراسيها الستة ...

نهضت ساشا من الشاطئ بخطوات متثاقلة ومضت تنظر الى حيث اختفي راس ثيوس بعيداً وسط المياه .. كان يسبح وحده بعد ان سبحا معاً لمدة طويلة ..

كان يسهران حتى الفجر ليذهبا الى الشاطى ويشاهدا شروق الشمس الاسطوري في الكورال بيتش حتى تصل الشمس الى مكانها ثم يعودان الى الفيللا...

رأت الراس الاسود يسبح باتجاهها بقوة ويقترب من الشاطئ بسرعة فاتسعت ابتسامتها وهي تستقبله وهو يقفز من الماء وجسده يقطر ماء وينتفض بقوة من فرط المجهود وتهالك على الرمل وهي تحيط كتفيه بالمنشفة الضخمة وهو يقول:

-لقد فاتتك المياه اليوم انها رائعة.. هل انت بخير؟

نشقت بأنفها ثم قالت:

-انه مجرد زكام ليس الا ... ولكني لا أريد المخاطرة بازدياده سوءاً... كي لا تتعطل مشاريعنا بالخروج الليلة.

استلقى على الرمل الحار متأملاً كيف تألق شعرها في ضوء الشمس وهو ينسدل على وجهها يخفي البشرة المحمرة وقال:

-من الأفضل أن نعود لتستلقي قليلاً.. هيا بنا.

قرن قوله بالنهوض وهو يمد لها يده ... ولم تعارض فالزكام الذي تمسك بها قد استفحل وكل جسدها يصرخ مطالباً اياها بالراحة فمدت له يدها ولكنه لم يوقفها بل جذبها اليه بخفة حتى حملها بين ذراعيه فتأوهت ضاحكة في حين قال بمرح:

-لن اسمح لك بصعود تلك الدرجات بهكذا حالة... يالهي ساشا انت خفيفة كالريشة...

أحاطت عنقه بذراعيها واسندت راسها الثقيل على كتفه واغمضت عينيها وهمست:

-ثيوس .. خذني للمنزل.

نظر الى وجهها المتعب فحث سيره الى المنزل وصعد الدرجات الطويلة التي تفصل الفيللا عن الشاطئ بخطوات سريعة وهو يضم جسدها الخامل الى صدره وقلبه يثب من فرط خوفه عليها .. حالما وصل الى غرفتهما حتى وضعها على السرير الوثير برفق ودثرها جيداً وقال بضيق:

-ساشا ساحضر الطبيب..

ضحكت بوهن وهي تقرب علبة المناديل الورقية اليها وقالت بتهكم:

-ماذا ستقول له ؟؟ زوجتي لديها انف راشح... حبيبي هو مجرد زكام.

قالتها وغرقت في الوسائد الناعمة فزفر بضيق وقلق قبل ان يقول:

-هل تريدين مني البقاء هكذا وانت مريضة دون أن افعل شيئاً؟

قالت هامسة والصداع يشتد:

-اذا كنت تريد حقاً ان تساعدني فأحضر لي كوب شاي بالليمون مع حبة دواء لألم الرأس هذا...

قفز من مكانه وقال:

-في الحال...

ابتسمت وفكرت كم انه رغم قوته يخاف كطفل صغير ان اصابها مكروه... دفنت راسها بين الأغطية أكثر وتمتمت (آآآآآه كم احبك..(

تأمل ثيوس ساشا الواقفة الى جواره مذهولة تتطلع الى جمال الشاطئ الذهبي الغارق بالزوار حيث يتوقف الكل لمشاهدة الصخرة الكبيرة حيث ولدت افروديت... ألألهة الاغريقية...

كانت صحتها قد تحسنت بعد راحة تامة لمدة يومين على السرير واخذ الكثير من السوائل.. وهاهي الأن ولولا الأنف الأحمر لما شك أحد باصابتها بالزكام... اليوم أخذها لزيارة البلدة القديمة في بافوس ولرؤية معالمها السياحية ...

أخذها الى الشاطئ هلالي الشكل ... وهناك وقفت حائرة في وصف المشهد هناك في بترا تو روميو المنطقة التي ولدت فيها أفروديت كما تقول الأسطورة تجلى كل الجمال .. كل ذلك السحر.. في الشاطئ الخلاب والصخرتين التين تحرسانه..

وبعدها اخذها الى معبد افروديت في بلدة كوكليلا وحديقة افروديت المقدسة في بلدة يروشكيبو...

مشيا طويلاً .. وفي بعض الاحيان ركبا الحناطير التي تجرها الخيول والتي دارت بهما في كل مكان من انحاء البلد تجولا في القلاع وحول المسارح المختلفة والمطاعم الشعبية والراقية

ثلاثة أيام من السياحة في عروس قبرص البديعة بين الشواطئ والمتاحف ...كل تلك المناكق الساحرة التي تخفي وراءها قصة حب لا تنتهي .. بلد ساحر وأرض خصبة ..

واليوم .. يغادرانها الى لارنكا ... المحطة التالية في شهر العسل...

كانت السيارة السوداء المكشوفة تنهب الطريق المرصوف بالحجارة نهباً بطريقها الى المرفأ حيث يستقلا العبارة الى لارنكا... كان الهواء قوياً وجعلها تتشبث بالقبعة واسعة الحواف التي ترتديها فوق رأسها بقوة وهي تضحك بملئ فمها .. وثيوس يرافقها في ضحكها وهو يراقب كيف انتشى وجهها واحمرت بفعل الاثارة...

وصلا الى بلدة كاتو بافوس حيث مرسى اليخوت ووقفا على الحاجز الخشبي وثيوس يقول:

-سنأتي السنة القادمة لحضور مهرجان افروديت السنوي الذي يقام في هذا المكان..

-وهل سنعود السنة القادمة؟؟

نظر اليها وابتسامته تتأرجح على شفتيه واجاب:

-سنعود دائماً الى هنا مادام هذا المكان يذكرنا بأول ايام الحب.. حين اختفي عنك ستجديننني على الشاطئ امام صخرة افروديت .. أشكو لها قسوة حبيبتي..

زمت شفتيها بغضب وقالت:.

-وهل أنا قاسية.. حبيبي

ضحك قائلاً:

-لازلنا في بداية المشوار .. وقد كنت قاسية منذ البداية .. الله وحده يعلم ما تخفين عني؟؟

لكزته في كتفه وهو يقودها الى مرسى خاص بالقوارب .. تأملت الرصيف الهادئ وقد خلا من فوضة الرصيف العام ورأت ثيوس يتقدم نحو بوابة معينة ويفتحها بسهولة فاستغربت وسألته:

-لمن المكان ثيوس؟

نظر لها باستغراب وقال:

-لنا..

رفعت حاجبيها من سهولة الكلمة لديه وهي تلاحظ اللافتة الخشبية التي كتبت بالقبرصية ولم تستطع فهم سوى اسم أرجامينيس الذي سطر بخط عريض بارز..

رافقت ثيوس عبر الرصيف الخاص وهي تتلفت حولها بانتظار اي احد ليطردهم خارجاً... ولكن ثيوس استمر يمشي بثقة فتبعته بلا حول ولا قوة عبر الممشى الطويل حتى وصلا الىمبنى صغير مطلي باللون البرتقالي وقف ثيوس عنده وشرع يدق بابه بقوة...

وقفت الى جواره وهي تنظر بفضول الى الباب الخشبي العتيق ورغماً عنها انتفض جسدها حين فتح الباب فجاة ليطالعها وجه ذلك العجوز المتغضن...

ابتلعت ريقها واقتربت من ثيوس تحتمي به وهي تتشبث بقماش كنزته الصوفية وشعر هو بقلقها فأمسك يدها بقوة وهو ينطلق بالحديث مع الرجل العجوز بلغتهما ..

سيل طويل من الكلمات التي لم تفهم منها حرفاً والتي انتهت بالعجوز يندفع نحوه ليغمره بذراعيه بقوة ويدور به وهو يضحك بقوة..وعرفت انه يهنئه بزواجه .. وبعد عاصفة العناق التفت اليها ثيوس وقال ضاحكاً:

-هذا ارتميس... انه المسؤل عن هذا الرصيف منذ انشاءه ..

نظرت الى الرجل الاشعث باستغراب يخالطه بعض الخوف وهي تومئ له محيية ولكن ثيوس احاط بكتفها وهو يقول:

-أرتميس هو الوحيد الذي استحمل بلادتي وعلمني قيادة القوارب... انه مثلي الاعلى ولا أستغني عنه قط..

اتسعت عيناها وهي ترى وجه الرجل الاسود بفعل الشمس يحمر من الخجل وهو يطرق بوجهه وثيوس يواصل:

-تعالي سأريك شيئاً.. واخذها الى بيت القوارب حيث أسرع ارتميس بفتح البوابة الضخمة ليظهر من تحتها ذلك القارب الضخم...

شهقت ساشا وهي تتأمل القارب الشراعي الضخم الذي استكان في مكانه وقد ارتفع صاريه تحت السقف المرتفع وبسبب ظلام المكان لم تستطع تبين ملامحه عن قرب .. وانطلق ثيوس نحوه وهو يقول:

-انتظري في مكانك..

-لا تتأخر..

صاحت به وهواء البحر البارد يداعب كتفيها ... وعلى قرب منها رات قطعة خشبية قديمة نفضت عنها التراب العالق بها وجلست...

سمعت أصوات قوية ورأت القارب الضخم يتحرك ورويداً رويداً بدا يخرج من بيت القارب وهالتها ضخامته ونهضت فاتحة فاهها وهي ترفع رأسها تحاول الوصول لنهاية الصاري الضخم الذي يشق عنان السماء.. وتاملت القارب الهائل بلونه ناصع البياض وهو يشق طريق القناة نحو البحر ببطئ ملوكي... وشعرت بالاثارة تجتاحها وهو يستقر امام الرصيف الخشبي وظهر ثيوس على سطحه واقترب ينزل السلم القصير وقال:

-اقتربي ساشا ..

تقدمت متحمسة وهي تشد على القبعة حتى لا تقع وصعدت الدرجات القليلة وارتمت بين ذراعيه ضاحكة بصخب .... وقالت بلهفة:

-هل سنبحر به؟؟؟

تامل الاثارة التي تقفز من عينيها وقال:

-سنكمل شهر عسلنا كله به...

شرعت تقفز باثارة وهي تهتف:

-رائع انه اروع شيئ رأيته ... انه هاائل..

قهقه ثيوس ضاحكاً وجذبها اليه وهو يهتف:

-تعالي لأريك القمرة..

رافقته بحماس وهي تتفادى الصواري المنتصبة امامها ... تاملت القمرة التي كانت لاتماثل بحجمها الصغير يخت العائلة الضخم في سوفيرا ولكنها توازيه جمالاً ... الخشب المتالق.. ممزوجاً بالعاج السكري.. المقاعد الجلدية تحت الكوة .. حول طاولة الطعام المثبتة بارضيته.. والباب الصغير المؤدي الى قمرة النوم ...

كان المكان رغم صغره حميمياً الى درجة لا تصدق وكادت تبلغ عنان السماء بفرحتها وهي تفكر انها تشارك هذا الجمال مع حبيبها ...

-اعرف انها ضيقة ولكنها معشوقتي .. ولا اريد ان تشاركني بها سواك ...

التفتت اليه وقالت بحرارة:

-ثيوس انها رائعة ... احبها بكل تفاصيلها حبيبي..

وارتمت بين ذراعيه وهي تحلم بروعة الايام القادمة ....

***

تهادى القارب على موج خفيف رائق وهو يرسو في المارينا اقصى الشاطئ في مدينة لارنكا احدى اكبر المدن في قبرص .. وبعد انزال الأشرعة كانت ساشا تقف بنفاذ صبر على الحافة بانتظار ثيوس الذي سرعان ما أتى اليها وهو يضع قبعته على راسه وقال معاتباً:

-ضعي قبعتك... لارنكا معشوقة الشمس وقبل انقضاء النهار ستصابين بضربتها على راسك.

ضمت شفتيها وهي تثبت قبعتها على راسها وهي تراقبه ينزل السلم ويمد لها يده يساعدها على نزوله...

ومضيا الى المدينة الغائبة تحت اشعة الشمس القوية ...

كانا قد قررا البقاء فيها اسبوعاً لكثرة مافيها من معالم واماكن تستحق الزيارة على ان يتابعا بعد ذلك الرحلة الى نيقوسيا ...

وفي غرفة فندق الميدترينيان المطلة على الشاطئ المسمى فينيكوديس(شجر النخيل) لكثرة اشجار النخيل التي تحفه من طرف الى الأخر... وقفت ساشا تتأمل الجناح الفاخر بأثاثه الانيق واستلقت

على الأريكة الطويلة وهي تمد ساقيها وتاخذ نفساً عبق برائحة البحر المالحة ...

وأغلقت عينيها وهي تستمتع بصوت الامواج تضرب صخور الشاطئ بهدوء يلعب بنغم الاسترخاء على اوتار اعصابها وتنهدت حينما شعرت بيد تداعب خصلات شعرها المتجمعة على كتفها وفتحت عينيها ليطالعها وجه ثيوس وهو يبتسم ناظراً اليها ويقول بحنو:

-متعبة!!..

تأملت ابتسامته وكل خط من خطوط وجهه ذقنه النامية التي باتت تعشق ملمسها على بشرتها وابتسمت له وجذبته اليها من دون كلام وغرقت معه في دوامة حب جديدة.... وهي تهمس:

-لا اتعب الا حين تكون بعيداً عني...

كانت اللارنكا قد بنيت على انقاض مدينة كيتيون القديمة... مدينة الفيلسوف زينو والقديس لازاروس الذي سمي ببيشوب كيتيون ...

الفيلسوف زينو الذي عاش في القرن الرابع واستوحى اعماله من سقراط.. وهو مؤسس المدرسة الزوافية في الفلسفة في مدينة اثينا ...

وقفت ساشا امام تمثال زينون في وسط الساحة الضخمة في لارنكا وهي تسمع ثيوس الذي يقص عليها تاريخ هذه المدينة باختصار ..

ويقع فيها أيضاً المسجد الكبير بحدائقه الرائعة ومسجد هالة سلطان ابان الاحتلال العثماني القائمة حتى الأن وتعتبر من المناطق السياحية المهمة والجميلة ..

والى جوار المسجد كنيسة القديس لازاروس (كنيسة آيـــــوس) في منطقة سكالا .. كان القديس لازاروس هو من استقدم المسيحية الى البلدة القديمة .. وعادا يكملان الرحلة على الأقدام يقطعان المارينا ..

تحت أشجار النخيل الباسقة ورصيف البحر الذي كان بلا أسوار... تمشيا على الشاطىء من بداية المارينا حتى انتهى الى القلعة الضخمة من اثار القرن السابع عشر والتي استغلت اثناء الاحتلال البريطاني كسجن ...

***

اغلقت ساشا سماعة الهاتف واسرعت ترتمي على الفراش الوثير وهي تهز ثيوس الراقد بعمق وهي تصيح بسرعة:

-ثيوس انهض .. انهض..

انتفض ثيوس من الفراش وقفز وهو يصرخ:

-ماذا حدث .. ماذا..

-علينا ان نجهز اغراضنا .. الان..

قالتها بحماس فنظر اليها بذهول قبل ان يمسكها من كتفيها بقوة ويقول من بين شفتين مطبقتين:

-أأنت بخير؟؟؟

)هزت رأسها أن نعم. فعاد يسالها (

-الفندق لا يحترق

)هزت رأسها نافية (

-والقارب لم يغرق

)عادت تهز رأسها فافلت ذراعيها وعاود رقوده وهو يقول بلامبالة (

-اذا لاشيء يستحق النهوض .. عودي الى النوم لا يزال الوقت مبكراً.

-انهض...

صرختها ضاحكة وابعدت الوسادة التي غطى بها رأسه وهي تضيف:

-لدي مفاجأة... هيا حبيبي ارجوك..

رق قلبه للتوسل الخبيث في صوتها وهي تهمس في اذنه فاستسلم ونهض جالساً وهو يعقد ذراعيه على صدره ويقول:

-افرحيني..

تجاهلت ساشا السخرية في صوته وقالت بلهفة:

-اتصلت ماري في التو... معرضها الاول سيفتتح بعد يومين..

-اذاً؟؟ (قال متسائلاً فاتسعت عيناها بدهشة وقالت(

-يجب ان نذهب .. لقد وعدتها.

-يالهي ساشا اننا في شهر العسل.. ليس علينا ان نجيب الدعوات..

قالت شاهقة:

-ولكنني وعدتها قبل ان التقي بك حتى .. ثيوس هي لن تسامحني قط.. ارجوك حبيبي..

وقرنت قولها بان اندست بين ذراعيه وهي تطبع قبلة رقيقة على كتفه فابتسم ضاحكاً وقال:

-أتنوين كسب مناقشاتنا هكذا ...

رفعت اليه وجهها وهي تقول بصوت مثير:

-في الحب .. والحرب كل شيئ متاح.. اليس كذلك..

-آآآآه لم علي ان اكون ضعيفاً هكذا امامك؟؟

-ولم علي ان اكون انا ضعيفة امامك ...

ضحك في وجهها وقال:

-حسناً نحن الاثنان نقطتا ضعف بعضنا.. ارتحتِ..

-ليس قبل ان تنهض وتجهز نفسك للذهاب .. الطائرة ستقلع في الثالثة..

شعرت بجسده يتصلب بين ذراعيها وهو يعقد حاجبيه ويقول:

-أي طائرة...

قالت متحمسة:

-لقد حجزت التذاكر الى لندن وقد احسنت بذلك فقد كانت هذه الرحلة الأخيرة لهذا الاسبوع..

كانت ستكمل لولا تلك النظرة التي اعتلت عيناه وابتسامته التي غابت عن شفتيه وتقار حاجباه وهو يقول ببطئ:

-ولم تفكري بأخذ رأيي؟؟

ابتعدت عنه بطول ذراعيها المحيطتان بعنقه وقالت باستغراب:

-وهل لديك اعتراض؟

امسك معصميها بيده بقوة وازاحهما عن عنقه برفق قبل ان ينهض عن الفراش وهو يقول ببرود:

-كان يجب ان اعرف..

-لقد اغلقت الخط معهم للتو وكنت نائماً ولم ارد ايقاظك...

تجاهل ثيوس كلامها وشرع يرتدي قميص بيجامته بتوتر وعقله يكاد ينفجر ... كيف تفعل كل هذا ... تخطط للسفر وتحجز الطائرة حتى دون اعطائه خبر... دو الاستئذان منه.. كيف؟؟؟

ساشا من الناحية الأخرى غار قلبها من رؤيته غاضباً هكذا .. بارداً وبعيداً عنها.. رات في عينيه نظرة لم تفهمها فنهضت واقتربت منه .. كان يدير لها ظهره فأحاطت وسطه بذراعيها واسندت راسها الى ظهره وضغطت بخدها على عضلاته المشدودة وهي تهمس تراضيه:

-لا تغضب حبيبي.. لم ارد الا اختصار الوقت..

اغلق ثيوس عينيه وهو يستغرب غضبه من امر تافه كهذا ولكن... ماذا يفعل بحبها الذي يخرج منه افضل واسوأ صفاته ...

وكأنه يريد ان يمتلك كل ذرة فيها حتى تفكيرها .. وتصرفاتها وليس قلبها وجسدها فقط ...

يريدها بكل مافيها مطيعة له لا تتحرك الا بأمره وكل ذلك من خشيته الا ترجع اليه.. استدار اليها بجسده وضمها اليه بقوة وقال:

-لابأس عليك ساشا .. انا لم اغضب.. مزاجي يصبح نكداً حين استيقظ على غفلة.. (ثم رفع وجهها اليه وقال مبتسماً) لنحضِّر الحقائب.

***

تنقلت ماري بين لوحاتها المختلفة في المعرض الاول الذي تفتتحه وأمسكت نفسها بصعوبة عن قضم اظافرها وهي تتآكل القلق ويتآكلها...

الارض الصقيلة رددت صدى خطواتها وهي تذرع الممر جيئة وذهاباً من فرط التوتر .. ترجع شعرها للخلف مرة ومرة الى الجانب ... تزفر

بعصبية وتزم شفتيها من حين لآخر.. ولكنها انتفضت بذعر وهي تشعر بيد توضع على كتفها والتفت الى الخلف واتسعت عيناها من الفرح وهي ترى ساشا القائلة بصوت جذل:

-اشتقت اليك...

عانقتها بمحبة وبقيت محيطة بها لعدة دقائق وهي تقول بانفعال:

-يالهي ساشا خشيت ألا تأتي.. تأخرت كثيراً..؟؟

تدخل جينها ثيوس الواقف الى جوار ساشا وقال بتذمر:

-لقد تأخرت الطائرة بالاقلاع .. وكله بسبب الرياح العنيفة ...(التفتت اليه ماري وعانقته بخفة وهي تقول مبتسمة:(

-ما يهمني هو انكما هنا .. حمدلله على سلامتكما.

قالت ساشا بسرعة:

-هل اتى؟؟

تضرجت ماري بالحمرة وهي ترى كيف عقد ثيوس حاجبيه بتساؤل ونظرت الى صديقتها بعتب وهي تقول بخفوت:

-نعم لقد تركته ليتفرج على اللوحات وحده حتى يتسنى له الوقت.. ليعطيني رأيه بصراحة .. اخبريني انت .. ما أخبار شهر العسل ؟

)سألتها بفضول وهي ترمق ثيوس بخبث فضحك وقال مبتعداً:(

-سأترككما واذهب للتفرج فلا اريد سماع ما تقولاه ..

ضحكت ساشا وتجاهلت سؤال ماري وهي تسألها:

-متى أتى؟؟

-قبل ثلاثة ايام .. يالهي ساشا انا احبه..

قالتها بكل الحب في أعماقها فنظرت اليها ساشا بذهول ثم قالت بسعادة وهي تعانقها:

-ان هذا رائع ماري.. مارك رجل رائع والدي يقول هذا عنه.. دائماً.

-ولكن ماذا عنه.. هل يحبني كما أحبه؟

-اسأليه..(قالتها ساشا بحزم فاتسعت عينا ماري وقالت بذعر:(

-لن أجرؤ..دعي ثيوس يسأله..

فكرت ساشا ثم ابتسمت قائلة:

-سأفعل وهو لن يتأخر ابداً انا واثقة.. والان خذيني الى معرضك الذي انتظرته بصبر.

-كاذبة انت حتى لم تفكري به منذ ان وقعت عيناك على ثيوس..آآه...

صاحتها بالم وساشا تقرصها مداعبة وفي قرارة نفسها عرفت انها تقول الصدق.. فهي لم تفكر بشيئ سوى ثيوس منذ التقته...

***

عبير محمد قائد

تألق برج ايفل بأضواءه المثيرة التي تنير الشوارع التي تلتف حول قاعدته بجنون وامتدت القهاوي الاوروبية كخيط طويل بلا عقدة نهاية وفي الشارع المزدحم بالمارة والسياح وقفت سالي تتامل اليكس الذي كان يحث الخطا ليقترب منها وما ان وصل اليها حتى قال بابتسامة فرحة:

-لقد أكدت الحجز .. غداً نعود الى لارنكا..

-جيد فقد سئمت باريس...

قالتها بضيق وهي تشعل سيجارة طويلة المبسم بيدين ترتجفان وهي تعاود سيرها وهو الى جانبها... هي لم تستطع البقاء في سوفيرا .. ليس بعد ان تزوج ثيوس..

حتى امها كادت تصاب بأزمة قلبية في يوم الزفاف وغادرت الجزيرة الى لارنكا حيث منزل العائلة... وهي ان عادت فستعود الى هناك... وليس الى سوفيرا.. لن تطيق الحياة الى جوار المرأة التي سلبتها حبيبها...

التفتت الى أليكس ورأته يغوص في عالم التفكير حيث يغرق فيه ولا يستيقظ بسهولة.. وثارت كرامة الانثى بداخلها كيف تكون الى جواره وافكاره سارحة عنها فاقتربت منه تدس يدها بيده وتقول بدلال:

-هييه اين ذهبت ؟

التفت اليها وعيناه تبرقان بحب لم يخفيه وهو يقول:

-انا كلي هنا معكِ..

ابتسمت بغرور وتركته يحيطها بذراعه وهو يتمتم:

-سأتغيب لعدة أيام في الاسبوع القادم..

-أين تذهب ؟

-لدي عمل..(قالها بغموض متهرباً من اجابتها ولاحظت عليه فسالته):

-وحدك؟؟

مط شفتيه وتردد قبل ان يقول ببرود:

-انا وثيوس.. وقد يرافقنا جوليان.

انتفضت بقوة وهي تسمع اسم الرجل في خيالها.. وعقدت حاجبيها وهي تفكر في نوع العمل الذي قد يربط الاثنان معاً .. هما اصدقاء منذ زمن ولكن لم يجمعهم عمل من قبل.. فسالته بفضول:

-اي عمل هذا الذي يربطك بثيوس؟؟ هل قررت ترك السياسة والعمل في الحمضيات..

ضحك وتجاهل سؤالها وهو يقول:

-لنتناول العشاء..

نظرت اليه باستغراب ولكن فضولها كان أقوى منها ولم تستطع السيطرة عليه وابتسمت بخبث واقتربت منه تلتصق به وتقول عابثة بربطة عنقه بدلال:

-لم لانذهب الى شقتي.. ساطهو لك .. وتحكي لي الامر بالتفصيل.

تاهت مشاعره في فيضان الانوثة بين يديه ووجد نفسه ينساق خلفها بقوة غير ابه بما يمكن ان يحدث لو انتشر خبر كالذي يخفيه...

***

كانت السهرة رائعة والعشاق الاربعة يتشاركون طاولة واحدة في أرقى مطاعم لندن احتفالاً بنجاح معرض ماري الاول..

كان المرح يسود بينهم وتعالت الضحكات الخافتة بعد ان رمقهم الحضور المتزمت بنظرات تستنكر ضحكهم الصاخب...

كانت ساشا تميل الى ماري التي تصف لها مقدار سعادتها حين اعترف لها مارك بحبه اليوم حين اتى ليقلها من الشقة وابتسمت ساشا لسعادة صديقتها وكادت ان ترفع لها نخباً حين سمعت صوت عميقاً بلهجة امريكية يقول بسخرية اعتادت صبغ كلماته:

-من ارى امامي ... ساشا جامسون..

كل تلك السنوات لم تستطع ان تبعد ذلك الصوت عن اذنيها بنبرته الساخرة الماكرة قليلاً والتفتت ببطء فقط لكي تكذبهما ولكن عينيها صادقتا بقوة عليه ..

براد بلاكفورت.. براد هنا في لندن في هذا المطعم بالذات.. يالهي ماذا فعلت ليحدث هذا الأن..

-ماذا حدث ساشا هل اخرستك المفاجأة لم اعتدك صامتة هكذا قبلاً؟؟

ابتلعت ريقها وهي تحاول الاجابة عليه ولكن الكلمات ماتت في حلقها الجاف وبراد يواصل:

-الا زلت متزوجة أم انك هربت كالعادة؟؟؟

هذه المرة فاض الكيل ولكنها قبل ان ترد كان الطود الصامت الى جوارها قد وقف يحجب براد بجسده الطويل وعضلاته المتحفزة مستعدة لضرب هذا الوقح الذي يتطاول على امرأته بسفه ..

كان ثيوس يضحك لشيئ قاله مارك حين رأى ذلك الشاب بالشعر الكثيف يقترب ويقف امام طاولتهم ... وعقد حاجبيه وهم بسؤاله عمن يكون حين سبقه هو وبادر للتحدث مع ساشا ...

لم يشعر ثيوس قط بدمه يفور كما شعر به الليلة وعداء مرعب يجتاح قلبه تجاه الشاب الوسيم ذو العينين الخضراوين والذي اسهب في الحديث مع زوجته وكأنه غير موجود الى جوارها...

وجد نفسه ينهض بعنف وكل ذرة من جسده ترغب بضرب الوقح وهو يتطاول عليها .. وخلايا عقله تنبض بالغضب من وقاحته معها..

رأت ساشا كيف تحفز زوجها للانقضاض على براد وعرفت من الشرر في عينيه ان براد لايملك فرصة وقد يدخل ثيوس في مشاكل وكله بسبب هذا الرجل ...

لهذا نهضت هي الاخرى قائلة لثيوس:

-لا تهتم به... انه مجرد صديق قديم..

التفت اليها ثيوس بعنف وحدجها بنظرة قاسية سمرتها وهو يعاود الالتفات لبراد ويسأله بخشونة:

-من انت؟؟ و كيف تجرؤ على مخاطبة زوجتي هكذا؟؟

ضحك براد بقوة وتامل ثيوس باندهاش قبل ان يقول لها:

-هل هذا من تستطيعين السيطرة عليه ... كيف.. (وضيق عينيه وكانه يتذكر قبل ان يقول رامقاً ثيوس بشماتة متجاهلاً نظرات ساشا الذاهلة) آآه نعم بخنصرك الايمن..أهذا هو لين العريكة.. الذي تريدين؟؟

قالها بحدة وهو يحدق بها بعنف ولكن الكلمات ماتت على شفتيه وهو يقع على ظهرة بدوي كبير بعد اللكمة القوية التي وجهها له ثيوس والتي قذفته الى الوراء لعدة امتار..

وصرخ رواد المطعم وشهقت ساشا بذعر وحاولت امساك ذراع زوجها الا انه نفضها عنه بقوة وهو ينقض على براد المرمي أرضاً ويرفعه بسهولة وهو يقول من بين اسنان مطبقة:

-من الذي تنعت بلين العريكة يافتى ...ها..

تدخل أمن المطعم بتلك اللحظة وفصلا بصعوبة بين ثيوس وبراد الذي كان يدعك فكه بقوة وهو يحدق به بشراسة وتمسكت ساشا بكتف ثيوس بقوة وهي تهمس بضراعة:

-ارجوك ثيوس انه لا يستحق حبيبي .. هيا بنا من هنا.. هيا.

اقترب حينها مارك وقال لثيوس الذي لم يعد يرى اي شيئ امامه الا باللون الاحمر وامسك كتفه وقال:

-ثيوس هيابنا .. هيا.

استدار ثيوس بعنف وامسك بذراع ساشا يجرها معه بقوة غير آبه لألمها...

في السيارة عم الصمت ... ثيوس يقود وقبضتاه محكمتان على المقود بقوة وساشا الى جواره غارقة في افكارها الكئيبة .. والصمت القاتل يخيم عليهما بعد ان غادرا المطعم... طال الطريق الى الفندق وكأنه بلا نهاية .. كانت تعرف انه غاضب وغضبه ينبعث من كل جسده المتوتر ..

اوقف ثيوس السيارة جانباً قبل ان يصلا الى الفندق وشخص ببصره الى الامام قبل ان يقول بتوتر:

-من يكون؟؟

توتره وغضبه منعاه من اكمال الطريق واختار ان يبدأ الحديث فالتفتت اليه تريد الدفاع عن نفسها فقالت صادقة:

-شخص عرفته في الماضي.. وانتهى كل شيئ بيننا..

-اريد التفاصيل ساشا.. (بصوت بارد(

-لقد مر وقت طويل..

التفت اليها وامسك بمعصميها بقوة جعلتها تشهق وهو يقول بغضب:

-ساشا تكلمي..

حاولت ابعاد يدها عنه ولم تفلح فقالت باكية رغماً عنها:

-عرفت .. براد.. قبل سنوات كنت اعرفه منذ صغري فهو يعيش بالقرب من منزل امي هناك في فلوريدا وكبرنا تقريباً معاً (رأت العضلة قرب فكه تنتفض وادركت انه يغار وبقوة فأكملت: (

-حاول ان نكون معاً اكثر من مرة ولكنني لم ارغب حتى امي ارادته لي ولكنني فضلت الرحيل الى لندن لأدرس وأعيش مع والدي.. وبعد زواج ابي لم افكر قط بالعودة وحين اتى يطلب مني العودة اليه رفضت.. وانتهى كل شيئ... صدقني ثيوس..

رمقها بغضب وقال:

-مالذي عناه باني لين العريكة وأنك تسيطرين علي ..

اغمضت عينيها وقالت بألم:

-ليس انت.. يالهي .. هذا ماقاله هو عندما رفضت العودة اليه .. قال اني اريد الزواج برجل لين العريكة لأسيطر عليه..

واقتربت منه لتنظر في عينيه وقالت هامسة:

-هل أبدو لك المسيطرة الان؟

كانت تقريباً بين ذراعيه ومعصميها مقيدان بقبضتيه وعيناها لجتا دموع تنظران اليه بتوسل فلانت عريكته هو وابتسم وهو يفكر انها حقاً وبكل قوة تسيطر عليه ..

وأحنى رأسه يمحو دموع عينيها بقبلاته التي التهبت .. ببطء حتى اشتعلت من جديد..

***

وانتهى شهر العسل القصير ... لم يعودا الى لارنكا ولم يذهبا الى اي مكان .. امضيا يومين اخرين في لندن حيث حاولت ساشا ان تنسيه فيهما براد وكل ما قاله ولكن في احيان كثيرة كانت تلاحظ شروده وابتعاده عنها وادركت انه لا يزال يفكر به من حين لآخر وليته يعلم انها لم تفكر ببراد قط منذ التقته... وحتى قبل ذلك.

كان ينويان العودة الى لارنكا واستئناف رحلتهما ولكن .. أليكس اتصل.. ودار بينهما حديث طويل بالطبع لم تفهم منه كلمة .. حتى احتدم النقاش وفي اخر الأمر اقفل ثيوس الخط ليقول لها بكآبة:

-حضري الحقائب .. سنعود الى المنزل..

لم يخبرها بأكثر من هذا وتجاهل كل فضولها .. ولبت طلبه ..

***

كانا في المطار وثيوس يقرأ في صحيفة قبرصية شهيرة وقد انسجم فيها حتى خيل اليها انه نسي وجودها فزفرت بضيق وهي تدير عينيها حولها بملل وقد سئمت التنقلات الكثيرة التي تكرهها منذ ولدت ...

حينما رات روني داريل صديق والدها العزيز ومديرها السابق .. فقالت لثيوس بفرح:

-حبيبي انظر هذا مدير الصحيفة التي اعمل بها.

نظر اليه ثيوس ثم قال مصححاً:

-كنت ... انت الان متزوجة..

كانت ترفع ذراعها محيية العم رودي والذي حيّاها بقوة وهو يشير بانه لا قدر على القدوم اليها فقد كان في بوابة المغادرة بالفعل وحالما اختفى عن عينيها حتى قالت لثيوس:

-وهل يمنعني زواجي من العمل.

رمقها بهدوء وهو لا يريد فتح الموضوع الذي سيطول النقاش فيه أمام العالم اجمع في مطار لندن الدولي فاكتفى ان قال لها بهدوء:

غداً نتحدث عن الامر في منزلنا وليس هنا.

-ولم لا نتحدث هنا ثيوس .. انا لا استطيع البقاء دون عمل.

اغلق ثيوس الصحيفة التي كان يقرأها باهتمام ونظر اليها مبتسماً:

-أنت لن تحتاجي الى العمل حبيبتي وكـ...

-لا يتعلق الامر بالمال ثيوس انها مهنتي وحياتي وأنا لن أقف مكتوفة الأيدي وانت تحرمن منها. (كانت تتكلم بسرعة ووجهها الفاتن يحمر بفورة غضب ورغم صوتها المنخفض الا انه كان حازماً وقوياً(

ثيوس كذلك لم يعجبه الأمر .. لم يعجبه ان تناقشه بهكذا مكان , كان يعلم انه سيواجه صعوبة معها بسبب عملها ولكن ليس هنا لهذا التفت اليها بحاجبين منعقدين وقال بصرامة خافتة جعلت الدم يغور في عروقها:

-ساشا نحن لن نتحدث في خصوصياتنا امام الجميع سيتأجل الحديث الى ان نعود للمنزل .. هل فهمتي؟

احتقن وجهها ولكنها آثرت تهدئة الامور حتى يعودان ال المنزل فاشاحت عنه وهي تعقد ذراعيها امام صدرها وتزم شفتيها غاضبة وتجاهلها ثيوس وهو يغلي من الغضب هو الأخر...

***

وصلا الى سوفيرا ... كل المشاعر السلبية التي كانت بينهما غابت وسط حفواة الاستقبال الذي حظيا به... كان ثيوس قد اتصل بجوليان وابلغه عن عودتهما وحالما وصلا كانت الحفلة مقامة بالفعل...

الجميع كان هناك من عائلة ثيوس .. كاثرين وعائلتها ووالد ساشا وعائلته..

الاحتفال كان بسيطاً اتبعه العشاء الفاخر ولكن ساشا شعرت بتلك السعادة تجتاحها وهي بين أصدقاء تعرف يقيناً انهم يحبونها....

بعد العشاء غادر الجميع الى منازلهم ليتركا للعروسين فرصة للراحة من عناء السفر وبالفعل صعدت ساشا الى غرفتها مع ثيوس ولكن الاخير توقف وسط السلم الحجري وقال بلا انفعال وكأنه لم ينسى الخلاف بينهما:

-سأعمل قليلاً في المكتب... الحق بك بعد قليل.

وتركها واقفة وانصرف....

شعرت بغصة تحرقها وتذكرت ألمها حين يتركها هكذا فجاة دون مقدمات والفراغ الموحش يتملك منها..

اسرعت تصعد الدرجات المتبقية بعصبية حتى وصلت الى الجناح الذي سيقطنانه هنا في جولدير ...

تاملت الجناح الضخم بغرفه الثلاث والصالة التي فيه وقد فرشت بأحدث تصميمات الديكور الحديثة كانت جميلة بلونها الذي يجمع بين الأزرق والأصفر الفاقع الذي ميز بقية الغرف ... ولكن رغم كل تلك الفخامة كان المكان موحشاً وهي شعرت به يطبق على انفاسها بقوة .. وكأنها حقاً لا تنتمي اليه...

استحمت وغيرت ملابسها وهجرت السرير البارد وتقوقعت على الشرفه الحجرية الضخمة التي تطل على البحر وقد حضنت جسدها بيديها بقوة وكانها تعوضه عن فقدانه لثيوس .. اسندت رأسها على قماش المقعد الزوجي المنجد وشرعت تنظر للقمر المهجور الليلة وكيف تربع على سقف السماء وحده دون اي رفيق....

ولان التعب بلغ منها مبلغه فقد استسلمت بضعف لثقل عينيها وأغلقتهما وهي تتارجح مابين عالم اليقظة والاحلام...

نظر جوليان الى أخيه الغارق في أفكاره الخاصة وهو يحدق في ورقة لأكثر من عشر دقائق وهي لاتحتوي اكثر من بضع كلمات فقال له بقلق:

-ثيوس هل انت بخير؟

انتفض ثيوس رافعاً له رأسه وقال بارتباك وهو يحدق بالورقة شبه الخالية:

-بالتأكيد انا بخير..

رفع جوليان حاجبيه وساله بفضول:

-ألا تود الصعود الى زوجتك؟

عقد ثيوس حاجبيه ونظر مطولاً الى يديه .. لم يكن يريد لأحد أن يعرف الخلاف بينهما ليس الأن وقد عادا لتو من شهر العسل الذي لم يكملاه حتى فحاول الابتسام وهو ينهض من مقعده وهو يقول:

-كل مافي الامر انني اشتقت للعمل.. ووراءنا العديد من الاشغال هذه الفترة ... ام نسيت؟

-كلا لم انسى ولكنني استغربك .. كنت لا تطيق البعد عنها والأن ... (ضاقت عيناه وهو يكمل) وكأنك تخشى مواجهتها!!!

-أنا لا أخشى شيئاً ..

قالها بعصبية ودار حول المكتب ليواجه النافذة التي تطل على الحديقة الغارقة في الظلام وقال:

-انه مجرد سوء تفاهم...

نهض جوليان اليه وقال بخفوت:

-تشاجرتما..

ابتسم بسخرية:

-سوف نتشاجر .. نحن لم نبدأ بعد.

ضحك جوليان وقال:

-كل هذا ولم تبدآ بعد .. يبدو هم الدنيا فوق اكتافك أخي..

-لا أريد ان اغضبها .. لاأريد أن اجعلها حزينة..

-اذاً لا تفعل..

قالها ببساطة فابتسم ثيوس بسخرية وقال:

-ليت الامر سهل هكذا .. انها تحطم أعصابي في بعض الأحيان ولا أقوى على كتم غضبي.

ربت اخاه على كتفه وهو يقول:

-اذهب اليها ثيوس .. انا أدرى بالنساء منك ياأخي.. لابد انها تفتقدك..

نظر اليه وبعدها قال:

-المشكلة انني انا من يفتقدها أكثر انا معك وكل عقلي عندها فوق..

ضحك جوليان قائلاً:

-اذا لم لا تلتحق بعقلك وتريحني من جنونك.

ضحك ثيوس ووضع اوراقه على المكتب وتوجه الى الباب وهو يقول:

-انا من يريد الراحة من جنوني صدقني ..

غادر الغرفة ولكنه عاد ليطل براسه ويقول:

-حاول الاتصال بأليكس في لارنكا غداً وتفاهما حول الموعد.

-سأفعل اذهب الأن..

فتح ثيوس باب غرفة النوم في جناحه وتأمل السرير الفارغ باستغراب ولكنه عاد ليرى أبواب الشرفة مشرعة فاتجه اليها ببطء ... ووجدها هناك..

كانت مستلقية على المقعد الزوجي تشد حولها روب حريري بلون الكريم وشعرها الأشقر ينسدل على وجهها يخفيه عنه ... كانت ريح البحر الباردة تضرب الشرفة بقوة فاتجه نحوها بسرعة وحمل جسدها الخفيف بين يديه بسهول واتجه بها الى الفراش الدافئ... تململت ولكنها لم تفتح عينيها ..

اراد ان يأخذها بين ذراعيه ويبثها حبه الذي يغذيه شوقاً لا يخمد ولكنها كانت تبدو بعيدة .. بعيدة وباردة.. لهذا جلس على المقعد أمامها ومضى ينظر اليها دون أن يغمض له جفن..

***

وتوالت الأيام على هذا المنوال كانت الأمور بينهما حامية توالت الشجارات وآخرها اليوم قبل أن يغادر الى المزرعة وقد جذب صوتهما انتباه كل سكان القصر.. وكالعادة يغادر هو كالعاصفة ليعود آخر الليل في حين تقضي هي النهار باكية وبعد الظهر تغادر الى كاثي تبثها ألمها...

وتمضي بعدها الأيام فاترة بلا حب عاصف ولا أشواق مجنونة ..

كان ثيوس ينهض في الصباح الباكر ليذهب الى المزرعة حبث يقضي كل النهار وكانت ساشا تستيقظ من نومها لتجده قد رحل.. فتقضي يومها موزعة بين السباحة والتسوق مع روين أو زيارة كاثي .. وبين تعلم لغة زوجها...

ولكن في ذلك اليوم بعد ان تشاجرا ليلاً.. نهضت وقد بلغ الغضب منها مبلغة وانهمرت دموعها بقوة حال استيقاظها وهي ترى جهته من الفراش خالية ولا تحمل حتى أثر رأسه على الوسادة...

استلقت تكتم صوت نحيبها بوسادتها وهي تتمتم:

-لن استطيع التحمل أكثر .. لن أستطيع...

حينها شعرت بطرق خفيف على الباب لم الترد الرد ولكن الخادمة الصغيرة دخلت على أي حال وقالت بانجليزية مفعمة بالكلمات القبرصية:

-هناك اتصال لك من لندن سيدتي..

حاولت ساشا مسح دموعها واستنتجت انها لابد ماري فقالت:

-حولي المكالمة الى هنا.

-لا استطيع سيدتي التحويلة لا تعمل.. يجب أن تنزلي.

نهضت ساشا بتثاقل والتقطت معطفها المنزلي الطويل ولم تأبه لمنظرها وهي تنزل الدرجات بسرعة حتى غرفة المكتب... كان الصوت بعيداً عن صوت ماري ولكنه مألوفاً لدرجة البكاء ورغماً عنها قالت بفرحة باكية:

-روني يالهي .. كم أنا سعيدة بمكالمتك..

جاءها الصوت الحنون لرئيسها في الجريدة وصديق والدها القديم روني داريل وهو يرحب بها .. وطال الحديث بينهما حتى وصلا الى النقطة التي اشعلت الفتيل قال لها:

-والأن صغيرتي .. متى تنوين العودة للعمل؟

-تعرف انني لا استطيع العودة للعمل لديك الأن روني.. أنا ابعد عنك آلاف الأميال..

-لا أقصد عندي .. في أي مكان آخر.. أم تنوين البقاء بلا عمل..

كانت مرتبكة وهي تجيب:

-لا ..بالطبع لا .

-إذاً .. هناك العديد من الصحف في نيقوسيا..

-ولكن ليس أي منها حيث أعيش.. انها مسافة طويلة.

-كل هذا له حل لوفكرت به جيداً... ساشا لا تحطمي مستقبلك يابنتي.. فكري جيداً.

سرحت بتفكيرها وطال بها التفكير ثم ودعت روني وهي تفكر بالأمر مجدداً وتصمم على الحديث مع ثيوس بشأنه مجدداً ليجدا حلاً له..

وصل ثيوس في المساء .. وشوقه الى المرأة التي يحب يسابق ساقيه في الصعود اليها .. كان يفكر بها طيلة اليوم شجار الأمس لا يجب أن يتكرر وبالأخص اليوم وهو في طريقه للسفر غداً ..

دخل غرفته ليجدها هناك تنظر من الشرفة واتسع فمه بذهول ينظر اليها..

حسناً .. فكرت ساشا ان كانت المناقشة العقلانية لم تجدِ معه فلتستخدم أقوى أسلحتها .... حبه لها...

ارتدت أجمل ملابسها وتركت شعرها ينسدل على ظهرها وقد غسلته وجففته فسقط ناعماً نظيفاً وتجعدت أطرافه حول وجهها ...

حضرت له عشاء فاخراً وأطفأت الأنوار في جناحها وأضائت الشموع..

وطفقت تنتظر.. حتى جاء..وحالما رأت النظرة المرتسمة على وجهه حتى عرفت ان خطتها نجحت تماماً.. على الأقل في بدايتها..

ابتسمت له ابتسامة مثيرة وهي تقترب منه لتنزع عنه سترته وتقول بحنان:

-لابد أنك متعب حبيبي .. لقد حضرت لك حمام ساخن ..

كان ثيوس مشدوهاً يتأمل جمالها الذي حرم منه ايام طويلة فاقترب منها يعانقها بشغف بادلته اياه قبل ان يتركها قائلاً:

-سأخذ الحمام الأن..

أومئت له وهي تبتسم بشغف وقد سرى شوقه فيها كالنار في الهشيم وأغلقت عيناها بنشوة حين تركها ..

رتبت أواني العشاء .. وبعد خروجه .. كانت الليلة وكأنها احدى ليالي شهر العسل الماضية.. ذلك الحب الذي ملئ الغرفة والفراغ بينهما كان دافئاً ناعماً بقدر ماكان صاخباً وشغوفاً... وفي وقت متأخر وقد غاب القمر خلف احدى السحب همس لها ثيوس:

-سأشتاق اليك..

قبلت ساعده الذي تنام عليه وقالت بخفوت:

-أنا هنا ثيوس .. لن أذهب لأي مكان..

-سأسافر غداً..

تسمرت قليلاً قبل ان تستدير بين ذراعيه وتقول بحيرة:

-أين .. ولماذا؟؟

أطرق لبعض الوقت قبل أن يقول بجدية وقد قرر مصارحتها:

-سأسافر برفقة أليكس.. الى فاماجوشتا.

عقدت حاجبيها وتسائلت:

-أين تقع هذه؟

-انها في الجزء التركي من قبرص.. كلمتك عنه قبلاً..

تذكرت ساشا حديثه عن بلاده المقسومة الى جزئين تركي ويوناني وكيف تكثر المشاكل السياسية والاقتصادية بين الجزئين.. ولكن

ماشأنه بهذا هو وأليكس.. وترجمت أحاسيسها هذه الى سؤال فأجاب بعد توقف قصير ونظرة مترددة:

-سأخبرك بالأمر ساشا ولكن عديني ألا يغادرنا نحن الأثنين.. لا أحد .. لاأحد يجب أن يعلم به..

ابتلعت ريقها وشرعت تستمع اليه وعيناها تتسعان من المفاجأة التي لم تتوقعها قط والتي ستقلب موازين حياتها كلها رأساً على عقب دون أن تدري ...

وعادت تنام بين ذراعيه وهي تضمه بقوة وكأنها تفعل للمرة الأخيرة في حياتها..

في الصباح كانت تنظر اليه بائسة وهو يكمل ارتداء ثيابه ودون أن تدري كان قلبها يغلي خوفاً عليه فاتجهت نحوه بسرعة ودست نفسها بين ذراعيه وهي تقول:

-لا تذهب .. أرجوك ثيوس لا تذهب..

نظر اليها بدهشة قبل أن ينفجر ضاحكاً ويقول وهو يضمها اليه بقوة:

-ساشا حبيبتي لا تقلقي .. انه سر لا يعلمه سوانا أنا وأنت وجوليان وأليكس.. لن يفشيه أحد وسنكون بخير ..

-مطت شفتيها بقلق وقالت بتذمر:

-ستعود على الفور؟

-سنذهب ال لندن بعدها بيومين من ثم نعود مباشرة.

-من أجل توقيع الاتفاقية؟

-نعم..

عانقته مجدداً وهي تقول له:

-لا تتأخر وتتركني وحيدة لن أتحمل.

رفع وجهها اليه وقال مبتسماً:

-ستشتاقين لي؟

-وهل تسأل؟

وغرقا في عناق طويل .. حمّلاه كل حبهما وثقتهما بالغد .. ولم تلبث طرقة خافتة على الباب ان قطعتهما فابتعد ثيوس عنها متذمراً ليفتح الباب ووجد لاريتا وقد شحب وجهها وهي تقول وقد رأت الحنق في وجهه:

-أنا اسفة سيدي .. ولكنه اتصال للسيدة..

-أي سيدة؟

-السيدة ساشا يقول انه السيد روني.

ابتهجت ساشا واسرعت تقول:

-سأرد عليه في الحال قولي له ان ينتظر.

رأت ساشا العينين السوداوين تتألقان ببرود وثيوس ينظر اليها ويسأل وعيناه تخفيان بركان يغلي:

-من يكون ؟

-انه مديري .. أخبرتك عنه الذي رأيناه في المطار..

قالتها بسهولة ولكنه أمسك ذراعها بقسوة وصاح:

-لماذا يتصل بك ساشا ؟؟ أخبريني؟

تأوهت ونظرت له بذهول تستغرب عنفه وهمست:

-انه يساعدني..

-بماذا؟؟

)قالها بشراسة وقد أعمت الغيرة قلبه وبات لا يحتوي الا السواد ورغماً عنها تمالكت نفسها ومنعت دموعها من الانهمار بقوة ووقفت أمامه متجاهلة آلام ذراعها وقلبها الذي يئن:

-ثيوس دعني انت تؤلمني ..

وأبعدت ذراعها عنه وصاحت وهي تواجه نظراته الغاضبة:

-انه يساعدني في البحث عن عمل .. هل ارتحت الأن؟

اتسعت عيناه بذهول وقال:

-من وراء ظهري؟؟

ابتلعت ريقها وقالت بتردد:

-كنت سأخبرك البارحة.. ولكننا ... أنا لم أجد الوقت.

-لم تجدي الوقت أو لم تجدي الشجاعة.

)صاح بعنف ثم رفع كفه يسكت تبريراتها وهو يقول بصوت هادر:(

-سوف تنسين الموضوع ساشا انت لن تعملي لا الأن ولا في المستقبل .. انت زوجتي أكتفي بهذا .. أنا لن أسمح لك.

-هذا ليس من شأنك ثيوس .. يمكنني العمل وقتما أريد .. لا يوقفني سوى السبق الصحفي .. وسوف احصل عليه هنا أو في الخارج وأنت لن توقفني مطلقاً..انه حلم حياتي ولن تحرمني منه قط..

نظر الى وجهها المحمر بفعل الغضب ببرود والتقط حقيبته واستدار مغادراً وهو يقول بلا انفعال:

-سنرى.

سقطت بعدها هي على المقعد خلفها وهي تجهش بالبكاء وقد عرفت ان الأمور لن تسوء أكثر مما هي عليه الأن ...

***

كم مضى ولم تسمع عنه شيئاً .. يومان .. أسبوعان وربما شهرين.. أغلقت عينيها وهي تشعر أن في غيابه قد نسيها .. يالهي ثلاثة أيام

ولم تسمع منه.. اتصل جوليان بروين عدة مرات ولكنه هو لم يتصل بها لم يطمئن عليها لم يفكر حتى بالسؤال عنها .. كم هو قاسٍ..

تنهدت ومسحت دموعها بقوة وهي تفكر بأنها ليست ضعيفة وحال عودته ستدع مشاعرها كلها وراء ظهرها وتتناقش نعه بهدوء بعيداً عن العواطف والصراخ اللاعقلاني ...

ستجعله يوافق ويحترم رأيها..

كان رودي في هذه الفترة يتصل باستمرار ويطمئنها انه وجد الحل لمشكلتها حتى انه عرض الحديث مع ثيوس لأقناعه.. ولكنها أصرت على عدم الاتكال عليه وستقوم هي بالمهمة ..

ولكن حتى روني لم يتصل بها اليوم منذ الصباح .. كانت الأمور مملة فحتى روين مكتئبة لسفر زوجها وفرانكو طوال الوقت في المزرعة ووالدة ثيوس تنأى بنفسها عن الجميع وكاثي قد حظر عليها الطبيب مغادرة الجزيرة وذلك لتعبها في الفترة الأخيرة ..

ولهذا فهي وحيدة اليوم..

ولكنها تدرك أن الأمر يتعدى هذا .. كانت قلقة عليه .. نهضت منذ الصباح وقلبها مقبوض .. وكأن همٌ واقع عليه.. وغادرت المنزل دون أن تقول لأحد وأتت الى الشاطء البعيد في سوفيرا..

ولكن الساعة الأن تعدت السابعة مساء وثيوس لم يتصل .. منذ ثلاثة أيام...

فرت من عينيها دمعة وهي تنهض من الشاطئ وتمضي باتجاه القصر..

دخلت بوابته بخطوات مثقلة بالهموم ووجدت افراد العائلة كلهم مجتمعين... على غير العادة ... ومعهم كاثي وستيفان .. وأيضاً والدها وزوجته.. والأدهى ايضاً ان سالي ووالدتها ووالدها كانو أيضاً موجودين...

في الأحوال العادية كانت ستتغاضى عن وجود الأفعى الرقطاء وتسلم على البقية وتمر السهرة بسلام .. ولكن ليس الأن ..

ليس والسيدة صوفيا شاحبة اللون بالكاد تجلس على مقعدها ووالدة سالي بالقرب منها تمسك يديها الاثنتين .. وليزا تواسيها بكلمات خافتة لا تهون عليها بشيئ..

ليس وروين شبه منهارة في الطرف الاخر من الغرفة وكاثي تهدئها ودموع الاخيرة تسابق شهقاتها...

ليس وفرانكو وستيفان كل واحد منهما في جهة يحمل كل منهما هاتفاً ويتحدثا بعصبية وبدون توقف ...

ليس ووالدها يقفز اليها ليحيط بكتفيها بقوة وهو يتمتم بكلمات مشجعة لم تفهم منها حرفاً وقلبها دويه قد أسكت كل من حولها والجميع ينظر اليها وعيناها تطرحان سؤال خافت شفتاها أن تنطق به...

حينها فقط توقف فرانكو ونظر اليها .. اقترب منها وهي لا ترغب الا بالابتعاد عنه الى أقصى مكان ..

وفتح شفتيه فلم ترغب الى ان تجثو على ركبتيها وتقبل قدميه أن يصمت..

وسمعت كلماته التي قالها بصوت لا يكاد يسمع هزها ومزق قلبها كخرقة قديمة مبتلاة... واتسعت عيناها بذهول وكلماته تتردد في أذنيها كدوي ألف رصاصة وتمزق جسدها بألف سوط.. وعقلها يدور ويدور .. وفرانكو يقول بألم:

-لقد تعرض .. ثيوس وجوليان وأليكس.. لهجوم .. في أثينا.. جوليان بخير و.. ويقول أن ثيوس..

قاطعته بتوسل وهي تضع يديها على اذنيها والدنيا تطبق عليها بقوة:

-لا .. لا..

ولكنه اكمل بقسوة وكأنه يمسك بسكينه ويمزق أعماقها:

-حالته خطرة .. حالته خطرة للغاية..

حينها دوت كلماتها بداخلها .. وصرخ كل جزء منها باسمه بلوعة .. وشعرت بالدنيا تتهاوى تحتها .. وغابت في دنيا أخرى بعيداً عن الألم الذي قتلها ببطء..

***

نـهاية الفصل

قـــــراءة ممتعة

بيـــــــرو

*****

الفصل الثالث عشـــر

شتـــــــات العاطفـــــــــة

مدخـــــــــــل/:

حبيبتي... لوتعلمين انك السبب في فرحي وشقائي..

سبب ألمي وعذابي..

انك جالبة السعادة ياوجه القمـــــــر...

أعدتني للحياة ... كنهر خالد من حب لا ينضب..

بكيتْ وبكيتي لبكائي...

تألمت وسمعت صراخي من بين شفتيك..

احبك يا عمراً اتمنى لو أعيشه مرتين...

أحبك ياقلباً ملكته الى الأبد....

اعذريني لشقائك معي... سامحي أخطائي واغفري لي...

ذنبي الأول انني أحببتك بقوة

وذنبي الأخيرأنني لم اثق بك....

عذري ان حبك سلبني عقلي.. وبت روح بلا جسد يحويها الا جسدك ..

بدونك اعيش شبح ... لا فائدة له سوى الصراخ في عتمة الليالي الحالكة... بعيداً عنك

بكِ... انا رجل... يعيش أغلى أحلامه ...

معك انتِ

اعذريـــــــني...

***

أثيـــنا / العاصمـــــــة اليونانية...

كانت الغيوم المنتشرة تغطي اشعة الشمس القوية فبانت كل الطرقات غائمة وتعالت أصوات السيارات في الزحام الخانق في الشارع الرئيسي.. وسائق السيارة المرسيدس يزفر بضيق والقى نظرة متوترة للرجلين الجالسين في المقعد الخلفي بفضول وكل منهما غارق في عالم الأحلام خاصته ... ومن مكانه رأى الرجل على اليسار

يلتفت للآخر ويكلمه بصوت لم يسمعه ولم يفهم كلماته ورأى الأخر يضحك بسخرية... ويتابعان الكلام بصوت منخفض أكثر ..

- أتشتاق اليها...

ضحك ثيوس بسخرية ونظر الى صديقه قائلاً:

-وهل يظهر شوقي اليها بكل وضوح؟

-انت لا تستطيع اخفاء حبك لها ..

-لقد تشاجرنا .. قبل مغادرتي.

تنهد أليكس وهو يتذكر مشاجرته مع سالي قبل مغادرته هو الأخر .. كان يحاول ان يقنعها أن يخبرا الجميع عن علاقتهما ولكن دون فائدة.. كادت تصاب بالجنون واتهمته انه يحاول ان يخرب بينها وبين ثيوس ..

وعبثاً حاول افهامها ان ثيوس متزوج ويعشق زوجته بجنون فأصابتها نوبة هستيرية وطردته من شقتها ... وهو حتى الأن في حال يرثى لها كان يريد أن يخبر ثيوس أن يقول له كل شيئ .. ولكن الكلام كان يقف غصة في حلقه لا يقوى أن يقوله.

تأمل صديقه الغارق في التفكير بحل لمشكلته مع المتمردة التي تزوجها وابتسم في سره وهو يتصور صداماتهما معا بين الحين والأخر بسبب شخصية كليهما القوية..

وحانت منه التفاتة الى النافذة حين اتسعت عيناه بذهول وهو يرى تلك السيارة التي تجاوزت كل السيارات المجاورة لهم وتقدمت لتوازي سيارتهم .. ولكن ليس ذلك ما أثار ذهوله .. بل كان ذلك المسدس الضخم الذي اطل من النافذة المقابلة له ... وخرج من ذهوله بسرعة وهو يصرخ بثيوس ان ينبطح ودوي الرصاص يصم اذنيهما .. وجد ثيوس نفسه في قعر السيارة التي انحرفت بشدة عن مسارها والسائق يحاول السيطرة عليها وقد ثقب احد اطاراتها .... كان أليكس يهتف:

-لابد انهم من الحركة...

هتف ثيوس بجزع:

-جوليان .. انه في السيارة الثانية..

وحاول النهوض لإلقاء نظرة على سيارة أخيه إلا ان أليكس جذبه اليه بقوة وهو يقول بعصبية:

-هل جننت .. انخفض..

ضرب ثيوس بقبضته أرض السيارة في غضب جنوني وأليكس يهتف بالسائق:

-حاول ان تسرع أكثر..

-انهم يعودون...

قالها ثيوس وهو يسمع دوي الرصاص وفجأة شعرا بالسيارة تنحرف بشدة أكبر وصرخ اليكس وهو ينظر الى الأعلى:

-لقد اصيب السائق..

نظر ثيوس الى السائق الذي ارتمى على المقود بلا حراك فنهض من مخبأه وهو يقفز بخفة الى المقعد الامامي ويقول لأليكس:

-أين مسدسك؟

أخرج أليكس مسدسه من جرابه وقال بسخرية:

-لم استعمله منذ مدة ؟؟

كان ثيوس يستلم قيادة السيارة المائلة وهو يبعد جثة السائق وقال بانفعال وهو يحافظ على توازنها بصعوبة:

-عليك ان تتذكر كيفية استعماله يارجل ...

سرعان ماثبتت السيارة الطائرة بجنون وهي تصر بعنف بسبب الاطار الممزق .. واقترب أليكس من نافذتها وهو يقول:

-انهم اكثر من سيارة ثيوس..

ركز ثيوس كل قوته وعقله في قيادة السيارة وهو يحاول أقصى ما يستطيع للمحافظة على اتزانها وعقله القلق يبحث بعيون مجنونة عن سيارة أخيه بين رتل السيارات خلفه .. دون فائدة , فصرخ بأليكس:

-حاول اصابة الاطارات..

-يالهي ثيوس انا لم اطلق النار منذ سنوات وتريدني ان اصيب الاطارات ...

غطى صوت الرصاص المتناثر حولهما على صوته فصرخ ثيوس:

-ألا توجد شرطة في هذه المدينة..

كان يحاول السيطرة على السيارة بأقصى قوى ولكنه شخص الى الأمام وعيناه تتسعان وهو يرى تلك الشاحنة التي قطعت الطريق ومضت تقترب منهما بسرعة مجنونة عكس الاتجاه...

فدفع بقدمه باتجاه المكابح بقوة دفعت السيارة المتينة الى الصراخ وبدنها يحتك بالأرض ويطلق صريراً يصم الأذان وثيوس يدير مقودها بعنف استجابة له طيعة...واستدار بها وهتف باليكس:

-تعالى الى جواري...

قفز اليه بسرعة وجائت قفزته في الوقت المناسب اذ ارتطمت الشاحنة بهم من الجانب بقوة ...

شعر ثيوس وكأن الشاحنة ارتطمت به مباشرة والسيارة تقفز عدة أمتار الى الأمام الى جدار احدى البنايات الحجرية .... كان رأسه ينبض بعنف ويكاد لا يرى أمامه من فرط قوة الاصطدام الا أنه استطاع ان يفتح عينيه ليرى أليكس يجاهد لاخراج مسدسه من النافذة واطلاق النار...

وشاهد بعينيه كيف اقتربت تلك السيارة الضخمة ومن نافذتها رجل ضخم سرعان ما اشهر مسدس آلي وغمرهم بالطلقات..

وفي الوقت نفسه كانت الشاحنة الكبيرة تندفع نحوهما بقوة وسرعة لترتطم بجانب السيارة المرسيدس وتدفعها بعنف نحو جدارالبناية...

حينها شعر ثيوس بألم صاعق في ساقه والمعدن القاسي ينطبق عليها ... وتراجع الى الوراء ليفاجأه ألم حاد آخر في صدره وذراعه وشعر بلمس لزج حار مذاقه كالمعدن يبلل فمه ...

وقبل أن يغيب عن الوعي تماماً كان يرى أليكس وقد استلقى على مقعده بلا حراك والدماء تغطي بياض قميصه الناصع بالكامل ....

***

البرد... هذا هو الشعور الوحيد الذي كان يلازمها... برد قارص وأطرافها المثلجة تشهد عليها ... كيف تكون هنا امام زوجها الراقد بلا حراك ولا تشعر سوى بالبرد.. لاخوف ولاحزن فقط برد...

كانت عيناها متسعتان تنظران اليه في حجرة العناية المركزة وقد منعت عنه الزيارة... كانت كالمخدرة منذ استعادت وعيها في سوفيرا بعد أن ابلغوها عن الحادث...

وما ان استيقظت حتى وجدت نفسها تتجاهل الجميع هي وروين وتستقلان المركب الى براكللي ومنه الى اثينا... دون توقف..

كان جوليان بخير .. اصابة في الكتف ادت الى خلع ولكنه عامة بخير... ثيوس وأليكس تأذيا اكثر... وبالذات أليكس الراقد بين الحياة والموت...

ولكن ساشا لم تكن ترى سواه... ثيوس الراقد امامها وحيداً.. في البرد.. كانت تشعر به بألمه والبرد المحيط به... وقفت شاخصة اليه لا تقوى على ابعاد عينيها عنه تخاف ان يختفي ان هي رمشت بعينيها .. تخاف ان يتحرك ولا تراه ليطمئن القلب المحطم بداخلها ... تخاف ان يناديها فلا تسمعه ...

يالهي ما أقسى الألم الذي يجتاحها ما أقسى الوحدة التي تشعر بها وهو قريب منها الى هذه الدرجة... كانت تتذكر شجارهما قبل ان يسافر كم بدا لها تافهاً الان ... دعت بصمت ان يعود اليها سالماً .. ان يفتح عينيه مجدداً ان ينادي باسمها لمرة اخرى بعد .. ان يقول لها احبك وأن تقولها له ...

سالت دموعها دون ان تشعر بها ببطء ... تركتها علها تغسل بعض من الألم الذي ينخر روحها .. شعرت بمن يقف وراءها لم تلتفت ولكنها سمعت صوت جوليان يقول بخفوت:

-سيكون بخير...

لم ترد وكأن الكلمات ماتت من قاموسها وبقيت واقفة دون حراك وجوليان يشعر بقلبه يتمزق وهو يرى اخاه هكذا .... ابتلع ريقه وهو يتذكر كيف استطاع ان يخرج من سيارته التي انقلبت بسبب سيارة

المهاجمين وكيف اندفع نحو سيارة اخيه وقد فات الأوان ... جف حلقه وهو يتذكر منظر السيارة المهشمة واصوات سيارات الشرطة تقترب وهو يحاول ان يسيطر على جنونه هاتفاً باسم اخيه بلا توقف...

-أتريدين رؤيته؟

انتفضت ساشا بقوة وهي تنظر للمرضة بالزي الأبيض وهزت رأسها بانفعال فقالت الممرضة مبتسمة:

-تعالي.. سيستيقظ حالما يزول مفعول المخدر..

التفتت لجوليان فأومأ لها مشجعاً فتقدمت معها وحالما وجدت الكلمات طريقها الى فمها سألتها هامسة:

-هل سيكون بخير..؟؟

نظرت اليها الممرضة وقالت:

-اصابته خطرة ولكن جسده قوي وقد خرج من العملية بسلام... يبقى ان ننتظر.

ابتلعت ساشا ريقها وهي تتقدم الى الحجرة الباردة كالثلج كما شعرت بها .. وتقدمت مرتجفة اليه.. احضرت لها الممرضة كرسياً .. ولكنها تسمرت واقفة .. يديها مضمومتين الى صدرها وعيناها متسعتين باشفاق مثقل بالألم والذعر ...

وجهه الحبيب مليئ بالخدوش.. رأسه مغطى بقبعة جراحية زرقاء... انابيب تدخل الى انفه وأخرى تلامس صدره.. وذراعه..

صدره مغطى باللواصق الطبية وذراعه اليسرى مجبرة ومشدودة الى صدره بحامل كتف... ساقه اليمنى مجبرة كذلك تخرج منها مسامير حديدية طويلة دفعت بها أن تشهق بعنف ..

شفتاه الجافتين متشققتين مفتوحتين وعيناه مغمضتان ولهاثه يمزق نياط قلبها...

لم تحملها ساقاها فتهاوت على الكرسي وهي ترتمي على ذراعه السليمة وتجهش بالبكاء وقد امسكت نفسها عنه طويلاً ..

بكت طويلاً.. وهي تهمس له بكلمات تبثه حبها ولهفتها عليه... رفعت عينيها اليه ولامست جروح وجهه باصابعها وهي تهمس:

-ليتني مت قبل أن أراك هكذا حبيبي.. ليتني مت انا ولا يصيبك اي أذى..

كانت تنظر اليه راجية ان يفتح عينيه حين رمشهما بسرعة... تقدمت اليه أكثر وهمست:

-ثيوس.. اتوسل اليك افتح عينيك حبيبي..

طال الوقت حتى ظنت انها كانت تتخيل وانه لم يحرك عينيه قط.. وبعد ان يأست رأته يفتحهما ببطء ...

انتفضت بقوة واقتربت منه تحتضن أصابع يده بحنو وتقربها منها ويدها الأخرى تمسد رأسه وهي تقول:

-حبيبي انا هنا.. انظر الي..

كان هائماً وكأنه فوق وسادة هوائية .. يسمع صوتها الحبيب يناديه من بعيييد... اراد فتح عينيه ولكنه لم يقدر كانتا ثقيلتين للغاية..

هل مات.. أخر ما يتذكره هو الألم وطعم الدم في فمه... هل مات اذاً؟؟

عاود سماع صوتها ولكنه هذه المرة كان يبكي.. ويتوسل له ان يستيقظ.. حاول ان يفتح عينيه وهو يشعر بلمستها على وجهه ورائحة انفاسها العطرة تداعب شفتيه... اراد ان يراها ان ينظر في عينيها فقط ليعرف انه على قيد الحياة وأنه لم يمت بعد فهي وحدها تعطيه سبباً يعيش لأجله..

فتح عينيه بصعوبة لتسانده عيناها وكأنها تشد من عزيمته فقط كي لا يغرق... كي يبقى واعياً .. يعيد الى روحه حرارة الحياة ويعيد اليها نبضات قلبها الضائعة من دونه..

رأها تسكب الدموع وهي تقبل كل جزء من وجهه في لهفة عاشقة رد اليها حبيبها من تحت قبضة الموت.. قبلاتها لامست روحه كفراشة اعادت له رحيق الحياة فابتسم لها يجلو عن قلبها بعض القلق الذي استحكمها وهو يقول لها:

-احبـــك..

نظرت الى عينيه وهمست له بشوق:

-وأنا احبك حبيبي .. احبك وكدت اموت حين اخبروني انك اصبت..

كانت كلماتها تتسابق مع دموعها فقال وهو بالكاد يحافظ على وعيه:

-تمهلي حبيبتي.. تمهلي.. انا بالكاد استطيع الكلام..

وضعت اصابعها على شفتيه وقالت:

-اذاً لا تتعب نفسك حبيبي ...

-مالذي حدث؟

قالها بضعف وهو بالكاد يتذكر ماحدث ذلك اليوم ... قالها والذكريات تعود اليه كومضات خاطفة بالكاد استوعبها ولكنه استطاع ان يتذكر خوفه على أخيه ومنظر اليكس والدماء تغرق قميصه فاتسعت عيناه بذعر وتشبث بذراع ساشا وهو يهتف:

-أليكس... أهو بخير؟؟؟وجوليان اين هو؟؟؟

امسكت بيده بقوة وهي تطمئنه:

-انهما بخير .. جوليان كان معي منذ لحظات وأليكس يقول الطبيب انه بخير..

رأت الارتياح يغزو وجهه وهو يعود ليسبل عينيه فقالت هامسة:

-ثيوس حبيبي انت متعب اخلد للنوم..

تأوه بألم وهو يحاول تحريك ساقيه وقال:

-ساقي.. الألم لا يطاق..

أسرعت بطلب الممرضة التي اعطته مهدئاً وريدياً وقالت لساشا:

-دعيه ينام الأن..

لم ترد تركه ولكن الممرضة اشارت لها بضرورة الخروج ونهضت عن الكرسي فعلاً الا ان ثيوس كان يمسك بيدها بقوة ودون أن يفتح عينيه قال بضعف:

-ابقي معي.

نظرت ساشا الى الممرضة برجاء فابتسمت الأخيرة وتركتهما وحدهما ...

عاودت الجلوس الى جوار زوجها الذي غرق في نوم عميق ويده لا تزال محيطة بكفها فاقتربت منه وقبلت يده بحب وعيناها لا تفارقان وجهه...

***

توقفت السيارة التي تقلها مع جوليان امام الفيللا التي استأجرأتها العائلة لاقامتها في اثينا..بعد أن وصلوا مساء البارحة .. كانت قد تركت ثيوس رغماً عنها بأوامر مشددة من الطبيب وقد أعادها جوليان وقد وعدها بإرجاعها الى المستشفى في الصباح..

حالما دخلا الى المنزل حتى أيقنت ان خطباً ما قد حدث...

كانت العائلة متجمعة في البهو تقريباً الجميع والأدهى ان سالي كانت برفقتهم... ولكن المشكلة لم تكن في تجمعهم بل بنظراتهم اليها حالما دخلت...

حتى جوليان تعجب وسألهم:

-هلى حدث خطب ما؟

شعرت ساشا بقبضة باردة تعتصرها وهي تتوقع ان يكون شيئاً سيئاً قد حدث لثيوس.. وضعت يدها على صدرها واحتبست الكلمات في حلقها ولكن فرانكو تجاهل سؤال جوليان واقترب منه ليقف امامها وقال بانفعال:

-فسري هذا؟؟؟

رأت يده ممدودة اليها بصحيف.. عقدت حاجبيها والتقطت الصحيفة منه.. كانت أراء وأنباء.. صحيفة العم روني التي عملت بها من قبل...

رفعت اليها الصفحة المفتوحة ... واتسعت عيناها... رأت العنوان ولم تصدق... المقال الطويل الذي يصف النزاع بين جزئي قبرص المتناحرين... المجهودات العالمية لأصلاح الوضع ثم السر الذي ائتمنها عليه ثيوس .. السر كاملاً منشوراً صفحة أولى ... وبالخط العريض... وليس هذا فحسب... بل الأدهى كان اسمها .. اسمها المطبوع فوقه..

رفعت عينين ذاهلتين الى فرانكو الذي قال بشراسة:

-كم دفعوا لك لتخونيه هكذا؟؟

دارت بها الدنيا لاتهامه هذا وكادت تقع من فرط الصدمة ولم تعبر اي كلمات عن استنكارها ..

ولكن فرانكو لم يسكت بل امسكها من كتفيها بقوة واستمر يصرخ ويصرخ وهي لا تسمع اي كلمة وقد تبلد عقلها وصمّت اذنيها عن كل كلمة يقولها..

تدخل جوليان ليبعده عنها بسرعة وهو يصرخ فيه مؤنباً ثم استدار لينظر اليها وقال بصرامة:

-هل حقاً فعلت هذا؟؟

نظرت اليه مصدومة قبل ان تقول متلعثمة غير مصدقة:

-كيف.. كيف تقول هذا كيف تفكر انه يمكنني ان اؤذيه هكذا؟

-اذاً فسري لنا الأمر؟

صرخ بها فرانكو بغضب قبل أن تتدخل والدتهما في الحديث لتقول بصوت مخنوق:

-كيف استطعت ان تفعلي هذا؟؟ ألهذا كان ذلك الرجل يتصل بك يومياً.. ألهذا بعته.. من أجل سبق صحفي حقير؟

هزت رأسها بعنف تطرد أصواتهم المستنكرة من رأسها بعنف ودموعها تنساب على وجنتيه وهي تصرخ:

-توقفوا جميعاً.. أنا لم أفعل أي شيئ... كيف تتصورون ان افعل شيئاً كهذا؟؟ (وأضافت بحزم) انا لم أكلم أي احد عن الأمر لم أفشي سراً ائتمنه علي زوجي.. قط.

تقدم فرانكو ملوحاً بالصحيفة أمام وجهها وقال بعنف:

-اذاً مامعنى هذا؟.. أخبرينا وأفهمينا؟؟

ملئ الغضب عينيها ووقفت أمامه بكل قوة تقول بحزم:

-لاأعرف فرانكو ولكنه ليس خطأي.. انا لست بخائنة.. لست كذلك أبداً..أتظن حقاً انني قد اوذيه هكذا؟

-انتم الصحفيين لا تدركون حجم الكارثة إلا بعد أن تتسببون بها..

التفتت الى الأفعى التي نظرت اليها بحقد وهي تنفث سمومها ثم تجاهلتها تماماً وهي تقف امام الجمع الذي اتهمها وأدانها وقضى بحكمه عليها... دون ان يأبه بأن يفكر لدقيقة واحدة ان كانت حقاً قادرة على ايذاءه هكذا... ولهذا فقد يئست منهم جميعاً فقالت بألم:

-انتم لا تعقلون... وانا لن اقف امامكم هكذا مذنبة.. أنا لم أفعل شيئاً ...

واستدارت رامية بكل تعليقاتهم وراء ظهرها واندفعت الى غرفتها في الطابق الأعلى غير مولية..

في غرفتها استلقت ودموعها تنهمر بقوة وهي تستلقي على الفراش تعض وسادتها بغيظ.. مالذي حدث؟؟ كيف وصل الخبر... ولكن هذا لم يكن السبب في ذهولها ولا في غيظها بل كان اسمها المطبوع على المقالة ..

هذا ماأثار جنونها .. ارادت الاتصال بروني .. نهضت بسرعة الى حقيبتها واتصلت بهاتفه المحمول .. ولكن دون رد... حاولت مرة وأكثر دون جدوى...

جربت الاتصال الى مبنى الجريدة ولكن .. كان الوقت متأخراً في لندن ولم تكن لتجد أي احد هناك..

عاودت استلقائها وهي تفكر انها غداً ستعرف كل شيئ عن هذا الموضوع... حاولت النوم ولكن ذكرى زوجها الممد بلا حراك هاجمتها وسالت دموعها مجدداً وهي تتذكر كلماته لها قبل السفر.. والسر الذي افشته الجرائد وتسبب لهم بكل هذه التعاسة ...

قال لها ذلك اليوم ان قبرص منقسمة وتكاد تكون دولتين داخل دولة بجزئيها اليوناني والتركي.. ومنذ سنوات والمشاكل لا تتوقف بين الشطرين... حروب ,, مظاهرات ..اختطافات وغيرها من الأعمال التخريبية ...

وهناك منظمات وحركات داخلية وخارجية تدعم هذا الارهاب بالاموال والأسلحة... وفي الجهة المقابلة كانت هناك منظمات تدعم أمن واستقرار البلاد .. وكان أليكس واحداً من رواد هذه المنظمات ..

أليكس استغل عمله مع الخارجية القبرصية واستغل نفوذ عائلته الثرية ليكون له كلمته بين الأطراف المتنازعة.. وفي الفترة الأخيرة قبل حوالي اربعة اشهر تعرض وزير مهم تركي الجنسية الى محاولة اغتيال راح ضحيتها العديد من حراسه الشخصيين كما ان الوزير اصيب بجروح خطيرة.. وكانت الدولة التركية تتحين الفرصة لالقاء القبض على المتورطين التابعين للجزء اليوناني من قبرص ..

وفعلاً تدخل أليكس مستغلاً نفوذه وكانت الخطوة الأخيرة هي اللقاء في أثينا لتسليم المتهمين..

استمعت ساشا اليه ولسان حالها يتسائل عن دخله في هذه المعمعة .. وتذكرت ضحكه وهو يشرح لها انه نصف تركي .. وأن معارفه في الوسط التركي كبيرة ولهذا استعان به أليكس ليسهل له المفاوضات مع الأتراك الذين لا يثقون الا ببني جنسهم...

حاولت النوم ولكنه جافاها .. ارادت الاطمئنان عليه ولكنه لابد نائماً الان ...آآه تنهدت بقلق وألم اجتاحها وهي تثق ان الأيام القادمة لن تكون قط سهلة بالنسبة لها...

***

كانت غرفة العناية المشددة هادئة ولم يعكر صفوها الا صوت كعب الحاء النسائي وهو يتهادى على الأرض اللامعة .. ابتلعت ريقها وهي تنظر الى أليكس الراقد بلا حراك امامها.. أخبرها الطبيب ان حالته سيئة وان الرصاصات التي ثقبت صدره اصابت شريان كبير وانهم حاولوا جهدهم لاصلاحه ولكنه معرض لينزف مجدداً ...

رأت شحوب وجهه والنابيب تمده بالمحاليل والدماء لتعوضه مافقد وارتعش صوتها وهي تناديه بخفوت وهي تمسك يده:

-اليكس .. اليكس استيقظ... انا سالي هنا .. ارجوك..

دمعت عيناها وكادت تنهمر دموعها بقوة لولا ان اسرع اليها احد الممرضين ليقول بقلق:

-سيدتي ارجوكي يجب ان تغادري الزيارة ممنوعة تماماً عنه..

اومئت له وغادرت بعد أن ألقت عليه نظرة اخيرة وهي تشعر بالذنب يقتلها ببطء..

غادرت الحجرة وهي تقول:

-والأن.. خذني لرؤية السيد ارجامينيس..

-لا استطيع لقد خالفت عشرات القوانين بركي لك لتري السيد أليكس لا استطيع ان افعلها مجدداً..

زفرت سالي بضيق واخرجت من حقيبتها حفنة من الاوراق النقدية وهي تقول بفروغ صبر:

-هل يكفي هذا للتجاوز القوانين هذه المرة ايضاً؟؟

لمعت عينا الرجل بالطمع وعاد يسير نحو الغرفة المجاورة لغرفة اليكس...

دخلت اليه بهدوء وعيناها تسبقان ساقيها للاطمئنان عليه... رأته مسجى على الفراش ويده مضمومة اليه بجبيرة وكذلك ساقه..

تاملت التعب البادي عليه ورغماً عنها انهمرت دموعها وهي تتمتم:

-اقسم لك انها ستدفع الثمن.. هي السبب ثيوس هي المجرمة.. التي حرمتني منك يا حبيبي..

قالتها ثم انحنت تطبع قبلة على جبينه ثم غادرت بصمت قبل ان يستيقظ..

في الصباح التالي لم تنتظر استيقاظ أحد وسرعان ما كانت في المستشفى تقف أمام باب غرفة العناية وهي تتوسل الممرضة لتدعها تدخل اليه فقالت الأخيرة ضاحكة:

-صدقيني يابنتي.. لو لم ادعكي تدخلين سيقيم الدنيا ولن يقعدها .. منذ ان استيقظ عند الفجر كان يسأل عنك بلا توقف..

ابتسمت بسعادة وخطت الى الغرفة الهادئة وهي تتقدم نحوه بلهفة تتوق فقط الى سماع صوته.. اقتربت منه وحالما جلست الى جواره فتح عينيه لينظر اليها, تأملها قليلاً قبل ان يقول:

-أين كنت؟؟

-لقد أجبروني على المغادرة.. ليلة امس لم يسمح لي الطبيب بالبقاء.

ساعدته على الاعتدال في رقوده وقبل ان تعود الى مقعدها امسك ذراعها بقوة وقال:

-ساشا ...(نظرت له متسآئلة فقال متضرعاً) اخبريني عن أليكس؟

رفعت حاجبيها بألم وهي تتذكر كلام الطبيب عن حالة أليكس غير المطمئنة ولكنها حاولت ان تلتزم بالهدوء وعدم اظهار اي مشاعر امامه فابتسمت وقالت:

-يقول الطبيب انه سيتعافى يحتاج القليل من الصبر...

عاود الضغط على ذراعها وقال بأسى:

-هناك خطب ما .. انت لا تقولين شيئاً وجوليان ايضاً والطبيب يرفض اعطائي اي معلومات عنه... ارجوكي ساشا..

ابتلعت ريقها وقالت:

-ثيوس حبيبي انا لا أعرف عنه الكثير.. انا بصراحة لم أره...

-أتوسل اليك اذهبي لرؤيته .. اذهبي وطمئنيني عنه .. ارجوك.

رأت التوسل في عينيه فأومأت برأسها ونهضت قائلة:

-سأعود على الفور..

خرجت من الغرفة وهي تفكر كيف تقول له عن حالة أليكس السيئة حين وجدت فرانكو وجوليان في الممر ...

كان فرانكو يجلس ناظراً الى الامام بذهول وقد فقد احساسه بمن حوله ...أما جوليان فقد كانت روين الى جواره ممسكة بيده ورأسها على كتفه تبكي بحرقة وقد نسيت انها من تواسيه ...

شعرت بقبضة من حديد تعتصر قلبها فصاحت بتوتر:

-ماذا هناك؟؟ ... جوليان ماذا حدث؟

رفع اليها جوليان عينان مبللتان بالدموع في حين خرج فرانكو عن ذهوله وانتفض واقفاً ينظر اليها بشراسة وقال بصوت مكتوم:

-يالهي ألن تكتفي... لقد حطمت كل شيئ ألا تكتفين..

نظرت اليه وضربات قلبها تتسابق بغير انتظام ولسانها عاجز عن السؤال ولكن الاجابة جائتها قاسية وغير متوقعة من فرانكو الذي انفجر قائلاً:

-لقد مات... أليكس توفي للتو.

تسمرت ذاهلة وهي تضغط على شفتيها بقوة تسكت صرخة كادت تفلتها وهي تغمض عينيها بألم.. يالهي .. ياللمسكين...

لم تحملها ساقاها وتهالكت على الأرض وهي تشهق بعنف وهي تفكر.. كيف تقول له ؟؟ كيف تخبره؟؟

ولكن فرانكو لم يمهلها بل تقدم منها وقال بقسوة:

-سأذهب لأخبر ثيوس ان لعبته المدللة قد قتلت صديقه الوحيد..

نظرت اليه مصعوقة ولكن جوليان قفز اليه وجذبه من ياقة قميصه قائلاً بغضب:

-هل جننت يارجل .. ستقتل اخاك..

-دعه يعرف اي افعى تلك التي ادخلها بيننا.. دعه يعرف انها مجرد خائنة..

-توقف عن هذا الهراء .. لن تقول له اي شيئ..

ثم دفعه بيده والتفت اليها يمدلها يده ليساعدها على النهوض... وما ان فعل ذلك حتى اندفعت ترمي بنفسها بين ذراعيه وتجهش بالبكاء وهي تقول:

-لقد طلب مني ان اطلعه على اخباره .. انه ينتظرني جوليان ماذا علي ان اقول له؟؟

تنهد جوليان بحسرة وهو يقاوم الأسف الذي يشعر به وقال بهدوء قدر ما يمكنه:

-يجب أن نخبره.. سأطلعه أنا على الأمر..

هزت رأسها نافية وهي تنشج بألم:

-لا.. انا أخبره.. يجب ان اخبره انا..

نظر الى عينيها الغارقتين بالألم .. وقال بتوتر:

-هل انت واثقة؟

-نعم لقد طلب مني ان اصارحه .. هذا أقل ما افعله من اجله..

-اذاً اهدئي اولاً... ثم نذهب اليه.

-سأذهب وحدي..(نظر اليها للحظة ورأى التصميم في عينيها ثم قال:(

-لا بأس .. أخبريه..

اخذت نفساً عميقاً.. ثم اتجهت الى الغرفة تفكر كيف لها ان تخبره بهكذا خبر.. كيف تقول له ان صديق عمره قد مات.. كيف تقولها..

تأملته وقد شرد بصره في السقف الأبيض وحارت نظراته.. تقدمت اليه وجلست الى جواره على الفراش وهي تحيط يده بيديها الاثنتين بقوة .. نظر اليها وهمس بقلق:

-هل عرفت شيئاً؟؟

حاولت ان تنظر في عينيه وتقول له ولكنها لم تستطع.. لم تستطع ان تواجه عيناه المثقلتان بالألم .. اغرقت عيناها بالدموع وتحشرج

صوتها وهي تخفي وجهها في عنقه وتقول هامسة والدموع تنهمر لتغسل كلماتها بألم أكبر وحزن اكثر:

-أنا أسفة حبيبي..

تصلب جسده واشتدت قبضته على يديها وصمت...ثقل رأسه وهو يسنده الى رأسها وارتفعت ذراعه تحيط بها وتقربها اليه فرفعت ذراعيها تضمه اليها بقوة وهي تسمعه يجهش بالبكاء...

لم تصدق اذنيها وهي تسمع صوت نشيجه المكتوم وارتجافة جسده بين ذراعيها تؤكدها... وجدت الدموع تنهمر من عينيها وهي تواسيه بالم:

-لقد فعلوا مابوسعهم .. كانت حالته خطرة.. لم يستطيعو انقاذه..

أخذ نفساً عميقاً ورفع رأسه اليها لترى الدموع قد سالت على وجنتيه وبللت ذقنه غير الحليقةفسارعت لتمسحها بأصابع مرتجفة في حين قال بألم:

-يجب أن أراه.. أرجوكي ساشا يجب أن أراه ..

وتهدج صوته وغرق في موجة دموع جديدة وكأنه يفجر كل الألم في داخله.. ألم جسده المحطم وألم فقدانه صديقه الوحيد... ضمته اليها بقوة وقالت تشاركه دموعة:

-لا تقلق حبيبي سأطلب من جوليان التصرف .. سوف تراه لا تقلق..

أغرق وجهه في طيات شعرها وهو يشعر ان العالم يطبق عليه .. فقد صديقه الوحيد .. لا يصدق ان أليكس قد مات..

امتزج الغضب مع الحزن بداخله امتزجا حتى أصبح لا يقوى على التفريق بينهما اراد ان يصرخ عالياً أن يحطم أي شيئ يقع بين يديه ...

ولكن من كانت بين يديه هي حبيبته... الوحيدة التي لم يخجل ان يبكي أمامها .. تفجرت دموعه وهو الذي لم يذرف في حياته اي دمعة أمام أي أحد .. لم تخذله ضمته اليها بلا كلام شاركته حزنه على صديق لم تعرفه.. كان يوقن ان دموعها لم تبكي أليكس .. بل بكت حزنه هو.. بكت لتواسي بكائه...

ضمها اليه برقة وهمس:

-انا اسف لتعريضك لكل هذا الشقاء حبيبتي.

اقتربت منه أكثر وقالت:

-لا يهمني الا سلامتك حبيبي .. حمدلله على سلامتك.

قال بصوت متهدج:

-أنا لا أصدق انه قد مات .. أليكس .. انه اقرب من أخوي الي.. ساشا انه شقيقي الذي لم تلده امي.. ان دمه يسري في عروقي..

رأى نظرة متسائلة في عينيها فقال يحكي لها عن أليكس الشقيق الوفي:

-كنت في السادسة عشر .. تشاجرنا انا ووالدي وغادرت سوفيرا .. كانت الاحوال على غير مايرام الموسم الزراعي أفسده الجفاف وتراكمت الديون .. رحلت حين يأست من تعنته...

كنت في لارنكا تشاجرت مع احد الرعاع ... كنت شبه متشرداً هناك انهكني البحث عن عمل.. وتكالب علي اصدقائه تلقيت ضرباً مبرحاً وتعرضت لضربة سكين في ذراعي..

لم تكن اصابتي خطيرة .. ولكن لفرط انهاكي فقدت الوعي .. وعندما صحوت وجدت ذلك الشاب الانيق الثري ممددٌ الى جواري في مستشفى والنابيب تنقل دمه لي ..

وجدني مرمياً على قارعة الطريق .. أنقذني.. واعطاني دمه .. ومنذ ذلك اليوم وانا معه رفيقه في كل الامور ... عائلته ساندتني ودعمتني بعد وفاة ابي في أن اعيد سوفيرا الى ماكانت عليه وانهض بها من جديد... وبقينا اصدقاء.. يجمعنا أكثر من مجرد شعور .. يجمعنا دم واحد.. لن انسى أفضاله علي مطلقاً ..

ابعدها عنه وقال بصوت متحشرج وقد تعب من الكلام:

-احضري جوليان..

أومئت له ثم مسحت أثر الدموع من وجنتيه وقبلته برقة وهي تشعر بالألم لما يعانيه وقد اثرت عليها قصته مع أليكس بشدة ....

تسمر ثيوس أمام جثة صديقه الهامدة بلا حراك ... كان الألم قاسياً ينخر قوياً في الروح باعثاً فيه قشعريرة قاسية انتشرت في جسده كله وجعلت عيناه تتسعان وهو يرى بياض جسده الهامد.. وتذكر لحظاتهما الأخيرة معاً .. كل تلك الحياة .. غادرت لتبقي جسداً... بلا روح...

اقترب بالكرسي المتحرك الذي احضروه به متجاهلاً نصائح الأطباء بخطورة وضعة وأمسك يد أليكس الباردة كالثلج... وقال بصوت مكتوم مانعاً دموعه من التساقط أمام جوليان الواقف بلا حراك في طرف الغرفة:

-سأخذ بثأرك ياصديقي .. انه دين على رقبتي كما دمك الذي يسري في عروقي وسيظل الى الابد.

وطلب بعدها من جوليان ان يعيده الى الغرفة...

كان المساء قد حل حين دخل فرانكو غرفة ثيوس ووقف يتأمله.. كان ثيوس لا يستطيع النوم بعد وفاة اليكس منذ عدة ايام ولولا وجود ساشا وعائلته الى جواره لكانت حالته النفسية اسوا ..

رأئ شقيقه يدلف الى غرفته فابتسم له محيياً.. وقد ذهبت ساشا لأحضار العصير له..

نظر فرانكو الى اخيه الممدد على فراش المرض وقد كسرت ساقه وذراعه وتلقى صدره وبطنه رصاصتين.. وليس هذا فقط بل فقد واحداً من اعز اصدقائه ...

وقرر بعد تفكير عميق ان ينهي عذابه ويخرج الافعى التي تنشر سمومها بينهم..فتقدم غير آبه بمكانتها عند أخيه وقد عقد العزم ...

كانت ساشا تكاد تدخل الى غرفة ثيوس حين رأت فرانكو يغادرها ... رفعت وجهها اليه بسرعة وهالتها نظرة الشماتة والحقد التي رماها بها.. شعرت بقلبها يقف من قسوته وتذكرت كلماته وهاج الذعر في نفسها فأسرعت الى الداخل وهي تدعو ان تكون كل ظنونها ... خاطئة.

ولكن ... منظر ثيوس انبأها ان شكوكها محقة... ان فرانكو قد اخبره شيئاً وأن تلك الأكاذيب قد وصلته... تجمدت عروقها وهي تراه كيف جلس على كرسي امام النافذة ورأسه محني ويده السليمة تحيط به... كان الهدوء يعم الغرفة واعصار من المشاعر الحبيسة يضطرم بداخلها ...

تركت كوبي العصير واقتربت منه وقد جف حلقها وتيبست اطرافها .. ولكنه لن يصدق هذا الكلام عنها لن يصدق انها قد تؤذيه ...

اقتربت منه وحلقها من فرط جفافه غير قادرة على تحريكه... انتظرته ان يتكلم ولكنه لم يفعل.. ورأت بطرف عينها ماجعلها تشهق وترفع يدها تخفي فمها.. كانت بيده نسخة من تلك الصحيفة اللندنية الشهيرة التي نشرت مقالتها المزعومة بعد ان نشرتها صحيفة روني المغمورة... اتسعت عيناها بذعر ووجدت الكلمات السبيل اليها فتمتمت باسمه هامسة ...

مضت لحظات طويلة ظنتها ساشا لن تنتهي من فرط طولها ... ورفع اليها اخيراً وجهه ببطء... هبط قلبها بين ساقيها بسرعة وهي ترى كيف اشتدت عضلات وجهه ... كيف تجهمت ملامحه .. وأكثر ما أثار ذعرها هي عيناه...

عيناه السوداوتان اكتستا بذلك اللون المخيف الذي تكره... ذلك اللون الذي يميز السماء وهي تستعد لعاصفة هوجاء .. اعصار مدمر مصر على تحطيم كل شيئ امامه ...

لقد رأت تلك النظرة في عينيه مرة واحدة فقط من قبل ... يوم اكتشف كذبتها وعلاقتها ببول..

ابتلعت ريقها وهي تنتظر منه اي شيئ .. اي شيئ..

تأملها مطولاً... قبل ان يقول بجمود:

-أكان رد الفعل على سبقك الصحفي مناسباً.؟؟

توقعت اي شيئ .. إلا هذا... اتسعت عيناها وهي تتوقع سؤال.. ولكن هذا ... هذا التقرير بأنها حقاً فعلت مايظن.. تسارعت انفسها وقالت:

-انت لا تصدق اني فعلت ذلك؟.. أليس كذلك ثيوس!!

رمقها بنظرة صاعقة زلزلت قلبها الراجف وهو يقول بشفتين مطبقتين:

-جاوبي على سؤالي ... هل كان رد الفعل مناسباً؟ هل كان الثمن كافياً لكي.

اقتربت منه وهي تقول بتضرع:

-لم يكن هناك رد فعل ثيوس انا لا أعرف عما تتكلم .. انا لم أنشر شيئاً.. صدقني حبيـ...

)الا انها لم تكمل كلمتها حين مد يده بقسوة قابضاً على شعرها بيده جاذباً اياها لتسقط امام قدميه جاثية وهي تصرخ بألم وعيناها تتفجران بالدموع وهو يقول بقسوة لم تشهد لها مثيل:

-إياك ان تناديني حبيبي.. إياك ان تكذبي...

شهقت متألمة وهي تصيح به:

-دعني ثيوس انت تؤلمني...

رمى بها بعيداً عنه وهو يصرخ:

-أخبريني عليك اللعنة .. كيف استطعت فعل هذا .. كيف جائتك الجرأة لتحطمي كل شيئ من اجل سبق صحفي لعين؟؟

كانت مرمية على أرض الغرفة وقد غطى شعرها الأشقر وجهها وانسدلت خصلاته تغطي دموعها التي انهمرت بغزارة وهي تتمتم:

-أنا لم أفعل شيئاً.. لم افعل شيئاً..

امسك ثيوس رأسه بيده وغلت روحه المحبوسة في جسده الكسير ... ياالله كم يود لو يقوم على ساقيه .. أن يمسكها من كتفيها ويهزها حتى تعترف له بكل شيئ... يهزها حتى يشفي غله منها ... يريح الغضب العاصف في شرايينه...

منذ ان اخبره فرانكو .. منذ ان رأى الصحيفة وقرأى اسمها في الخبر المنشور قبل يوم واحد من الحادث.. لقد ائتمنها على سر لم يأمنه احد سواها .. أمنها على سر حياته وحياة صديقه .. وحتى أخيه جوليان ... ولكنها ضربت بكل شيئ عرض الحائط واستسلمت لنزوتها وتسببت له بكل هذا الأذى .. وليس هذا فحسب .. لقد تسببت بمقتل أليكس.. صديق عمره الوحيد...

كادت الدموع تهزمه مجدداً امامها ولكنه تمالك نفسه .. تمالك نفسه ورغبته الوحيدة تتجلى في ان يمسك عنقها ليعصر الحياة منها ببطء ويريح تلك الروح في جسدها من أسرها كما ان روحه الهائمة بعينيها تنازعه للخروج اليها ..

رآها ملقاة على ارض الغرفة وقد نشجت بالبكاء تستنكر تهمته التي القاها في وجهها فقال بصرامة متألمة:

-مامعنى هذا اذاً...

التفتت اليه وهو يرمي الصحيفة في وجهها ... اغلقت عينيها بألم وامسكتها بيديها ... نهضت من على الأرض وقررت مواجه اتهاماته ... مزقت الصحيف الى اشلاء وهتفت بدموعها:

-هذا مجرد كلام فارغ انا لم أفعل اي شيئ...حاولت مراراً الاتصال بروني ولكنه لا يجيب .. انا لا اعرف كيف وصله الخبر .. ولكن لم أكن أنا..

-لماذا كتب اسمك على الخبر اذاً؟؟؟

سألها بشراسة فقالت يائسة:

-لا أعرف ثيوس صدقني لا أعرف..

ثم اقتربت منه مجدداً وهذه المرة جثت هي امامه بارادتها وقالت باكية وهي تحيط وجهه بيديها:

-ثيوس .. كيف تظن انني قد اوذيك... كيف تظن انك قد تأمني على سر وافشيه... حبيبي انا زوجتك .. اقسمت على ان أحفظ اسرارك واحافظ عليك..

ونظرت الى عينيه التي ظهر فيهما بعض اللين وهو يغرق في عينيها الصادقتين:

-انا احبك.. لقد وقع خطأ فظيع .. صدقني..

رأت العينين السوداوان تسقطان في بحر الحب النابع من عينيها وتسللت يده لتلامس وجهها الغارق بالدموع وهو يقول بخفوت متردد:

-ولكن.. كيف..

قبلت راحة يده وقلبها يتنهد ارتياحاً لتصديقه اياها ولسانها يهذر بلا توقف:

-لا أعرف .. كله سوء تفاهم حبيبي صدقني ... ولكـــ..

)سوء تفاهم)؟؟

هدر ذلك الصوت في الغرفة فالتفتا معاً ... رأت جوليان الواقف ينظر اليها بغضب عاصف يرافقه فرانكو الناظر اليها بحقد .. والسيدة صوفيا التي تقدمت منهما بسرعة وابعدتها عن ثيوس بقسوة واحاطت به تحميه منها ..

رأت الشتات في عيني ثيوس وقد اضطربت نظراته .. وانتفضت ساشا واقفة وهي تواجه النظرات المعادية من الثلاثة وقالت بذهول:

-ماذا دهاكم ؟؟

صرخت السيدة صوفيا بألم:

-ابتعدي عن ولدي ألا يكفيك ما فعلت به ؟؟ ألا يكفيك انه يعاني كل هذا الألم؟؟

-امي.. ساشا لم تفعـ..

ابتدأ ثيوس بالكام يدافع عنها إلا ان جوليان قاطعه بعصبية:

-هذا ماظننته انا الأخر ثيوس ولكن القدر يصر على فضحها ..

وتقدم منها وهو يقول دافعاً بورقة صغيرة الى ماتحت عينيها قائلاً بألم:

-مامعنى هذا يا ساشا؟؟؟ اخبرينا..

كانت تقرأ الكلمات المكتوبة بعينين متسعتين بذعر وهي تترجم الكلمات المرسلة بالبرقية الى عقلها الباطن الرافض لها باستماتة.. هزت رأسها نافية واحتقنت الدموع في عينيها والدماء في وجهها وهي تتمتم:

-هذا كذب.. كذب.

ابعد جوليان البرقية واعطاها لثيوس الذي أمسكها بأصابع مرتجفة رغماً عنه... وقرأ الكلمات المكتوبة ومع كل حرف كانت الطعنة التي وجهتها اليه تنخر بداخله ... حتى كادت تخترق قلبه وتمزقه بلا رحمة ...

كانت البرقية مرسلة من روني.. وفيها يشكرها بكل بساطة للخبر الرائع والخبطة الصحافية المثيرة وبالذات ان موضوع المفاوضات كان حديث وسائل الاعلام في اوروبا في الفترة الاخيرة ...

وفي اخر البرقية كان تعليق بسيط انه يقدر تضحيتها التي قامت بها لتوصل له خبر مثل هذا .. ثم انه يتمنى لزوجها بالشفاء...

ابقى ثيوس عينيه مسمرتان بالبرقية وساشا تنظر اليه منتظرة منه اي كلمة .. أي شيئ يقوله فقط لكي تمحو من عينيها نظرة عائلته التي اتهمتها وتنتظر منه ان يصدر حكمه عليها من غير دفاع...

ولكن ثيوس لم يفعل ... رفع اليها عينين متهمتين... قاضيتين ... منفذتين لحكم جائر لم يسمع ولن يسمع فيه اي دفاع...

حكم رأته في عينيه وخافت ان تصادق شفتاه عليه فقالت له بألم قبل ان ينطق بكلمة:

-اياك ثيوس... اياك ان تفعل..

رأت الرفض في عينيه وعضلة فكه تنتفض وهو يقبض على اسنانه بقوة وعرفت ما سيقول .. عرفت الى اين ستودي بها هذه النظرات الرافضة منه ومن عائلته ...

حاولت ان تصرخ كي تصم اذنيها عمّ سيقوله لها ولكن صوته الخافت المتخاذل رغماً عنه اخترق اذنيها وهو يقول:

-كيف استطعت خيانتـــــــي هكذا ساشا؟؟

لم تبكي... لم تصرخ ... لم تعترض ... ارادت كل هذا واكثر ولكن قلبها لم يطاوعها ... عقلها اراد الصراخ والالتماس عنده.. ولكن قلبها أوقفه... صرخ فيه ان هذا يكفي... هو لم يثق بها... صدق الجميع ماعداها.. صدق شقيقاه .. صدق ورقة عديمة النفع... وكذبها هي...

قبلاً رأت شكاً يضطرم في العينين السوداوين .. لهذا توسلت .. ورجت ان يسمعها .. ولكن الأن لم ترى فيهما غير اليقين بخطيئتها ...

تصلبت قدماها وبات عقلها يتخاذل امام تلك البرودة التي اجتاحت قلبها ... فقالت له بصلابة:

-أنت لا تصدقني؟؟

رفع اليها عينين مشتعلتين بالغضب:

-أصدقك .. انت واكذب كل هذا..

جفت الدموع في عينيها وانتفض ثيوس وهو ينظر اليهما... رأى ذلك البريق الذي طالما خاف منه وكرهه.. رأى البرودة التي ذابت من فرط حرارة حبهما تعود لتكسو عينيها من جديد ...

هل كان يتخيل حقاً انها ذابت .. ام انها طوال الوقت هناك مستترة خلف بريق من رغبة ليس الا ... لم يعد للكلام ورآها تنظر الى افراد اسرته ببطئ وهي تقول ببرود:

-لقد احسنتم جميعاً.. لقد انهيتم الموضوع بأفضل مما ظننت..

عقد حاجبيه وهي تنظر اليه مجدداً وقالت:

-أما أنت ... (وأقتربت منه محدقة في وجهه حتى كادت تلامسه وهي تقول بجمود سمره في مكانه:(

-فشكراً... شكراً ثيوس..

اراد ان يسالها عمّا تشكره ولكنها سبقته قائلة بذلك الجمود الذي غزا جسده بقشعريرة:

-شكراً على اعادتي للحياة... (واكملت بسخرية مريرة) وقتلي مجدداً...

قالتها واندفعت مغادرة المكان بكل هدوء تاركة خلفها قلوب تفاوتت مشاعرها بين الألم لما حدث والارتياح له ..

وبين قلب واحد تهاوى في دوامة من شتات العاطفة لرجل شعر انه ولأول مرة في حياته خسر عمـــــره كله مع تلك النظرة الباردة في عينيها وبداخله يعلم انه قد قتلها بكل برود .. بعدم ثقته بها

مخـــــــــــرج/:

الشوق يلعب في ميدان الغرام...

كيف لي أن أتجاهله.. أنساه أو ابعده

اقتربنا.. ومعاً اصبحنا روحاً واحدة وجسداً واحداً..

عبير محمد قائد

احبك... كيف اخفيها والشوق لا يزال يرددها على شفتي...

أحبك .. قلتها مرة وأسررتها لنفسي ألف مرة...

كيف أحيا بدونك وقد أدمنت وجودك...

شاق علي الفراق..

كيف هان عليك .. كيف هان الحب .. كيف هانت اللحظات...

كيف هانت تلك الليالي ليالي احب بلا فجر..

كيف سحقت قلبي أنا ليقسو عليك..

لأنظر اليك مرة ولا ألتفت اليك بعدها...

ماذا فعلت لي لأمحي كل ذاك العشق من صفحة حياتي...

ماذا فعلت لي لألتجئ الى سواك..

حبيبي ماذا فعلت لي ..... لأكرهك.

نهاية الفصـــــل

قرائة ممتعة

بيـــــــرو

عبير محمد قائد

أثـــــر على الرمـــــ 14 ـــال

الفصـــــــل الرابع عشـــر

أثـــر على الرمـــــــال...

بوسطن/ الولايات المتحدة الامريكية..

رن جرس المنبه طويلاً قبل ان تمد ساشا يدها لتطفئه بكسل ... وتقلبت في سريرها من جهة الى الأخرى وتسلل الى سمعها تلك الضربات الرتيبة التي تسقط على زجاج النافذة بلا توقف ... ألا يزال المطر منهمراً!! لقد نامت مساءأ على صوت الضربات ذاتها... فتحت عينين أثقلهما النعاس ورأت الجو المظلم في الخارج عبر النافذه الزجاجية الضخمة التي تحتل نصف الجدار في غرفتها.. وألقت نظرة الى المنبه ولم تصدق ان الساعة تجاوزت الثامنة صباحاً بقليل...

نهضت بتثاقل ملقية الأغطية عنها والجو البارد ينخر عظامها وأيقنت ان المدفأة قد انطفأت ليلاً.. ولم تجد من يشعلها ..

اسرعت تلقمها بضع حطبات وحركت جذوتها وتنهدت بارتياح حين اشتعلت ألسنة اللهب رويداً رويداً... وبدا أن الشقة كلها تشاركها ارتياحها فسرعان مااكتست بالدفء ...

ذهبت الى المطبخ حيث وجدت ابريق القهوة فوق الموقد لا يزال دافئاً.. اخذت لها كوباً وعادت الى المدفأة لتجلس أمام النيران المستعرة ... وكم أنها تختلف عن حياتها في الفترة الأخيرة ...

حياتها الباردة الموحشة ... حياة بلا حياة .. حياة من دونه... تاهت العينان الزرقاوان في اللهب المستعر وهي تتذكر الشهرين الماضيين ... كيف غادرت اثينا كالعمياء.. دون أن تعود الى المشفى ولا حتى الى المنزل .. دون أي من أمتعتها ... دون ابلاغ اي أحد بوجهتها ..

أرادت فقط الرحيل عنه والهرب من ذلك الشعور الفظيع بالخيانة ... بعدم الثقة بالألم ... لم تعد الى انجلترا بل رحلت بعيداً أرادت وضع المحيط بينهما .. أبعد ما يكون عنه... هربت من عذابه الذي صبه فوق رأسها بلا رحمة ولا شفقه..

ولم تجد سوى بيتها في أمريكا .. مع امها وعائلتها.. لم تنسى ذهول امها حين فتحت الباب لتجدها امامها .. لم تقل لها شيئاً كل مافعلته ان قالت لها انهما انفصلا.. وقدرت امها مشاعرها.. قدرت الحزن والألم النابع من عينيها ولم تسأل ...

اوتها وكذلك فعل جاك... ولكن مع مرور الايام زادت التساؤلات ولم ترغب بالاجابة وبعد اسبوعين غادرت منزل والدتها وانتقلت للعيش مع شقيقها داني.. والذي على عكس والدتها لم يطرح التساؤلات وابتلع دهشته ونقمته من الذي اذاها وتقبلها عنده برحابة صدر ..

عاشت أيامها الأولى كالمخدرة... تأكل ... تتنفس.. وتنام... وتحيا بلا روح ...

كم من مرة شردت تفكر... تفكر بكلماته التي هاجمتها كسوط لاهب أحرق جلدها ووسمها الى الأبد بجروح لا تندمل... كم أرادت ان تفقد

ذاكرتها فقط كي تنسى تلك النظرة في عينيه ... نظرة تمنت لو أنها عميت قبل ان تراها ... كيف لها ان تنسى ؟؟

كيف لها ان تحتمل تلك الذكرى... ولكن... كان قلبها يعيدا عليها مراراً وكأنه ينتقم منها .. ينتقم من ضعفها الذي أوقعها في حبه وجعلها تنسى أن الحب قشرة واهية تغطي رغبة جسدية... قشرة لا تصمد أمام اي ضربة واهية.. وسرعان ما تتحطم لتظهر داخلها القبيح الفج...

هي أرادت ذلك الحب.. ارادت الشعور به أرادت الاحتماء به من ضعفها .. احبت قوته .. احبت الامان الذي كانت تشعره بين يديه.. أحبت كل جزء منه ...أحبت ان تحبه...

تنهدت بعمق والتفتت الى باب الشقة الذي فتح بسرعة واندفع خلاله شقيقها دان بمعطفه الطويل ومظلته التي تقطر المطر وقال حالما رآها:

-لقد أحضرت خبزاً طازجاً... تعالي لنفطر سوياً..

اندفعت تساعده مبتسمة وهي تأخذ منه الخبز الساخن وهي تقول:

-ألم تذهب الى الجامعة؟؟

-في هذا الطقس... هههه افضل البقاء وتحضير واجباتي بجوار المدفأة ..

نظر اليها وقال ضاحكاً بشقاوة:

-مارأيك لو نعيد الأيام الخوالي ونأكل على الشرفة..

ضحكت من اعماق قلبها وقالت:

-أتذكر مانتجت عنه تلك الايام داني .. التهاب رئوي والبقاء في المستشفى لعشرة ايام لكلينا..

ضحك بسرور وهو يرى ابتسامتها وقال بخبث:

-لا تقلقي سوف نكون بخير فأنا لا أملك شرفة ولكن النافذة ستعطي الجو المطلوب ولن تصيبنا بأذى.. هيا.

رافقته وهي تهز رأسها من أفكار اخيها الجنونية وغيرا مكان الطاولة الى جوار النافذه الضخمة في غرفة الجلوس الواسعة ورصا عليها أطباق الجبن والفطائر المحلاة والقهوة الساخنة زكية الرائحة والخبز الطازج .. وتسللت رائحة المطر الممزوجة برائحة الخبز .. فابتسمت ساشا قائلة:

-ياه ماأجمل الذكريات.. كان المطر يهطل بلا توقف.. وكنا سعداء .. حقاً.

تأملها داني بحنو ورأى الحزن الذي عاد يخيم على العينين الزرقاوين.. رأى كيف ذبلت الابتسامة وكيف اكتسى الوجه عبوساً ..

-الم يحن الوقت لتخبريني عمّا حدث..

أشاحت بعينيها عنه ولاذت بالصمت فاسترسل هو قائلاً:

-ساشا منذ شهرين وأنت تلتزمين الصمت عما حدث وبصراحة انا لا استطيع ان اسكت اكثر من هذا.. أخبريني لم تركت زوجك حبيبتي .. لماذا رحلت عنه ولم لا يأتي بحثاً عنك؟؟

شخصت عيناها وتعلقتا باللهب المستعر ولم تجب فاستمر يسالها بدون كلل:

-ساشا ارجوكي.. ارحمي قلقي وخوفي عليك.. منذ ان وصلتي الي وانت كالميتة.. تذهبين الى عملك الجديد وتعودين الى الشقة لتحبسي نفسك حتى اليوم التالي لا تخرجين ولا تتصلين بأيٍ من أصدقائك.. أي حياة هي هذه؟؟؟

رفعت اليه عيناها وكانتا مبللتين بالدموع فقال ساخطاً:

-كانت الدموع سؤالي التالي... أنا لم أرك تبكين منذ وصولك .. وكأن ماحدث لك لم يؤثر بك ولا بمقدار شعرة حتى؟؟

وكأنما قال الكلمة السحرية فقد اختفت الدموع من عينيها وغزتهما برودة الشتاء وقالت بجمود:

-ربما لأن الأمر لا يستحق أن أبكيه..

-أو أنه أكبر من ذلك... اكبر من أن تبكيه دموعك؟؟

نهضت من مقعدها واستغرقت في أفكارها وهي تنظر للشارع الذي خلى من المارة في هذا الجو العاصف وحارت في وصف مشاعرها.. قالت هامسه تختفي حروف كلماتها بين شذرات النار المستعرة:

-لاأعرف لماذا لم أبكي.. لن تصدقني لو قلت ان دموعي لم تخني قط.. ولا لمرة واحدة منذ أن تركته.. أنا حتى لا أفهم.. رغبت بالبكاء مراراً ولكني لم افلح.. دموعي لم تطاوعني.

شعرت بكفه تربت على كتفها وهو يسأل:

-لماذا رحلتي؟؟

-لأنه لم يثق بي.. لقد قتلني ورمى بي بعيداً وصدق الجميع وكذبني أنا يا داني ..

-ولكنك رحلت عنه؟؟ بارادتك.

-نعم رحلت ... كطير فرد جناحيه ورحل عن عشه... ولكنني تركت له شيئاً.. تركت له روحي هناك.. تركتها ولم استردها بعد.

نظر اليها بدهشة فالتفتت اليه وقالت مرتبكة:

-يجب ان استعد .. علي الذهاب الى الجريدة لا أريد التأخر..

وأسرعت الى غرفتها تبدل ثيابها وكل رغبتها أن تنهي هذه المناقشة التي رفعت ضغط دمها ولم تعد تتحملها..

***

سوفيـــرا/ قبرص...

كم هي قاسية الذكريات .. كم تدفعه الى الجنون .. حنين لا ينفك يمزق أحشائه ويعصر قلبه شوقاً اليها .. الى الخائنة التي حطمت قلبه ودمرت عالمه وتسببت بمقتل أعز أصدقائه...

كيف يشتاق للمرأة التي لو رآها لقتلها بيديه.. كيف يحن اليها وقد غادرته ذلك اليوم واختفت وكأنما تبخرت عن وجه البسيطة.. لم يستطع البحث عنها بنفسه ولم يقدر أن يطلب من أخويه ...

ولكن كاثي نظرت اليه حال عودته الى سوفيرا وفهمت.. وبحث عنها ستيفان... بحث عنها في كل مكان حتى في انجلترا وساعدهما مارك نيكس .. دون فائدة.. وكأنما قد انشقت الأرض وابتلعتها .. لا يعرف لما كان يجلس يومياً امام الهاتف بانتظار كلمة من احدهما ليخبره انهم وجدوها.. لا شيئ .. لاشيئ.

تنهد بعمق ومرر يده في شعره الذي استطال حتى لامس منابت عنقه.. كانت ذراعه قد تعافت كلياً ماعدا بعض التيبس الذي لازمه في الفترة الأخيرة ...

المشكلة كانت في ساقه ... لم يستطع التخلص من العرج الذي اصيبت به بعد الحادثة... أمره الطبيب ببعض التمارين ولكنها كانت تجهده لدرجة الألم ...

حتى ركوب الخيل حرم منه ... لفترة على الأقل... هذا ماقاله الطبيب .. كا يتجول على الشاطئ بمساعدة عكاز خشبي بعد انتهاء جلسة العلاج الطبيعي...

كان يكره البقاء في المنزل.. وتحمل نظرات الشفقة من الجميع... كان لا يطيقها.. ورغماً عنه تجره ساقاه الى الشاطئ.. حيث اعتادا أن يسبحا فيه منذ الصباح... واستند بظهره على صخرة ملساء وشخص ببصره بعيداً وعيناه لا تريان ابعد من الصورة في خياله...

تمتم بخفوت:

-لماذا تعذب نفسك هكذا ثيوس .. انسها وانسى الاذى الذي لاقيته منها .. تحرر منها يارجل.

وحانت منه التفاتة الى ساقه العرجاء التي ساقته الى الشاطئ وفكر ساخراً يخاطبها:

)اقسم أنني حتى لو فقدتك بسببها لعدتِ تزحفين من قبرك بحثاً عن طيف لها.. تتلمسين لها العذر في كل اخطائها .. وعن كل ذنب لها تعتذرين وكأنه ذنبك انت ؟؟ الى متى يانفسي تشقين بحبها ... الى متى أموت وهي تنعم بحياتها(...

نهض عن جلسته المثيرة لشفقه وعاود سيره الطويل نحو القصر.. حينما وصل كان الألم لا يطاق... رغب بحمام ساخن يزيح عنه توتره وألمه ويخفف من ضيقه الا ان حتى القدر يبدو انه يعانده فأمامه وقفت سالي..

كان لم يرها منذ جنازة أليكس حيث اعتزل الجميع ورغم انه يعلم انها رابطت في المنزل منذ رحيل ساشا الا انها احترمت خصوصيته ولم تخترق عزلته قط والان هاهي أمامه...

وقفت متوترة تحيط عينيها الهالات السوداء وبدت نحيلة بشكل لا يصدق ولوهلة اشعرته بالذنب ..

تنهد وقال:

-أهناك مشكلة يا سالي؟

ابتلعت ريقها وبللت شفتيها بلسانها في حركة متوترة وقالت وهي تشد على المنديل الحريري الذي بين أصابعها:

-هناك شيئ ... يجب ان نناقشه.

نظر اليها بحيرة وهو يراها كيف تتحاشى النظر في عينيه.. فعقد حاجبيه ورغم ألمه وارهاقه الا انه قال لها مشيراً الى غرفة المكتبة:

-لندخل هنا.

جلس الى كرسيه ورفع ساقه المصابة الى المسند امامه كما نصحه الطبيب وطفق ينظر اليها ..

ابتلعت ريقها مجدداً وتحاشت عيناه فقال وقد بدأ يشعر بالسأم:

-سالي إنني متعب وغير قادر على احتمال اي شيئ.. قولي ما عليك قوله بسرعة.

نظرت اليه وقررت الكلام وهي ترى التلهي في عينيه عنها لهذا قالت بحزم وهي تتوقع ان يقلب المائدة أمامه على رأسها:

-انا أنتظر طفلك.

تصلب ثيوس وهو يحدق بها وكأنها تقول كفراً.. ولم تظهر في عينيه اية مشاعر حتى انها شكت أن يكون قد سمعها.. وقالت متسائلة:

-ثيوس؟؟؟ هل سمعتني؟؟

تأملها ثيوس بعينين متسعتين وهو لا يصدق ما يسمع .. من غير المعقول ان تكون صادقة .. لايمكن أن يحدث هذا ؟ لا يعقل أن تحمل منه بعد ليلة واحدة؟؟؟ (مستحيل(!!

قالها بصوت مرتفع خشن بالكاد غادر حنجرته فعقدت حاجبيها وقالت بتوتر:

-ماهو المستحيل؟؟ أنني حامل!! .. أم أنه طفلك... أتكذبني ثيوس؟؟

لم يعرف ماذا يقول؟ وكيف يرد؟ لم يعرف كيف يتصرف؟؟ ولكن سالي لم تمهله الكثير وسرعان ما غطت وجهها بكفيها ونشجت في بكاء عنيف ..

اتسعت عيناه بدهشة وهو ينظر اليها وهي تشهق باكية وتقول من خلال دموعها:

-لن .. لن يلبث وقت طويل حتى يظهر الحمل علي ثيوس ماذا يجب أن أفعل؟؟ والدي سيقتلني.. وأنت أدرى الناس به..

عقد ثيوس حاجبيه وأجرى حسبة صغيرة في دماغه وقدر أنها لوكانت تقول الحقيقة فهذا يعني انها في شهرها الرابع الأن .. (يالهي ماهذه المصيبة) تمتم بخفوت وبكاءها يصم اذنيه وقبل أن يكلمها سمع الباب يفتح...

أدار راسه اليه ووجد والدته تدخل مسرعة.. ولم تضيع سالي الوقت بل سرعان ما قفزت ترتمي بين ذراعيها وهي تقول باكية:

-ساعديني عمتي.. ارجوكي..

عقد ثيوس حاجبيه وامه تحضنها برفق وتتمتم في أذنها:

-لا تقلقي بنيتي سيكون كل شيئ عل مايرام..

والتفتت الى ولدها قائلة بحزم:

-علينا أن نتكلم ثيوس .. من الضروري أن نفعل.

تنهد ثيوس بنفاذ صبر وأدرك ان مصيدة محكمة تحاك شباكها حوله ببطء..

***

أسرعت ساشا بارتداء معطف المطر وثبتت قلنسوتها الصوفية فوق رأسها وسارعت الى أخذ الأوراق المهمة معها وهي تغلق ضوء المصباح على مكتبها وهي تجهز نفسها للخروج..

)ساشا هل انتهيت؟) النفتت الى زميلتها في المكتب والتي كلمتها بابتسامة فأومأت لها فأضافت الاولى:

-سنخرج لتناول القهوة والسينما أتودين مشاركتنا؟؟

كادت كلمة لا ان تغادرها بأسرع مما تتوقع ولكنها عادت لتتذكر الشقة الخالية بعد ان قال لها داني انه سيبيت الليلة في سكن الطلاب وذلك لمذاكرة امتحان في الصباح الباكـرمع مجموعة طلبة لهذا أمسكت الرفض عن لسانها وسألت الفتاة المدعوة جيل:

-الى أين تذهبون؟

-الى مقهى رودز في نهاية الشارع وبعدها الى سينما المجاورة واذا بقي لدينا وقت سنذهب للعشاء..

كان البرنامج مغرياً.. وهي تريد الرفقة أياً كانت.. ولهذا ابتسمت لزميلتها وقالت:

-تسعدني رفقتكم حقاً..

كانت المجموعة مكونة من ثلاث فتيات كل اثنتان منهن برفقة صديقيهما وكانت ساشا وفتاة اخرى كالعزول بينهن.. وقالت لها الفتاة وهي كيم وتعمل كمساعدة شخصية للمدير العام:.

-ليتنا لم نوافق على الخروج معهم..أشعر أنني عزول.

ابتسمت ساشا وهي تتحاشى النظر الى العشاق امامها وغصة مؤلمة تجتاحها ... يالهي كم أن هذا قاسٍ عليها أن تكون بعيدة عنه ..

نفضت بأسها عنها وعادت لتلتفت لكيم وتغرق معها بحديث مسلٍ بعيداً عن العشق والهوى أمامهما وبعد القهوة المنعشة ذهبوا الى السينما...

كان فيلم الرعب الذي اختاره الرجال مقززاً.. وأبقت ساشا عينيها طيلة الفيلم مغلقتين وهي تلعن في سرها هؤلاء المجانين الذين فعلوا كل شيئ في السينما ... ماعدا مشاهدة الفيلم... وتركزت نظرتها على كيم الذي كانت تشاهه بعينين متسعتين من الاثارة.. وتصرخ برعب وتضحك بهستيرية من مشهد لأخر... ولوهلة ذكرتها بماري ...

وتنهدت وهي تتذكر مكالمتها اليتيمة لها بعد مغادرتها ... كانت تخبرها أنها ذاهبة في جولة في أنحاء اوروبا لعرض لوحاتها وقد تغيب لبضعة أسابيع... هي طبعاً لم تخبرها انه تركت ثيوس .. وعلى حسب علمها فهي تظنها تنعم بحياتها السعيدة معه...

حانت منها التفاتة الى الشاشة وقد غرقت الصالة بالسكون لترى مشهداً عاطفياً مؤثراً بين بطلي الفيلم وتاهت عيناها في المشهد والبطل يتخلل شعر البطلة الأشقر الطويل الناعم بأصابعه وهو يبثها شوقه وهيامه .. وتذكرت ثيوس وكيف كان يعشق ملامسة خصلات الذهب كما كان يسميها ..

تذكرت اخر لمسة له على شعرها حين شدها ورماها أرضاً بكل قسوة.. ودون أي تردد نهضت كالعاصفة مغادرة الصالة تحت أنظار زملائها المستغربة.. مشت في الشارع المبلل من المطـــر لا تلوي على شيئ .. مشت لا تعرف الى اين فقط ارادت الهروب من ذكرياتها... من ألمها المتواصل بلا رحمـــــــة...

وقفت أمام نافذة زجاجية ضخمـــة وبعد لحظة تردد حسمت أمرها .. ودخلت ..

كانت تقف مذهولة في المحل أمام المـــــرآة الضخمة ... تمعن النظر في ذاتها وتتسائل مالذي تغير فيها من قبل شهرين.. أين اختفت تلك العاشقة الملهوفة من هذه المـــرأة التي تقف أمامها .. تلك كانت شعلة من الحياة .. ببشرتها المسمرة بفعل الشمس... وهبتها التي لونت خصلات الثلج الى نحاس مشتعل...

ولكن الأن ... بشرتها فقدت كل سمرتها وعادت بلون الثلج الناصع الذي يعمي البصـــــر... حتى شعرها فقد خصلاته الذهبية... وبعد أن فعلت به ما فعلت فقد ماهو أكثـــر

تأملت قصتها الجديـــدة... الشعر الأشقر الكثيف أحاط وجهها الابيض المتورد تماماً وبالكاد لامست الخصلات الثلجية عنقها .. أظهرت القصة الجديدة كثافة الشعر وأنهت حلم طالما حافظت عليه.. لطالما أرادت قص شعرها والأن حققت حلمها وبدأت أولى خطواتها بالتحرر

من ثيوس والعودة الى ذاتها قبله... حين عادت الى الشقة ذلك المساء سألها داني بحيرة وهو يغرق عينيه في الكتاب أمامه:

-أين ذهبتي منذ الصباح؟

-لقد خرجت مع بعض الفتيات الى السينما بعد المكتب.

رفع رأسه بفرح مندهش ولكن دهشته تحولت بالتدريج الى ذهول وهو يراها بالشعر القصير... وتسمرت ساشا وهي تلامس شعرها بقلق وقالت:

-ألم يعجبك؟؟؟

قال بدهشة:

-انا مندهش أنك أخيراً فعلت ما كنت ترغبين به منذ سنوات؟؟ هل أنت بخير؟

أومأت بإيجاب فعاد يسألها:

-لماذا الأن ؟؟

ابتلعت ريقها وقالت بصعوبة:

-انه لا يجلب الا الذكريات السيئة.. سأذهب الى النوم الأن فأنا متعبة ولن أتعشى.

وأسرعت الى غرفتها ومن دون أن تنزع حتى معطفها استلقت على الفراش والخصلات القصيرة بالكاد غطت وجهها وبقت عينيها شاخصتان ودون أن تشعر تساقطت دموعها بصمت تغرق وجهها...

***

وضعت السيدة صوفيا فنجان الشاي من يدها بهدوء وهي تطيل النظر في ابنها المستلقي على المقعد أمامها وهو ينظر اليها بعينين ضيقتين قبل أن تقول بهدوء:

-ألن تقول لي ماهو الحل ثيوس؟ اذا لم يعجبك ما قلته فقل شيئاً منطقياً بني؟

حدق بها ثيوس بغضب عاصف وهو يدرك ان سالي لابد قد أخبرت امه عن حملها المزعوم قبل فترة.. وبالتأكيد امه وقفت تساندها فهي تكره ساشا منذ رأتها وهي لم تنكر هذا قط رغم محاولاتها لأخفائه ولكن كيف لها أن تطلب منه تركها ؟؟ ولكن ...

سقط الأمر على راسه كالصاعقة... يتركها!! ألم ترحل هي عنه؟؟ ألم يتخلى عنها هو منذ زمن ؟؟ لماذا يستغرب اقتراح والدته ان يطلقها اذاً؟؟

ابتلع ريقه وأشاح وجهه عن أمه وهو يعرف ان الأمر يجب أن يحسم... يجب أن يعرف رأسه من قدميه أن يحدد موقفه.. يريدها ام لا

.. يحبها أم يكرهها... عليه أن يعرف حقيقة أمره أتحبه .. هل أحبته حقاً؟؟ أم أنها خدعته منذ البداية...

-ثيوس أين ذهبت بني؟

التفت الى امه بسرعة فأضافت وهي ترى الهم المنبثق من عينيه:

-لا تبتأس ثيوس لست أول رجلٍ يقع في شباك امرأة جميلة.. كان مجيئها نذير شؤم علينا.. ولكنها رحلت فلندع ماحدث وراء ظهورنا ولنكمل حياتنا كما كان مقررٌ لها ... طلقها وتزوج من سالي التي لم تحب سواك ياولدي..

أغمض عينيه بألم وهو يفكر بكلمات امه .. كم أراد ان يغمض عيناه ولا يفتحهما قط .. كم أراد أن ينسى كل ما مر به.. ولكن لا يزال يذكر.. كيف ينسى المـرأة التي قلبت عالمه رأساً على عقب... كيف ينسى جمالها وشقاوتها وحبهما الذي لا ينكـــر.. كيف ينس ساشا المرأة التي يعشق والتي لن يعشق سواها مدى العمـــر ..

أراد ان يقول لأمه هذا ولكن رنين الهاتف المتواصل منعه فمد يده بضيق يلتقط سماعته ولكن الضيق انقلب الى لهفة متوترة وهو يصيح:

-ستيفان اهدأ وتكلم بوضوح لأفهمك... (واتسعت عيناه وقفز من مقعده وهو يقول بسرعة) أنا آتٍ في الحال.

-ثيوس ماذا حدث؟؟

قالتها امه بتوتر وهو يندفع مغادراً المكتب بمساندة العكاز فقال متوتراً:

-أنها كاثي .. فاجأها المخاض وهي في المستشفى الأن ..

لم ينتظر رد فعلها بلأسرع مغادراً تلاحقه شياطينه.

***

تصلبت يداها بفعل الكتابة المتواصلة.. تشنجت أصابعها ففردتها بألم ثم ضغطت على عينيها بقوة .. لقد أرهقت نفسها فهي لم تستطع النوم بعد أن عادت من المكتب وقضت معظم ساعات المساء بكتابة مقالها الجديدمضى عليها مايقارب الساعة وهي تكتب بشكل متواصل ...وكلما خرجت بنتيجة تعود وتمسح كل ماكتبت بغير رضىً عنه. تاملت الساعة التي تشير الى الثانية عشـر بعد منتصف الليل وقررت أن هذا يكفي ستنام وبما أن غداً عطلة ستكمل غداً.

أعدت لنفسها كوباً من الحليب الساخن وأغرقته بكميات وفيرة من الشوكولا وجلست أمام النافذه تتأمل المطر الذي لم يتوقف منذ أيام وفي غمـــــــرة انسجامها بالقطرات الرتيبة سمعت الطرق على الباب.. وضعت الكوب بقلق وفكرت... ليس داني فهو لديه مفتاح .. من يكون في هذا الوقت؟؟

ذهبت بسرعة الى الباب المغلق ونظرت عبر الثقب ولكنها لم ترى سوى معطف طويل... عقدت حاجبيها ثم فتحت الباب ببطء.. واتسعت

عيناها وهي ترى الواقف امامها يبتسم بلهفة وعيناه تقول بصوت لاهف:

-لا أصدق انك حقاً هنا أمامي؟؟

تأملت الرجل الطويل امامها وقالت بذهول:

-براد؟؟

استغل براد وقوفها الذاهل واندفع الى الشقة بسرعة وهو يرمي بمظلته ارضاً وينفض عن شعره الكثيف قطرات المطر الوهمية عن شعره الكثيف ثم طفق ينظر اليها بلهفة ..

نظرت اليه وقد وقف يفوقها بعدة سنتيمترات مشرفاً عليها .. ضمت اطراف الروب الكشمير الذي ترتدي وقلبها يخفق بقوة وقالت بخشونة:

-ماذا تفعل هنا؟

كانت عيناه تأكلانها أكلاً وقد شعر بنفسه تحلق حين أخبرته امها انها انفصلت عن زوجها وطار اليها على الفور .. ومان راها حتى أراد ان يأخذها بين ذراعيه ليريها كم اشتاق اليها كم اشتاق لرؤيتها والتحدث معها .. نظرتها العنيفة اخرجته من أفكاره فقال مقترباً منها:

-جئت لأجلك.. لقد علمت بما حدث..

انتفضت بقوة وقالت بشراسة:

-لا شأن لك بما حدث براد لا شان لك البته..

اقترب منها وأمسك كتفيها وهو يقول بألم:

-يكفي هذا ساشا يكفي هذا.. لقد تحملت الكثير.. رحلتي عني وظننت انني استطيع نسيانك ولكن ما ان رأيتك معه حتى جن جنوني .. كيف استطعت الزواج من همجي مثله؟؟

حاولت الهرب من كفيه القابضتين ولكنه لم يفرج عنها بل شدد ضغطه عليها وقال مقترباً منها حتى لامس ذقنه رأسها:

-اشتقت اليكي... نظرت الى العينين الخضراوين ورأت كم الرغبه فيهما وانتابها الخوف فحاولت تخليص نفسها من بي ذراعيه ولكنه احكم قبضته عليها واحنى رأسه يريد تقبيلها .. وهالتها فكرة ان يقبلها اي رجل غير ثيوس ورغماً عنها تصاعدت موجة غثيان مقيتة من أعماقها ودار رأسها فأبعدته عنها بقوة وأسرعت الى غرفتها لكي تفرغ مافي جوفها في الحمام الملحق بها...

تسمر براد ينظر اليها وهي تشهق بقوة ... وبعد لحظات بعد أن هدأت أنفاسها مدت يداً مرتجفة الى الماء الذي انهمر بقوة.. غسلت وجهها عدة مرات قبل أن تلتفت اليه تقول بحزم وهي تكافح للبقاء واقفة:

-ارحل براد ارحل عني الان..

تأملها براد ورأى كيف امتلئت ملامحها بالاعياء فانصرف دون أن يقول أي كلمة.. في حين كانت ساشا تسحب نفسها ببطء لتستلقي

على سريرها ورغم توترها وارتجافة جسدها الا أنها غرقت في نوم عميق كالميتة.

***

براكللي /قبــرص...

تأمل ثيوس كاثي المستلقية على الفراش الابيض مزهوة بطفلها الوليد بين يديها ونقل بصره بينها وبين ستيفان الذي وقف بذهول أمامها وكأنه لا يصدق انه أب أخيراً ..

وتملكه شعور قوي بالغيرة ... غيرة لأن سعادة كالتي في عينيه لن ينالها هو قط.. سعادة رجل عاشق فرح بطفله الاول وامرأته الحبيبة تحمله بين ذراعيها سعيد لولاده ابنه ومصدر سعادته انها امه....

ابتلع ريقه بصعوبة واشاح بوجهه عنهما ولم يلاحظه سواها .. كاثي الرقيقة التي تجهم وجهها الفرح وقالت لستيفان بخفوت:

-اتركنا وحدنا..

نقل ستيفان بصــره بينهما ثم أومأ برأسه وغادر بعد أن طبع قبلة على رأس زوجته واصابع ابنه الصغيرة.. قالت كاثي:

-الى متى تستمر بالمقاومة؟؟

التفت اليها بقوة ولم يشعر حتى بخروج ستيفان فاستمرت:

-الى متى تظل في هذه المهزلة؟؟ ألم يحن الوقت لتبحث عن زوجتك وتعيدها الى منزلها ؟

اشاح بوجهه مجدداً وقال بجمود:

-لقد انتهى كل مابيننا.. انا وساشا انتهينا منـــ...

-هـــــــــراء..(قالتها بسخرية فعاود التفاته لها فأضافت بحنق) أنظر الى نفسك تكاد تموت من دونها .. توقف عن انكار هذا فهو واضح للعيان .. واراهن انها كذلك تموت في بعدها عنك.

-لماذا لم تعد اذاً؟؟

صرخها بعنف فقالت وقد ارتفع صوتها:

-لأنك ظلمتها .. ولقد قلت لك هذا سابقاً..

-كل شيئ كان ضدها .. كل شيئ.(قالها بألم وأضاف) وهي لم تدافع عن نفسها بكلمة.

-أتريدها أن تذل نفسها أكثر من ذلك .. لقد كانت مصـــدومة يارجل وأنت لم ترحمها قط.

اغلق عينيه بألم وهو يبعد الصوت القوي الذي تغلغل فيأعماقه بصواب ما تقول .. ولكنها اصرت ونادته بخفوت وحالما التفت اليها قالت:

-اذهب وابحث عنها .. ابحث عن الحقيقة ثيوس.

اسقط في يده وتصاعدت غصة في أعماقه وهو يتخيل اين عساها تكون طيلة هذه المـــدة وكيف تعيش من دونه وهو يكاد يموت من دونها .. تنهد بعمق ونظر الى ساقه التي تعوقه وفكر... سيذهب اليها حالما تتعافى ساقه سيذهب اليها وينزع منها اعترافها وسيعرف الحقيقة برضاها أو رغماً عنها...

-ثيوس؟؟

التفت لكاثي وقال لها اول ماخطر بباله:

-سالي حامل..

اتسعت عيناها من هول المفاجأة وهو يتمتم بخفوت:

-ولا اعرف ما أفعل؟؟

هتفت كاثي بسرعة:

-إياك ان تتخلى عن ساشا من أجل طفل لا تعرف ان كان سيرى النور أم لا.. اياك ثيوس.. سالي حملته وهي تعرف انك لن تتزوجها فلتتحمل نتيجة اخطائها بنفسها.

نظر اليها باضطراب وقال متلعثماً:

-وعائلتها ؟؟؟

قالت بتصميم:

-انها فتاة بالغة وراشدة .. وأنت لم ترغمها على شيئ... أرجوك ثيوس .. ساشا تحملت مافيه الكفاية فلا تدعها تتحمل ذنب اقترفته انت.

أغلق عينيه بألم ومضى يفكر .. كيف يحل هذه المعضـلة كيف؟؟

***

مضت ساشا تتأمل باقة الأزهار الضخمة التي أمامها بتفكير وكل زميلاتها في المكتب يرمقنها بخبث.. اسبوع كامل وهي تتلقى ثلاث باقات ضخمة يومياً.. واحدة في الصباح تجدها على طاولة الافطار قبل أن تغادر الى عملها .. والثاني تصلها الى المكتب في تمام الثانية عشرة... والثالثة تصل الى منزلها عند المساء... وكلها تحمل توقيع واحـــــد ... براد.

في الايام الاولى كانت ترميها في سلة القمامة ولكنها في الاونة الاخيرة... كانت تجلس للتتأملها بالساعات... وتفكر بلا توقف.. ارسل لها مرة انه لايبغي حبها .. ليس الان وكل مايريده هو ان يعيد الايام الخوالي حينما كانا مجرد صديقين تشاركا كل شيئ.. يعيدها الى الحياة ...

هي لايمكن ان تنكر ان صحبته كانت مسلية.. كان يعرف بالضبط ما تريده وما تحتاجه.. ويقوم به من دون نقاش..

براد كان صديقها الحميم قبل ان يطلب يدها للزواج وتتفاقم المشكلة بينهما... وهي تحتاج للاصدقاء الان .. في غياب ماري وسفر داني الوشيك الى فرنسا في رحلة للجامعة للتبادل الثقافي تستمـــر لفترة شهرين.. كل هذا جعلها تعرف انها بحاجة اليه ..

بحاجة صداقته التي يعرضها عليها...

تنهدت بضعف وهي تسند رأسها الى يدها والدوار يشتد مهاجماً اياها.. هذا الدوار الذي لا ينفك يصيبها يومياً.. وفقدان الشهية الذي صار ملازماً لها ... غثيان الصباح الذي لا يزال يوقظها من نومها ويؤخرها عن عملها.. ماذا تفعل مع كل هذا..

أخذت نفساً عميقاً والتقطت هاتفها المحمول لتتصل به وقد اتخذت قرارها .. ستعود الى صداقته.. ولكن بشروطها هي..

حالما رفع سماعة الهاتف حتى قالت بصوت حازم:

-انا ساشا.. اريد ان نلتقي براد...

صمت طويل قبل أن تسمع تنهيدة خافتة وصوت يقول بخفوت:

-انا رهن أمرك..

تنهدت هي الاخرى وقالت بعد ان بلعت ريقها بصعوبة:

-سأنتظرك في منزلي.. عند السابعة لا تتأخر.

ولم يتأخر.. في الموعد تماماً سمعت رنين جرس الباب.. فتحت له ووجدته واقفاً بكامل أناقته المستفزة..

وقد وقف لا يكاد يطيق صبراً على الانتظار ويداه خلف ظهره وحالما رآها مد يده لها بباقة ضخمة من ورود حمـــــراء.. وهو يقول:

-انها عربون الصداقة ..

تأملت الباقة متشككة الا انها افسحت له بالدخول وقالت:

-علينا ان نتكلم قبل اي شيئ.

انحنى بحركة مسرحية وقال بابتسامة ساحرة:

-وأنا رهن اشارتك يا عزيزتي.

ابتسمت رغماً عنها ورافقته الى غرفة الجلوس وهي تقول:

-لقد وافقت على ان نبقى اصدقاء براد .. وهذا فقط لذا..

التفت اليها وامسك يديها بين يديه وقال ناظراً في عينيها بعمق:

-اطلبي مني ماشئت وانا رهن اشارتك ساشا.. ما اريده هو فقط أن اكون الى جوارك.. وأن اعتني بك وأن نعود كما كنا منذ زمن.

سحبت يديها من بين يديه وتفادت عيناه الجسورتين وقالت متلعثمة:

-لنبدأ بالمهم اولاً.. لا أزهار .. لا في المنزل ولا في العمـــل.. نهائياً..

ابتسم قائلاً:

-كما قلت لك .. طلباتك أوامر.. لا أزهار يعني .. لا أزهار.

ابتسمت له وقالت:

-والان اجلس .. سأحضر القهوة ونتناقش على الباقي..

كانت الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل حينما غادر براد.. طالت السهرة وتذكرا الايام الخوالي.. ايام الصبا والشقاوة ..

لم يذكرها بثيوس ولم ترد ان تتذكر... لم يتحدثا عن الحب .. الغيرة أو سبب الانفصال.. تحدثا عن كل شيئ أخر...

تعشيا معاً بعد ان طلبا طعاماً سريعاً من الخارج .. وبعد ان انتصف الليل أعلن هو ان الوقت حان لانصرافه..

راقبت سيارته الجاغوار تنهب الارض بانصرافها وابتسمت ...

رنين الهاتف انتزعها من النافذه فذهبت تلتقط السماعة ببطئ ولكن دنياها اشرقت وهي تسمع صوت ماري المتفائل.. تسائلت بدهشة:

-يالهي ماري .. اشتقت اليك كثيراً .. كيف عرفت رقم هاتفي؟؟

تنهدت ماري وهي تقول بصوت شاحب:

-من امك .. لقد وصلت الى لندن منذ ثلاثة ايام وكنت اعد العدة للذهاب الى سوفيرا للقائك .. حين قال لي مارك انك وثيوس... كدت اقتله لعدم اخباري منذ البداية و..(ولم تكمل بل أجهشت بالبكاء وهي تقول) يالهي ساشا ماذا فعل بك ذلك الوغد؟

أغمضت ساشا عينيها وقالت:

-ماري عزيزتي .. اهدئي.

-لن أهدأ قبل أن اعرف ماذا فعل بك.. أخبريني ساشا ..أرجوك.

أخذت ساشا نفساً عميــقاً ومضت تحكي لها عمّـــــا حدث.. منذ البداية .. وبعد ما يقارب نصف الساعة كانت ماري تغرق بي بكاء عنيف في حين شخصت عينا ساشا بلا دموع وهي تتمتم:

-لا تبكي ماري .. انا نفسي لم أبكي..

-يالهي ساشا .. كيف فعل بك هذا .. كيف يصدق انك قد تفعلين شيئاً قذراً مثل هذا؟؟ كيف؟

-لقد انتهى الامر ماري .. تركته ولن أعود ...

-لماذا لم تبحثي عن السبب.. لماذا لم تبحثي عن روني وتعرفي الحقيقة كل الحقيقة منه؟

ابتسمت بسخرية وقالت بلا مبالاة:

-وما الفائدة... لقد انتهينا ولا فائدة ترجى من بقائنا معاً.. لقد انتهت الثقة وانتهى معها الحب..

-لا هذا لا يعقل انتما مجنونان لقد مضى مايقارب الشهرين .. ألم يحاول الاتصال بك ؟

-كـــــــلا. قالت باقتضاب.. فهتفت ماري ساخطة:

-الوغـــــد.. ساشا انا آتية اليك.

بقدر ما اسعدتها العبارة الا انها قالت:

-ماري حبيبتي.. لاتفعـــ...

-بلى انا اتية اها فرصة لأرى امريكا على كل حال.. سأتصل بك واعلمك بالموعد ولن أقبل منك اية اعذار لعدم استقبالي.

ابتسمت ساشا وارادت ان تأخذ ماري في عناق قوي تشكرها فيه بقوة...على الاقل ستجد كتفاً يسندها في الايام القادمة ولم تكن تعلم كم ستحتاجها..

***

تشنجت سالي بقوة وأغلقت كفيها على راحتيها حتى أدمتها وهي تقول لثيوس:

-لا تفعل بي هذا .. أرجوك لا تفعل ..

غمغم ثيوس بهدوء:

-يجب ان اذهب.. يتطلب العلاج ان اسافر الى الخارج.

-دعني ارافقك.

-كـــلا .. لا تنسي انني متزوج وانك حامل.. كيف نسافر معاً؟؟

-وتتركني هنا وحدي اواجه والدي وعائلتي والجميع..(صاحت بهستيريا فقال ولم يتخلى عن هدوئه :(

-سوف تبقين هنا برفقة عائلتي وهذا اعتراف مني بأبوته .. ولا تطلبي مني أكثر سالي.. سأرحل الى فرنسا بعد اسبوعين وسأبقى هنا حتى انتهاء العلاج .. اتفهمين؟

قالها وانصرف من غرفتها وهو يشعر لأول مرة في الفترة الاخيرة بصواب ما عمله.

***

وصلت ساشا الى المنزل ظهر اليوم التالي وهي لاتكاد تستطيع الوقوف.. كان التعب يقتلها والدوار لا ينفك من رأسها.. استلقت على الفراش وطعم المرارة في فمها .. لم تأكل شيئاً منذ الصباح.. والان كانت الساعة تقارب الخامســة ... كان الغثيان يدمر شهيتها باستمرار ...

أغمضت عينيها وهي تتذكر قول احدى زميلاتها بأنها قد تكون حاملاً... ضحك الجميع باعتبار انهم لم يرو اي دليل على وجود رجل في حياتها سوى باقات الورد والتي توقفت منذ الامس... ولكن ساشا لم تضحك.. بل تملكها الذعـر وفكرت... ماذا لو؟؟؟

انتابتها القشعريرة وهي تفكر انها قد تحمل طفله .. لم لا ؟؟ لقد عاشا معاً لشهرين تقريباً كزوج وزوجـــة... ماذا يمنع ان تحمل بطفله؟؟

لا.. لا هتفت من اعماقها .. أرجوك يالهي .. لا..

أخرجت العلبة المستطيلة من حقيبتها وقد اشترتها من الصيدلية بجوار محطة قطار الانفاق.. وفضتها تقرأ طريقة الاستعمال بقلب راجف راج أن تكون كل شكوكها باطلة ... وان تكون مجرد عدوى معوية بسيطة.. وليس طفل .. ليس طفله.

عاد داني من الجامعـــة عصر ذلك اليوم مبكراً عن موعده ودخل الى المنزل وهو يتوق لفنجان من الشاي مع الليمون حينما سمع ذلك الصوت ...

انتفض وهو يسمع صوت تحطم الزجاج والصراخ الهستيري.. فلم يهتم باغلاق الباب واندفع الى غرفتها بسرعة وشهق بعنف وهو يراها قد حطمت معظم محتوياتها وهي تصرخ بجنون وترمي بكل شيئ الى الحائط المسكين وتصرخ بكلام لم يفهم منه اي شيء فاندفع نحوها وأمسكها بقوة وهو يصيح:

-توقفي ساشا هل جننت توقفي.

ولكنها ظلت تحاول الخلاص منه وهي تصرخ بهستيرية:

-لماذا لا يتركني بسلام.. لماذا لا يعتقنـــي منه؟؟

حاول تهدئتها وهو يرى وجهها المبلل بالدموع:

-ساشا اختي الحبيبة اهدئي .. سيكون كل شئ على مايرام.. اهدئي.

-لا لن يكون اي شيئ على مايرام... انه لا يتركني لحالي.. لا يتركني لحالي..

أجلسها داني على الرغم منها على الارض وهو يصرخ:

-اهدئي الان واخبريني عمّن تتكلمين.. أهو ثيوس؟؟ ماذا فعل بك؟

انخرطت في بكاء عنيف وكأن كل الدموع الحبيسة بداخلها منذ انفصالها عنه قد قررت أخيراً الهروب من سجنها وتوالت شهقاتها وهي تقبض يديها بقوة ولا تجيب وحار داني بما يفعل ومن خلفه تصاعد صوت براد الجزع:

-ماذا حدث؟

التفت اليه داني وقال بارتياح:

-براد تعال وساعدني..

اندفع براد وحملها بين ذراعيه بخفة ليضع جسدها المنتفض على السرير وهو يقول بعصبية:

-ماذا حدث؟

-لا أعرف عدت لأجدها هكذا ..

كانت ساشا تهذر غير واعية وهي تبكي بلا توقف:

-لا أريده .. أخرجوه مني.. ابعدوه عني أريد ان ارتاح .. ارجوك .. ارجوك..

تبادل براد النظرات المتسائلة مع داني الذي هز كتفيه بحيرة فمال عليها براد يسالها بحنو:

-ماذا هناك ساشا أخبريني عزيزتي؟؟

لم تجبه بل فتحت يدها بضعف ليسقط جهاز كشف الحمل المنزلي منها .. واتسعت عينا براد وداني وهي تتمتم:

-ارجوك .. انا لا أريده .. لا أريده ..

تامل براد الجهاز يشير بعلامة ايجابية لفحص الحمل وابتعد عنها بذهول بينما قال داني مشجعاً لها:

-ساشا .. ألا تريدين الطفل يا شقيقتي؟؟ كيف ذلك يا اختي؟ ماهو ذنبه؟

انهمرت دموعها وقالت تنتحب:

-وماهو ذنبي انا!! ... قلي ماذنبي أن احيا وبداخلي جزء من رجل لا اريد أن اذكره؟؟.. كيف انساه الان وجزء منه في أحشائي !!.. كيف اتخلص من ذكراه وكل حركة من طفله ستذكرني به؟؟ كيف أمضي من دونه وابنه يشاركني كل ايامي؟؟ قل لي كيف؟؟

تسمر داني وهو يسمع نشيجها وبكاءها .. تسمر وهو غير قادر على رد اي من تساؤلاتها..

***

مدينة ليـــــون / فرنســا..

بعد ثلاثة أشهــر..

تفادى داني جماعات المحتفلين بانتهاء الانتداب الطلابي وهو يضحك بسرور.. أخيـراً سيعود الى الوطـن .. بعد شهرين قضاها في ليون بفرنسا.. هو لن يتذمر كانت الرحلة من أروع ما يكون.. ولكنه اشتاق لأسرته.. وبالأخص لشقيقته ساشا ..

كانت الشوارع شبه خالية في هذا الوقت المتأخر ولكنه تهادى في مشيته وهو ينظر الى واجهة المحلات المغلقة .. كان الشراب الذي احتساه طيلة السهرة يلعب برأسه لهذا قرر التوقف في احدى المقاهي وشرب كوب من القهوة قبل العودة لانهاء بحثه التخصصي ...

مر الى جوار مقهى يوناني قديم به القليل من الرواد فدخل اليه بسرعة .. تلفت حوله ثم عقد حاجبيه ... تأمل الرجل الجالس في زاوية بعيدة مليّاً قبل ان يتنفس بغضب وهو يقول:

-لا أصدق حظي...

واندفع نحو الرجل الذي كان ينظر من نافذة المقهى الى النهر المتدفق الى جواره .. غارق في مشاعره دون ان شعر بشيء ولكنه التفت بدهشة حين سمع لهجة امريكية صرفة تصفه بالجبن بعنف ولم يكمل التفاتته فقد هوت لكمة قويه وقعت على فكه وأسقطته من على كرسيه بدوي عنيف وداني يصرخ بغضب:

-ايها الجبان .. وقعت بيدي..

تامل ثيوس داني شقيق ساشا المشرف عليه وهو ملقى على أرض المقهى ودار رأسه من الارتباك.. ماذا يفعل هذا الولد هنا.. وكيف يجرؤ على ضربي هكذا.. واندفع واقفاً وأمسكه من تلابيبه بقوة وقال بصوت هادر:

-كيف تجرؤ يافتى؟؟

لم يابه داني لشكل ثيوس المرعب وقد انزاح الشعر عن جبهته وظهرت ندبة طولية عليه وذقنه النامية تزيد من خشونته وقال بتحدٍ وهو يمسك بتلابيبه هو الأخر:

-بل كيف تجرؤ أنت على ايذاء شقيقتي؟ كيف تجرؤ على اتهامها بكل تلك التهم الباطلة ؟؟ وطردها ايضاً؟

لم يأبه ثيوس لأي كلمة قاللها داني بعد ذكر ساشا فسأله ولهفته تنضخ من عينيه:

-انت تعرف اين هي؟؟

اتسعت عيناه بدهشة وهو يرى كم اللهفة في عيني ثيوس وهو يسأل عنها فتركه وقال بحيرة:

-هل تريد ان تعرف اين هي؟

تنهد ثيوس ونسي قتاله معه وتركه هو الاخر وقال بيأس:

-بحثت عنها طويلاً.. اسابيع عديدة مرت علي وانا ابحث عنها في كل مكان دون جدوى .. لا أحد يعرف اين اختفت.. حتى امك رفضت الكلام معي.

تنهد داني وقال له:

-لنجلس فسيطول الحديث.

وحالما جمعتهما الطاولة وسط نظرات الزبائن المدهوشة من هاذين المتصارعين اللذين جلسا معاً كصديقين حميمين ..

رمقه داني بتوتر وبعد لحظة صمت والعينان الحادتين لا تهربان منه قال:

-ماذا تفعل هنا؟

صمت ثيوس ولكنه عاد ليقول:

-لقد جئت منذ ثلاثة اسابيع .. (ثم أشار الى ساقه المصابة وأضاف) لقد أجريت عملية أخرى لساقي ..

نظر اليه داني وقال:

-متأسف لقد علمت بما حصل ... أأنت بخير الان؟

-أنا بأفضل حال.. أستطيع المشي عليها دون عرج.. ولكنها لا تزال ضعيفة بعض الشيئ..

-أتمنى أن تعود لسابق عهدها و...

قاطعة ثيوس بحـــدة:

-ألن تكف عن هذا الحديث المنمق وتخبرني عن زوجتي..

-الأن فقط تذكـــرت... انـها بعيدة عنك منذ مايقارب الاشهر الخمسة..

-بحثت عنها طويلاً .. لم أجدها (قالها ثيوس بمرارة.. وهو يتذكر الليالي الصعبة والأيام البطيئة التي لاتمضي..) بحثت مطولاً بلا فائدة.. لم أعد اهتم انها افشت الســـر.. كل ما يهمني هو أن اجدها .. وبعدها ارتاح.

تنـهد داني وقال بفروغ صـــبر:

-ساشا لا يمكن أبداً أن تفشي سرك.. مطلقاً.. عليك بالبحث عن الحقيقة قبل أن تتجرأ وتذهب اليها..

-قلي فقط أين هي وأنا اتكفل بالباقي ..

مط داني شفتيه وفقط لعلمه ان شقيقته لن تهنأ بحياتها من دون هذا الرجل وبالذات انـها تنتظر طفله فقد شرع يقول له بالضبط اين يجدها.. وبالتفصيل.

في الطرف الاخر من العالم كانت ساشا تتحسس بطنـها التي برزت قليلاً في الشهور الماضية.. تأملت بطنـها في المرآة وملامح وجهها المنتفخ قليلاً.. وتنـهدت والتفتت الى الباب وابتسمت لماري الواقفة تتأملها بحنان وقالت لها:

-هل نمت مطولاً؟؟

دخلت ماري وقالت متثائبه:

-لايزال الوقت مبكراً ... هل نمت جيداً؟؟

أومأت ساشا ونظرت الى صديقتها بامتنان وهي تتذكر الشهور الماضية.. فبعد ان عرفت بحملها اصيبت بانهيار عصبي حاد ولولا وقوف ماري التي وصلت الى بوسطن بعدها بأيام ووجود براد وداني معها لكانت خسرت اكثر من مجرد اعصابها..

ومنذ ذلك الوقت وماري تقطن معها وقد تعاقدت مع معرض لوحات لاقامة معرض لها بعد فترة... وهاقد مرت الايام وساشا تتعلق يوماً بعد يوم بجنينها الذي ينمو بداخلها وأصبحت لا تعيش الا لرؤيته ...

تقدمت ماري وجلست على الفراش وهي تسألها:

-كيف حالك هل عاودك الالم؟

هزت رأسها نافية فسألتها ماري:

-أخبريني انت تقريباً في شهرك الخامس اليس كذلك؟؟ ان بطنك بالكاد ترى.. أتحملين قزماً؟؟

ضحكت ساشا بجذل وقالت:

-قال لي الطبيب ان بعض النساء هكذا لا يلاحظ عليهم الحمل الا متأخراً.. ولكنه طمانني ان كل شيئ على مايرام.. ثم ابتسمت وقالت:

-لقد تحرك البارحة..

اتسعت عينا ماري وقالت:

-هل ركلك؟؟

ضحكت ساشا بنعومة وقالت:

-كـــــــلا .. انها حركة مميزة.. اتعلمين..(ثم شردت ببصرها وقالت ساهمــة) تشبه رفرفة جناح الطير.. وكأنه عصفـور صغير تحتويه بين كفيك.. فيرفرف بجناحه ويدغدغك.. هي بالضبط كهذا..

عقدت ماري حاجبيها وقالت مبتسمة:

-تبدين سعيدة اليوم... هل حلمت بشيئ جيد؟

استلقت ساشا على الفراش الى جوارها وقالت وهي تعصر مخها لتتذكر الحلم الذي يداعب خيالها بريش نعام مغوي:

-لا أتذكره ولكنني لم أكف عن الابتسام منذ استيقظت.. وكأنه توقع أكثر مما أن يكون حلماً.. اشعر بأن شيئاً رائع سيحدث اليوم ولا أعرف ماهو؟

ضحكت ماري وقامت بسرعة:

-علي الذهاب انتي تؤخريني لدي عمـــل ولا استطيع التأخر.

قهقهت ساشا قائلة:

-يالهي من يسمعك يظنك ذاهبة الى مدينة بعيدة.. مركز عملك يكون في الغرفة المجاورة ماري.

ابتسمت ماري:

-صحيح.. ان مرسمي هنا ولكنني ما ان ادخل لا أريد ازعاجاً لوسمحتي.

-لا تقلقي.. آآه.

تأوهت وهي تمسك بطنها الصغير فأسرعت ماري اليها متسائلة بقلق:

-ساشا هل أنت بخير؟؟

-انها تلك الرفرفة .. لقد ازدادت الان.. أشعر به متوتراً ..

وضحكت على سخافتها وماري تشاركها ضحكها..

***

كانت سيــارة الاجرة تنهب الأرض نهباً في الطريق من مطار بوسطن الى وسط المــدينة وبداخلها كان ثيوس ..

أرجع رأسه الى الوراء وهو يتذكر لقائه بداني قبل ثلاثة ايام.. في البداية كانت الامور بينهما متوترة واجهه بالعديد من الاتهامات واستحمل ثيوس ولم يناقشه .. ولكن بعد ان سمع وجهة نظره ورغم

عدم استساغته لأعذاره الا ان داني اعطـــاه بعض العذر وخصوصاً انه جند اصدقائه للبحث عنها ...

وبعد وعد من ثيوس انه سيحاول البحث عن الحقيقة اعترف له داني عن مكان ساشا.. وأعطاه العنوان بالتفصيل.. وهاهو الان ذاهباً اليها..

ولكن كان هناك شيئ ينغص عليه ... شيئ حدث في المطار قبل مغادرة طائرته من ليون الى بوسطن.. كان يشرب القهوة في الكافتيريا حين التقى جينا لوبان... صديقة أليكس القديمة.. كانت الصدمة في وجهها عنيفة حين أخبرها عن موته.. بكت طويلاً بين ذراعيه قبل أن تقول بصوت متهدج:

-لقد رايته منذ فترة .. في باريس.

-باريس؟؟ ماذا كان يفعل في باريس؟

قالها ثيوس بتساؤل فأضافت السيدة الفاتنة:

-لا أعرف .. حاولت التكلم معه ولكنه كان في عالم آخـــر ...

رأت التساؤل في عينيه فأضافت بكره:

-كان مع امـــرأة .. يتمشى في الشانزليزيه ويعانقها على الملأ.. كانا عاشقين.

عقد ثيوس حاجبيه وقال:

-أتقولين ان هذا حدث قبل الحادثة بفترة..

-نعم ربما قبلها بشهر.. تقريباً ..

-لم يخبرني.. قط.. ربما كانت علاقة عابرة.

هزت رأسها نافية وقالت بتصميم:

-لا كانت تبدو أكثر من هذا ... لقد كانت المـرأة مألوفة لدي.. ولكنني لم أتذكرها في وقتها.. وبعد ذلك تذكرت.

-مـــن؟؟ هل أعرفها؟؟

ضحكت بسخرية قائلة:

-انها صديقتك السابقة يا عزيزي .. تلك الفتاة المدللة من عائلة ســـــوس.

اتسعت عينا ثيوس وتدلى فكه السفلي بغير تصديق وجينا تواصل:

-حينما عرفتها ذهبت الى الشقة التي تملكها في باريس والتي تناولنا فيها العشاء منذ زمن .. أتذكر؟ .. سألت الأمن في المبنى وقالو لي أنهما يقيمان معاً منذ وصولهما.. أتبدو تلك علاقة عابرة برأيك؟

تركته بعدها وهي تعده بالاتصال به فيما بعد وأسرعت للحاق بطائرتها وتركته يغلي.. مالذي يعنيه هذا .. سالي وأليكس؟؟ كيف يعقل... كيف؟

تنهد مجدداً وانتبه الى السائق الذي أشار الى مجمع سكني به العديد من الشقق وسط حديقة خضـراء فاتنة وتوقفت السيارة والسائق يقول:

-هذا هو العنوان ايها السيد.

ترجل ثيوس من السيارة ومضى ينظر الى الشقق الفاخـرة وتمالك أعصابه بقوة وهو يدلف الى البهو محاولاً السيطرة على دقات قلبه المتصارعة..

لن يفكـر الان بسالي او غيرها ليس قبل ان يعيد زوجته التي يحب الى مكانها معه الى الأبد..

ضغطت ساشا على عينيها بقوة وهي تدمع من كثر التركيز على الكومبيوتر وهي تكتب مقالتها الجديدة... وشعرت بالعطش الشديد تأملت الساعة التي تشير الى دقيقتين ماقبل الخامسة مساء وتنهدت مبتسمة وهي تتذكر لحظات من الحلم ..

كانت جالسة هكذا والساعة الضخمة تعلن دخول الخامسة بدقاتها الرتيبة وقبل الدقة الأخيـرة كان الباب يفتح.. لم تعرف من خلفه ولكنها عرفت ذلك الفرح الرهيب الذي اجتاحها ..

انتفض جسدها بقوة وهي تسمع الطرقات على الباب.. وتزامنها مع الدقات الرتيبة للساعة.. تملكها خوف شديد لا علاقة له بالفرح الذي انتابها في الحلم ..

كانت ماري قد خرجت للتنزه بعد نهار طويل في الرسم ربما هي؟؟ تسائلت ولكنها عادت لتنفي وهي تقول لنفسها .. لديها مفتاح.. ربما براد؟؟ بالتأكيد هو براد ..

نهضت من مقعدها واختارت ألا ترتدي حذائها المنزلي وقد تورمت قدماها بفعل الحمل.. واختارت المشي حافية القدمين على الارض الباردة وهي تصل الى الباب.. نظرت عبر الثقب ولكنها لم ترى أحداً.. عقدت حاجبيها وكادت تعود ادراجها لولا أن تكررت الضربات مجدداً..

تنهدت وقالت لنفسها (كفي عن السخافة ساشا لابد انه براد(

وفتحت الباب قليلاً لتلقي نظرة وهي تضع سلسلة الامان..

عاود ثيوس ضرب الباب الخشبي بقبضته وكفه الاخر يرتاح على ثقب الباب حتى لا يتسنى لها الهرب منه.. وكان واثقاً من هروبها.. هو يعرف عنادها وصلابة رأسها ..

وفتح الباب بعد لحظات ومن الشق الصغير رآها.. تنظر اليه وقد اتسعت العينان الزرقاوان بذهول ورغماً عنها تراجعت عن الباب.. حاول ثيوس الدخول ولكن الباب كان مؤمناً.. فقال لها بصوت متخاذل:

-افتحي الباب..

انتبهت ساشا الان فقط للباب.. فأسرعت لتغلقه من جديد.. بقوة وهي تستند اليه وتشهق بقوة وصدرها يعلو ويهبط بسرعة كبيرة وهي تتذكر تلك النظرة في عينيه ..

نظرة أعادت الحياة بقوة الى جسدها الواهن.. وأصبحت كل شراييـنها تنبض بفعل ذلك الشوق المجنون الثائر في عينيه.. كيف يمكن أن يفعل أي رجل بامرأة ما يفعله بها ثيوس.. ليس عدلاً ..

الأن .. الأن فقط عرفت معنى أن يكون المرء حياً.. هذه الدماء التي تجري في عروقها وقلبها الذي تذكــر أن يخفق بنظرة من عينيه.. كانت ميتة .. وقد أعادها للحياة..

أغمضت عينيها وعضت شفتيها وهي تسمع صوت ضرباته على الباب وهو يطالبها بفتحه بجنون.. ولكنها قالت صارخة:

-ارحــل .. ارحل عني.

-افتحي الباب ساشا .. افتحيه أو اقسم اني سأحطمه..

هزت رأسها بعنف وهي تصرخ:

-إن لم تغادر الأن سأستدعي الشرطة..

-افعلي مايحلو لك وقبل ان تصل ساكون بالداخل ولن يصيبك خيراً.. افتحي الباب الان ودعينا نتكلم.

قالها بصوت عالٍ وأيقنت ان سرعان ما سيتصل أحد الجيران بالشرطة.. ولكنها لا تريد الفضيحة ليس هنا..

تلفتت حولها وتأملت نفسها انها ترتدي ثوباً قديماً صار ضيقاً عليها بعد ان ازداد وزنها بفعل الحمل وبالكاد اغلقت أزراره العلوية ولكنه انسدل واسعاً بعدها ليخفي حملها .. كان شعرها مشعثاً ووجهها خالٍ من المساحيق عيناها لامعتان .. فأخذت نفساً عميقاً وقررت ان تفتح الباب..

تصاعد الغضب بداخله وهو يراقب الاعين الفضولية التي تراقبه من الشقق المقابلة وبالكاد سيطر على اعصابه .. وتنهد بارتياح والباب أمامه يفتح ببطء .. رآها واقفة تنظر اليه بعينين متقدتين وهي تقول بصوت من جليد:

-ماذا تريد مني؟؟

لم يعرف ماذا يجيب.. كل ما استطاع فعله هو التسمر ناظراً اليها.. التهم كل تفاصيلها.. عيناها وجهها شفتيها المكتنزتين بشرتها الثلجية وجسدها الذي ينتمي اليه..

لم يرد الا أن يأخذها بين ذراعيه يريها ما افتقدته في الأشهر الماضية.. يريها كم اشتاق اليها .. كم يحبها مهما حدث.. أراد ان يخبئها عن كل العيون .. رأى ما فعلت بشعرها فقال بحنق:

-شعرك؟؟

مدت يدها الى خصلاتها القصيرة وزمت شفتيها بغضب قائلة:

-ماذا تريد ثيوس...

يالهي.. كيف استطاعت ان تنطق اسمه.. كيف غادر فمها بكل تلك السهولة بعد شهور من الانقطاع .. غادرها بسهولة وكأنها لم تكف عن ترديده منذ نعومة أظفارها.. اسم ينتمي اليها وتنتمي اليه.

تجاهل ثيوس وقفتها امامه واسرع الى الداخل وهي تتراجع عنه بذعر وأغلق الباب خلفه ووقف مستنداً اليه وطفق ينظر اليها قبل ان يقول:

-يجب ان نتكلم؟

ابتلعت ريقها بصعوبة ولم تجبه فاقترب منها وقال:

-أين كنت طيلة الفترة الماضية؟

-وهل يهمك .. قالتها بألم رغم عنها . وأضافت : ألم تطردني من حياتك وتنعتني بالخائنة.. ؟؟

-ساشا .. (اقترب يمسكها من كتفيها وأكمل) ارجوكي اسمعيني.

نفضت كفيه عنها وقالت صارخة:

-اسمع ماذا.. ثيوس.. ماذا تريد مني؟

-اريدك ان تعودي... أنا احبـــك.. (قالها بلهفة متجاهلاً كل ماحدث(

-أي حب هذا.. (بمرارة(

-ماذا تعنين؟

-ماهـــو الحب الذي تبحث عنه؟ الحب الذي رميته بعيداً عنك كأنه جيفة عفنة؟؟ قلتها مراراً قبلاً ثيوس .. ثم دست على الحب وكل شيء في طريقك .. أين ثقتك بي؟؟ أين الوعود بحب يظل الى الأبد.. رميتها وراء ظهرك .. طردتني من حياتك..

-ســـاشـــا...

قاطعته بهستيرية:

-اسمعني جيـداً .. لقد طلبت مني الرحيل مرة ورحلت .. غادرت الى غيـر رجعة.

-واريدك أن تعودي ..

ضحكت بسخريه مريرة:

-أعود؟؟ الى أين والى من؟؟

-إلي أنا الى الحـــــ...

-إياك .. إياك أن تنطقها ثيوس.. أي حب هذا؟ لقـد سخرت من كل ما جمعنا معاً يوماً .. سخرت مني ورميتني.

-هذا غير صحيح.

اقتربت منه وقالت بقسوة وهي تنظر الى عينيه:

-لمـــاذا صدقتهم جميعاً وكذبتني أنا ؟؟ انا الوحيدة التي كان يجب أن تصدقها .. كما صدقتك أنا...(أخفض عينيه هرباً من عينيها فواصلت بألم) كذبتني واتهمتني بأبشع التهم.. وتريد الان الحـــب؟؟

-ساشا انا .. لقد أخطأت وسأعرف الحقيقـــ...

-الحقيقة أولاتزال تبحث عنها.. انا لايهمني ان تعرفها اولا .. لقد انتهيت من حياتي ثيوس .. انتهيت الى الأبد.. (صرختها بقوة وأضافت) لقد آذيتني بقوة آلمتني.. وشقني الألم نصفين تركتني مقطوعة الانفاس كالغريق..

اقترب منها ولامس وجهها وهو يقول هامساً:

-سامحيني.. ساشا أتوسل اليك.

أبعدت يده عنها بقسوة وصاحت:

-أسامحك؟؟ علّام .. على الجرح الذي جرحتني عمّاذا تريدني أن اسامحك .. عن قتلك كل المشاعر التي نمت بيننا؟؟ اسامحك على ماذا؟ على زرع الأمل في قلبي... أم على اجتذاته من جذوره .. أسامحك على الحب الذي وعدتني به أم على الغدر الذي لاقيته منك أسامحك على كل ماحل بي.. كدت أموت بسببك .. وبعد هذا تطلب السماح مني؟؟

كانت كلماتها تقطر حسرة والماً لم يصدق انه يصدر عنها .. يألهي أتكرهه الى هذا الحد.. الا انه لم يتوقف لقد أخطا بحقها وعليه أن يتحمل كل شيئ فقد عرف الان فقط انها لايمكن أن تخونه وأن هناك خطا صمم بكل قوة على معرفته... وقبلها عليه أن يكسب حبها من جديد.. فقال بتوسل:

-ماأريده هو انت حبيبتي.. ساشا زوجتي.

جمدت النظرة في عينيها وقالت ببرود:

-اذا كنت تبحث عن ساشا الساذجة التي وقعت في حبك يوماً وتخلت عن كل ماعاشت لأجله من أجل رجل لا يستحق.. فهي لم تعد هنا.

ابتلع الاهانة وقد بدأ مستوى الغضب يرتفع والدماء تغلي في شرايينه:

-أنت هنا أمامي فكفي عن هذا الجنون.

قالت ببرود متجاهلة النار التي تستعر في عينيه:

-أنا لم أعد ساشا اللتي كنت .. لم أعد تلك الغراء التي فتنت برجل ليس مثله أي رجل.. وبكل قسوة اكتشفت على يديه .. انه كآلاف غيـــره مجرد رجل... ساشا تلك انت جرحتها .. وأنا وجدتها مرمية تنزف حبك من جروحها .. هناك على شواطئ سوفيرا.. فدفنتها .. ورحلت من دونها .

رات النظرة في عينيه وانفاسه التي تلاحقت وبالكاد تحكمت بدموعها وهي تقول وغصة لم تسيطر عليها حشرجت صوتها:

-اذا كنت حقاً تريدها فاذهب الى هناك.. عد الى سوفيرا وابحث عنها علّك تجد أثراً على الرمال يرشدك الى مكانها... والان ثيوس .. ارحل ..

رفعت ذراعها وهي تشير الى الباب وتصرخ بهستيرية:

-أرحل عني ..

ولكن ثيوس كان أبعد من أن ينفذ لها ما تطلبه .. كان يعرف ان كل هذا الكلام يصدر عن قلب مكسور معذب.. ولكن في اعماقها كانت تحبه يستطيع ان يشعر بحبها يشع من كل جزء في جسدها لهذا قال وهو يتقدم نحوها:

-انت تحبينني..

وقبل ان تعترض بكلمه هجم عليها يغيبها في عناق شلها من المفاجأة.. ذراعاه كانتا حانيتين .. ناعمتين احاطتا بها برقة ولوهلة استكانت بين ذراعيه وهي تتذوق طعم عناقه بعد حرمان طويل ..

ولكنها سرعان ما تيقظت.. كلا .. لن يستخدم ضعف جسدها لصالحه مطلقاً .. ابعدته عنها بدفعة قوية من يديها وهربت شاهقة الى غرفتها.. دخلت وأسرعت باغلاق الباب.. الا أنه كان اسرع منها ودفع الباب بقوة فتراجعت الى الداخل وصاحت:

-ابتعد عني.. اياك ان تقترب مني ثيوس.. اياك.

كانت النيران تلتهب في عينيه وهو يصرخ بعصبية:

-لا .. لا ساشا انت زوجتي وستكونين لي سواء شئت أم أبيتي.. أتفهمين؟

اتسعت عيناها وهي تتخيل ماقد يفعل.. وتذكرت طفلها .. قد يؤذيه فابتلعت ريقها وقالت:

-ثيوس لا تكن مجنوناً .. ان كنت تظن أن مهاجمتك اياي ستجعلني احبك واسامحك فأنت مخطء مجنون؟

ضحك بسخرية وهو يقترب منها وهو يفك أزرار قميصه بهدوء عاكس جنون صوته وعينيه:

-الجنون هو ان اتركك تفلتين مني زوجتي الحبيبة.. خمسة أشهر ساشا .. ياويلي كم كانت قاسية ..

ارادت التراجع عنه إلا أنه امسك بمعصمها بقوة وجذبها نحوه بقسوة وتجاهل مقاومتها وهو يعاود عناقه بوحشية..

بالكاد استطاعت التنفس وهي تبعد رأسها عنه لتصرخ بألم:

-ابتعد عني.. ايها المتوحش.

ثبت يديها خلف ظهرها بقبضته وأدار رأسها اليه بأصابعه وهو يقول بسخرية:

-انت لم تري الوحشية بعد ساشا .. فلا تستفزينني ..

نظرت اليه وقلبها الجبان يستسلم لدقاته العنيفة ومشاعرها الخائنة تذوب للمساته وقالت بشراسة:

-اكـــــــرهك..

ضحك بنعومة وهو يلاحظ ارتعاشتها بين يديه وقال واثقاً:

-كاذبة.. (ثم قال باستغراب) هل ازداد وزنك؟؟

جف حلقها ولم تجبه فقال ساخراً:

-لا يهم .. على العكس فأنت تبدين أكثر اثارة الان ..

همست مخنوقة بمشاعرها:

-وقح...

ضحك لها ورأت لمعان عينيه وذابت بها ورغماً عنها استسلمت لحبه الذي احتواها وطار بها بعيداً نحو عالم لم تعرفه الا معه وحده...

فتحت عينيها ببطئ وألقت نظرة على الرجل الراقد الى جوارها.. تسللت من بين ذراعيه وارتدت روبها المنزلي الضخم على عجل متجاهلة كل المشاعـــر التي تعصف بها وخرجت من الغرفة .. كانت الساعة تقارب السابعة والنصف ..

دخلت غرفة ماري وجلست على الأرض تلملم شتات مشاعرها العاصفة .. وطفقت تبكي بحرقة ..

يالهي كم تحبه .. استسلمت له بكل قوتها وبادلته حباً بحب بدون تحفظ .. شعرت بالسعادة ولم تهتم للماضي ..

شعرت بألم حاد أسفل بطنها فتأوهت بقوة وهي تتذكر الطبيب الذي نصحها بالابتعاد عن المجهود واتسعت عينها بذعر.. ماذا لو فقدت طفلها .. حينها لن تحتمل وستموت ...

سمعت صوت الباب يفتح وصوت ماري الضاحك وهي تكلم شخصاً ما وسمعت حينها صوت براد.. اتسعت عيناها وتذكرت ثيوس فاسرعت بالخروج اليهما..

رأتهما في الصالة وقالت ماري بمرح:

-التقيت براد على الطريق أحضرنا عشاء جاهـ...

وقطعت حديثها وهي ترى ملامح صديقتها الباكية وجسدها المرتجف.. فاقتربت منها تقول بقلق:

-ساشا ؟؟ هل انت بخير؟؟

اقترب منها براد وقال بهلع:

-أتتألمين يا عزيزتي..

كانت تضع يها على بطنها والالم يتصاعد فاحاطها بذراعه وهو يقودها الى مقعد قريب بحنان وتهالكت ساشا عليه وهي تستند الى

صدره تنشد منه الامان حين انتفض جسدها بقوة وهي تسمع صوت ثيوس يقول بسخرية:

-ماهذا الذي أراه... مرحباً بالاصدقاء القدامى..

التفت الجميع الى باب غرفتها حيث وقف ثيوس عليه كالجبل وقد ارتدى بنطلونه وأهمل اغلاق قميصه وملامحه تشي بما كان يفعل..

وتلقت من براد وماري نظرة ذاهلة وهي تشيح عنهما بخجل وثيوس يضيف بقسوة:

-ماري؟؟ .. وهذا هو العاشق المتيم.. أليس كذلك حبيبتي..

تمتمت بصعوبة:

-انا لست حبيبتك..

رفع حاجبه باستنكار وقال ضاحكاً بتشفي وهو يرى النظرة الذاهلة في عيني براد:

-لم تكوني تقولين هذا منذ ساعة مضت عزيزتي..

نظرت اليه بحقد فاقترب منها وقد عمت الغيرة عينيه وهو يراها تستند على براد وبكل قسوة جذبها من بين ذراعيه وقال وهو ينظر الى عينيها:

-أهذا من تتركينني لأجله..أهو من كان يخفف عنك قسوة الليالي ساشا.

اتسعت عيناها وقالت بألم:

-توقف .. انت لا تعرف ما تقول؟؟

شد على معصميها والتفت اليه قائلاً بصوت هادر:

-غادر.. الان.

الا ان براد ألقى نظرة على ساشا الضائعة ووقف بحزم قائلاً:

-لا .. انت من ستغادر هذا المنزل وفي الحال .. ألا ترى انك تؤذيها.؟؟

ابعد ثيوس ساشا عن طريقه بدون أن يترك يدها ووقف امام براد وقال بشراسة:

-ستغادر الان وانت محتفظ بكرامتك قبل ان ارميك خارجاً ..

-لا .. انت من ستغادر ثيوس..

قالتها بصوت خافت متخاذل وهي تجذب معصمها من بين يديه فالتفت اليها مصعوقاً فقالت بكل عزمها الذي حاولت جمعه:

-أنت من يجب أن يرحل ..

لمعت الدموع في عينيها واختفى الكل من حولها الا الرجل الواقف امامها وهو يقول:

-اتطردينني من أجله؟؟ بعد كل ماحدث؟

-ما حدث كان غلطة .. مثل كل ماجمعنا معاً ثيوس.. مجرد غلطة أخرى.

تصاعد الغضب في أعمــاقه فهجم عليها يهزها من كتفيها بقسوه وهو يصرخ عليها بكلمات لم تفهمها واشتد الالم وانتشر الى كل جسدها وتصاعدت من اعماقها صرخة قوية ما إن غادرت شفتيها حتى تهالكت فاقدة الوعي.. تحت قدميه..

كان ثيوس ينظر اليها مكومة تحته بذهول وقد تصلب من المفاجأة ورأى براد وماري يحوطانها وبراد يلتفت اليه ويقول بجنون:

-ايها المجرم لو أن مكروهاً اصابها لقتلتك..

وصاحت ماري بذعر وهي ترى خيط الدماء الذي انساب بين ساقيها :

-براد يجب أخذها الى المستشفى..

نهض براد بسرعة الى الهاتف ليطلب الاسعاف في حين التفتت ماري الى ثيوس الواقف ينظر الى الدماء بغباء ذاهل وقالت باكية:

-ساشا لن تسامحك قط لو أصاب طفلها منك مكروه.

طفـــــل... ساشا حامل ..ساشا تحمل طفله؟؟؟ تهالك على الأرض بالقرب منها واحتضن الجسد الشاحب بيديه وقال لماري بجمود:

-احضري مفاتيح سيارتك..

أخرجت مفاتيحها بأصابع ترتجف ولم يتأخر ثيوس بل أسرع بحملها وهو يندفع خارج الشقة متجاهلاً براد الذي صاح يمنعه .. ورافقته ماري.. مدد ساشا على المقعد الخلفي برفق وأجلس ماري الى جوارها وقال لها وهو يشعل المحرك:

-ارشديني الى أقرب ممستشفى..

وانطلق بالسيارة بجنون .. وعقله وعيناه معلقتان بالمرأة التي سرقت روحه وتسببت بعذابه وتسبب بعذابها.. وتمنى فقط ان يصل في الوقت المناسب.

نهايـــــــــة الفصل

قـــــــــراءة ممتعة

بيـــــــــرو

الفصـــل الخامس عشـــــــر

ســـــــارق الـــــــــروح

وضع ثيوس كأسه على مسند المقعد في الطائرة المتجهه الى لنـــــدن.. وأسند رأسه الى الخلف وأغلق عينيه وهو يتذكر اليومين الماضيين وكيف عاش في دوامة من رعب.. منذ رآها تسقط فاقدة الوعي أمامه وحتى نقلها الى المستشفى وهناك أمضى يومين من جحيم والطبيب مبقياً اياها تحت الملاحظة ... وهي تعاني من اجهاض وشيك...

ابتلع بقية مافي كأسه دفعة واحدة وأغلق عينيه والسائل المر يحرق حلقه وهو يتذكر هستيرية ساشا حين استيقظت وهي تطلب من الجميع اخراجه.. لم تكن تطيق النظر في وجهه... كانت هناك مع ماري .. وذلك الطفيلي المدعــو براد..

تنهد بجنون وهو يعصر الكأس الكريستالية بقوة وعيناه تتذكران المشهد الذي حدث البارحة.. وذهنه يمثله له بكل تفاصيله...

كان يجلس الى جوار سريرها وقد بقي الى جوارها بعد أن ذهبت ماري لاحضار الغذاء لها... كانت ساشا نائــمة ولم تلحظ دخوله مضى يتأملها بتركيز وهو يحاول فهم السبب الذي جعله يقع في حبها .. وكأنها مسألة رياضية صعبة ... كان يراقبها بأسى حين فتحت عينيها ونظرت اليه..

ابتلع ريقه بصعوبة واقترب منها وهو يرى النظرة الساهــمة في عينيها وقال بخفوت:

-ساشا... هل تشعرين بتحســـن؟؟

لم تجبه بل ظلت تنظر اليه بجمود قبل أن تقول بصوت بارد:

-مالذي تنوي فعله بعد؟؟ أتنوي ضربي هذه المرة لتتأكد من أن طفلي سيموت؟

اتسعت عيناه بذهول وقال مدافعاً عن نفسه:

-ساشا ... مالذي تقولينه؟؟؟؟

-هذا مالم تفعله حتى الان ثيوس.. بقي أن تضربني حتى تسقطه ...

اقترب منها وهم بلمسها الا أنها انتفضت وقالت باشمئزاز:

-ابتعد عني.. ألم يكفك ماحدث البارحة؟؟ ماذا سيحدث هذه المـــرة؟؟

-توقفي عن هذا الكلام ساشا .. انت لا تعرفين ماتقولين؟

-انا اعرف بالضبط ما أقول... انت تريد التخلص مني .. كل مايهمك هي رغباتك وكأنك مجرد حيــ...

قطعت عبارتها وهي ترى الشرر المتصاعد من عينيه فأغلقت عينيها وأشاحت بوجهها عنه وهي تقول بألم:

-ارحل... ارحل عني ثيوس.

لم يتزحزح من مكانه بل قال بوقاحة:

-وماذا عنك انت ساشا .. انا لم اغتصبك البارحة.. لقد اتيت الي بكامل رغبتك.

نظرت اليه وقد شعت الكراهية من عينيها واشارت الى الباب وهي تصيح:

-ارحل..

-أتخشين مواجهة الواقع ..(واقترب منها ونظر الى عينيها وقال بقسوة) انت ترغبين بي بقدر ما أرغب بك ساشا .

اشاحت بوجهها عنه وفي تلك اللحظة فتح الباب ليجدا براد الذي وقف ينظر الى ثيوس بشراسة وحقد فقالت له ساشا:

-أخرجه من هنا يا براد.

تقدم براد منه وتواجه معه وابتسامة ساخرة تتلاعب على فم ثيوس وهو يقول:

-لا داعي فأنا اعرف الطريق.. أما انت ساشا فلنا حديث طويل.

قالت ساشا بجمود وهي تنتصب جالسة على الفراش:

-لا ثيوس.. لن يكون بيننا أي حديث..

التفت اليها وقلبه يلتمس لها العذر في كل كلمة تقولها وقال وهو يطيل النظر اليها:

-لا تنسي أنك تحملين طفــلي.

ضحكت بسخرية وقالت فقط لترى الألم في عينيه:

-أأنت واثق من هذا؟؟

تسمر ينظر اليها فأضافت ساخرة:

-لقد اتهمتني مرة بالخيانة.. كيف تثق بأنه حقاً طفـــــــلك؟؟

اقترب منها بسرعة وغرس أصابعه في كتفها بقسوة متجاهلاً صرختها المتألمة وقال بخفوت:

-لوكنت أشك بابوته للحظة لما كنت حية تتنفسين الأن..

ثم وضع يده على بطنها وهو يقول:

-هو طفلي وأنا لن أتخلى عنه ... (وحدق في عينيها وهو يضيف بحزم) ولن أتخلى عنــك ايضاً.. ساشا.

قالها وأسرع مغادراً...

تذكر ملمس بشرتها بين يديه .. تذكر ارتعاش جسدها وشفتيها وهي تردد اسمه... أغلق عينيه وهو يفكر.. سيعرف الحقيقة .. سيعرفها كلها.

***

تأملت ساشا الحديقة التي تطل عليها غــرفتها في المستشفى وفكرت انها في العام المنصرم دخلت الى المستشفيات عدة مرات تكفيها لبقية حياتها...

أحاطت بطنها بيديها وهي تحمدالله بصمت ان طفلها بخيــر .. نزيف بسيط ولكنه مقلق .. كانت معرضة لخطر فقدانه .. لولا ان الله كان معها ولم يحرمها منه ..

شعرت بحرارة غير مسبوقة تجتاحها وهي تتذكر لمسة ثيوس على بطنها قبل ان يغادر ليلة أمس... حرارة يده وسمتها .. كانت تتأمل بطنها وكأن أثار أصابعه لا تزال فيها... أرجعت رأسها الى الوراء وسالت دموعها دون ارادة منها وهي تتذكر كلماته .. (لن أتخلى عن الطفل.. ولن أتخلى عنك) هذا ماقاله لها ... ولكنه رحل!!

ابتلعت ريقها بمرارة ومسحت دموعها بكفها وهي تفكر:.. غبية .. غبية توقفي عن التفكير به .. توقفي.

دخل الطبيب في تلك الحظة ترافقه ماري التي اقتربت لتجلس الى جوارها والطبيب يقول مبتسماً:

-ستبقين الليلة عندنا وتغادرين في الغد ...

ابتسمت بشحوب وسألته:

-ألن يعاودني النزيف؟؟

-اذا التزمتي بتعليماتي فلن يحدث.. عليك بالراحة.. راحة تامة لا تقومين الا للضروريات فقط .. اتسمعين.

اومئت برأسها وقالت ماري:

-لا تقلق ايها الطبيب سأتكفل براحتها ولن تقوم قط..

ابتسم الطبيب وقال منصرفاً:

-سأترككي الان لترتاحي ..

غادر الغرفة بهدوء وبقيت ماري معها .. كان صمت محرجاً فهما لم تتكلما بماحدث... كانت ساشا تشيح ببصرها عن صديقتها غير راغبة في النظر اليها وماري تنظر لها بشفقة وهي تعي الصـــراع بداخلها بين قلبها المتيم به والألم الذي ينخر عظامها بسببه...

وككل صديقة وفية صمتت تشاركها صمتها ويدها تشد بيدها ... وهي تعاهد نفسها على البقاء معها مهما كانت الظروف.

***

وصل ثيوس الى لندن ... وبعد أن استقر في فندق ساقته قدماه الى حيث يقصد... الجريدة التي عملت بها ساشا من قبل..

تقدم الى المبنى العتيق وما ان وصل الى المكاتب الضيقة حتى طلب مقابلة روني داريل..

وقف ثيوس يتأمل الرجل الغارق في التفكير قبل أن يقول:

-وهكذا ترى ان ساشا تنكر اي علاقة لها بالموضوع؟

هز رأسه متفهماً وسرعان ما قال:

-بصراحة انا نفسي تفاجأت من اسلوب ارسال الخبر.. فلوكانت ساشا هي التي بعثت به لاستخدمت مهارتها ولكتبت مقالة كاملة.. ولكن الخبر جاء جاء بصيغة عادية وكأنه مجرد مقولة.. وكتبت انا المقالة.. بالطبع حاولت الاتصال بها عدة مرات للتأكد ولكنها لم تجب وفي أحيان كثيرة كانوا يبلغونني انها غير موجودة..

اشاح ثيوس ببصره وهو يتذكر اعطاء الأمر للخدم في المنزل بعدم تحويل أي مكالمات لهذا الرجل الى زوجته وعاد ليسمعه يقول:

-وصلني الخبر بالبرقية.. ووصل معه تشديد منه بوجوب ادراج اسمها في المقال.. طبعاً فعلت ما طلبت لم أفكر قط أنها لم تكن هي.

-أتملك البرقية الاصلية؟؟

سأله ثيوس باهتمام فنهض السيد داريل من مقعده وبحث في خزانة قديمة لبضع لحظات قبل أن يعود وبيده ورقة صفراء واعطاها له وهو يقول:

-يؤسفني ماحدث في اثينا ايها السيد ولكن لم نكن نقصد ابداً ..

تأمل ثيوس البرقية بعمق.. كانت مرسلة من بريد ليماسول... عقد حاجبيه بغضب وهو يفكر.. ساشا لم تذهب الى ليماسول قط.. تباً .. هو يعرف تماماً من كانت في ليماسول وقت الحادث...

تنهد بغيظ ثم نهض منصرفاً .. تمشى طويلاً قبل ان يخرج هاتفه الخليوي ليتصل بجوليان ... كلمه لبضع لحظات وأغلق الخط ..

قضى ثيوس تلك الليلة في لندن والصباح الباكر استقل طائرته الى نيقوسيا ومنها رأساً الى سوفيرا... حالما وصل وجد جوليان ينتظره في المرفأ استقلا سيارته وحالما انطلقت بهما حتى قال جوليان باضطراب وهو يتحاشى النظر الى أخيه:

-لقد ذهبت الى البريد ...

انتظره ثيوس ان يكمل الا انه استمر على صمته فحثه بهدوئ يخفي الغليان في أعماقه:

-وماذا وجدت؟

ابتلع ريقه وقال بخفوت:

-لقد تذكر الموظف المرأة التي ارسلت البرقية.. لأنها أعطته مبلغاً كبيراً من المال .. قال انها طويلة ..سمـــراء.. كما انها تتحدث لغتنا بطلاقة.. وحالما أريته صورة سالي.. تعرف عليها.

انخفض صوته وهو يقول عبارته الاخيـــرة والتفت الى اخيه بدهشة وهو يسمع ضحكته الساخرة.. رأى فيه المرارة... وشفتاه ترسمان ضحكة لم تصل الى عينيه ويقول:

-لقد ظلمتها... انتم شحذتم السكين .. وانا طعنتها بها بلا رحمـــة.

قال جوليان بحرج:

-ثيوس.. الأمـــ...

رفع يده يسكت اعتذاره وقال بمرارة:

-لا يفيد الاعتذار والتبرير الان يا جوليان.. ماعلي فعله هو رد اعتبار ساشا اليها قبل اي شيئ أخر.. ولكن قبلها .. هناك أفعى علي قطع رأسها أولاً..

وغرق في تفكيره بزوجته وطفله .. وكيف يمكن ان يعيدهما الى أحضانه من جديد.

حين وصلا الى جولدير طلب ثيوس من جوليان ان يحضر سالي من اي مكان اليه في الحال.. وان يخفي عنها واي أحد أخر كل شيئ ..

انتظرها بصبر في مكتبه... مضت ثلاثة أشهر منذ رآها آخر مرة ... وحالما دخلت توترت عيناه.. كانت تقف امامه والفرح في العينين الكحيلتين ويداها تمسكان ببطنها البارز امامها... وهي تتقدم نحوه بدلال.. كان يجلس خلف المكتب وقد عقد ساقيه ... ابتسامتها تملأ فمها تقدمت نحوه أكثر وما ان وصلت اليه حتى ركعت امامه واسندت ذراعيها على ساقيه وهي تبتسم وتقول بلهفة:

-اشتقت اليك حبيبي..(واشارت الى بطنها وقالت ضاحكة) حتى ابننا اشتاق اليك.

تأملها ثيوس لحظات وهو يتمنى من كل أعماقه ان يزيل هذه الضحكة من شفتيها وعينيها ..أن يهزها حتى تعترف له بكل الحقيقة .. كيف يمكن لها ان تفعل ذلك .. كيف سولت لها نفسها أن تتسبب بمقتل

أليكس.. وتعريضه وأخاه لمثل هذا الموقف المهلك.. وليس هذا فقط.. بل ألبست الامر بساشا .. لم يكن ذلك المخطط من عقلها .. بل كان تخطيط شيطان..

أمسكها من كتفيها بعنف وغرس أصابعه في لحمها بلا رحمة وهو يجرها لتقف أمامه متجاهلاً صرخات ألمها و يقول بصوت مزق اذنيها :

-كيف فعلت هذا.. كيف تجرأت على خيانتنا بتلك الطريقة؟؟

اتسعت عيناها بقوة وتاهت في تفسيرما يقول فقالت بصوت متخاذل:

-انا .. انا لا أفهم؟؟

هزها بقوة متجاهلاً حملها وهو يقول بين اسنان مطبقة:

-لقد كنت انت من ارسلت للصحيفة عن موعد اللقاء.. انت السبب في الهجوم علينا؟؟

جحظت عيناها بقوة وتحجرت الكلمات في فمها وهو يقول بجنون:

-لقد تسببت بمقتل أليكس.. واصابتي وكدت تتسببين بمقتلي وأخي.. وبعد كل هذا تلقين باللوم على ساشا .. كيف تفعلين شيئاً كهذا سالي ؟؟؟ كيف؟

حاولت تخليص نفسها من بين يديه ولكنها لم تفلح.. وتفجرت الدموع من عينيها وهي تستنكر ماقال بصوت ضعيف متخاذل وعاد هو ليصب فوق رأسها:

- لقد عرفت الحقيقة ساشا .. عرفت معنى أن تكوني مجرد حقيرة حقودة .. أعمت الغيرة بصيرتها فلم تعد ترى سوى رغباتها وأنانيتها ...

-لا .. لا ثيوس انا..

بدأت بالاعتراض ولكنه رماها عنه لتسقط على المقعد وانحنى امامها وهو يقول بسخرية مريرة:

-ماذا تنوين ان تقولي .. لقد عرفت كل شيئ ... حتى علاقتك المشينة باليكس.. كل شيئ.

اتسعت عيناها حين ذكر علاقتها بأليكس واعترضت:

-لم أكن مع أليكس.. هذا كذب وافتراء.. انا لم أكن لسواك ثيوس.

ضحك بسخرية وقال بشراسة:

-لقد رأتك جين لوبان.. أتتذكرينها سالي.. فتاة أليكس القديمة.. رأتكما معاً في باريس.. قالت لي كل شيئ.

-انها كاذبة.. لطالما كرهتني .. وكرهة حبنا ثيوس..

قالتها متوسلة فهتف بها بغضب:

-أي حب.. بيننا لم يوجد شيئ .. ألا تفهمين .. لقد أحببت ساشا وساحبها الى الابد ..

-لاا..

صرختها وهي تغطي اذنيها بكفيها وقالت بجنون:

-لا لا .. انت تحبني أنا .. انا وحدي.

أمسكها من كتفيها وهزها بقوة وقال:

-اسمعيني سالي.. انا احب زوجتي ساشا ولن احــب أبداً سواها أتفهمين ..

ظهر الجنون في العينين الكحيلتين وهي تزمجر كلبوة شرسة من بين اسنانها:

-انت لي.. اتفهم ثيوس .. انت لي لن أسمح لتلك الحقيرة ان تأخذك مني ... انت حبيبي ووالد طفلي.. اذا ما تجرأت واقتربت منك فسوف أقتلها .. سأحطمها .. سوفـ... آآآآآآه

صرخت بقوة وهي تسقط أرضاً ويدها تغطي وجهها حيث أثار أصابعه بعد الصفعة القوية التي ينزل بها عليها وادارت اليه عينين ممتلئتين بمشاعر مختلطة .. ذهول.. حيـرة ...ألم ... في حين أخذ ثيوس نفساً عميقاً وقال بشفتين مطبقتين:

-اياك ان تفكري بأذيتها .. ساشا هي زوجتي.. حبيبتي وستكون امٌ لأبني.. ولن أسمح لك بوضع اصبع عليها..

واقترب منها قائلاً بصرامة جمدت الدم في عروقها وهي تنظر بذل الى العينين القاسيتين:

-سأفعل معك ما يرضي ضميري ولا يشفي غليلي سالي.. سأدعك ترحلين عن سوفيرا انت وعائلتك .. بشرط ألا أراك مجدداً... ستبتعدين عن حياتي .. وحياة عائلتي.. وبالأخص زوجتي..

وأمسك كتفها بقوة وهو يقول:

-أتفهمين سالي .. اقسم .. اقسم بكل من هو عزيز لدي.. بأن احيل حياتك جحيماً .. قبل أن أقتلك بيدي .. لوأصابها خدش واحد بسببك.. أتفهمين.

نظرت اليه بذهول وهمست باكية:

-أتحبها.. أتحبها الى هذه الدرجة؟؟

-أحبها أكثر من روحي نفسها.. وأقسم أن امزقك بيدي إن أصابها مكروه..

وأضاف ببرود وهو يبتعد:

-لديك فرصة الى الغد لتغادري انت وعائلتك.. لا مكان لكم في سوفيرا بعد اليوم.. سأعطيكم ثمناً للمزرعة وبعدها لا أريد رؤية أي أحد منكم نهائياً..

قالها وأسرع مغادراً غرفة المكتب تاركاً اياها مرمية على الارض وهي تنخرط في بكاء عنيف..

***

عدلت ساشا من وضع الوسادة خلف رأسها وثبتت عينيها على الكلمات المتراقصة ... أمامها في الكتاب الثاني الذي تقرأه لهذا اليوم .. الأيام كانت تمضي بطيئة.. ممـلة وهي مستلقية على الفراش دون حركة.. اسبوعين كاملين على هذا الأمر.. راحة تامة لم تستسغها .. ولولا ماري وتسليتها لها وقت فراغها لكانت اصيبت بالجنون..

تحدثت البارحة مع كاثي التي قالت لها عمـّا حدث بين ثيوس وعائـلته.. وكيف ان السيدة صوفيا تشعر بالندم الشديد.. وأخبرتها كذلك ان عائلة سوس كلها قد غادرت الجزيـرة ..

كان هذا يشف من غليلها قليلاً.. ولكنها لا تزال تحترق من الداخل... ولم تعرف السبيل لأطفاء نارها.... كانت كاثي تتوسط بينها وبين ثيوس.. ولكنها لم تستطع التكلم معه... قلبها لا يزال يحترق بنيرانه.. كيف تسامحه ؟؟؟ كيف يهون عليه أن يشك بها ولو للحظة؟؟ كيف؟

تنهدت بألم ثم عادت لتعتدل في رقودها حين رأت الباب يفتح.. توقعت رؤية ماري ولكنها تفاجأت وهتفت باندهاش:

-أمي؟؟!!!

اندفعت اليها ديليا امها بسرعة وعيناها تظهران لهفتها الى ابنتها وهي تعانقها بمحبــة قائلة:

-يالهي ساشا ؟؟ لماذا لم تبلغيني .. اسبوعين كاملين ولم يكلف أحدكما نفسه بأبلاغي؟؟؟ كدت اخنق داني حين اتصل البارحة.. لماذا حبيبتي؟

ضحكت ساشا وقالت مغالبة دموعها:

-لم نشأ افساد رحلتك وجاك الى الكاريبي ..

نظرت اليها امها باستنكار:

-لم الدموع حبيبتي.. هل أنت بخير؟

كانت ساشا تضحك بسرور ودموعها تسكبها:

-انها الهرمونات اللعينة لم أعد أعرف ان كنت سعيدة أم حزينة.

ضحكت امها وساشا تسألها:

-كيف كانت الكاريبي امي.

-رائـــعة .. ظن جاك أنني مكتئبة بعد الأخبار السعيدة أنك ستجعلينني جـــدة.. فأخذني لرحلة ترفيهية.. انه مراهق ذلك العجوز..

تأملة ساشا امها ورأت تلك السعادة الصافية في عينيها ولوهلة حسدتها على الحب الذي تكنه لزوجها وعلمت أنه يستحق.. العم جاك يستحق أن تحبه أمها هكذا... بكل قوتها.. خفضت عينيها وهي تهرب من عيني امها المتسائلتين.. ولكن امها لم تعطها الفرصة فقالت:

-مالذي حـدث هل حقاً كدت تفقدين الطفل؟

تنهدت ساشا وعرفت ان امها لن تهدأ قبل أن تعرف كل الحقيقة .. لهذا شرعت تحكي لها كل ماحدث منذ زيارة ثيوس وحتى رحيله... وتصلبت عيناها وهي تتكلم وذكرياتها تعاودها بقوة وكل شعورها بالرعب من مجرد احتمال ان تفقد طفلها يعود اليها بقوة... طيلة الاسابيع الماضية لم تكف قط عن التفكير به... سألتها ليديا باهتمام:

-اين ثيوس الأن؟؟

عقدت ساشا حاجبيها وقالت وقلبها يخفق بقوة:

-وما شأنه؟

-ماذا تعنين يابنتي .. انه والده ويجب أن يتحمل مسؤليته.

شعرت بضغط دمها يرتفع والغضب يثور في اعماقها وهي تقول بشراسة ويديها تحيطان ببطنها وكأنها تحمي جنينها من عدو خطـــر:

-لا هذا الطفل لي وحـــدي.. لا شأن لأي أحد به ... ذلك الرجل ليس له أي علاقة به..

اتسعت عينا امها بقوة وقالت تهدئها:

-ساشا تمهلي يا ابنتي .. لاداعي لكل هذا الانفعال انه زوجك... ووالد ابنك لا داعي لكل هذا التوتر.

حركت ساشا رأسها رافضة الاعتراف بالواقع وهي تقول بصوت مرير:

-لا أمي ان هذا الطفل لي وحدي ولا شان لثيوس به (ورغـماً عنها تهدج صوتها وهي تنطق اسمه وأضافت وهي ترى الاستنكار في عيني امها) ثيوس .. انتهى من حياتي امي... انتهى وقت اتهمني بخياته انتهى وقت أن انتهت ثقته بي.. وانتهى يوم كاد يتسبب بفقداني لطفلي..

-لا حبيبتي.. لا تخسري الرجل الذي تحبين من أجل شيئ كهذا..(قالتها بلوعة وتجاهلت نظرة الاستنكار في عيني ابنتها وأكملت) اسمعيني ساشا تجاهلي كل المشاعر السلبي.. تذكري الحب الذي يجمعكما .. تذكري أوقاتكما الرائعة .. حاولي انجاح زواجكما.

-لا يأمي .. انه ليس حباً ذلك الذي جمعنـــا(قالتها باكية وهي تشهق) لم يكن حباً بالنسبة له.. كنت مجرد دمية أرادها لاشباع رغباته .. رغبة جسدية انتهى منها ...

أمسكتها امها من كتفيها وقالت بحزم:

-اسمعيني يا ابنتي... لقد رأيتكما معا.. رأيت كيف ينظر اليك.. انه يحبك.. من اعماق قلبه وأنت لا تستطيعين العيش من دونه.

-لا امي.. انت بالذات .. أرجوكي ألا تتكلمي عن الحب...

قالتها ساشا بسخرية قاسية فابتعدت عنها امها بتوتر وهي تكمل:

-لقد أحببت والدي .. وتركته.. كانت حياتكما بشعة والان .. لا يطيق احدكما الأخر.. تكرهان بعضكما .. تكرهينه كما أكره ثيوس.

تأملتها امها بذهول قبل ان تقول محاولة السيطرة على صوتها:

-لقد أحببت والدك يوماً وقد عشنا معاً أوقات سعيدة.. ولكن حياتنا معاً كانت مستحيلة لأننا لم نتفق.. لأن كل واحد منا كانت له حياته المنفصلة عن الأخر... انفصلنا لأنه كان الشيئ الوحيد الذي اتفقنا على القيام به.. نعم هناك الكثير من الاخطاء التي وقعنا بها ولكننا قط لم نكره بعضنا.. نحن لا نتفق بتاتاً ولكنني لا أكرهه..

صرخت ساشا:

-لقد رحلت .. تركته رغم كونه يحبك .. وهو لم يؤذيك بشيئ .. حتى جاك امي.. حتى جاك تزوجته بدافع رصيده في البنك.

-لا ساشا ..(قالتها بصرامة ودموعها تغرقها) نعم لقد انفصلت عن والدك ... لكنني لم افعل قط ما يؤذيه انفصالنا كان أنسب شيئ فعلناه

لمصلحتنا ولمصلحتك.. أنت.. وجاك .. (وتهدج صوتها وهي تقول) كيف تتصورين انني قد تزوجته من اجل النقود.. لقد أحببته وقد أحبني بنفس القوة.. حتى والدك يحب زوجته الجديدة.. كيف تتصورين الامور بعقلك الصغير هذا؟

بكت ساشا بمرارة وامها تقول:

-يالهي ساشا لقد كنت مثالاً سيئاً لك يا ابنتي.. ولكنني مجرد بشر .. ولي الحق ان أخطئ مرة وأكثر.. ولكن مالا يجب أن انساه انني يجب ان اصلح اخطائي.. ساشا لا تظلمي حبك وزوجك.. لا تحطمي حياتك وبيدك أن تصلحيها يابنتي.

ارتمت ساشا بين ذراعيها وهي تنفجر بالبكاء وأمها تواصل:

-عليك ان تدافعي عن حبك.. اعطه فرصة لا تتخلي عنه ... تذكري مامر بكما من تحديات وتخطيتماها كلها معاً يا ساشا .. تذكري حبك له وانسي كل أحقادك.. اعطه الفرصة ليصلح من خطأه.. أعطه الفرصة ليثبت حبه وثقته بك من جديد ...

ونظرت اليها وقالت باسمة:

-لديك طفل الان ساشا لا تحرميه من والده كما فعلت معك..

خفضت ساشا عينيها وهي تعيد تفاصيل حياتها امام عينيها .. هل حقاً تريد من طفلها ان يكبر بعيداً عن ثيوس.. انها تعرفه جيداً.. سيكون أباً رائعاً ولن يتحمل قط ان يكبر ابنه بعيداً عنه.. ماذا عنها هي.. هل

ستتحمل أن تعيش بعيداً عنه .. يالهي ..تمتمت بصمت.. متى يزول هذا العذاب..

***

تأمل ثيوس كاثي تلاعب وليدها بحنو وضاقت عيناه.. هل سيحرم من طفله؟؟ هل ستحكم عليه ساشا بأن يعيش بعيداً عنهما .. لا..

هو لا يستطيع الحياة من دونها .. كيف؟؟ ماذا؟؟ ماذا بيده أن يفعل؟؟

-عليك أن تذهب اليها..

انتفض ينظر الى كاثي وقال لها بوجوم:

-ماذا تعنين؟؟

تنهدت ونهضت لتجلس الى جواره وقالت:

-اذهب اليها .. دافع عن حبك.. لا تتركها هكذا.

اغمض عينيه وقال:

-لا استطيع مواجهتها .. لا اقدر على النظر في عينيها ...

شدت على كتفه وقالت بتشجيع:

-بل تستطيع .. انها تحبك ثيوس .. انا اعرف..

-لو تحبني لما طردتني من حياتها كما فعلت.

قالها بألم فقالت مستنكرة:

-كدت تفقدها طفلها بسبب طيشك..

-وكيف كان لي أن أعلم.. هي لم تكلف خاطرها لتخبرني.(صاح بعصبية..وأضاف) أخاف ان اراها ولا أتمالك نفسي... فأما ان اخذها بين ذراعي وأما ان اقتلها.. (وتملك الغيظ من صوته وهو يقول) بوجود ذلك الرجل المثير للاشمئزاز .. يجعلني اريد قتله.

تنهدت بفروغ صبر وقالت بتوتر:

-التذمر لن يحل المشكلات .. يجب ان تحل المشكلة..

تنهد وقال:

-انها لا تعرف عن سالي..

-ولا يجب أن تعرف ..(صرخت كاثي) .. تلك المرأة مجنونة ثيوس وقد تفعل أي شيئ.. من الافضل أن تبتعد عن ساشا .. لا تذكرها لها.. وحمداً لله انها غادرت الى ليماسول.

وقف ثيوس بقلق وهو يدور حول عربة الطفل النائم كالملاك ... وقال :

-لا أشعر بالراحة.. سالي مجنونة ... واخاف ان تفعل شيئاً.. (وهدر بغضب جعل الملاك الراقد ينتفض صارخاً) ولو انها مستها بسوء اقسم ان اقتلها بيدي..

وتراجع بذعر حين كشرت كاثي وقالت له بعنف:

-اخرج قبل أن اقتلك انت لايقاظه..

دمدم بتجهم ونظر للطفل الصارخ بلا توقف وقال لكاثي بطفولية:

-مثله مثل امه... مزعج..

حدجته بنظرة سوداء عرف من خلالها ان عليه الانصراف.. وسرعان ما غادر المنزل وهو يبتسم وعقله قلق من مخططات سالي غير المتوازنة..

وكان على حق... فتلك الأفعى لم تكن لتترك ساشا حتى في بعدها ونفورها منـــه... كان قد مضى اسبوع أو نحوه حين اتصل به والد سالي...

تنهد ثيوس وقال بتوتر:

-لقد انتهى المـــوضوع بيني وبين ابنتك.. طفلها الذي تحمـــ...

قاطعه الرجل بتخاذل كسير وقد تعب من ابنته:

-انا أسف بني.. أعرف انك وابنتي انتهيتما.. ولكنها مجنونة وقد تقوم بشيء أحمـــق..

عقد ثيوس حاجبيه وقال بتوتر:

-ماذا تخطط ابنتك؟؟

تنهد الرجل وقال:

-لقد سافرت الى أمريكا هذا الصباح ..

نهض ثيوس من مقعده ببطء وهو يسمعه يكمل:

-لقد عرفت للتو ... أنا أعرف ان زوجتك سافرت الى عائلتها هناك .. وأخشى..

ولم يكمل عبارته واندفع بأقصى سرعة مغادراً مكتبه والتقى جوليان في الطريق الى خارج المنزل فصاح به:

-سأسافر الى بوسطن.. اتصل بالمطار واحجز لي في أول طائرة..

نظر اليه جوليان بدهشة فقال ثيوس بغضب:

-لا تقف هكذا تحرك...

ولكن جوليان اخرج هاتفه واندفع معه وهو يقول:

-سأذهب برفقتك..

-جوليان أستطيع الاهتمام بالأمر..

-كلا أنت متهور وقد تقتل أحداً.. سأرافقك.

نظر اليه شقيقه بتوتر ولكنه عاد وهدأ وهو يتقبل ماقال .. ويزفر بضيق والسيارة تتجاوز كل مافي طريقها الى المـــرفأ..

***

جلست ساشا تنظر الى السيارة التي تقل امها الى المطار بعينين دامعتين.. كانت قد اعتادت وجودها خلال الاسبوع الماضي.. ولم تصدق ان عليها السفــر الان .. ولكن لأمها عائلتها ... التي تحتاج اليها الان..

تنهدت واحاطت ببطنها المنتفخ وهي تتذكر كلمات امها .. ودماغها تؤلمها من فرط التفكير.. ماذا عليها أن تفعل.. تخسر كرامتها وعزة نفسها فقط.. لأنها تحبه.. تحبه بقوة الى درجة انها لا تستطيع ان تتحمل ان تبعد عنه.. أرجعت رأسها الى مسند المقعد .. كيف لها أن تحرمه من طفله... ثيوس يحب الاطفال بجنون.. وسيكون أباً رائــعاً..

ولكن ماذا عنها هي.. هل ستصبر أن تكون معه فقط من أجل طفلها ؟؟ لم الكذب .. انها تحبه بجنون.. والطفل قد يجمع بينهما يوماً...

كانت ساهمـــة تنظر الى باقة الورد التي أرسلها لها براد لرفع معنوياتها.. وتأملت الزهور الصفراء الفاقعة.. وتنهدت انها تشتاق اليه.. الى ثيوس..

سمعت صوت جرس الباب.. فزفرت بضيق وهي تشعر بثقل حملها يزيد يوماً عن يوم... تأملت ساقيها المتورمتين وقد ضاقت عليها معظم أحذيتها .. أزاحت خصلات الشعر القصيرة عنها وعدلت من ثوب الحمل الوردي المزين بالورود الذي ترتديه والذي اهدتها اياه ماري .. وتقدمت لتفتح الباب..

لا أحد يمكنه ان يصف شعور المرأة حين تقابل عدوتها اللدود.. ذلك الفوران والغليان الذي اجتاحها وهي تقف أمامها ... والصاعقة التي نزلت على رأس ساشا وهي ترى حملها الواضح الذي لم تحاول أخفاءه بثوب ليلكي ضيق ..

تراجعت ساشا بذهول.. وتقدمت سالي بجنون.. كانت تنظر اليها بقسوة .. وكراهية تجاوزت الحد ... ورأت ساشا الجنون في عينيها وبغريزة الأم .. احاطت بطنها وكأنها تحمـــي طفلها من هذه المـــرأة المجنونة..

ورأت سالي حركتها وتملكها الغيظ وقالت بقسوة:

-أتظنين انك الوحيدة التي تحمل طفله؟؟.. انظري الي .. أنا حامل بطفله كذلك..

شهقت ساشا بدهشه وضحكت سالي بتشفي وهي ترى عدم التصديق في عينيها... وأضافت:

-سيكون لي طفل من زوجك عزيزتي.. أترين أني لم أكذب حين قلت لك انه ملكي وسيظل الى الأبد.

-ماذا تريدين سالي..

قالتها ساشا بألم فصرخت سالي بجنون:

-أريد حبيبي.. اريد استعادته.

طفرت الدموع من عيني ساشا وقالت:

-انه عندك.. هناك في سوفيرا .. اذهبي اليه انا لا أريــده ..

ضحكت سالي وقالت بمرارة:

-انه هناك وروحه هنا عندك..(ثم تشبعت كلماتها بالحقد وهي تغمغم) انت من يجب أن يختفي من حياته كلياً.. وحين يعرف انك رحلت دون عودة .. سيعود الي.

كانت تهذي بكلماتها وتملك ساشا الرعب من نظرة الجنون في عينيها .. فتراجعت الى الخلف وهي تسمعها تقول:

-سأقتلك.. وسينتهي العذاب.. سأرتاح واريح ثيوس من حبك.. سأعيده الي.

صرخت ساشا برعب وتلك الأفعى تقترب منها بجنون .. وتراجعت لتصطدم ساقهابالمقعد وتقع عليه .. اقتربت منها سالي وهي تقول بحقد:

-سينساك ساشا .. سينسى الألم ويعود الي.. حبيبته الاولى ..

صرخت ساشا بذعر حين مدت سالي يدها الى عنقها.. كانت تريد ان تركض أن تختفي من امامها.. ولكن ذلك الألم انتشر في جسدها وعرفت أن اضطرابها العصبي قد أثر عليها.. لقد حذرها الطبيب.. حذرها من الانفعال العصبي والمجهود العضلي الزائد ..

ان هي ركضت بعيداً قد تخسر طفلها .. وان تسمرت كالتمثال كما تفعل الان قد تخسر ماهو أكبـــر..

ولكن رعبها من النظرة المجنونة في عيني سالي سمرها في مكانها وجعلها تشخص اليها بذهول.. كانت الشراسة قد احتلت مكان الجمـــال وظهرت الحقيقة البشعة لوجهها الشيطاني وعينيها تغرسان ألف سكي حاد في قلب ساشا.. وايقنت ساشا انها سوف تعاني الويل...

ولكن ثيوس كان لها المقال الأخير.. كان يصعد الدرجات المؤدية لشقة ساشا بجنون .. وهو متأكد من وجود سالي بعد ان أخبره البواب بمواصفات الزائرة التي صعدت قبله الى الشقة...

دخل الشقة وانتفض قلبه برعب وهو يرى ساشا محشورة في مقعد بمسندين وتنحني عليها تلك المجنونة.. كانت ساشا صامتة وكأنها اخرست للأبد.. وسالي تدمدم بغضب مكتوم ..

اندفع نحوهما وابعد الأفعى بسرعة عنها رماها بعيداً عنه وانحنى بجسده كله فوق زوجته يبحث عن أي أذىً قد يكون لحق بها.. وغير نظرة الذعر في عينيها لم يجد ما يخيف..

نظرت ساشا الى ثيوس بذهول ممزوج بالذعر.. لم تصدق عينيها ودون مقدمات وجدت نفسها ترتمي بين ذراعيه...

ضمها اليه بقوة وارتياح وهو يتجاهل صراخ الذئبة الشرسة خلفه والتي تركها برعاية جوليان وعاود النظر الى ساشا.. تمالك نفسه بصعوبة وقال:

-أأنت بخير..؟؟

أخذت بعض الوقت لتسترد أنفاسها وتمتمت:

-أخرجها..

التفت الى جوليان وقال بصرامة:

-أبعدها عن ناظـــري..

اخرج جوليان المرأة المجنونة بصعوبة وهي تقاومه بعنف...

وتجاهلهما ثيوس تماماً وهو يلتفت لحبيبته وأراد ان يضمها مجدداً ألا انها رفعت له يدها تبعده وعينيها تسكبان دموع غزيرة فاتسعت عيناه بذعر وقال:

-ساشا هل انت بخير؟؟

-لقد كذبت علي؟؟.. لم تخبرني انها تنتظر طفل منك؟

-لا لا .. (قالها بانفعال وهو يحيط بوجهها بين يديه ويمسح دموعها بأصابعه) انها تدعي ذلك حبيبتي.. قد لا يكون طفلي..

-وقد يكون..

قالتها منتحبة..وأضافت وهي ترى الأسى في عينيه:

-يالهي ثيوس.. أنا لم اؤذيك قط.. لماذا تفعل بي كل هذا؟؟

تجاهل اعتراضها وضمها اليه وهتف وهو يشعر بأنفاسها تلامس عنقه ودموعها تغسل قميصه:

-توقفي.. توقفي عن تأنيبي.. ساشا انا لم أحب سواك.. أخبرتك انها كانت غلطة واحدة فقط و..

-فقط..

هتفتها باستنكار وهي تدفعه عنها وقالت:

-انظـر الى ما آل اليه حالنا بسبب أخطائك.. انظر الينا وكيف اصبحنا الأن؟؟

-ساشا..

-ثيوس ابتعد عني الان.. ارجوك..

بكت بمرارة ..

جائتها النبرة الخشنة للصوت الذكوري الصلب الذي داعب احلامها منذ عرفته:

-ساشا ..

قالها وصمت وكأنه لم يجد ما يقوله.. اجتاحتها الحرارة من رأسها حتى أخمص قدميها .. جف حلقها وارتجفت ضربات قلبها .. انتابتها مشاعر مختلطة لم تفهمها ... حب.. قلق ... هم ... خوف... وشوق كبيـــر... ابتلعت ريقها بصعوبة تسلل صوته اليها متوسلاً يرجوها أن تستمع اليه.. ترددت ولكنها صمتت هي الاخرى..وطال الصمت.. طال حتى ظنت انه لن يتكلم قط.. وأن الانفاس وحدها هي ما ستغادر صدره هذا اليوم..

ولكنه تكلم.. أخذ نفساً عميقاً.. وقال:

-ساشا حبيبتي ... أسمعيني.. (لم تتكلم .. ظلت مشيحة عنه لم تصدرأي صوت فتابع) ماذا أقول .. وكل الحروف متشابهة عندي.. كل الكلمات لا تفيك حق ماحدث ساشا.. لقد ظلمتك.. شككت بك.. وانتي فعلت ماكان يجب أن تفعليه ..

أخذ نفساً وأكمل:

-حين رحلتي ظننت ان روحي تفارقني.. بقيت أعيش بدون روح أبحث في طيات ذكرياتي عن لمحة منك تنير أيامي وتعينني عليها... دون جدوى... صدقيني أنني بحثت عنك في كل مكان... جندت الجميع للبحث عنك. .. كل الأبواب صددتها في وجهي.. بحثت ويحثت.. لو كنت استطيع المجيئ بنفسي لفعلت.. الدنيا كلها وقفت ضدي.. لم أجدك حتى قابلت شقيقك ذلك اليوم..

تلكأ في كلامه فتنهدت وسمعها شعر بالقلق فسألها وهو يدير وجهها اليه:

-هل أنت بخير؟

لم تجبه ونفضت اصابعه عنها فقال بعصبية:

-ساشا ارجوك قولي لي ان كنت بخير.. سأصاب بالجنون من صمتك..

أغلقت عينيها وقالت بتردد هامسة:

-انا .. انا بخير..

تنهد بارتياح ... وهمس لها:

-اشتقت لك...

سالت دموعها من فرط شوقها ولم تنبس ببنت شفه فقال بصوت منهار:

-ساشا.. ارجوكي.. اغفري لي.. لا استطيع ان اراك هكذا باردة وبعيدة عني وانت بين ذراعي.. ارحمي قلقي وشوقي اليك... بالكاد اسيطر على نفسي لأني لولم افعل سأترك العنان لنفسي ... وسيحدث اسوأ مما حدث في المرة الماضية ..

-ماذا تريد؟؟

قالتها باكية فقال بسرعة وهو يحيط كفيها بين يديه:

-ان تغفري لي.. أو على الاقل اعطني الفرصة.. لأثبت انني حقاً نادم.

نشقت وقالت بتوتر:

-هل تعتقد ان الوقت ملائم؟؟

-لا حبيبتي.. فقط اعطني الضوء الاخضر ..

-ماذا تعني؟؟

-دعيني اكلمك من فترة الى أخرى.. اطمئن عليك.. فقط هو كل ما أطلب.

رأى ترددها فاستمر يقول:

-ساعديني لأصلح ماحدث بيننا .. ساعديني لأعتني بك وبطفلنا..

مد يده يلامس بطنها وهو يضيف:

-ابننا الذي سيجمعنا الى الأبد حبيبتي ..

فكرت وفكرت نظرت اليه وتذكرت كيف استحالت حياتها من دونه وكيف ان الجمر الذي برد عاد يشتعل بتلك القوة المدمرة التي أحالت حياتها جحيماً من دونه ..

تذكرت كيف أن حبه الموجع استوطن قلبها وكيف رحل عنها هو لتبكي حبه الغائب..كحلم ضائع عنها سرق من بين يديها..

لم يبقى في ذاكرتها منه سوى رائحة عطر امتزجت لتلون كل ذكرياتها معه.. رافقتها في كل خطواتها ولونت كل مشاهدها بلون من صنع يديه ..

وحدها من دونه لم تستطع النجاة .. لم تستطع الحياة.. كيف لها ان تتذوق طعم الحياة مع سواه ؟؟؟

هي لمن من دونه..؟؟ سرق قلبها وروحها .. وامتلك قلبها ووسمه بوسم لا يندمل .. وتركها معلقة في بحر الحب بلا زورق وتركها تغرق..

غرقت في بحر من السهر بانتظار رجوعه... وتاهت بحثاً عنه في ليل بلا شطآن.. ترتجي رجوعه بين ليلة أو ضحاها.. عشقت العذاب الذي يحمل معاني حبه.. وتركت نفسها له .. صارت ملكه بكل ما للكلمة من معنى ..

هو حبيبها وليس في القلب سواه أتكذب عليه أم على نفسها.. كُتب عمرها لأجله منذ التقيا .. ومنذ ذاك الوقت مضى يكتب قصة حياتها بيديه ويرسم سعادتها بأصابعه.. عرفت ما تريده ..

وقررت بلحظة أين تريد ان تذهب تذكرت كلام امها .. تذكرت الحب بينهما وتذكرت طفلها .. فقالت:

-انا موافقة ثيوس ..

تنهد بارتياح ولكنها عادت لتقول بحزم وهي تنهض بعيدة عنه :

-ولكن انا اقرر ان كنت اريد التحدث معك او لا .. انا اقرر متى تأتي الي ومتى لا تقترب مني..

عقد حاجبيه وقال:

-ماذا تعنين؟

أخذت نفساً عميقاً وقالت بهدوء:

-يعني اننا سنعود .. ولكن ليس كما كنا ؟؟

-لم أفهم؟

-سأتركك تطمئن علي وعلى الطفل وليس أكثر ثيوس.

نظر اليها بدهشة وقال:

-الى متى؟

نظرت اليه وقد عرفت انها وبالحب فقط لن تستطيع ان تعود اليه .. ليس بعد.. فأضافت:

-الى ان استطيع ان اثق بك مجدداً.. الى ان استطيع ان اشعر معك بالامان .. أتفهم؟

فهم كل كلمة .. ولم يجرؤ على الاعتراض لهذا قال وهو يهز رأسه:

-أفهمك تماماً ..

اقترب منها واحاط وجهها بيديه وقال ناظراً في عينيها:

-سأستعيد ثقتك ساشا.. سأستعيدها ولو دفعت حياتي ثمناً لها .

وانحنى نحوها يقبلها برقة.. قبل ان ينحني ليقبل بطنها بحنو وبعد أن رفع رأسه اليها قال بصوت متحشرج:

-اعتني بنفسك.. واعتني بطفلي لأجلي.

غصة مريرة انتابتها وهي تشتاق لذراعيه حولها وسألت:

-الى أين تذهب؟

ابتسم لها وقال:

-سأعود .. لن أتركك وحدك مطلقاً.. (وأكتسى صوته بالغيظ) ولكن هناك افعى علي قطع رأسها وابعادها عن هنا قبلاً..

قالها واسرع بالانصراف وهو يعرف انه ان بقي لوقت أطول فلن يقدر على المغادرة..

***

تبادل ثيوس وشقيقه جوليان النظرات قبل أن يعود بهما الى المرأتين أمامه .. والدته .. وسالي.. بالاضافة لوالد الاخيرة ..كانت سالي تطل من عينيها نظرة مجرمة بعد ان اعادها ثيوس الى نيقوسيا رغماً عنها بمساعدة السفير القبرصي وبتوصية من والدها بعد ان اثبتا له انها تشكل خطراً على نفسها ..

قال ثيوس بهدوء يخفي ثورته:

-أخبريني الان سالي.. كيف عرفتي بمكان ساشا؟؟

اشاحت عنه ولم ترد فالتفت الى امه التي كانت تضع رأسها المتكبر بين يديها وقال:

-أخبريني انت اماه... هل اخبرتها؟؟

رفعت السيدة صوفيا رأسها وقالت بصوت منكسر:

-لم أكن أعرف .. لم أتصور قط انها قد تذهب اليها.

عقد ثيوس حاجبيه وغطى عينيه بكفيه وقد سئم هذا الأمر وقال:

-امي .. سالي كادت تؤذي ساشا.. لقد وثقت بك وأطلعتك على مكانها..

-لم أعرف بني صدقني..

-انت الان تقفين معها عمتي؟؟

التفتت صوفيا اليها وقالت لها بألم:

-سالي بنيتي.. انت تحتاجين الى مساعدة..

نهضت سالي والشرر يثب من عينيها وقالت بجنون مطلق:

-أنتم كلكم ضدي.. انتم معها تريدون قتلي وأخذ حبيبي مني..

تنهد ثيوس بتعب وهو يسند رأسه المرهق لكفيه ووالدها يحاول السيطرة عليها ولكنها كانت تصرخ بجنون وهنا قال جوليان:

-خوليو .. علينا اخذها للمستشفى..

نظر اليه والدها وقال بالم:

-يبدو هذا بني..

ترك ثيوس جوليان يتصرف بكل الامور.. وفعلاً اودعت سالي الى مركز تاهيلي في نيقوسيا ... ولوهلة ارتاح هو من ضغط كاد يدمر حياته من فرط ضغطه على أعصابه.. كان قلقه ينصب على الطفل الذي قد يكون له .. والذي قد يكون ابن صديقه الوحيد ..

ولكن الان لديه مهمة اخرى .. عليه استعادة ثقة زوجته به .. من جديد..

***

نظر اليها براد بجمود وهي تفرغ في وجهه كل ماحدث معها ومع ثيوس منذ أيام.. وختمت كلامها:

-أنا اسفة براد.. لقد ظلمتك معي.. ولكنني احبه كثيراً.. لدرجة انني لا استطيع العيش من دونه.

-بعد كل مافعله بك؟؟

-صمتت ولم ترد فتنهد ونهض هو من مقعده وقال بأسى:

-حاولت كل شيئ معك ساشا .. حاولت ان احبك وان اعوضك التعاسة التي لقيتها منه.. ولكنك مريضة بحبه..

وابتسم ساخراً وهو يضيف:

-مريضة ولا سبيل لشفائك..

واندفع نحو الباب الذي دخل عبره داني وهو يتسائل حين رأى دموعها:

-أهي دموع الحسرة أم الارتياح؟؟

-وهل كتبت لي الراحة.. يخيل لي أنني سأظل في العذاب الى الأبد..

رن جرس الهاتف فالتقطه داني وابتسم بعد حوار قصير مع المتصل ومد اليها السماعة وهو يهمس:

-وصفة الراحة ..

تناولت الهاتف بلهفة لم تخفيها واستمعت للصوت الحبيب ونسيت كل العذاب وهي تنصت الى كلماته الحذره وهو يطمئن عليها وسؤاله عن أحوالها .. أرادت ان تسأله سؤال واحد منذ البداية وحتى أقفل .. ولكن سؤالها لم يغادرها.. ارادت ان تسأله متى سيأتي اليها ..

ولكنه لم يأتي .. ومرت الاسابيع وهو بعيد هناك في سوفيرا دون أن يمر يوم دون اتصاله وسؤاله عنها .. وباتت تشتاق اليه كل يوم وكل لحظة.. وبالذات في انشغال داني في امتحاناته .. وسفر ماري الى لندن .. وابتعاد براد..

كان يومها يمر ببطء السلحفاة ولا تدفع عقارب الساعة الا مكالمته اليومية.. كان يتصل بها مرتان.. قبل ان تخلد الى النوم .. وفي الظهيرة حيث يحين وقت نومه هو ..

كانت الاسابيع الماضية رائعة بسببه .. وبسبب طفلها .. الذي يكبر يوماً بعد يوم ولا يحلو له الرفس فيها الا حين تكلم والده.. وكم قضيا الوقت بالضحك وهي تتأوه من ركلاته اثناء حديثهما معاً ..

وفي أحد الايام قالت له:

-حدث شيئ غريب اليوم..

-ماذا .. (قالها بكسل وهو يستمتع بسماع صوتها الذي تسلل اليه ناعماً كموسيقى عذبة عبر الاسلاك.. فقالت بلا مبالة:

-شيء تافه.. كنت اتنزه في الحديقة في الصباح هذا اليوم.. حينما شعرت بمن يراقبني..

اعتدل ثيوس في فراشه وقد طار الاسترخاء من رأسه وغادر النعاس جفنيه وقال بتوتر:

-ماذا تعنين انك مراقبة؟؟

شعرت بسخافتها.. لقد أقلقته دون مبرر فقالت تهون الامر:

-لاشيئ ربما تخيلت الامر..

-ساشا تكلمي ماذا رأيت؟؟ قالها بعصبية فقالت بنفاذ صبر:

-لم أرى شيئاً كان مجرد شعور .. ولكنني كنت مخطئة .. لابد انها الهرمونات..

كان الأمر غريباً ولم يرتح له ثيوس قط ولكنه على كل حال سايرها فقط كي لا يشعرها بالقلق.. ولكنها ما ان انهت المكالمة حتى اتصل بالمركز حيث تعالج سالي .. وتنهد بارتياح وهو يسمع انها لا تزال هناك..

في الصباح التالي غادر فراشه وقلبه ينبئه بوجود خطب ما ..

تعالى صوت الهاتف يرن وهو ينزل الدرجات الى بهو المنزل حين سمع صرخة مدوية فأسرع الى امه التي انهارت على المقعد باكية وروين وكل العائلة تهدئ من روعها وصاح بها:

-أمي .. امي ماذا حدث؟؟

نظرت اليه نظرة لوم قاسية وقالت شاهقة من بين دموعها:

-سالي... سالي قتلت نفسها..

اتسعت عيناه بذهول وهو ينظر اليها وروين تعانقها وتشاركها البكاء ولم يفهم.. تلك المجنونة.. الطفل..

واتسعت عيناه وهو يفكر بالطفل...

وانطلق لا يولي الى نيقوسيا حيث المـــركز الطبي...

وصل بعد عدة ساعات وحده حيث وجد والدها يجلس على كرسي الانتظار ويديه على رأسه .. اقترب منه وجلس الى جواره وسأله بجمود:

-ماذا حدث؟؟؟

رأى في عينيه الذابلتين من البكاء لوم عنيف جعله يخفض عينيه ووالدها يقول:

-لقد مزقت شرايين يديها..

أغلق عينيه بألم وهو يتصور المصير البشع لأمرأة .. قتلت نفسها وهي تحمل طفلاً في احشاءها .. فسأله:

-والطفل!!..

انتفض والدها وقال بعنف:

-أهذا ما يهمك؟؟ طفلك .. ماذا عن ابنتي التي فقدت حياتها بسببك.؟؟

نهض ثيوس وقال بقسوة تعمدها:

-ابنتك فقدت حياتها بسبب جنونها.. وليس بسببي..

-جنونها سببه أنت .. لقد عشقتك بجنون..

ثم أضاف:

-ماذا جنت من عشقها غير الألم والجنون .. ولا تخف.. ابنك سالم .. حين فشلوا في انقاذها كان الطفل لا يزال حياً.. وقد شقو بطنها لاخراجه قبل ان يموت هو الأخر..

أغمض ثيوس عينيه بألم وهو يفكر بقسوة تلك الكلمات.. ونظر الى العجوز المنهار وهو يواصل:

-انه في غرفة المواليد..

ابتعد ثيوس نحو الغرفة التي اشير اليها وبعد الاذن الذي حصل عليه دخل ليتامل الصغير المحاط بأنابيب وفي حضانة خاصة وابتلع ريقه بألم .. وهو ينظر اليه وتعرفه حق المعرفة.. شعر بالممرضة المسؤولة الى جواره وهي تقول:

-المسكين.. سيعيش حياته من دون ام.. ماذا تقرب له انت؟..

نظر اليه طويلاً قبل أن يقول بصوت ثابت:

-والده ..

-ماسمه اذاً ايها الوالد؟؟

تردد قليلاً قبل ان يحسم أمره ويقول بحنو:

-أرجامينيس.. أليكس أرجامينيس..

***

نهضت ساشا من نومها متكاسلة وبعد أن استحمت وغيرت ثيابها قررت الخروج للتنزه .. كانت مكالمة ثيوس البارحة قصيرة وشعرت بما يشغله عنها .. ولكنها لم ترد الضغط عليه..

ارتدت ثوباً قصيراً عاري الكتفين وفوقه كنزة صوفيه تقيها نسمات الربيع وغادرت المنزل..

كان الجو صحواً ولكن اليوم المدرسي جعل المتنزه خالياً من أي صوت .. تمشت وسط الاخضرار وزقزقة العصافير المبهجة .. وتنشقت عبير الأزهار المنعشه.. وهي تفكر بما يمكن ان يكون حدث لثيوس.. كان صوته مقلقاً.. و ..

قطع تفكيرها ذلك الصوت .. التفتت الى الخلف بسرعة.. لم ترى أحداً.. عقدت حاجبيها وغار قلبها قلقاً.. ولكنها عاودت المشي وتنهدت تقول لنفسها بسخرية(اهدئي ساشا ربما هو سنجاب)

وعاودت مشيها البطيئ ولكن الصوت عاد مجدداً فتوقفت وأدارت جسده كله الى الخلف .. وتراجعت بذعـــر وهي ترى ذلك الرجل الطويل ينظر اليها بابتسامة شرسة..

ابتلعت ريقها وتراجعت ولكن ظهرها اصطدم بأخر.. حاولت الصراخ ولكن الصوت احتبس في حنجرتها وهما ينقضان عليها ويضعان على انفها وفمها منديل غارق بمادة نفاذة وقبل ان تدري .. تهالكت فاقدة الوعي..

***

جلي ثيوس على مقعده خلف المكتب وتناول سماعة الهاتف يرحمه من رنينه المتواصل وهو يقول:

-ثيوس ارجامينيس.. من يتكلم.؟؟

-حسناً .. لقد انتظرنا سماع صوتك طويلاً..

عقد ثيوس حاجبيه وتسائل:

-من تكون ايها السيد؟؟

ضحك الرجل بسماجة قبل ان يقول ببرود:

-هل نسيت دارد ليوسيوس ..

عصرت أصابعه سماعة الهاتف وهو يسمع صوت الرجل المسؤل عن حادث الاعتداء الذي تعرض له مع اليكس قبل شهور وقال بتوتر:

-ماذا تريد أيها الوغد؟؟

ضحك الرجل وقال بتشفي:

- عليك ان تحترمني سيد أرجامينيس.. بل عليك تنفيذ كل طلباتي..

ضحك ثيوس بسخرية وقال له:

-ولم علي فعل ذلك.. كل اعوانك في السجن ليوسيوس.. لم يبقى امام الشرطة سواك وستقع قريباً ...

-ليس قبل ان انتقم منك .. بعد ان تسببت بدمار كل مخططاتي انت وذلك الرجل.. وقد مات ولم يبقى سواك.

-انت رجل جبان..ولن تقوى على فعل شيئ..

ضحك مجدداً:

-ولكني قدرت.. استمع لهذا وقل ما رأيك بانتقامي..

عقد ثيوس حاجبيه وهو يرهف سمعه وقفز من مقعده كالمجانين حين سمع الصوت المتهالك الباكي يتهادى الى اذنيه ..

تأملت ساشا الرجل الضخم الواقف امامها والذي استعادت وعيها لتجد نفسها عنده.. كان يتحدث بالهاتف ضاحكاً بالقبرصية.. حاولت ان تفهم ولكنها لم تستطع استيعاب اي شيئ غير اسم زوجها..

بكت بمرارة وهي ترى الرجال الاشداء المحيطين بها وأحاطت ببطنها تقربها منها وهي تدعو بصمت ان ينجيها الله منهم.. واتسعت عيناها حين مد لها الرجل الضخم بسماعة الهاتف .. وهو يقول:

-انه لك..

وضع السماعة على اذنها وهو يقول:

-انه زوجك..

شهقت باكية وتمتمت بخفوت:

-ثيوس..

طار صوابه .. فقد عقله وهو ينظر من على الطائرة المحلقة فوق المحيط.. كاد يموت حالما سمع صوتها .. ساشا حبيبته .. زوجته تقع اسيرة المجرم ذاك .. عرف مايريد.. ماأراده دوماً.. المال.. ذلك اللعين.. لم يطق صبراً وسرعان ما استقل طائرة أليكس الخاصة بعد ان قام بتبليغ الشرطة .. وطار برفقة جوليان الى بوسطن..

كان متوتراً الى اقصى حد .. لا يعرف كيف يبدا البحث عنها ولا حتى كيف يصل اليها قالوا له ان ينتظر في الفندق.. وسيتصلون به لأبلاغه بمكان تسليم المال.. ولكن ثيوس كان يحضر لهم مفاجأة.. فلا أحد ينجو بعد أن يمس حبيبته بسوء..

كانت الشرطة تتابع تحركاته عن قرب دون ان يظهروا لأحد .. وفي الصباح التالي تلقى ثيوس المكالمة.. وحددو له المكان لاستلام النقود ..

كان يعرف انهم لن يتركوه حياً .. فكان الأمر اما هو أو هم..

لم يكن يريد تعريض حياة شقيقه للخطر .. ولهذا فقد تسلل خارج الفندق من دون علم جوليان ومعه المال المطلوب.. وغادر الى الموعد..

تأمل الخرابة التي وصل اليها .. كانت مقفرة وغير مأهولة .. قبع في سيارته ينتظر .. حتى وصلوا اليه.. تأمل الرجال مفتولي العضلات الذين انقضوا يفتشونه في غلظة وهو يقول:

-لا تقلقوا .. لم أحضر معي سلاحاً ..

تبادل الرجلين النظرات قبل ان يقول احدهم:

-أين المال؟؟

-في حقيبة السيارة.

-تعال ستأتي معنا..

رافقهم ثيوس بصمت ودماغه يغلي قلقاً عليها حاول ان يتذكر الطريق ولكنه غريب لم يستطع ان يتعرف عليه.. صعدا معه في سيارته وقادها احدهما فيما الأخر يصوب عليه مسدسه وهم يتوجهون عبر طريق سريعة خارج المدينة...

كانت السماء تنذر بالويل حين وصلوا الى المنزل القديم... وهناك ادخلوه ليقابل ذلك اللوسيوس.. نظر اليه بكراهية وقال:

-أين زوجتي؟؟

ضحك الرجل بغلظة.. وقال:

-أين نقودك سيد أرجامينيس؟؟

رمى ثيوس حقيبة المال وهو يقول:

-أعطني زوجتي ودعنا نرحل..

نظر له الرجل بتوتر وقال مشيراً للحقيبة:

-افتحها.

تنهد ثيوس وشعر بسرور خفي وخطته تسير كما وضعها.. وتقدم منهم وهو يحصي عدد الرجال.. كانو خمسة بالأضافة للوسيوس ركع امام الحقيب وفتحها ببطء.. كان يعرف انهم سيفتشونه ولكن أحدهم لم يخطر له ان يفتح الحقيبة ليفتشها..

فتحها بسرعة وقبل أن يدرك أحدهم ما يحدث كان يرفع مسدساً محشور بين أكوام المال ويطلق ثلاث رصاصات مكتومة الصوت نحو الثلاثة المسلحين أمامه وقبل ان يفيق لوسيوس من ذهوله كان يقفز اليه محيطاً برقبته مهدداً الرجال حوله:

-ابتعدو هيا.. افسحو الطريق.. (وتمتم في اذنه) خذني اليها والا اقسم أن اقتلك..

بدأ الرجل يهتز رعباً وفوهة المسدس تنغرس في لحم رقبته .. وهو يصرخ بالجميع ان يبتعدوا ويدعوه يمـــر....

كانت ترتجف برداً وخوفاً... الدوار يلف رأسها والألم أسفل بطنها يزداد .. يالهي دعت بصمت وهي تعض على شفتيها بقوة تمنع آهة الم من أن تفلت من بينهما ... كانت الالام تعاودها منذ الصباح في فترات متباعدة زادت بشدة الان.. (يالهي ثيوس .. أين أنت؟؟(

العرق البارد يتصبب من رأسها وكل انحاء جسدها .. قلبها يخفق بقوة غير اعتيادية .. عيناها معلقتان بالباب المغلق وأنفها مزكوم برائحة الرطوبة الخانقة ..

حين رأت الباب يفتح ببطء وسمعت الصوت الحبيب يقول بخشونة:

-اين هي ايها الوغد؟

انتفضت بقوة والأمل يجتاحها وكأنها تغطس في بئر عميق من الارتياح ومن خلف الباب رأت لوسيوس متقدماً وثيوس.. حبيبها ثيوس خلفه يصوب عليه مسدساً وعيناه تبحثان عنها بجنون في الغرفة القذرة.. همست:

-ثيوس!!!

التفت اليها بسرعة ورأت عيناه تتسعان من فرط الارتياح وهو يقول هاتفاً:

-ساشا... تعالي حبيبتي هيا بنا ..

ودفع بالرجل أمامه بخشونة ليسقط الى الامام وهو يمد يده ليتلقف يدها الممدودة اليه بضعف.. كان ينظر اليها بلهفة وقلبه يعصره من فرط ما عانته من عذاب.. حين رأى النظرة في عينيها تنقلب لتظهر ارتياع شديداً وهي تقول بذعر متخاذل:

-ثيوس انتبه؟؟؟

بالكاد التفت قبل ان يشعر بتلك الضربة المـؤلمة وراء رأسه وبالكاد استطاع سماع صرختها الملتاعة قبل ان يسقط فاقداً للوعي أمام قدميها.

تهالكت ساشا فوق الجسد المسجى أمامها وهي تصرخ بألم .. كانت قد رأت ذلك المجرم يتقدم من وراءه بسكون ولكنها لم تلحق ان تحذره وفاجأه ذلك الوغد ..

ومأأن سقط امامها حتى انكب عليه المجرمان وجرداه من سلاحه قبل ان يسرعا بمغادرة المكان وهما يتحدثان بانفعال... لم تأبه لهما بل اسرعت تلقي بذراعيها حوله وكأنها تحميه من خطـر محدق... تأملت ملامحه الحبيبة بجزع ولكنها تنفست الصعداء حين رأت تنفسه مستـــمراً... لامست وجهه بحنان عاشقة محبة وقالت هامسة:

-ثيوس .. حبيبي انهض ارجوك ..

وسرعان ما فاجأها ألم جديد احنى ظهرها بقوة وهي تئن وتسند جبينها اليه .. ورغماً عنها بكت بمرارة وهي تفكـــر .. يالهي سافقد طفلي..

هزته بقوة وصرخت:

-ثيوس .. ساعدني..

كان الالم يخض رأسه بقوة فرفع يده يلامس موضعه وهو يتأوه .. وامتزج تأوهه بأنين يمزق القلب وتعرف صوت حبيبته ..

سرعان ماانتفض مستيقظاً وهو يتذكر ماذا حدث ... وحالما فتح عيناه وجدها.. كانت مستلقية الى جواره وبالكاد تعي ماحولها ويدها تحيط ببطنها وهي تئن بقوة فأسرع اليها وقال بجنون:

-ساشا ؟؟

نظرت اليه بالم وانت من بين أسنانها:

-ثيوس ساعدني.. انا اكاد أموت.

اسندها الى الجدار وقال بخوف:

-ماذا يحدث؟؟ انت بخير؟

هزت راسها والتقلصات تزداد قوة وهتفت باكية:

-سأفقد طفلي.. سيموت ابننا ثيوس.

شعر بقلبه يقع بين قدميه وهو يرى وجهها الشاحب والعرق يتصبب منها وتنفسها المتسارع وكاد قلبه يتوقف حين صرخت بألم وهي تشد على ذراعه بقوة وتفجرت الدموع من عينيها وهي تتوسل اليه:

-ساعدني..

كاد يجن .. حبيبته .. زوجته.. ام ابنه.. تكاد تموت امامه وهو غير قادر على مساعدتها بشيئ بحث عن حل.. ولم يجد غير انه يجب ان يخرج من هنا ... تركها متجاهلاً اعتراضها الضعيف واسرع الى الباب المغلق وشرع يحاول فتحه بشتى الطرق .. ولكن الباب القديم

المصدي لم يستجب .. وتمزقت اذناه وهو يسمع نشيجها المتألم و صراخها من فرط الألم ..

وضع يديه فوق رأسه حائراً غير قادر على التفكير السليم وهو ينظر الى الباب ... وحانت منه التفاتة الى اسفل اليسار حيث رأي تلك الفتحة الصغيرة المؤمنة بقضبان الحديد وجائته فكرة.. اسرع اليها وبدأ يضرب احد القضبان بقدمه السليمة وهو يكتم صراخ ألمه وقلبه يتمزق من أنينها هي...

كانت القضبان مهترئة وسرعان ما تهالك أحدها فانتزعه بسرعة قبل ان يسقط في الجهة الاخرى وبدأ يضرب قفل الباب به بكل ماأوتيه من قوة .. ولان الحديد تحت ضرباته القوية ولكنه سرعان ما سمع اصوات تقترب .. فاختبئ خلف الباب وهو يشير لساشا ان تبقى حيث هي ..

سرعان مافتح الباب ليندفع لوسيوس نحوها وهو يتلفت حوله بحثاً عنه ولكن ثيوس اقترب منه بسرعة وهاجمه من الخلف وضربه بقوة وهو يختطف منه سلاحه وصوبه الى رأسه وقبل ان يعتدل أطلق عليه النار ليصيبه في مقتل ..

واتسعت عينا الرجل قبل ان يتهالك ميتاً تحت ساقيه وقبل ان يفيق المجرمين من صدمتهم كان يحيط بأحدهم من عنقه و وهو يصرخ بغضب:

-ابتعدوا عن الطريق ان اردتم لصديقكم النجاة.

انحبست الدماء في عروق ساشا وثيوس يقف امام ثلاثة من المختطفين والرابع يمسكه من خلف عنقه بقوة ووقف الثلاثة بتحفز والرابع يقول لهم بتوتروهو يرى زعيمه غارقاً بدماءه على الارض:

-ابتعدو عنه.. دعوه يمـــر..

قال ثيوس مخاطباً ساشا بتوتر:

-هيا حبيبتي.. انهضي.

نظرت اليه بذهول .. كيف يتوقع ان تنهض وهي تتألم هكذا وكادت تستنكر ولكنه سرعان ما صرخ بها:

-ساشا تحملي وانهضي ارجوك.

نهضت بصعوبة وبدأت بالسير نحو الباب .. ولكنها ارتكبت خطأ واحد ... لقد مرت بالقرب من الخاطفين.. مرت الى جوارهم تماماً واستغل احدهم الموقف وسرعان ماكان يمسكها بين يديه ويحيط عنقها بذراعيه واشهر مدية طويلة حادة واشار بها الى بطنها ووسط صرخاتها المرتعبة قال لثيوس:

-اتركه والا شققتها الى نصفين امامك..

جف حلق ثيوس وهو لوهلة واحدة يتصور المشهد أمامه وقال بصوت مهتز:

-اتركها..

شدد الرجل ضغط ذراعه على عنقها وتجاهل أنينها المتألم وبكاءها وهو يقول بشراسة:

-اترك المسدس الان ارجامينيس ..

تركزت عينا ثيوس على عينيها المرتاعتين وقد شحب وجهها وهي تكاد تفقد وعيها من شدة الرعب ونصل السكين يلامس بطنها...

ولكن كان لساشا رأي آخر.. رأت النظرة المنهزمة في عيني زوجها وادركت انه يكاد يموت لأجلها... فتجاهلت الامها للحظة واحدة وسرعان ماأحاطت بيديها يد الرجل الممسكة بالسكين وغرست أظافرها الطويلة فيها بقوة .. وفي نفس اللحظة أحنت رأسها لتعض يده المحيطة بعنقها ومإن سمعت صرخته المتألمة وسمعت رنين السكين وهي تسقط ارضاً وتشعر بارتخاء يده حولها حتى دفعته عنها بقوة وهي تصرخ:

-ابتعد عنـــي..

رأت ان ثيوس يتأملها ذاهلاً فالتقطت السكين تدافع به عن نفسها ضد الثالث الذي اندفع نحوها بسرعة ولكنه سرعان ما سقط ارضاً وزوجها خلفه ومسدسه يضرب بكعبه رؤوسهم الواحد تلو الاخر .. وبعد لحظة كان الاربعة مكومين ارضاً وثيوس يدفعها الى الخارج قبل ان يبدأو بالاستيقاظ وأسرع ليغلق الباب وراءهم وهو يقول بسرعة:

-سأستدعي الشرطة على الفور ..

واستدار عنها الا ان صوت ضعيف منها جعله يلتفت اليها بسرعة... واتسعت عيناه وهو يراها تجلس على الارض تستند الى الجدار خلفها بضعف وتحتها بركة ماء .. وهي تقول بصوت باكٍ:

-ساعدني..

خرج ثيوس من ذهوله بصعوبة واندفع نحوها بسرعة وحمل جسدها الثقيل بين ذراعيه وهو يقول:

-لا تخافي حبيبتي ساخذك الى المستشفى في الحال..

تشبثت بعنقه وهي تشعر بالتقلصات تزداد فصرخت بألم ودموعها تتفجر منها فقال لها:

-ساشا تحملي .. ارجوكي ..

أخرجها من المنزل القديم واندفع نحو سيارته .. وضعها في المقعد الخلفي واسرع ليدير المحرك ولكنه لم يعمل .. حاول مرة وأخرى وصرخاتها المتتالية تشق اذنيه ... دون فائدة .. فخرج منها يتفقد المحرك وصرخ بغيظ وهو يرى كل اسلكها ممزقة:

-الاوغـــــــاد..

قالها بجنون .. وبحث بعينيه عن سيارة اخرى فلم يجد... شد شعـــــره بيأس ... ولكنه تمالك نفسه وعاد اليها بسرعة رآها متهالكة وقد جف حلقها وحالما رأته قالت تهذي:

-لاتدع طفلي يموت... ارجوك ساعدني ..

اخذها بين ذراعيه وحملها مجدداً وقال بتصميم:

-سأوصلك الى المستشفى.. لا تخافي حبيبتي.

ضمها اليه بقوة وهو يركض دون توقف وأنينها يمزق قلبه وأظافرها تنغرس في لحم كتفيه كلما فاجأتها الالام ... ركض وركض وهو يحاول تذكر الاتجاه الى الطريق العام بعيداً عن ذلك المكان المشؤم وهو بالكاد يحتفظ بأنفاسه...

كانت آلامها تشتد.. وتكاد أنفاسها لا تغادرها وهي تشعر بنفسها تغيب عن الدنيا كلها ليعود الألم ويوقظها من غفوتها ... كان يضمها اليه بقوة شديدة وحنان فائق... دقات قلبه المجنونة تهدر في أذنيها ... وبرغم الألم .. والخوف .. والبـــرد ... شعور واحد فقط طغى عليها بقوة... شعور افتقدته في الشهور الأخيـــــرة شعورها بالأمـــان بين ذراعيـــه... استكانت وعرفت انه .. سيفعل كل شيئ لأنقاذها ...

رأى الطريق العام يلوح أمامه فشد بقوة حتى وصل اليه .. اقتحم الطريق ووقف بالكاد يحافظ على توازنه وهو يترقب أي سيارة .. ومن بعيد رآها تنهب الطريق نهباً فوقف وسطه بحمله الثميـــن بين يديه بالكاد ينتصب.. وقفت السيارة امامه بصرير مزعج وخرج منها زوجان نظرا اليهما بذهول فقال بصوت منقطع الانفاس:

-نحتاج مساعـــدة..

وسرعان ما كانت السيارة تنهب الطريق بالاتجاه المعاكس عودة الى المدينة ... وساشا تصرخ بألم وتقول لثيوس الذي بالكاد كان يمسك أعصابه:

-سأموت... سأموت ثيوس.

كان يسند ظهرها الى صدره ويحيطها بذراعه في حين يده الاخرى تمسد رأسها وشفتاه تهمسان في اذنها بكلمات مشجعة ... صرخت مجدداً وانفجرت بالبكاء وهي تتمتم:

-لا يجب ان يولد الان... سيموت طفلنا ثيوس.. سيموت.

ضمها اليه بقوة وقال بصوت متألم:

-اهدئي ساشا سيكون كل شيئ على مايرام حبيبتي.. اهدئي وخذي نفساً عميقاً..

ما ان وصلت السيارة الى المستشفى حتى أخذت ساشا الى غرفة الولادة دون تأخير .. كان ثيوس لا يكاد يشعر بساقيه من فرط التعب ولكنه كان ممسكاً بيدها طول الوقت .. وما ان دخلا الى الغرف العابقة برائحة المنظفات حتى قال له الطبيب:

-من الافضل أن تغادر ايها السيد.

نظر اليها بتوتر كان وجهها شاحباً وقد التصق شعرها برأسها من فرط العرق وتشبثت بيده بقوة فتجاهل الطبيب والتفت اليها بجسده وهو يقول بحزم:

-سأبقى.

نظر اليه الطبيب بدهشه فأضاف:

-لن أتركها فافعل ماعليك لايقاف هذا الألم.

نظر له الطبيب وقال بهدوء:

-أيها السيد ان زوجتك في المخاض الان ..

نظر له ثيوس وقال بتردد:

-ماذا تعني؟؟

-ما أعنيه ان زوجتك ستلد الطفل الان..

شهقت ساشا بذعر وعقد ثيوس حاجبيه وهي تقول بصوت ضعيف:

-لا .. لا .. لايزال الوقت مبكراً.. أخبره ثيوس .. قل له ان الوقت مبكراً.

رفع الطبيب كتفيه وقال بأسف:

-يجب ان نولده لا يمكننا ايقاف الولادة الان .. لقد تأخرتما..

تفجرت الدموع من عينيها وشهقت بألم في حين تهالك ثيوس الى جوارها وهو يقول:

-لا تقلقي حبيبتي.. كثيرون من النساء يلدن مبكراً .. ستكون الامور على مايرام..

-لا .. طفلي سيموت .. سأخسر طفلي.. آآآه..

صرخت بألم فأمسكها ثيوس بقوة وهو يحدق في عينيها ويقول بحزم:

-انظري الي.. ساشا انظري الي..

حدقت بعينيه بضعف فقال لها بحنو:

-ستكون الامور بخير.. كوني قوية من أجلي..

نظرت اليه وقالت:

-عدني.. عدني انه سيكون بخير..

ابتلع ريقه ورغماً عنه قال:

-أعدك حبيبتي.. أعدك انه سيكون على مايرام.. ثقي بي..

نظرت اليه وبالكاد أومئت ولكن كانت الامور سيئة .. مخاضها كان طويلاً وبسبب ارهاقها كانت ضعيفة للغاية.. كان ثيوس يمسك يدها طوال الوقت .. ويشجعها بكلماته وهو يرتجف من اعماقه ... أحاط وجهها بيديه وقال لها:

-خذي نفساً عميــقاً ساشا ..

كانت شبه دائخة .. عيناها لا تكادان تريا والألم بدا يخف .. عرفت انها لن تراه بعد الأن عرفت انها ستكون المرة الأخيرة التي تسمع فيها صوته... تلامس بشرته وتتنفس أنفاسه.. ستموت هكذا فكرت

بيقين.. فلم ترد أن تحرمه من الكلمة التي تحتفظ فيها في قلبها فقط من أجله... رفعت يدها تريد فقط الشعور بخفقات قلبه لمرة أخيرة وضعتها على صدره المتوثب .. وفوق الضربات الخافقة بجنون تلكأت أصابعها ثم ابتسمت لتلك العينان الحنونتان أمامها بتخاذل وهمست له:

-احبـــك ..

لم تعرف ان كان قد سمعها .. أم ان كلمتها ترددت في أعماقها فقط ولم تغادر شفتيها قط... وشعرت بعدها بسكينة عميقة تجتاحها وهي تغرق في عالم من اللاوعي.

كان يراقب عينيها الذابلتين حين مدت يدها لتلامس صدره... وقبل ان يحيط كفيها بكفيه سمعها تتمتم دون أن يفهم ماقالت... ورأى ابتسامتها الخفيفة وسقط قلبه بين قدميه وهو يراها تغلق عينيها ويدها التي تلامسه تسقط هامدة... تسمر ينظر اليها بذهول ولم يقوى على فعل شيئ ..

شعر بالطبيب يزيحه من أمامها بقوة وسرعان ما وجد نفسه ينساق الى الخارج والطاقم الطبي يحيط بها .. كان أضعف من أن يعترض .. وما إن أصبح بالخارج حتى تهالك على الأرض وهو يضع راسه بين ركبتيه .. ودماغه يكاد ينفجر.. أراد ان يصرخ .. أراد أن ينفجر بالبكاء.. كالاطفال.. شعر بصدره يحترق خبط الأرض بقدمه بقوة ولكم الجدار خلفه وهو يصرخ بصوت مكتوم ..

يالهي ماذا لوفقدها.. سيجن .. سيفقد عقله .. وقف يدور حول المكان كليث حبيس.. ماذا يفعل؟؟؟ ماذا ؟؟؟

خرجت احدى مساعدات الطبيب فأسرع اليها وهالته النظرة على وجهها وهي تقول:

-نحتاج الى نقل الدماء اليها .. لقد نزفت كثيراً..

غامت الدنيا أمامه وقال يمد يده اليها:

-خذي من دمي ..

-يجب اجراء الفحوصات .. تعال معي..

أخذته الى غرفة اخرى... وبعد نصف ساعة كانت دماءه تجري في عروقها... أحضرو له الطعام والشراب ولكنه تجاهل كل شيئ وعاد بعدها مباشرة الى امام غرفة العمليات ...

كان يجلس وراسه الثقيل بين يديه حين شعر بيدٍ تسقط على كتفه فرفع رأسه الى وجه أخيه الذي سأله:

-ماذا حدث ؟؟

كانت حالته النفسية سيئة والأخبار لا تطمئن وقد نقلوا لها الدم مرة أخرى ... وهذه المرة من بنك الدم ومضت أكثر من ساعتين ونصف وهم بالداخل .. كان يشعر بأنه سيفقدها .. انه قد رأى عينيها وسمع صوتها للمرة الأخيرة .. فقال بصوت شاحب:

-سافقدها... سأفقد ساشا.

أمسكه جوليان من كتفيه وهزه بقوة وقال:

-تشجع ثيوس ستكون ساشا بخير ... تجلد أخي.

-لو أصابها مكـــــروه .. لن أسامح نفسي قط.. أبداً.

نظر اليه جوليان الذي طار مسرعاً اليه بعد اتصال الشرطة به ... وجلس الى جواره وهو يرى أخاه بالكاد يحافظ على رباط جأشه.. وعرف انه يحتاجه أكثر من اي وقت مضى.. احاطه بذراعه وشعر بجسده كله ينتفض..

كان جسده يبكي.. والدموع محبوسة في عينيه .. كرامته تأبى عليه أن يبكي... أن يصرخ.. فشد من كتفيه وقال بهدوء لا يتحلى به:

-ستكون بخير..

مضت عدة ساعات.. قبل ان يخرج الطبيب... تسمر ثيوس على الكرسي ولم تحمله ساقاه على النهوض والطبيب ينظر اليه بتوتر ولم يجرؤ على السؤال حتى قال:

-لقد اضطررنا للقيام بعملية قيصرية.. لقد نزفت الأم كثيراً.. ولكننا استطعنا السيطرة على النزيف..

شحب ثيوس ولم يقوى على السؤال فقال الطبيب مضيفاً:

-سيكون الطفل بخير..

تنهد جوليان بارتياح الا ان ثيوس الذي بلغت انفاسه حدها نهض بغضب وامسك تلابيب الطبيب المذهول وقال بجنون:

-كف عن الثرثرة واخبرني عن زوجتي.. ساشا .. كيف هي؟؟

ابتلع الطبيب ريقه وقال بسرعة:

-انها بخير.. ستتعافى وستنسى ما حدث كلياً.. انها بأفضل حال.

أفلته ثيوس حينها فتراجع بسرعة منه وتهالك على المقعد وهو يغرق وجهه بين كفيه ويحمد الله من أعماقه .. وقد فقد قوته حتى على الوقوف...

ساشا بخير.. ستكون بأفضل حال.. ستعيش وتعيد الحياة اليه.. ستكون معه مجدداً لا يصدق..

لا يصدق ان الله رحيم به.. الى هذه الدرجة.. حمداً لله.. حمداًلله...

كانت تشعر بنفسها تنام فوق وسادة هوائيــة .. تهدهدها النسمات الخفيفة وتداعبها أفكارها الحالمة.. تنهدت وهي تفتح عينيها ببطء وتلقفتها عيناه ..

ابتسمت للشوق العاصف بين جفنيه وسرى فيها مجرى الدم ... رأت العينان السوداوان تتألقان بنجوم صغيرة تنير سوادهما وتحيل ظلمتهما نوراً... همست:

-أحبـــك..

وكأنها لم تغب عن الوعي للحظة... أغمضت عينيها على عينيه وشفتيها ترردان قسماً بحبه .. وفتحت عينيها على حبه مجدداً... وشفتاها لا تزالان ترددان القسم... هي لم تمت.. سيعطيها الله فرصة أخرى..

فقط كي تحبه.. هي تعرف ماتريد الأن .. هي لاتريد شيئاً من هذا العالم سوى أن تحبه وتكون معه الى الأبد..

وجدت نفسها بين ذراعيه... ذابت شوقاً اليه وهويضمها بتلك الرقة القاتلة.. يحيطها بهالة من القوة تشعرها بالأمان ... كيف استطاعت أن تبتعد عنه وحياتها لا تكتمل الا بين يديه كيف استطاعت ان تعيش بدونه وانفاسها لا تدخل صدرها الا لوشاركها اياها ... كيف تحيا بدون ضربات قلبه المجنونة التي ترافق ضرباتها ..

همس:

-أحبك يا حبي الوحيـــد..

أبعدها عنه قليلاً وقدم اليها زهرة دوار الشمس أخذتها باسمة فقال متأسفاً:

-لم أجد سواها أمامي..

تلفتت حولها وضحكت وقد امتلئت غرفتها بالأزهار الصفراء المنعشه.. وعادت تستند الى زنديه وتخبئ رأسها في كتفيه وقد

وجدت بيتها وملاذها بين ذراعيه... وعروقها تشتعل بنيران شوقها اليه وابتسمت وهي تعرف من ابتسامته ان طفلهما بخير.. همس لها بذلك فقالت باسمة:

-أعرف ..

-كيف عرفتي؟؟

سلها بدهشه فقالت وهي تلامس وجهه بحنان:

-ألم تعدني..

-ساشا .. (قالها بتهدج فأضافت)

-وأنا اثق بك حبيبي وأعلم انك لن تخذلني قط..

أعادها الى ذراعيه بقوة .. وودت لو تبقى الى الأبد هكذا ...

سألها بصوت خافت:

-سامحيـني..

رفعت اليه عينين بلون البحر الرائق تحت شمس سوفيـــرا وقالت ودموعها تغسل وجهها:

-لقـــد سامحتك منذ زمن طويل .. سامحتك قبل أن تخطئ حتى ..

وعاودت القاء نفسها بين ذراعيه وهي تنسى كل ماحدث.. تنسى العذاب والألم .. تنسى الحقـــد .. أي حقد.. وهي لم تشعر نحوه

سوى بالحب.. لم تعرف الحقد الا مرادفاً للحب في قاموسه ... كل ما اختبرته من مشاعر معه لا تترجمها الا بجنون الحب...

كم من مرة قالت أنها لن تعود اليه ؟؟ كم من مرة قالت انها لا تريده... ولكن .. لقد عادت... رجعت الى حيث تنتمي ... وما أحـــلى الرجوع اليـــــــــه...

الخـــــــاتمـــــــــة

تنهدت ساشا بقلق وتنقلت من المطبخ المقلوب رأساً على عقب وبين باحة المنزل الأمامية... حيث اكتظت بأفراد عائلتها وعائلة ثيوس وعائلة براكللي.. وماري ومارك..

عقدت ذراعيها أمام صدرها وهي تقضم اظافرها بقلق .. أين هو؟؟ لقد تأخر.. تنهدت بضيق وهي تسرح شعرها امام المـــــرآة الضخمة على حائط غرفة المعيشة بتوتر.. ولكنها سرعان ما التفتت بابتسامة وهي تنظر الى كاثي التي تحمل ابنها الصغير.. وتسرع الى الغرفة ضاحكة وهي تتمتم:

-ان هذا الصبي مجنون لقد سكب كل صلصة الخوخ على ملابسي..

ضحكت ساشا وهي ترى ثوبها الليلكي الأنيق وقد تلطخ باللون الاصفر وساعدتها وهي تقول:

-ان صبيك مزعج كاثي..

تنهدت الأخيرة بتوتر وهي تشتكي:

-انه شقي وشيطان صغير.. ما ان أصبح قادراً على المشي حتى صار قنبلة متحركة ..

وبدأت تنظف ابنها الذي كان يصيح طيلة الوقت ويجاهد للفلات من امه وقالت كاثي تسيطر على غضبها بالكاد:

-أين هو ثيوس .. لم أره منذ وصولنا؟؟

-سيعود قريباً.. (قالتها بهدوء تخفي توترها وهي تتسائل أين ذهب هكذا من دون أن يعطيها أي خبر؟؟)

وسرعان مانطلق الطفل الشقي يركض حالما تركته امه لتمسك على رأسها وتقول:

-ليته بمثل هدوء ايلينا.. اين هي بالمناسبة؟؟

ضحكت ساشا وهي تقول:

-فرانكو أخذها ليعلمها ركوب الخيل بحسب توصية ثيوس.. هي لا تحسن المشي بعد وهما يعلمانها ركوب الخيل ..

ضحكت كاثي وقالت:

-ما أخبار عملك؟؟

تنهدت ساشا وقالت فرحة:

-راااائع .. لم أعرف ان كتابة المقالات افضل من الاخبار.. وهي تتيح لي ممارسة عملي الذي أحبه والبقاء مع عائلتي..

-ألا تشتاقين الى الصحافة؟

-انا لم ابتعد عن الصحافة فقط عن الأخبار.. وهذا مريح.

أومات كاثي لها ثم قالت وهي تشير الى ثوبها:

-يستحسن ان اغير ثوبي .. يبدو أنني سأعود للجينز .. فمع ابن كأبني لا مجال للأناقة..

شاركتها ساشا الضحك وكاثي تصعد الى غرفة الضيوف لتغير ثيابها..

وجال بصر ساشا في أرجاء منزلها ... كان من المستحيل عليها بعد أن عادت الى سوفيـــــرا أن تبقى في مكان واحد مع عائلة ثيوس بعد أن حاولوا جميعاً أن يفرقوا بينهما .. حتى بعد اعتذار والدته وشقيقيه.. كان من الأسهل للجميع ان ينسحبا..

تنهدت براحة وهي تتأمل المنزل الذي بني على التلة المشرفة على اسطبلات الخيول.. المنزل الذي أهداها اياه بعد عودتهما من امريكا بعد شهرين قضياهما هناك مع عائلتها .. حتى تتحسن صحة الصغيرة ايلينا ويصبح السفر لها سهلاً ..

كان منزلها يقع على التلة ويطل على سوفيرا بأكملها .. صحيح انه بعيد عن الشاطئ ولكنه يطل على مساحة هائلة من الخضرة.. والى جوارهم اسطبلات الخيل .. ومنذ عام كامل منذ ان جاءا اليه للمرة الاولى وهما يعيشان في باستقرار.. والحياة بينهما مليئة بالحب والتفاؤل..

واليوم هو عيد ميلاد ايلينا الأول وثيوس غادر منذ الصباح ولم يعد بعد...

تنهدت مجدداً واستدارت لتعود الى الحديقة والضيوف حين اتسعت عيناها بقوة.. كان ثيوس واقفاً امامها وقد عقد حاجبيه..

ابتسمت بفرح وارتمت بين ذراعيه وهي تقول:

-ثيوس .. اين كنت حبيبي.. لقد أفزعتني..

ضمها اليه بحنان وقال هامساً:

-أعتذر حبيبتي ..

ثم أبعدها عنه بطول ذراعه ونظر الى عينيها بتوتر فقالت وهي تداعب أزرار قميصه بدلال:

-ماذا هناك ثيوس ؟؟ تكلم حبيبي؟؟

تنهد قبل أن يقول:

-تعالي.. هناك من أريدك أن تقابليه..عقدت حاجبيها وهي تسير برفقته الى الغرفة الخارجية التي يعمل بها يومياً.. للأشراف على شؤون المزرعة والاسطبلات..

تقدمت الى الغرفة الدافئة العابقة برائحة خشب المحترق في المدفأة..

وهناك وسط الغرفة رأت تلك العربة الزرقاء الصغـيرة .. تاملتها بدهشة.. كانت عربة طفل..

تقدمت لتتأمل الطفل الصغير الذي تجاوز عمره العام وجف حلقها ... تأملت الشعر الأسود الحالك والبشرة السمراء... وابتلعت ريقها بصعوبة.. واهتزت الصورة أمامها .. كان ابنـــ...

-انه ابـــن أليكس..

شهقت بقوة وأنفاسها تغادرها كأنها في سباق.. ولهثت دون ارادة منها وهي تستند الى صدر زوجها بتعب وتغمض عينيها وهو يقول:

-انه ابن أليكس.. انه طفله من سالي..

التفتت اليه بجسدها كله تنظر اليه بعينين متسعتين بالحيرة وفيهما تساؤل قرأه بوضوح فأمسكها من كتفيها وقال بانفعال:

-ساشا صدقيني.. انه طفلهما.. حاولت جهدها ان تلصق الطفل بي.. ولكنني حالما رأيته عرفت بأنه لأليكس ..

تركها ليقترب من الصغير النائم بعمق ورفع كم قميصه وقال مشيراً لوحمة صغيرة بلون الدم وقال:

-أليكس كان لديه مثلها .. انها متوارثة في عائلته منذ أجيال ..

ثم وقف أمامها وقال بحزن:

-انه صديقي ساشا.. وهذا ابنه .. انسي للحظة واحدة انه ابنها وتذكري..

قاطعته واضعة اصبعها على شفتيه وهي تقول بخفوت:

-لن أتذكر سوى انه ابن الرجل الذي أنقذ حبيبي يوماً.. ابن الرجل الذي سرى دمه في عروقك ..

-ساشا..

التجئت الى ذراعيه وقالت هامسة:

-أعرف أنك تدين لأليكس بحياتك .. وأنك تريد سداد الدين.. (ورفعت اليه عينيها قائلة بحنو) دينك.. هو ديني حبيبي ..

قال بتوتر:

-سيعرف الجميع انه ابني .. انا لن أخبر احداً انه ابن اليكس.. سيظل ابني.. أمام الكل.. وسيحمل اسم ابيه ولقب عائلتي ..

-وسيكون ابني أنا أيضاً.. وشقيق لإلينا..

نظر اليها بذهول.. توقع أي شيئ.. توقع الدموع والصراخ .. ولكن ليس هذا القلب الذهبي .. ليس هذا الحب اللامحدود.. أمسك رأسها بين يديه وقال بخفوت:

-أن تنظري اليه يوماً وتري في عينيه .. صورة امه .. وتتذكري كل ما فعـ...

قاطعته بقبلة أنسته ماكان يقول .. وأدخلته عالم من الحب لا تستطيع سواها ابتكاره.. وبعد أن أخلت بضربات قلبه تركته وقالت:

-لن اتذكر سوى أنه ابن زوجي.. وأنني امه الجديدة.. ولا أكثر..

ابتسم لها بحب وضمها اليه بقوة .. فسالته:

-لماذا لم تحضره قبلاً.. أين كان؟

-كان مع جديه ولكن بعد موت جدته منذ أيام وخوليو العجوز لا يستطيع الاعتناء به وحده ..

ونظر اليها وقال:

-كنت سأخبرك بأمره ساشا ولكن لم أرد ايلامك حبيبتي..

-أردت دوماً سؤالك عن طفل سالي ولكنني حينما علمت بأمر انتحارها وهي حامل ظننت .. ظننت الطفل مات أيضاً .. لم أرد إيلامك بذكره ظناً مني انه ابنك.

ابتسم لها وقال:

-لطالما كنت رقيقة القلب حبيبتي ..

وقبلها برقة قبلة طالت كثيراً..

خرجا الى الجمع المتحلقين في الحديقة حول الينا الصغيرة التي تركب مهرها الصغير لأول مرة .. كانت صامتة مدهوشة ولكنها صرخت باكية حالما رأت والدها امامها .. فحملها ضاحكاً.. وسط ضحكات الجميع وستيفان يقول:

-ابنتك تتدلل عليك ثيوس.. عليك أن تقسو عليها قليلاً..

نظر ثيوس الى طفلته التي تعلقت بعنقه بدلال وقال وهو يداعب الشعر الأشقر الكثيف:

-لن أقسو عليها أبداً .. يكفي أنها ابنتي.. وابنة ساشا ..

ابتسمت ساشا بفرح والتفت الجميع اليها مبتسمين.. وسرعان ماعبرت وجوههم عن الدهشة وهم ينظرون بفضول للطفل المعلق بعنقها هي ..

كان يحيط بها بشدة وعيناه تخفيان دمعة ونظرت ساشا الى ثيوس الذي أحاط كتفيها بذراعه وهي تلتفت اليهم جميعاً لتقول مبتسمة:

-اقدم لكم جميعاً.. أليكس أرجامينيس.. سيعيش معنا هنا منذ الان.. شقيقاً لايلينا .. وابناً لنا..

تبادل الجميع النظرات وقد فهموا الرسالة.. وسرعان ماتحلقوا حوله يداعبونه بشتى الطرق...

وتبادل ثيوس وساشا النظرات... وارسلت مع كل نظرة ابتسامة...

ومع كل ابتسامة وعـــــد...

وعد بالحب .. والثقة.. الى الأبد ..

بادلها النظرة بمثلها والابتسامة بأحلى منها ... والوعد.. بأغلظ منه...

الى الأبـــد...

النهـــــــــــاية..

قراءة ممتعة..

بيـــــرو